قوله المصالح وهو جمع المصلحة والباء متعلق بمحذوف والجملة حال اى نزله كائنا على مقدار المصالح يريد انه نزل مقدار نزل كل مرة مصلحة فى كونه على ذلك المقدار و
فى ذلك الوقت ويجوز ان يقال شائع فيه عاملان اى انزل ونزل اذ فى انزال القرآن ليلة القدر جملة الى السماء الدنيا لا بعد ان يكون مصلحة للملائكة الذين
هم سكان الدنيا من السفرة الكرام البررة وغيرهم او لجبريل عليه السلام فانه هو المامور بالتنزيل والتادية قوله منجما النجم هو الطالع ثم سمى به
الوقت مجازا لكونه دليلا عليه ومنه قول الشافعى رضه اقل التاجيل نجمان اى شهران او سنتان الى غير ذلك ثم سمى به ما يؤدى من الوظيفة مجازا فى المرتبة الثانية
اطلاقا لاسم المحل على الحال ومنه اثر عمر رضه انه حط من مكاتب له اول نجم حله اى اول وظيفة من وظائف بدل الكتابة ثم اشتقوا منه فقالوا نجم الدية
اذا اداها نجوما ومنه قوله التنجيم ليس بشرط ودين منجم جعل نجوما اى وظائف وحصصا واصل هذا من نجوم الانواء وهى منازل القمر لانهم كانوا لا يعرفون
الحساب وانما يحفظون اوقات السنة بالانواء فقوله منجما اسم مفعول من التنجيم الماخوذ من النجم المجازى فى المرتبة الثانية والمعنى نزله بقدر المصالح حال كونه حصصا
ووظائف وهو اشارة الى رعاية مصالح العباد وذلك عند اهل السنة بطريق التفضل والاحسان وعند المعتزلة بطريق الوجوب وسيتحقق الكفر ان شاء الله ثم
انه لا يجب على الله تعالى شىء قوله بالتحميد اى بالفاتحة لانها تسمى سورة الحمد لما يجىء ومفتتحا اسم مفعول من الافتتاح مفعول ثان لجعل لانه يتعدى الى مفعولين اذا كان
بمعنى صير كما فى هذا الموضع قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا واذا كان بمعنى احدث يتعدى الى مفعول واحد قال تعالى وجعل الظلمات والنور وابتداؤه بالتحميد
نعمة ايضا اذ هو تعليم للعباد انهم اذا اشتغلوا بالتعلم والقراءة فمن حقهم ان يحمدوا وعلى هذا التوفيق وله فوائد اخر يذكر بعضها فى اول الفاتحة ان شاء الله واختتامه بالاستعاذة
ايضا نعمة اما لان مثل هذا القرآن لما نزل على العباد وقرؤوه وعلموه كان مظنة ان يلقى الشيطان بايقاع العجب والكبر فاختتم بالمعوذتين لدفع ذلك واما لان الكفار كانوا يصيبون
بالعين ويقصدون ذلك قال تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر فاتم الله بالمعوذتين لدفع ذلك قوله واوحاه الوحى الاشارة والالهام
والكلام الخفى يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان يكلمه بخفية ووجه خفاء الوحى اما ما مر من انه يرد على القلب فى لبسة الجلال وابهة الكبرياء فتاخذ هيبة الخطاب
بمجامع القلب ويلقى من ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد المنزل بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع واما كونه خفيا عن غير الموحى اليه
من الحاضرين ومحل على قسمين نصب حال فعلى متعلق بمحذوف ومتشابها وهو محكما نصب اما بدل من محل الجار والمجرور او بتقدير اعنى والمحكم المتضح المعنى والمتشابه
مقابله واللفظ الذى يفيد معنى اما ان لا يحتمل غيره وهو النص او يحتمل غيره وهو على ثلثة اقسام لانه اما ان يكون افادته لذلك المعنى راجحا وهو الظاهر او مساويا
لغيره وهو المجمل او مرجوحا وهو الماول اذا عرفت هذا فنقول النص والظاهر يشتركان فى رجحان الافادة الا ان النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع
من الغير والقدر المشترك بينهما هو المحكم واما المجمل والماول فهما يشتركان فى انهما غير راجحين الا ان المجمل غير راجح وغير مرجوح والماول غير راجح وهو مرجوح اما
بحسب الدليل المنفصل والقدر المشترك بينهما هو المتشابه ثم ان انجاءه على قسمين نعمة عظيمة ايضا اما المحكم فلما فيه من الفوائد الجمة من العلم بالله وصفاته و
احكامه الى غير ذلك واما المتشابه فلانهم يؤمنون به ويعتقدون حقية ما هو المراد منه من غير العلم بتفاصيله فهو داخل فى الايمان بالغيب وايضا اذا علم الراسخون
فى العلم بسبب جمع العلوم والسماع والرياضات وتصفية النفس المعينة على ورود الالهامات ما هو المعنى من المتشابه حصل لهم المرتبة الجليلة وثبت لهم المنقبة
والفضيلة وهو ظاهر لشرف مرتبتهم ويشرفون من ليس فى منزلتهم بان يقال فى حقهم لا يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم قوله وفصله من التفصيل
بمعنى التبيين ومنه المفصل نقيض المجمل او هو من قولهم عقد مفصل جعل بين لؤلؤتين خرزة وهذا الوجه اولى لقوله ميز بينهن بفصول وغايات والخرز بالتحريك الذى
ينظم الواحدة خرزة وخرزات الملك جواهر تاجه شبه القرآن بالعقد من الجواهر بين كل جوهرتين لؤلؤة فالسور كالجواهر والبسملة فى الاوساط كاللآلى ثم
الآيات كالجواهر والفصول والغايات كاللآلى بطريق تشبيه المركب بالمركب لا تشبيه المفرد بالمفرد واعلم ان وجه الشبه اما ان يكون واحدا او غير واحد وغير
الواحد اما ان يكون فى حكم الواحد بان يكون المقصود حقيقة ملتئمة منها او لا يكون فى حكم الواحد الاول كالخد اذا شبهته بالورد فى الحمرة والثانى كقول الشاعر
وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق ليس المراد تشبيه النجوم بالدرر وتشبيه السماء بالبساط الازرق انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة
من النجوم المتلالئة فى جوانب السماء المظهرة للزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة من درر منثورة على بساط ازرق ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب والثالث كقول الشاعر
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى يصف عقابا والحشف اردأ التمر وفى المثل احشفا وسوء كيلة ويسمى هذا تشبيه المفرد
بالمفرد اذ ليس لضمام الرطب من القلوب الى اليابس منها هيئة يقصد ذكرها اذا عرفت ذلك فنقول المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من السور المتوسط بينها البسملة ومن
الآيات المتوسط بينها الفصول والغايات بالهيئة الحاصلة من الجواهر النفيسة المفصلة باللآلى قوله آيات والآية اصلها اوية بالتحريك قال سيبويه موضع العين
من الآية واو لان ما كان موضع العين واو واللام ياء اكثر مما موضع العين واللام منه ياءان فمثل شويت اكثر من حييت وفى اللغة العلامة قال تعالى عيدا لاولنا وآخرنا
وآية منك اى علامة منك لاجابتك دعاءنا وكل آية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الآية انها علامة لانقطاع الكلام من الذى
قبلها وانقطاعه من الذى بعدها وقال ابن السكيت يقال خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا وعلى هذا القول معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف
دالة على معنى مخصوص وقال جار الله العلامة فى الكشاف فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور
فان قلت فكيف عد ما هو فى حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آية على طريق التوقيف هذا حاصل ما ذكره وهو التعريف معنى الآية و
فيه تعريف لها يصلح ان يعول عليه والذى سنح لى فى تعريفها ان يقال الآية كلام من القرآن علم بالتوقيف انقطاعه معنى عما قبله وعما بعده غير مشتمل على كلام علم بالتوقيف انقطاعه
قبله .

... اوردت او معانيه

عما قبله وعما بعده فقولنا كلام كالجنس والمراد به المركب من الحروف والحركات ليشمل الكلمة وقولنا من القرآن ليخرج غير القرآن وقولنا علم بالتوقيف انقطاعه عما قبله وعما بعده احتراز
من بعض الآية قوله معنى اشارة الى ان المعتبر الانقطاع المعنوي لا اللفظي فانه يجوز ان يكون متصلا بما قبله لفظا بان يكون منزلا معه والمراد بالانقطاع المعنوي ان يكون حكم القرآن
يجري عليه بانفراده لحرمة الحمل والقراءة للجنب والحائض الى غير ذلك وقولنا غير مشتمل الى آخره احتراز عن السورة والعشر الى غير ذلك فانها كلام علم بالتوقيف انقطاعه مما قبله وعما بعده لكنه
مشتمل على كلام علم انقطاعه فلا يكون آية قال الامام في تفسيره لقائل ان يقول الحمد لله رب العالمين كلام تام الآن قولنا الرحمن الرحيم مالك متعلق بما قبله لانها صفات والصفات تابعة
للموصوفات فان جاز قطع الصفة عن الموصوف وجعلها وحدها آية فلم لم يقولوا بسم الله الرحمن آية ثم يقولوا الرحيم آية ثانية وان لم يجز ذلك فكيف جعلوا الرحمن آية مستقلة فهذا
الاشكال لا بد من جوابه هذا كلامه وانا اقول جوابه ما مر من انه توقيفي لا مجال للقياس فيه قوله وما هي الا صفات مبتدأ قال المطرزي في المغرب بدأه اذا انشأه وابتدأ
الامر اخذ فيه او فعله ابتداء ولا يقال ابتدأ زيدا ولا ابتدأه لانهما لا يتعلقان بالاشخاص كالارادة ثم قال فيه وقوله فان كان البيع ابتداء اي ابتداء اخذ او عقد على
حذف المضاف ومثله ولا يبتدئ اباه من المشركين اقول ويظهر لك من هنا ان قوله مبتدأ اصله مبتدأ جعله او خلقه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و
استتر وابدعت الشيء وابتدعته اي اخترعته لا على مثال والخترع الشيء يقال خرعته فانخرع واخترع كذا اي اشتقه ويقال انشأه والسمة العلامة اي ليس
التأليف والنظم والتنجيم والافتتاح والاختتام الا صفات ما يكون محدثا يشير الى الاستدلال على مذهبه وهو حدوث الكلام فنقول اتفق المسلمون على كونه تعالى متكلما لكنهم
اختلفوا في معناه فذهبت المعتزلة الى ان معناه كونه موجدا للاصوات دالة على معان مخصوصة في اجسام مخصوصة ونحن لا ننازعهم في المعنى لانا نعتقد ان
جميع الحوادث واقعة بقدرة الله تعالى ونسلم ان خلق الاصوات في الاجسام الجمادية والحيوانية جائز بل النزاع في ان اسم المتكلم هل وضع في هذه اللغة لهذا
المعنى ام لا وهذا بحث لغوي لا حظ للعقل فيه واما اهل السنة فقد اتفقوا على انه تعالى ليس متكلما بالكلام الذي هو الحروف والاصوات بل زعموا انه تعالى متكلم
بكلام النفس والمعتزلة ينكرون هذه الماهية وبتقدير الاعتراف بها ينكرون اتصاف ذاته تعالى بها وبتقدير ذلك ينكرون كونها قديمة اما بيان ان
الكلام مغاير لهذه الحروف والاصوات فلان الالفاظ الدالة على الامر مختلفة بحسب اختلاف اللغات وحقيقة الامر ماهية واحدة لا تختلف بحسب اختلاف
اللغات فثبت معنى غير الحروف والاصوات شبيه بما اشار اليه الشاعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا واما بيان قيامه بذاته
تعالى فلاستحالة قيام الصفة بغير ذات الموصوف واما كونه قديما فلاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى فالحاصل ان الذي ذهبوا اليه وقالوا
بحدوثه لا ننازعهم فيه لكنا نثبت امرا آخر وهم ينازعوننا فيه واما الحنابلة فلم يخالفوا مع الفريقين لانهم نفوا كلام النفس وقالوا بقدم الحروف و
الاصوات وبطلان مذهبهم ظاهر قوله فسبحان اصل هذا التركيب فاسبح منه اسبح سبحان ثم حذف الفعل وقدم سبحان واضيف واستأثر
فلان بالشيء استبد به وتفرد كانه اختاره لنفسه والمراد بالاولية كونه سابقا على جميع الموجودات وبالقدم ان لا يتقدم عليه العدم ويقال
وسمه اي اثر فيه بسمة وكي شبه نقصان الحدوث والافتقار الى الغير بالكي قوله عن العدم اشارة الى الحدوث الزماني فان الحدوث يطلق
على معنيين احدهما الحاجة الى الغير ويسمى حدوثا ذاتيا والثاني كون الوجود مسبوقا بالعدم ويسمى حدوثا زمانيا والفاء لترتيب هذا الحكم على ثبوت
حدوث الكلام واشار بما قال الى ان القدم مختص به تعالى فلا يكون له صفات زائدة على الذات اذ لو كانت لكانت قديمة فلا يكون القدم مختصا به تعالى
كما هو مذهبهم لكن ما ذكره لا يدل عليه وشبههم المذكورة في موضعها مردودة عليهم قوله المبان وهو البيان مصدر وهو شاذ لان المصدر على التفعال
انما يجيء بفتح التاء مثل التكرار والتكثار ولم يجئ بالكسر الا لفظان التبيان والتلقاء يريد ان ما فيه من البيانات والتقريرات واضح جلي شبه
القرآن بالصبح ثم ذكره واراد الصبح فيكون استعارة بالكناية فان الاستعارة بالكناية هو ان يذكر المشبه والاستعارة المصرح بها هو ان يذكر
المشبه به ويريد المشبه وقرينة هذه الاستعارة هو قوله ساطعا لانه يستعمل في الصبح ووجه الشبه انه كما يندفع بالصبح الظلمة يندفع بالقرآن ظلمة الكفر ووجه
حسن هذه الاستعارة انه كما يطلع الصبح شيئا فشيئا يدفع ظلمة الليل قليلا قليلا قال الشاعر وازرق الصبح يبدو قبل ابيضه واول الغيث طل ثم
نزل القرآن وازال شبهة الكفر والضلالة قوله قاطعا برهانه شبه براهينه بالسيف القاطع والمذكور في الصحاح بشوان البرهان فعلال لذكره له في باب
النون وقوله بعد ذلك يقال برهن عليه والفاضل التفتازاني فعلان لعدم فعلال واما قولهم برهن فاشتقاق جعلي كحولق وسبحل قوله ناطقا ببينات
شبه افادة القرآن البينات والحجج بنطق الناطق ثم قال ناطقا واراد مفيدا فيكون استعارة تبعية وبان الشيء بيانا ظهر فهو بين وبان الشيء عن الشيء
انفصل وانقطع بينونة فهو بائن والبينة الحجة فيعلة من البينونة او البيان فان قلنا البينات هنا بمعنى الحجج جمع بينة وهي الحجة يكون قوله وحجج كالتكرار وان قلنا
هي جمع بينة ما يثبت بين يكون قوله بينات اشارة الى التقريرات الواضحة وقوله وحجج الى البراهين القاطعة فيكون هذا الكلام مشتملا على المعنى المذكور في قوله ساطعا
تبيانه قاطعا برهانه قوله عربيا قال في المغرب العربي واحد العرب وهم الذين استوطنوا المدن والقرى العربية والاعراب اهل البدو واختلف
في نسبهم والاصح انهم نسبوا الى عربة بفتحتين وهي من تهامة لان اباهم اسمعيل عليه السلام نشأ بها وانا اقول لما صار العرب اسما لهذا القوم ينسب اليهم و
يقال شخص عربي وفرس عربي وكلام عربي ولغة عربية قوله على وجه كل زمان غرة يراد بالوجه الخد اي موزينة الزمان وحسنه الدهر كالخال في
الوجه الحسن وغرة يراد بالوجه الاول قال الشاعر من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار اي هو ظاهر بين كالذي يكون في اول الشيء
ظاهرا غير مستتر به

قوله

قوله من تحدى به وتحدى النبي من بعث اليهم اي طلب منهم ان يعارضوه وباحثوه ليظهر لهم صدقه وهو في الاصل طلب الحداء وصقع الديك صاح وخطيب مصقع اي بليغ قوله وتصدى له
اي تقابله قيل هو من التصدي لانه تقابل كل سامر في المعارضة قوله ولم ينهض المبالغة فيه اكثر منها في قوله فلم يتصد لان عدم النهوض وهو القيام ادل على عجزهم من عدم المقابلة وكذا
التقييد باقصر سورة وانما ذكر هنا البليغ وهناك الفصيح والبليغ اقوى مرتبة من الفصيح اذ البلاغة بلوغ المتكلم في تادية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع
التشبيه والمجاز والكناية على وجهها فهي شاملة للمعاني والبيان والفصاحة ليست كذلك بل هي اما من تتمة علم المعاني او البيان والفصاحة قسمان راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد
وراجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمة عربية اصلية والحاصل انه لما كان الكتاب بالغا الى حد الاعجاز وتبين لهم في اول الامر انهم قاصرون عن معارضته لم يتصد احد منهم لذلك بل لم يقم
لمقدار اقصر سورة بل لم ينبض اي لم يتحرك عرق تعصبهم والابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصا ومنه بطحاء مكة قوله مع اشتهارهم بالافراط ابلغ من ان يقال مع افراطهم
لان اشتهارهم به يدل على تكرره منهم وتعودهم له ولذلك كان عطف تهالكهم وركوبهم على الافراط اولى من العطف على اشتهارهم والمضارة ... الضرار
وهو الضرر في معاملة العدو والحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ويقال حسبه دينه ويقال ماله والرجل حسيب قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم
يكن له آباء لهم شرف قال والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء قال المصنف في الفائق في تفسير قوله عليه السلام الحسب المال والكرم التقوى هو ما يعده من مآثره ومآثر آبائه
ومنه قولهم من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب ابيه قال ذو الرمة له قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر والعادي القديم وطمت غلبت وقال المتلمس
ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن له حسب كان اللئيم المذمما وفي حديث عمر من حسب الرجل نقاء ثوبيه والمعنى ان ذا الحسب الفقير لا يوقر ولا يحتفل به ومن لا حسب له اذا رزق
الثروة وقر وجد في العيون وفي حديث آخر حسب الرجل خلقه وكرمه دينه والاثر الرواية والمأثرة المكرمة لانها تؤثر اي تذكر ويأخذها قرن عن قرن
يتحدثون بها والمنخوة بفتح الخاء وضمها المأثرة وانما قال رماهم لان ذكر المنخوة والمآثر في المعاداة والمضارة كالتعريض بالخصم وانه خال منها موصوف بضدها قوله
وله حال ثنائي فيه فلم يتصد ولم ينهض ولم ينبض اي لم يشتغلوا بالمعارضة وما خاضوا هاهنا لانه ابتدأهم باظهار الحجة وقال اذا لم تعارضوا الحجة وعجزتم عن معارضتها
من عليكم الحجة ووجب عليكم الايمان فان اعرضتم فالسيف مصلوت فاختاروا السيف ومعارضتهم مع انهم قد علموا ان السيف القاطع لا ينعدم اذا لم يقض الحجة حد السيف فلا
اعتداد بالسيف يعني ينبغي ان يكون السيف مؤيدا بالحجة بان تمضي الحجة حد السيف فان لم يمض الحجة حد السيف فلا اعتداد بالسيف وحده بل يكون السيف مثل
مخراق اللاعب والمخراق المنديل يلف ليضرب به كانه من الخرق وقيل هو السيف من الخشب والضمير في قد جحود لله تعالى وهو اشارة الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة قوله والسيف اجزا اشارة الى آلة السيف قوله فما عارضوا جواب شرط محذوف اي اذا ظهر انهم عدلوا الى السيف مع انه غير مفيد سترا لهم علموا
عجزهم عن معارضته ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قوله الناجية اما من قولهم نجوت من كذا نجاة بالقصر ونجاء بالمد اي خلصت منه او من قولهم نجوت نجاء بالمد اي
اسرعت وسبقت وسمى المعتزلة مذهبهم بالعدل لانهم يوجبون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وغفلوا عن عدولهم عن الحق بايجاب الشيء على الله تعالى وسموا ايضا
مذهبهم التوحيد لانهم لا يثبتون الصفات القديمة المغايرة للذات بل يقولون الصفات عين الذات والمعتزلة وان انكروا الصفات القديمة لكنهم قالوا بها في المعنى لانهم اثبتوا
في الازل الاحوال الخمسة وهي الموجودية والحية والعالمية والقادرية والالهية وهذه الحالة الاخيرة اثبتها ابو هاشم علة للاربع مميزة للذات اعني قال ابو هاشم ذاته تعالى
تساوي سائر الذوات في الذاتية وانما يخالفها ويمتاز عنها بصفة مخصوصة وهي الالهية ثم قال ان تلك الصفة توجب الاحوال الاربعة المذكورة قوله الجامعين
بين علم العربية والاصول فان قيل ما معنى الجمع بين العلوم فان جمع العلوم مفهوم واما الجمع بينها بمعنى جعل البين مفعولا لجمع بمعنى انه جمع البين فغير مفهوم وان جعل ظرفه مما
الذي هو المجموع في هذا الظرف قلت يجوز ان يكون هذا من اجراء المتعدي مجرى اللازم فكانه قال الاجتماع او وقع بين تلك العلوم بجمعها في الفهم ويجوز ان يكون بين زائدا ثم ان العربية
والادب بمعنى واحد واصل العربية لها العلوم العربية ثم حذف الموصوف واقيم الصفة مقامها ثم اضيف العلم اليه اضافة العام الى الخاص وهي عبارة عن اثني عشر علما اللغة و
التصريف والنحو والمعاني والبيان والعروض والقافية والاشتقاق وانشاء النثر اي علم الرسائل والخطب وقرض الشعر وعلم الخط والمحاضرات وهي ما تحاضر به
صاحبك من حديث عجيب او شعر او نادرة او مثل سائر ومنها التواريخ قوله مقترحين من قولهم اقترحت الجمل اذا ركبته قبل ان يركب كانه قال التمسوا الى مجتمعين
سائلين شيئا لم يكن لي قدرة عليه وهو املائي لهم او هو من اقتراح الكلام وهو ان تحاله كانهم سألوا من غير تفكر في ان هذا السؤال منه هل يكون مناسبا اولا والاملاء هو ان
تقرأ شيئا على غيرك ليكتبه او يحفظه اما الاول فمشهور نحو فليملل الذي عليه الحق واما الثاني فكقوله تعالى اكتتبها فهي تملى عليه قوله من حقائق الحقائق جمع الحقيقة
وهي بمعنى فاعل من حق يحق اذا ثبت او بمعنى مفعول من حققه احقه اذا اثبته والمراد بها هنا الامور المستقرة الثابتة بالنقل في معاني القرآن واسباب نزوله وقصته قوله
ولنذكر التفسير والتأويل والفرق بينهما اما التفسير فاصله الكشف والاظهار وكذلك جميع المتركب من ف س ر وتعكيسه ومنه سفرت المرأة كشفت وجهها
واسفر الصبح وسفر والتأويل اصله الرجوع والكشف وكذلك جميع المستعمل من تقاليب اول ومنه آل الشيء اذا رجع فكان التفسير الوقوف على اسباب نزول الآية وشأنها
وقصتها ولا يجوز ذلك الا بالسماع والتأويل ما يرجع في كشفه الى معنى الكلمة بيان ذلك لو قيل ما معنى لا ريب فيه فنقول لا شك فيه فهذا تفسير فان قيل فقد ثبتت
الريب وقد ارتابوا فان اجبت وقلت انه في نفسه صدق واذا تؤمل وجد كذلك فانتفى عنه فهذا تأويل فالحاصل التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما
يرجع في كشفه متعلقا بالدراية ولذلك قال المصنف في وجوه التأويل ولم يقل في وجوه التفسير فكانه قال ذكر ما هو محقق ثابت بالنقل مما يتعلق بالتفسير
واما من التأويلات فلما ذكر المختار فان عنى لشيء هو حيان واعيان القوم اشرافهم اما لانه لا ينظر الا اليهم اولا لانهم كانهم عيونهم المبصرة ومن ذلك قولهم الاخوة
لاب وام بنو الاعيان قوله واحتذى مثاله اذا اقتدى به اعلم ان في كلامه نوع تخالف لانه لما قال دارت اخر ساعة الدهر الى قوله الدهر وقال والاستقباع بعطاء الدين وعلماء
العدل والتوحيد علمان في زمانه علماء عاملون ولا شك ان الزمان الذي فيه امثال هؤلاء لكرون مدرسا بهم فكيف صح منه وصف زمانه بركاته الحال ونقصان الرجال ووصف الرجال ايضا بالقصور
التالع مع انه وصف ايضا بعد ذلك حاكم مكة بقوله هو النكتة والشامة في بني الحسن كثر محاسنهم وجموم مناقبهم اللهم الا ان يقال كانوا قليلا بالنسبة الى غيرهم وكان المنتجب والغلبة للقاصرين
قوله فهز هو كناية عن الفرح قال الشاعر اهتز به في ندوة الحي عطفه كما هز عطفي بالجنان الاوارك ومن للابتداء كانه ابتدأ الهز من العطف او للتبعيض كانه اخذ بعض عطفه
وحركه قوله ويقال نشط العقدة شدها انشوطة وهي كعقدة التكة في سهولة الانحلال وانشطها حلها والنشاط بالفتح من الانشاط او من نشط بمعنى انبسط ونحو

عن ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني
مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد
رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا قال الامام التوربشتي رحمه الله في شرحه صلصلة
الجرس صوت الحديد وجملة القول فيه ان نقول كان عليه السلام معنيا بالبلاغ وكان يتوفر على الامة حصتهم بقدر الاستعداد فاذا اراد ان
ينبههم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها امثلة من عالم الشهادة ليعرفوا بما شاهدوه ما لم يشاهدوه فضرب لهذا في الشاهد مثلا
بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيها على ان اتيانها ترد على القلب في هيبة الجلال واهبة الكبرياء فتاخذ هيبة الخطاب
حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي من ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك فاذا سري عنه وجد القول المنزل بينا ملقى في الروع
واقعا موقع المسموع وهذا معنى قوله فيفصم عني وقد وعيت ومعنى يفصم اي يقلع عني كرب الوحي وهذا الضرب من الوحي شبيه بما
يوحى الى الملائكة على ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها
سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير هذا وقد تبين لنا من حديث عائشة
رضي الله عنها ان الوحي كان ياتيه على صفتين الاولى بتوجه النبي عليه السلام الى عالم القدس وانسلاخه من عالم البشرية ودخوله في عالم
الملكوت وسماعه هناك ثم رجوعه الى هذا العالم حاضرا في قلبه تلك المعاني وفي ذهنه تلك الالفاظ والثانية بتشكل الملك بشكل
البشر ونزوله به عليه وكانت هذه ايسر وقد قيل النزول بمعنى الظهور يقال نزل ببني فلان سرور ونزل بهم غم ويكون بمعنى
الهبوط من علو الى سفل والاول مناسب للاول والثاني للثاني قال الامام في تفسير قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات
الانزال عبارة عن تحريك الشيء من الاعلى الى الاسفل وذلك لا يتحقق الا في الجسم فهو على الكلام محال لكن جبريل عليه السلام لما نزل
من الاعلى الى الاسفل واخبر به سمي ذلك انزالا وقول عائشة ليتفصد اي يسيل يقال انفصد الشيء وتفصد اذا سال كانه
شبه بالعرق المفصود اذا سال عنه الدم

قوله القرآن اختلفوا في اشتقاقه فروى الواحدي في البسيط عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ان الشعبي رضي الله عنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرات وانما هو اسم مثل التورية والانجيل ويهمز قرات ولا يهمز القرآن كما تقول واذا قرات القرآن قال الواحدي وقول الشافعي اسم لكتاب الله يشبه انه ذهب الى انه غير مشتق وذهب آخرون الى انه مشتق واعلم ان القائلين بهذا القول منهم من لا يهمز ومنهم من يهمز اما الاولون فلهم فيه اشتقاقان احدهما انه ماخوذ من قرنت الشيء بالشيء اذا ضممت احدهما بالآخر فهو مشتق من قرن والاسم قران غير مهموز فسمي القرآن قرانا لان ما فيه من السور والآيات والحروف مقترن بعضها ببعض اولان ما فيه من الحكم والشرائع مقترن بعضها ببعض اولان ما فيه من الدلائل الدالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض اعني اشتماله على جهة الفصاحة وعلى الاسلوب الغريب وعلى الاخبار عن المغيبات وعلى العلوم الكثيرة فعلى هذا التقدير مشتق من قرن والاسم قران غير مهموز وثانيهما قال الفراء اظن ان القرآن سمي من القرائن وذلك لان الآيات يصدق بعضها بعضا على ما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهي قرائن واما الذين همزوا فلهم وجوه احدها مصدر القراءة يقال قرات القرآن فانا اقراه قرا وقراءة وقرآنا فهو مصدر ومثل القرآن من المصادر الرجحان والغفران قال تعالى ان قرآن الفجر وهذا هو الاصل ثم ان المقروء [illegible] لان المفعول يسمى بالمصدر كما قالوا للمشروب شرابا وللمكتوب كتابا واشتهر هذا [illegible] في المقروء حتى جعلوا اسما لكلام الله وثانيها قال الزجاج وابو عبيدة انه [illegible] من القرء وهو الجمع قال عمرو بن كلثوم هجان اللون لم تقرا جنينا اي لم تجمع في رحمها ولدا ومن هذا الاصل قرء المراة وهو ايام اجتماع الدم في الرحم فسمي القرآن قرآنا لانه يجمع السور ويضمها وثالثها قول قطرب وهو انه سمي قرآنا لان القاري يلفظه عند القراءة فكانه يلقيه من فيه اخذا من قول العرب ما قرات الناقة سلا قط اي ما رمت بولد وما اسقطت ولدا ولا طرحت ويسمى الحيض قرءا بهذا التاويل فالقرآن يلفظه من فيه اي يلقيه فسمي قرآنا واما في الاصطلاح فالقرآن هو الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه

المنزل احتراز عن الكلام النفسي فانه لا يوصف بالانزال ولا بالاعجاز وسنشير اليه عن قريب ان شاء الله وقولنا للاعجاز احتراز عن الاحاديث القدسية وعن الكتب المنزلة على غير نبينا من الانبياء صلوات الله عليهم فانها ليست للاعجاز وقولنا بسورة لتتميم الحد والاشارة الى ان الاعجاز ليس بجميع القرآن بل بالبعض والمراد بقولنا بسورة ببعض لئلا يدور فان السورة المصطلحة يتوقف معرفتها على معرفة القرآن

قوله ذي اللواء صفة هاشم وبيان ذلك ان نقول كان لعبد مناف اربعة بنين هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل فجعل النبي اولاد هاشم واولاد المطلب من ذوي القربى فاعطاهم خمس خمس الغنيمة ولم يعط اولاد عبد شمس ونوفل من خمس الخمس فجاء جبير بن مطعم وعثمان بن عفان رضي الله عنهما فقالا يا رسول الله لا ننكر ان بني هاشم افضل منا لانهم اقرب اليك منا لان جدك وجدهم واحد وهو هاشم واما بنو المطلب فقرابتنا وقرابتهم منك سواء لان اباهم اخو هاشم وابانا كذلك اخو هاشم فقال عليه السلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد يعني اولاد المطلب كانوا مع اولاد هاشم في الكفر والاسلام ولم يكن بينهم مخالفة ما واما اولاد عبد شمس ونوفل فكان بينهم وبين اولاد هاشم مخالفة فلهذا حرمتهم من خمس الخمس وظهر من هذا الحديث ان الرفعة التي لهاشم ليست لغيره من بطون لوي فهو صاحب اللواء المرفوع فيهم وكذى قوله ذي الفرع الى آخره صفة هاشم والمراد بالفرع المنيف هو النبي صلى الله عليه وسلم او قبيلة هاشم بتمامها لشرفهم وفضلهم بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ولا اشتباه ان الفرع المنيف والولد الشريف الذي لهاشم ليس لاحد من اولاد عبد مناف فهاشم

والمقدم البحر المنكم لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للعجلة وقدامه فهو مقدم وقوله يقتحمه اي يبركه الراعي عن الركوب والحمل ويودعه للعجلة والكاف متعلق بارسل وبقرينة
[illegible] والتوقف بازلا تركه للعجلة فذلك لبازل بصرف النوق في طرق اجلة يقتحمه
الميل الى الشيء والاهتزاز نحوه ومن تمايل بان الساكن فالمعنى سرني ذلك وحثني على التصنيف او هو استعارة شبه حاله بحال متحرك عند الايقاظ من النوم او من التنبه على
امر ويكون قوله وحرك تفسيرا له [illegible] استعارتها لها العظمة ترشيحا لها والعامل في لما واذا هو فاجات تقديره وقت حظ فاجات زمان انا مكتسي الشيعة تطرح قوله تعالى واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون فان العامل في اذا الاولى هو العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار ومثله حديث عمر رضي الله عنه بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل والتقدير وقت كوننا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجانا وقت طلوع الرجل الاول ظرف والثاني مفعول به وقوله ادام الله مجده لا محل له من الاعراب
كلا محل لصلى الله عليه وسلم والعلة اللام وتعالى وذلك لانك اذا ذكرت اسم ذات استانفت كلاما يدل على دعائه او تعظيمه قوله في الصحيح الاخر والحجاز وهي مكة والمدينة
واليمامة وقرى هذه المواضع كخيبر للاسة والوج وهو وادي الطائف والطائف وما يعزى اليها مكة سميت بالحجاز لانها حجزت اي فصلت بين الغور ونجد وقيل بين الغور والشام
وبين البادية وقيل احتجزت بالحرار والجبال اي احاطت به من احتجز الرجل بازاره اذا شده في وسطه وشبه اي شغل والمادة السواغل وقياس واحد مشدد ومولم يستعمل
والالف في الصحراء الملساء والجمع الفيافي قال المؤيد الفيفاء انه لا تم تولم غيرها في هذا المعنى اعلم ان خلافة الشيخين بلث عشرة سنة وخلافة عثمان
والالف في لعله متعلق بحلاث [illegible] احمعين قوله يسعى بين يدي وسمي اقتباسه من قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
اثنتي عشرة سنة وخلافة علي خمس سنين رضوان الله عليهم احمعين قوله يسعى بين يدي وسمي اقتباسه من قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وذلك لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا
وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعي بسعيهم ذلك النور جنبا لهم ومتقدما قوله ونعم المسئول يجوز ان يراد بالمسئول هو الله الذي سال منه
هذا المطلوب الذي هو النجاة وسعي النور فالتقدير نعم المسئول هو الله تعالى ويجوز ان يراد بالمسئول هذا السؤال والمطلوب فالتقدير نعم المسئول هذا السؤال
قال ابو مسلم المثاني جمع على ثلثة اشياء على القرآن كله في قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وعلى الفاتحة في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وعلى سور من القرآن دون المائين
وفوق المفصل وهي جمع مثنى او مثناة من التثنية بمعنى التكرار اما القرآن فلانه يكرر فيه القصص والانباء والوعد والوعيد وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل واما الفاتحة
فلانها تثنى في كل صلوة وقيل لانها من الثناء على الله تعالى واما السور فلان المائين مبادي وهذه مثاني وسميت سورة الصلوة لان الصلوة تكون فاصلة بقراءة الفاتحة فيها
على مذهب من يصحح الصلوة بدونها ويكون مجزيا بمجرد قراءة الفاتحة فيها على مذهب من لا يصحح الصلوة بدون الفاتحة والاجزاء هو الاداء الكافي لسقوط التعبد به وسميت الشفاء
لما روي عن ابي سعيد الخدري ان اصحابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فمروا بحي من احياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقيل لهم هل فيكم راق فان سيد الحي لديغ فقال
رجل منهم نعم فاتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فاعطي قطيعا من غنم فابى ان يقبلها قال حتى اذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فقال يا رسول الله والله ما رقيت الا بفاتحة الكتاب فتبسم فقال وما يدريك انها رقية ثم قال خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم وهذا حديث متفق على صحته رواه مسلم والبخاري
قوله الا ان منهم يعني اتفقوا على انها سبع آيات لكن اختلفوا في عد الآيات فالآية الاولى الحمد لله رب العالمين والثانية الرحمن الرحيم والثالثة مالك يوم الدين والرابعة اياك نعبد واياك نستعين
والخامسة اهدنا الصراط المستقيم والسادسة صراط الذين انعمت عليهم والسابعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين واما عند الشافعي فالاولى بسم الله الرحمن الرحيم والثانية الحمد لله رب العالمين والثالثة الرحمن الرحيم
والرابعة مالك يوم الدين والخامسة اياك نعبد واياك نستعين والسادسة اهدنا الصراط المستقيم والسابعة صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
في بعض الروايات الشاذة ان الحسن البصري كان يقول هذه السورة ثمان آيات واما الرواية المشهورة التي طبق الاكثرون عليها ان هذه السورة سبع آيات وبه فسر قوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني اذا ثبت هذا فنقول الذين قالوا بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة قالوا صراط الذين الى الآخر آية واحدة وابو حنيفة لما اسقط التسمية من الفاتحة
قال صراط الذين انعمت عليهم آية وغير المغضوب الى الآخر آية ومذهب الشافعي اولى لان مقطع قوله صراط الذين انعمت عليهم لا يشابه مقاطع الآيات المتقدمة ورعاية التشابه في
المقاطع لازمة لانا وجدنا مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة والمتقاربة كما في سورة ق والمتشاكلة كما في سورة القمر وقوله انعمت عليهم ليس من القسمين فامتنع جعله من
المقاطع واما اولى واما عند ابي حنيفة

قوله على معنى متبركا بعد قوله تعلق الذهن كنى له على معنى ان المومن بعد قوله تعلق الفعل وقوله في قوله هنا مناسبة ولكنه فالتبرك آية ولعلم انه
ذكر اولا ان الباء متعلق بمحذوف وقدر المحذوف متاخرا ذكر ان لتعلقه وجهين وعلى هذا الوجه الثاني لا يكون متعلقا بافعل على التحقيق بل يكون متعلقا بمحذوف وان ابقينا
لا يكون الباء مستعملا على ما تعلق به لانه قال متبركا باسم الله اقرا ولا يحصل الحصر المطلوب فان قيل لزم الحصر بسبب تقديم متبركا على اقرا قلنا لا يلزم منه المطلوب
لانه وان كان قراءته في حال التبرك فقط لكن يجوز ان يكون تبركه باسم الله وباسم غيره ولو قال باسم الله متبركا اقرا اندفع هذا السؤال وجواب الاعتراض
ان نقول لما قدم قوله متبركا باسم الله على قوله اقرا لزم حصر قراءته في حال التبرك باسم الله فلو فرض قراءته في حال عدم التبرك او في حال التبرك بغير اسم الله
لم يكن حصر قراءته حال التبرك باسم الله وقد ظهر ان معناه الحصر هذا خلف وظهر صحة ما قاله المصنف قوله للزومه والجر بخلاف الكاف فانه ليس
لازما للحرفية وبخلاف غيره فانه ليس لازما للجر لما كان لازما للحرفية والجر جعلوا حركته مثل عمله والاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون لو وضعها في الدرج ابن وابنة وابنم بمعنى ابن
واسم واست وامرء وامراة واثنان واثنتان وايمن وكذا لغات هذه والم وام بفتح الهمزة وكسرها في الثلثة ومعنى ايمن بمعنى البركة فاذا قال المقسم ايمن الله
لا افعل فكانه قال بركة الله قسمي لا افعل واذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة وانما تعين الهمزة لكونها اقوى الحروف والابتداء بالاقوى اولى قوله اذ كان
دابهم اي عادتهم وشانهم يشعر بان الابتداء بالساكن ممكن وقد قال بعضهم لان التلفظ بالحركة انما يحصل بعد التلفظ بالحرف ويتوقف الشيء على ما يحصل بعده محال وورد بمنع انها بعده بل معه والا لا مكننا
الابتداء بالحرف من غير حركة وانه محال لان الحرف المعطوف به اما معتمد على حركة كباء اكرم وعلى حركة مجاوره كميم عمرو او على لين قبله يجري مجرى الحركة كياء دابة وصاد خويصة فمتى فقد هذه الاعتمادات
تعذر التكلم لعدم النبرة ومن انكر ذلك فقد انكر العيان وكابر المحسوس والمراد بالابتداء الاخذ في النطق بعد الصمت لا الاخذ في النطق بالحرف بعد ذهاب الذي قبله كما تخيله بعضهم
حتى لزم وقوع الابتداء بالساكن لكن يمكن ان يقال قول المصنف دابهم الى آخره لا يقتضي امكان الابتداء بالساكن فكانه قال طريق المجاراة في الكلام وارخاء العنان لا شك ان
عادتهم ذلك سواء امكن خلافه اولا ثم علل عادتهم بوجهين الاول انا لو سلمنا امكان الابتداء بالساكن لكن لا شك انه لا يخلو عن لكنة وبشاعة فاحترزوا عنه كل الثاني ان الابتداء
للمتكلم كالاساس للبناء فكما ان البناء لا يبنى على اساس ضعيف فالمتكلم لا يبني كلامه الا على حركة واما الوقف على السكون فلان الوقف في الصناعة ضد الابتداء فوجبوا
ان يكون علامته ضد علامة الابتداء فلو وقف على المتحرك كان خطا بل الموقوف عليه لا يكون الا ساكنا او في حكمه الا ان الابتداء بالمتحرك ضروري لما بينا والوقف على الساكن استحساني

قوله في الصفحة الثانية من الورق الثاني [illegible] الرحمن عن الاعلام الغالبة [illegible] الاصل [illegible] على بعض مواده
[illegible] الاصل فتغلب على بعض ما يوصف به [illegible] والدبران [illegible] بالغلبة والدبران [illegible] بمعنى الفاعل كالعقد وان الدبران
[illegible] يكون اقرب [illegible] النجم [illegible] الثريا [illegible] والعيوق [illegible] وهو كواكب [illegible] التي [illegible]
الدبران خطب الثريا وساق [illegible] كواكب صغارا والعيوق بينهما وكانه يعوقه عنها اعلم ان الكواكب الثابتة في جرم الفلك الثامن على ما [illegible] انهم ان
وهي كثيرة العدد بحيث تعجز العادة عن ان يأتي بجميعها والعلماء ادركوا منها بارصادهم الفا واثنين وعشرين كوكبا وحصروها في ثمان واربعين
صورة بان نظروا الى كل جملة منها متشكل بشكل حيوان او غيره فتوهموا حولها خطوطا لتصير متميزا عن غيرها وسموها باسم الصورة التي تشبه بها
منها ممسك العنان وهو اربعة عشر كوكبا وصورته صورة رجل قائم باحدى يديه سوط وبيده الاخرى عنان من كواكبه كوكب نيّر يسمى
العيوق والضيقو رجل اسمه خويلد فبل كان يطعم الناس من سنامه فهبت ريح فسفت في جفانه التراب فشتمها فرمى بصاعقة فقتلته
قوله بنو حنيفة جواب عن سؤال يرد على قوله الرحمن من الصفات الغالبة وهو ان بني حنيفة كانوا يطلقون
الرحمن على مسيلمة الكذاب ويقولون له رحمن اليمامة وهو رجل ادعى النبوة في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم وقتل في زمان
خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقال شاعر بني حنيفة في حق مسيلمة سموت بالمجد يا ابن الاكرمين ابا وانت غيث الورى لا زلت رحمانا وتقرير
الجواب انا لا نسلم ان هذا الاطلاق صحيح فانهم من غاية كفرهم اطلقوا الاسم الخاص بالله تعالى عليه قوله في الصفحة الثانية من الورق الثاني
واما الشكر لغة بين الحمد والشكر عموم من وجه لان الشكر ما يجازى به النعمة من تعظيم المنعم في القلب وثناء عليه باللسان وعمل بمراضيه
بالجوارح من حيث انه يكون بالقلب واللسان والجوارح والحمد باللسان وحده يكون اعم من الحمد ومن حيث انه لا يكون الا في مقابلة النعمة اخص منه قوله
افادكم النعماء اي الفاكم على والنعمة اليد والصنيعة وما انعم به عليكم وكذلك النعمى بالضم والقصر وان فتحت النون مددت وقلت النعماء
قوله هو نحو التعريف في ارسلها العراك لام التعريف اما ان يشار بها الى الحقيقة من حيث هي تلك الحقيقة وهو المراد بتعريف الحقيقة ولا يلزم
من ذلك ان تكون اسماء الاجناس نحو رجل وفرس وضرب وقتل معرفة لانا نمنع ان الاشارة بها الى الحقيقة من حيث هي فانها انما احتملت الفردية
والحقيقة من حيث هي لم يتعين فيها الاشارة الى الحقيقة من حيث هي بخلافها اذا دخلها اللام لتعريف الحقيقة فان الاشارة فيه تكون الى الحقيقة
من حيث هي واما ان يشار بها الى الحقيقة حال حضورها او بقيد حضورها في الذهن ~~لتعريف الحقيقة~~ فيكون فيه اشارة الى معين حاضر
في الذهن معهود بين المتكلم والمخاطب حقيقة او مجازا كقولك جاءني رجل فقال الرجل كذا وقولك انطلق رجل الى موضع كذا والمنطلق
وجد سواء كان المعهود مفردا كما مر او متعددا كما اذا قيل جاءني رجلان من قبيلة كذا او رجال فيقول اعرف الرجلين اللذين جاءاك او
الرجال الذين جاءوك قال تعالى وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة واما ان يشار الى الحقيقة مع قيد العموم وهو
الاستغراق اذا عرفت ذلك فقول المصنف هو نحو التعريف في ارسلها العراك للتعريف الحقيقة فكانه لما سئل عن معنى التعريف فيه
قال لا بد لنا ان نبين اولا انه من اي اقسام التعريف ثم نقرر معناه فذكر انه لتعريف الحقيقة ثم قال معنى ذلك التعريف الاشارة
الى جنس الحمد الذي يعرفه كل احد الممتاز من سائر الاجناس يعني لو لم يكن اللام داخلة فيه يحتمل ان يراد به جنس الحمد وحقيقته
من حيث هو ويحتمل ان يراد به الحمد المعين اي باعتبار قيامه ببعض افراده فلما دخل اللام افاد تعين حقيقة الحمد من حيث هي فصار
المعنى حقيقة الحمد وجنسه لله تعالى فهذا معنى قوله معناه الاشارة الى آخره ثم افاد بقوله هو نحو التعريف في ارسلها العراك الى ان الاسم
المعرف بهذا التعريف قريب من الاسم المنكور غير معرف لوقوعه حالا فنقول اما الفرق بينهما فهو ان الاسم المعرف بهذا التعريف
يكون متعينا للاشارة الى تلك الحقيقة من حيث هي وان الخالي عن هذا التعريف يحتمل الاشارة الى الحقيقة من حيث هي والاشارة
اليها مع قيد الوحدة فلا يتعين فيه الحقيقة من حيث هي واما القرب فلان الحقيقة من حيث هي لا بد ان تكون فاما يتخصص فاذا لم يتعين
ذلك الواحد ولم يرد الاستغراق فيكون كالنكرة فصح وقوعه حالا قال لبيد فارسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال
يقال اعتركوا اي ازدحموا في المعترك ويقال اوردا ابله العراك اذا وردها جميعا الماء والدخال في الورد ان يشرب البعير ثم
يرد من العطن الى الحوض ويدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب منه ما عساه لم يكن شرب والشاعر يصف العير والاتن والتعريف
المستتر في فارسلها للعير والبارز للاتن قوله فيها العالم اسم لذوي العلم المفهوم من هذا الكلام ان العالم مشتق من العلم وفيه
وجهان الاول انه اسم لجميع افراد كل جنس من الاجناس التي افرادها ذو علم وهي الملك والانس والجن فيقال لجميع افراد الملك عالم وكذا لجميع
افراد الانس وكذا لجميع افراد الجن لا لكل فرد فرد من افراد الملك او افراد الانس او افراد الجن فيكون العالم اسم جنس يطلق على البدل
على هذه المجموعات الثلث اي مجموع افراد الملك ومجموع افراد الانس ومجموع افراد الجن لاشتراكها في معنى العلم كما ان الرجال اسم جنس للذكر
من بني آدم يطلق على البدل على كل واحد منهم لاشتراكهم في معنى واحد وهو كونهم ذكرا من بني آدم الا ان الرجل يطلق على كل فرد فرد
والعالم يطلق على كل مجموع مجموع والوجه الثاني انه اسم جنس يطلق على البدل على جميع افراد كل جنس جنس من الاجناس التي يعلم
بها الخالق من الاجناس والاعراض على الطريقة المذكورة في الوجه الاول وجمعه على هذين الوجهين ليشمل كل جنس اي جميع افراد كل جنس
معا كالجمع الرجل ليشمل كل فرد من افراد ذلك الجنس اورد سؤالا وهو ان الاسم انما يجمع بالواو والنون اذا كان صفة لعاقل او
ما في حكم صفة العاقل من الاعلام كالزيدين فان الاصل ان العلم لا يثنى ولا يجمع كما ذكر في موضعه الا بهذا التأويل وهو المشتركون في
هذا الاسم ولما لم يكن هذا صفة ولا علما فكيف جمع بالواو والنون واجاب بانه في معنى الصفة لدلالته على معنى العلم وغلب
فيه العقلاء على غيرهم فجمع بالواو والنون

[illegible]

عاملين مختلفين واذا كان فيه للقسم فكذا فيما نحن فيه اما بيان لزوم العطف على عاملين مختلفين فهو ان قوله تعالى والليل مجرور
بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذي هو اقسم فثبت انهما معمولان لعاملين مختلفين فلو كان الواو في والنهار اذا تجلى
للعطف كان النهار مجرورا عطفا على الليل واذا تجلى نصبا عطفا على يغشى والجواب انه لما نزلت واو القسم منزلة الباء والفعل
صارت كانها العاملة نصبا وجرا وكل عامل عمله متعدده جاز العطف على معموله باتفاق نحو ضرب زيد عمرا يوم الجمعة وبكر خالدا
يوم السبت هذا تقرير هذا الموضع وانا اقول يجوز هنا ايضا ان يكون الغابر منصوبا وما بعدها من القران والعلم معطوفا
على محلها بتقدير وجود حرف القسم والجر وهذا كما سأل سيبويه الخليل عن قوله عز وجل رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين فقال الخليل جزم اكن لان الفعل الاول يكون مجزوما ما لم يكن فاء فيه والفعل الاول
موضع دخول الفاء وسقوطه ولولا للتحضيض والمراد به هنا الطلب والدعاء فكانه قيل اخرني الى اجل قريب اصدق و
اكن من الصالحين ثم قال الخليل هذا القول عمرو بن معديكرب دعني فاذهب جانبا يوما واكفك جانبا جزم اكفك اذ
هو موضع يصلح ان تعاقب دعني اذهب جانبا واكفك جانبا وكقوله بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا
اذا كان جائيا اي كان جر الثاني لان الاول قد دخله الباء فكانها ثابتة فيه فكذلك جر الثاني لان الاول يكون مجزوما
ولا فاء فيه فكانه مجزوم واعلم ان هذا الذي ذكرناه ليس اعتراضا على كلام الخليل بل هو اعتراض على كلام المصنف حيث قال
لا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف فانه يمكن جعل الواو للعطف كما في هذه المواضع قوله فقد
يعني اذا ظهر انه لا يمكن ان يكون صاد وقاف ونون منصوبا بحذف حرف الجر وايصال فعل القسم المحذوف والذي ذكرتم في جعلها
مجرورة باضمار باء القسم لا بحذفها واجعل الواو للعطف حتى يتم لك المصير الى ما اشرت اليه من ان الجمع بين القسمين على
مقسم عليه واحد انما يجوز بواسطة حرف العطف والمراد بالمحذوف هو الذي ترك راسا ولا يكون في الكلام اثره كقوله تعالى
واسأل القرية ولو بقي اثر المحذوف لا يحذف الفعل وبالمضمر خلاف ذلك كقولهم انهوا خيرا لكم ثم ان حذف الجار وايصال
الفعل كثير في كلامهم واما اضمار الجار والجر به مضمرا فقليل فلذا قال المصنف فقد نقلتها الى آخره واتى بالفاء
لكونه جواب شرط محذوف اي اذا تعذر الحذف الذي هو كثير فاعدل الى الاضمار وقول المصنف بعد هذا لا يتحقق
بعيد عن الصواب بل ايضا على ما قلنا والدليل على ان الحذف كثير والاضمار قليل قول ابن الحاجب في شرح المفصل
حذف حرف الجر يجري تارة سماعا في موضع وقياسا في موضع فالسماع على طريقة النقل هو اصبعه كقولك استغفر الله ذنبي
اي من ذنبي لان الاستغفار يستعمل من وامرتك الخير اي بالخير واذا حذفت حرف الجر وجب النصب لانه مفعول
فلا وجه فيه الا النصب والقياس يحذف حرف الجر مع ان وان على اختلاف الفاظهما تقول عجبت انك قائم وجئتك
لكرمتني اي من انك ولانك واذا حذفت حرف الجر مع ان وان ~~على اختلاف الفاظهما~~ فالصحيح انهما في موضع نصب
اجراء لهما مجرى ما حذف منه اولا حرف الجر فيما تقدم على الوجه المذكور وقد زعم الخليل انها في موضع خفض وهذا
بدل على انه قدر مضمرا مثلها في قولهم الله لا فعلن بالخفض فينبغي المناظرة ان الحذف اولى او الاضمار والاولى الحذف
لانه الكثير الشائع والاضمار قليل نادر فكان حمل هذا اللبس على ما هو كثير في كلامهم اولى من حمله على النادر قوله
ذوات اعلام قوله ذوات الحروف محتاج الى تقرير فنقول ذو بمعنى صاحب يقتضي شيئين موصوفا ومضافا اليه توصف
به النكرة والمعرفة فان وصفت به النكرة اضفته الى النكرة وان وصفت به المعرفة اضفته الى المعرفة باللام تقول جاءني رجل ذو مال
بالواو في الرفع وبالنصب بالالف والجر بالياء وتقول للمؤنث امرأة ذات مال وللمثنى ذوا مال قال تعالى ذواتا افنان وذوات
في الصحاح تقول هما ذوا مال وبه استدل على ان اصل ذو ذوي مثل عصي وتقول للجماعة ذوات مال و[illegible]
ان اصل ذات في المؤنث ذوية قلبت الياء الفا فصار ذوات ثم حذف الواو على غير القياس فصار ذات ولما ارد به
تثنية اصله اعني ذوات فصار ذواتا وكذا لما اريد جمعه جمع ذوات فصار ذواتات ثم حذف لما اجتماع الثاني كما في
مسلمات فالتقى الفان فحذف احدهما فصار ذوات هذا اصل الكلمة ثم اقتطعوا عنها مقتضيها واجروها مجرى الاسماء
التامة المستقلة بانفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا ذات متميزة وذات قديمة او محدثة ونسبوا اليها كما هي من غير
تغيير علامة التأنيث فقالوا الصفات الذاتية واستعملوها استعمال النفس ومنه قوله ذوات الحروف اي انفس
الحروف ويستعمل ايضا بمعنى الشيء عن ابي سعيد كل شيء ذات وكل ذات شيء وحكى صاحب الكفاية قول العرب
جعل الله ما بيننا في ذاته فنبيل اي الاجل وعليه قول ابي تمام وتضرب في ذات الاله فتوجع واما قوله تعالى والله
عليم بذات الصدور فمن الاول اي مضمرات الامور المصاحبة للصدور وكذا قولهم فلان قليل ذات اليد وقلت
ذات بيك لان المعنى الاموال المصاحبة للبيت وكذا قولهم اصلح ذات بينهم وذو اليد احق قوله والوجه الثالث عطف على قوله احدها قوله فلت سواء جعلتها
وعليه اطباق الاكثر هذا قول المبرد واختاره جمع عظيم من المحققين وهو انه الله تعالى ذكرها احتجاجا على الكفار وذكر ان رسول الله صلعم لما تحدى مثل القران او بعشر سور او
سورة واحدة فعجزوا عنه انزلت هذه الحروف اي اسماء الحروف او اكثر السور بطريق التعداد للتنبيه على ان هذا الكلام الذي عجزوا عن الاتيان بمثله منتظم من الحروف التي ينتظم
منها كلامهم ليتحققوا انهم اذا عجزوا عن الاتيان بمثله مع فصاحتهم فليس سبب ذلك العجز الا انه كلام الله تعالى قوله مسرودة حال من قوله هذه الاسماء لانه فاعل ورود الاسماء
منها مدلول معنى وتفاوت المعنى باعتبار فانه اذا كان حالا منه لكونه فاعلا يلزم ان يكون ورودها حال كونها مسرودة ولا يلزم ان يكون الاسماء من الفاتحة تلك الحال
جعل حالا منه لكونه مفعولا معنويا يلزم ان يكون الاشارة حال كونها مسرودة ولا يلزم ان يكون ورودها في تلك الحال كما اذا قلت جاء زيد راكبا ولو جعل راكبا حالا من هذا الكون فاعلا
لزم ان المجي حال الركوب لا محالة والا يلزم ان يكون الاشارة في تلك الحال ولو جعل حالا منه لكونه مفعولا معنويا يلزم ان يكون الاشارة في تلك الحال ولا يلزم كون المجي في تلك الحال قوله
قرع العصا وهو باب من التنبيه وهذا المثل الذي هو قرع العصا لا تقلقل له الحصى يضرب للرجل المحنك وقرع العصا اشارة الى قول الشاعر وزعمت احلام لنا
ان العصا قرعت لذي الحلم اي ان الحليم اذا نبه انتبه واصله ان حكما في العرب عاش حتى خرف فقال لابنته اذا انكرت شيئا من حكمي فاقرعي لي المجن بالعصا لارتدع
فكانت اذا اخطأ في الحكم تقرع العصا ينبه ويحكم بالصواب فقيل هذا اضاء من فهمه وعقله وتنازع الايقاظ والقرع في لم يتعد تنازع الفعلين في المفعول لم يجري
الايقاظ مجرى اللازم اي فعل الايقاظ والقرع لا جلهم اي يقول لما كان قرع العصا عبارة عن التنبيه ساغ ان يكون لم يتعد متعلقا به على ان يكون مفعولا له او مفعولا له
فان لم ازعم يكون تنازع الفعلين في المفعول له ومعنى ان تعدى للتحريك مثله اي كالتحريك لم يتعد وقوله للنظر علة هذه الافعال الثلاثة المصادر الثلاثة اذا كان قوله لم يتعد
في محل المفعول به فظاهر وان كان في مقام المفعول له فاما ان يقول قوله لانه علة ثانية لتقييدها فان علة الايقاظ والقرع والتحريك لم يتعد هي النظر واما الرعوك
هو بدل من قوله لم يتعدى بدل اشتمال اي لنظرهم لمعنى لينظروا

ربع نصف اسامي حروف المعجم جعل المصنف تارة حروف المعجم ثمانية وعشرين فقال نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر وجعلها اخرى تسعة وعشرين
فقال في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم فيمكن ان يقال ان ذلك مبني على عد الهمزة حرفا غير الالف تارة وعدم عدها اخرى والاولى ان يقال جعلها تسعة
وعشرين وليس لها نصف على الحقيقة فجعل اربعة عشر نصفها لقربها منه كما فعل مثل ذلك في اجناس الحروف حيث اورد من المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء
فاورد ثلثة احرف مع ان المستعلية سبعة وهكذا فعل في حروف القلقلة وخير منهما ان يقول قال نصف اسامي حروف المعجم لان الاسامي ثمانية وعشرون
وقال في تسع وعشرين على عدد حروف المعجم ان عدد الحروف هكذا هذا معنى لطيف واعلم ان الحروف تنقسم بحسب الصفات التي تعتبرها انقسامات كثيرة وفائدة تلك
الصفات الفرق بين ذوات الحروف لانها لولا تلك لاتحدت اصواتها فكانت كاصوات البهائم لا تدل على معنى فسبحان من دقت في كل شيء حكمته فالحروف المهموسة
ما لا انحصار اي لا يحتبس جري النفس مع تحركه وذلك لانها ضعيفة في نفسها مضعف الاعتماد عليها وضعف اعتمادها لا تقوى على منع النفس فيجري معها النفس
وجري النفس مع الحروف ما تضعفها وسميت مهموسة اخذا من الهمس الذي هو الاخفاء لانه لما جرى النفس معها لم تقو التصويت بها قوته في المجهورة
في التصويت بها نوع خفاء لانقسام النفس عند النطق بها ويجمعها حثه شخص فسكت وهي عشرة احرف اورد منها خمسة والمجهورة ما ينحصر جري النفس
مع تحركه وذلك لانه تكون قويا في نفسه وقوي الاعتماد عليه في موضع خروجه فلا تخرج الا بصوت قوي شديد يمنع النفس من الجري معه فجمعها الى
ان ابر ظل قو ربض اذ غزا جند مطيع والقو اسم قبيلة والربض السور وهي تسعة عشر حرفا ذكر منها تسعة وسميت المجهورة مجهورة
من قولهم جهرت بالشيء اذا اعلنته وذلك انه لما امتنع النفس ان يجري معها انحصر الصوت بها فقوي التصويت بها والحروف الشديدة حروف ينحصر
جري صوتها عند اسكانها في مخرجها فلا يجري وهي ثمانية احرف يجمعها اجدك قطبت ومعنى قطبت عبست من العبوس او من قطبت بمعنى مزجت
الشراب بالماء وسميت شديدة ماخوذة من الشدة التي هي القوة لان الصوت لما انحصر في مخرجه فلم يجر اشتد اي امتنع قبوله للتليين لان الصوت اذا جرى في
مخرجه اشبه حروف اللين ومثلوا لها بالحج فانك لو وقفت على قولك الحج وجدت صوتك راكدا محصورا حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك والحروف الرخوة بخلافها
فهي حروف لا ينحصر جري صوتها عند اسكانها والرخوة ماخوذة من الرخاوة التي هي اللين لقبولها التطويل لجري الصوت في مخرجها عند النطق فانك لو وقفت
على قولك الطش وهو المطر الضعيف وجدت صوت الشين جاريا تمده ان شئت وهي ما عدا حروف اجدك قطبت احد وعشرون اورد منها عشرة ذوات العدد
ما ذكر المصنف والحق ان الحروف بهذا الاعتبار تنقسم الى الشديدة والرخوة وما بينهما وهي ما لا يتم له الانحصار ولا الجري وهي ثمانية يجمعها لم يروعنا فالرخوة
على هذا ثلثة عشر حرفا لكن المصنف جعل كل ما ليس بشديدة رخوا والحروف المطبقة ما ينطبق اللسان معه على الحنك فينحصر الصوت بين اللسان
وما حاذاه من الحنك الاعلى وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وهي في الحقيقة اسم مجرور فيها لان المطبق انما هو اللسان والحنك واما الحرف فهو
مطبق عنده فاختصر وقيل مطبق كما قيل للمشترك فيه مشترك ومثله كثير في اللغة والمنفتحة ما عدا المطبقة وهي ما لا ينحصر الصوت عند النطق بها
بين اللسان والحنك بل يكون ما بين اللسان والحنك منفتحا والكلام في التسمية بالمنفتحة كالكلام في المطبقة لان الحرف لا ينفتح وانما ينفتح
عنها اللسان عن الحنك وهي خمسة وعشرون حرفا ذكر منها اثني عشر والمستعلية ما يرتفع اللسان الى الحنك وهي الحروف المطبقة والخاء والغين والقاف
فهي سبعة ذكر منها ثلثة ولا يلزم من الاستعلاء اطباق ويلزم من الاطباق الاستعلاء الا ترى انك اذا نطقت بالخاء والغين والقاف استعلى
اقصى اللسان الى الحنك من غير اطباق واذا نطقت بالصاد واخواتها استعلى اللسان ايضا وانطبق الحنك على وسط اللسان وسميت مستعلية
لان اللسان يستعلي عندها الى الحنك فهو مستعل عندها اللسان ويجوز في تسميتها مستعلية كما يجوز في قولهم ليل نائم ويجوز ان يكون سميت مستعلية
لخروج صوتها من جهة العلو وكل ما جاء من عال فهو مستعل والمنخفضة ما عدا المستعلية ويقال لها المستفلة ايضا لان اللسان لا يستعلي بها
عند النطق الى الحنك كما يستعلي بالمستعلية وهي اثنان وعشرون حرفا ذكر منها احد عشر وحروف القلقلة ما ينضم فيها الى الشدة ضغط
في الوقف والضغط العصر يقال ضغطه يضغطه ضغطا زحمه الى حائط ونحوه وهي خمسة احرف يجمعها قد طبج من الطبج وهو الضرب على
الشيء الاجوف كالراس ونحوه ويقال الطابج للجمل لانه يطبج نهو طبج وهو الاحمق وهي خمسة ذكر منها اثنين والقلقلة شدة الصوت وسميت حروف
قلقلة اما لان صوتها صوت اشد الحروف اخذا من القلقلة التي هي صوت الاشياء اليابسة واما لان صوتها لا يكاد يتبين به سكونها ما لم
يخرج الى شبه التحرك لشدة امرها من قولهم قلقله حركه وانما حصل لها ذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة فالجهر يمنع النفس ان يجري معها والشدة
تمنع ان يجري صوتها فلما اجتمع لها هذان الوصفان وهو امتناع النفس معها وامتناع جري صوتها احتاجت الى التكلف في بيانها فلذلك يحصل ما يحصل
من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة حتى تكاد تخرج الى شبه تحركها لقصد بيانها اذ لولا ذلك لم تتبين واعلم ان قوله وحدها
على اصناف اجناس الحروف تشكل بحروف الذلاقة وهي ستة يجمعها مر بنفل والنفل الغنيمة ذكر المصنف منها اربعة الميم والراء والنون
واللام وسميت حروف الذلاقة لان الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف الستة
هذه الحروف احسن الحروف امتزاجا بغيرها ولا تجد كلمة رباعية او خماسية الا وفيها شيء منها فمتى رايتها خالية عنها فهي دخيلة في العربية كالعسجد
وبمو الدعبد والدهدقة وهو الكسر يشكل بحروف المصمتة ايضا وهي ما عداها اثنان وعشرون حرفا ذكر منها عشرة الالف والحاء والتاء
والصاد والطاء والعين والغين والقاف والكاف والهاء والياء وسميت مصمتة لانهم لما لم يجعلوها منطوقا بها حكموا بانهم اصمتوها اي جعلوها صامتة
اصمت المتكلمون ان يجعلوا منها رباعيا او خماسيا وكانه انما ذكر الاكثر من حروف الذلاقة والاقل من المصمتة لسهولة حروف الذلاقة ولذلك
لم ينفك رباعي او خماسي عن شيء منها والنقل المصمتة ولذلك خلت عنها في بنات رباعي او خماسي عن شيء منها

الملك لله دخل في حفظ عبده الحاجي بشير

آغا دار السعادة الشريفة لسنة ثمان وخمسين

ومائة والف

46

بسم الله الرحمن الرحيم ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا احمد الله تعالى
على انعامه واساله مزيد افضاله واكرامه واستمد التوفيق للشروع في كتاب تتمة الكشاف واتمامه
واصلي على جميع الانبياء والمرسلين وعلى جميع عباده الصالحين خصوصا على نبينا رسوله محمد خير خلقه
وانامه وعلى آله واصحابه في جميع شهوره واعوامه ولياله وايامه اما بعد فيقول الامام العلامة فخر الحق
والدين احمد بن الحسن الجاربردي تغمده الله بغفرانه واسكنه فراديس جنانه سالني جمع من الفضلاء
الذين شاركتهم في البحث ادام الله تعالى توفيقهم ان ادون وارتب ما كنت اذكر في اثناء البحث على كتاب
الكشاف لجار الله العلامة سكر الله سعيه فاستعفيت لما استعفيت واعتذرت بما علي من كساد
العيل والقال وتغيره من حال الى حال وان اهل الفضل بالجهال ورميهم له بالنبال والنضال فالعقل
يقتضي اخفاء الفضل والحزم يوجب اظهار الجهل اذا فاتباع الجهل قد كان احزما هنا مع ما بي
من اشتغال البال وكثرة الملال وقلة المنال وتعدد العيال ما للعمل وللطال واحسن
بقول من قال مرا بد صدغم خوار باشد جو بن صدغم خورم دشوار باشد ثم ان الاصحاب
قد كرروا السؤال وابوا الا المراجعة والمقال وقالوا لمثل هذا فليعمل العاملون وذكروا ان
الاشتغال بملتمسهم مظنة لرضا الله ومئنة لاستنجاح منهج رسول الله وان التوجه الى
مطلوبهم كالاحياء للكشاف الذي لم يسبق احد مصنفه بمثله ولا شبهه ولم يلحق احد بعده
عبارة فضلا عن ان يلحق بشاوه ولله در القائل ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي فانه كاد ان يقرا عليه كان
لم تغن بالامس وكان ابتدله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
فاستخرت الله تعالى وسالته بالتضرع والابتهال باذا الانعام والافضال باذا العظمة والجلال
افض علي من انوار فضلك ويسر لي ما تقلدته من انشاء كتاب تتمة الكشاف المحيط ببيان مشكلاته
من ذكر لغاته وحل تركيباته وشرح ابياته والاشارة الى ما يخالف مذهب اهل السنة من
معتقده مع اظهار الحق وتقرير جواباته والتعرض لبعض ما تركه من مهمات معاني القران واعراباته
وتمييز السبعة عن الشاذ فيما ذكره مع ذكر ما لم يذكره من قراآته وانا اعيد سؤالي واكرر دعائي
يا ميسر كل عسير وفقنا لاتمام تتمة الكشاف انك على كل شيء قدير
ولما لم يتم على الوجه المذكور الا ما يتعلق بسورة البقرة التزمت ان اكتب الجميع على الحواشي
ثم اكتب جميع الفوائد التي كتبت على الكشاف الى الآخر واسال الله تعالى ان اوفق لاتمامه فانه خير مسؤول

برسم المسجد الجليلة من ملك حضرت مولانا صاحب الحرات الحسان منبع الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مصحح معاقد المراصد بمصباح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز محامد السير الاكمل الا وهو اغا دار السعادة
الحاج بشير وفقه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الى الله سبحانه وتعالى
حرره الفقير محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وعليه اتوكل

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا
وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن
بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية
والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا
ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه
من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل
مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد
للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم
كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم
بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن
احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة
رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم
على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القسم
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لوي ذي الفرع المنيف في عبد مناف
بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية
والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم
ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية
ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة
وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت و
التفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات
من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار
لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها
باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح

وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير
الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على
الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار
وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من
سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء
من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما
آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص
على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ
كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما
في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا
للمحة وان لطف شانها متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة
باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف
ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من
افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير اية
فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم
اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد
والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى
الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق
سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به
التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على
معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه
مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على
اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة

السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفى الحيل وعيت به العلل ورأيتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤل

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم آية دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره باسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال باسم الله والبركات كان المعنى باسم الله احل وباسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما **فان قلت**

لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله باسم الله مجريها ومرسيها **فان قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وباءها بنيتا على الكسر **قلت** اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى **فان قلت** فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السنات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية

ونظيره الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطّلعن على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا ألله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تألّه وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر **فإن قلت** أاسم هو أم صفة **قلت** بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فإن قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحيّر ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحيّر والدهشة وذلك أن الأوهام تتحيّر في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقلّ النظر الصحيح **فإن قلت** هل تفخّم لامه **قلت** نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طنّ على أذني من ملح العرب أنهم يسمّون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمّى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيّوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنّتهم في كفرهم **فإن قلت** كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا **قلت** أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه **فإن قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة

فإذن لا عبرة بامتناع الثابت للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره **فإن قلت** ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنوّ ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها **قلت** هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورقّ لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه **فإن قلت** فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقّي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فيّاض **قلت** لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف والحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجّبا والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدلّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفيّ ويجلّي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذمّ والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزّلونها منزلة أفعالها ويسدّون بها مسدّها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دالّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد **فإن قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال والاستغراق الذي يتوهّمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الحمد لله بضم اللام لإتباعها الدال والذي جسّرهما على ذلك والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزّل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشفّ القراءتين قراءة إبراهيم

حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الرب المالك ومنه قول صفوان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم وقرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالك يوم الدين بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا **فان قلت** ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن

قوله اهل الدار اي بادرهم واحذرهم قال في الحجة واعلم ان الاضافة الى يوم الدين في كلتي القراءتين من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم وقعت الاضافة اليه وليس اضافة اسم الفاعل هنا الى اليوم كاضافة المصدر الى الساعة في قوله تعالى وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها على الحقيقة وليس على ان جعل الظرف مفعولا به على السعة الا ترى ان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف فلو جعلته ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة ولم يكن بالسهل لان القديم تعالى يعلم في كل وقت وانما معنى يعلم الساعة يعرفها انها حق ولبس الامر على ما الكفار عليه من انكارهم وردها وانا اقول اعلم انه قد يذهب الظرف عن ان تقدر فيه معنى في اتساعا فيجري لذلك مجرى المفعول به فلا تقدر فيه حرف الجر فتقول سرت يوم الجمعة وتراه منزلة زيد في ضربت زيدا ويظهر هذا بالاخبار بالذي نحو الذي سرته يوم الجمعة فيقول الذي سرته يوم الجمعة منزلة الذي ضربته زيد فكما جردت الذي العامل مقام زيد الذي ضربته زيد كذلك جردت الذي العامل مقام يوم الجمعة في المثال الآخر عن معنى في ولذا لم تقل الذي سرت فيه يوم الجمعة حتى لو قلت سرت يوم الجمعة وقدرت فيه معنى في واردت الاخبار عنه بالذي فعليك ان تقول الذي سرت فيه يوم الجمعة ولا تقول سرته فهذا هو الفرق بين الظرف المتسع فيه وبين غيره لفظا اما الفرق بينهما من حيث المعنى فغير ثابت وانما قلنا ان مالكا مع انه اضافة الى الظرف لا الى المفعول به لانه لا يستقيم ان يقال هو مالك اليوم بمعنى ان يكون مالكا لليوم وكذا على قراءة من قرأ مالك لان تفسيره مالك الامور في ذلك اليوم لا ما ملك في ذلك اليوم وانما كان على طريق الاتساع لا الى الظرف الحقيقي لان الاضافة الى الظرف بمعنى في من غير الاتساع انما يكون في اضافة الشيء الى ما هو ظرفه نحو ضرب اليوم لا كضارب اليوم اذ اليوم ليس ظرفا للمالك على الحقيقة كيف والمراد بالمالك الباري تعالى وكذا نقول في سارق الليلة فانه ليس الليلة ظرفا للسارق غايته انه ظرف لسرقته قوله ومعناه مالك الامر هو واحد الامور او واحد الاوامر اختار ملك لغير القرآن ثم فسر هنا بمالك لان الملك يكون مالكا للامر واليوم هو المدة من طلوع الشمس الى غروبها عرفا ومن طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت لغة ليلا كان او نهارا قصيرا او طويلا والمراد في الآية الوقت لعدم الشمس ثم والدين الجزاء خيرا او شرا سمي يوم القيامة لان الجزاء فيه يقع وخص يوم القيامة بالذكر لزوال ملك الملوك من الولاة والقضاة في ذلك اليوم وانقطاع امرهم ونهيهم وهو معنى قوله كله وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قوله اياك اختلف النحاة في اياك واخواته فذهب بعضهم الى ان ايا ضمير واللواحق التي تتصل بها من الكاف ونحوها نحو اياه واياي للدلالة على احوال المرجوع اليه من الخطاب والغيبة والتكلم والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ولا محل لتلك اللواحق من الاعراب انما هي علامات كتاء انت وياء انت والتنوين وهو مذهب المتأخرين وهو الصحيح بدليل انه على وجه واحد لا يتوارد عليه وجوه الاعراب وذلك انه كونه مضمرا فيمتنع اضافته الى ما بعده لان المضمر لا معنى له سوى الاشارة التي هي للتعريف وعند الاضافة فلا يخلو الاسم عن التعريف فيلزم من تجويز الاضافة تعطيله عن المعنى راسا وهو ممتنع وقيل ان ايا اسم اضيف الى ما بعده كاضافة بعض وكل وهو مذهب المبرد وقال الخليل ايا اسم مضمر اضيف الى الكاف ولا نعرف اسم مضمر اضيف غيره كانه وضعه مسلخا عن التعريف ثم سوغ اضافته ويقرب هذا من مذهب من يجوز ان يوصف المضمر كما سيجيء في قوله تعالى انك انت علام الغيوب ومنهم من قال ايا اسم ظاهر اضيف الى الكاف وهو مذهب الزجاج ويشبه قول المبرد وقال الكوفيون ايا عماد والكاف هو المضمر كما في نصرني ويطلانه بان الشيء لا يعتمد بما هو اكثر منه ومنهم من يقول اياك بكماله هو المضمر ويضعفه بقاء الاول ولخبث الثاني وسيأتي اخر واستدل الخليل بما حكاه وقال لولا ان هذه اللواحق مجرورة لما بجر الشواب الشواب جمع شابة اي اذا بلغ الرجل ستين سنة فليحذر نفسه ان يتعرض للشواب وليحذر الشواب ان يفتنه ومثله قول الشاعر دعني وايا خالد فلاقطعن عرى نياطه والنياط عرق يتعلق به القلب يجاب انه شاذ وهذا هو الجواب عن قول من قال ايا مظهر بدليل الاضافة قوله وقد تسمع الاشمام في عرف القراء يطلق باعتبارات اربعة احدها خلط حرف بحرف كما في الصراط ومصيطر والثاني خلط حركة باخرى كما في قيل وغيض واشباههما والثالث اخفاء الحركة فيكون بين الاسكان والتحريك كما يأتي في لا تأمنا على يوسف على ظاهر عبارة صاحب التيسير والرابع ضم الشفتين بعد سكون الحرف وهو الذي يأتي في الوقف قوله وقرئ جميعا قال في الحجة روى عن ابن كثير السين والصاد وعن ابي عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد والباقون بالصاد غير ان حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي واقول هنا قراءة شاذة لم يذكرها المصنف وهي بالزاي الخالصة قال في الحجة رواه الاصمعي عن ابي عمرو وهذا كله في الصراط في الموضعين قوله فائدة التوكيد قال في الحجة البدل كانه في التقدير من جملتين بدلالة تكرير حرف الجر في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولذلك يكون الراجح العامل الرافع او الناصب في تقدير التكرير وهو وان كان كذلك فليس يخرج عن ان يكون فيه تبيين للاول كما ان الصفة كذلك ولذلك لم يجز سيبويه في المسكين كان المسكين ولا بك المسكين كما اجاز ذلك في الغائب نحو مررت به المسكين فاما ما ذهب اليه بعض البغداديين في قوله فلا تحشا تك مستقصا اوشا اوتر من الهبالة من ان اوسا بدل من كاف الخطاب والاوس الذيب والهبالة اسم ناقة الشاعر حشأت الرجل بالسهم حشأ اذا اصبت جوفه والمستقص من النصال ما طال وعرض وهو بعد ذا طمع في انه فليس بالامر فيه كما ذهب اليه لان اوسا مصدر من استه اوسا اذا اعطيته

وانتصب لان احشاك بدل على او وسنك وانما لم يجز البدل من ضمير المتكلم والمخاطب لانهما غير محتاجين الى البيان لوضوحه ولا يعرض فيهما اللبس كما
في علامة الغيبة ه قوله قرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم قال في الحجة قرا حمزة وحده عليهم ولديهم واليهم هذه الثلثة بضم الهاء و
اسكان الميم وقرا الباقون عليهم واخواتها بكسر الهاء واختلفوا في الميم وكان ابن كثير يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت
فيقول عليهمو غير المغضوب عليهمو ولا الضالين وعلى قلوبهمو وعلى سمعهمو وعلى ابصارهمو غشاوة في جميع القرآن وروى قالون عن نافع الهاء مكسورة
والميم مضمومة او مجزومة وروى ورش عنه الهاء مكسورة والميم موقوفة الا ان تلقى الميم الف اصلية فاذا لقيتها الف اصلية الحق في
اللفظ واوا مثل قوله سواء عليهمو أانذرتهم ام لم تنذرهم وكان ابو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي يكسرون الهاء ويسكنون الميم فاذا
لقي الميم حرف ساكن اختلفوا فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يمضون على كسر الهاء ويضمون الميم اذا لقيها ساكن مثل قوله عليهم
الذلة ومن دونهم امراتين وما اشبه ذلك وكان ابو عمرو يكسر الهاء ايضا ويكسر الميم فيقول عليهم الذلة واليهم وما اشبهه و
كان حمزة والكسائي يضمان الهاء والميم فيقولان عليهم الذلة ومن دونهم امراتين وما اشبه ذلك قال ابو بكر احمد بن
موسى وكل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها انما هو في الهاء التي قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء الا الضم
واذا لم يكن قبل الميم هاء قبلها كسرة او ياء ساكنة لم يجز في الميم الا الضم او التسكين مثل منكم وانتم ه

قوله تعالى غير المغضوب اذا جعلت غير المغضوب بدلا يكون بدل الكل من الكل فوجب ان يكون الاول في حكم المطروح ويكون مدلول الثاني مدلول
الاول مع ان الثاني بيان للاول كما عرفت فيكون المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله تعالى وان جعلته صفة يكون دالا على معنى في متبوعه
مع ارادة المعنى الظاهر الذي يدل عليه المتبوع لان الصفة ليست في حكم تنحية الموصوف فيكون المعنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي
نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال قوله لا يتوقت فيه اجاب عن السؤال من وجهين الاول انه لا تعيين
ولا تعريف فيه واصل التوقيت التحديد في الوقت ثم استعمل في كل تحديد اتساعا كما ان الاحلاب المعونة على الحلب يقال
أحلبني بقطع الالف اي اعني على الحلب ثم استعملت في كل اعانة اتساعا ومنه المحلب الناصر قال الشاعر
عزاتين ولا يأتيه للنصر محلب وحاصل هذا الوجه ان الذين قريب من النكرة لان تعريف الموصول بصلته على الصحيح
وصلة الذين ههنا عام غير واحد فبسبب ذلك قرب من النكرة فجاز ان تقع غير صفة له ثم استشهد بقوله ولقد امر على اللئيم
يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني فانه لما لم يرد لئيما بعينه ولا كل اللئام حكم بان يسبني صفة له فكذلك الذين لما لم يرد به
قوما باعيانهم جاز ان يكون غير صفة والسب الشتم وقوله لا يعنيني اي لا يريدني من عناه بعينه اراده وقيل معناه
لا يهمني جوابه قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اي ما لا يهمه يصف حلمه واعراضه عن الجاهلين
وانه يمر على اللئيم الذي يسبه ويقول انه لا يريدني بتلك المسبة فقد قيل اذن الكرام عن الفحشاء صماء
والوجه الثاني ان نقول ان غير في هذا الموضع معرفة وبيان ذلك ان نقول حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وان
يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شيء ترى
سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك فما هو مثله لا يحصى لجواز ان يكون مثله في خلقه وخلقه وعلمه ونسبه وانما
صارا نكرتين من اجل هذا المعنى فاما اذا كان شيء معرفة له ضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك السامع
فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة
فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذا قوله الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم فالذين انعمت عليهم لا عقيب لهم الا المغضوب عليهم وكل
من انعم عليه بالايمان فهو غير مغضوب عليه وكل من لم يغضب عليه فقد انعم عليه فغير المغضوب عليهم هم الذين انعم عليهم فهي مساوية له
في معرفته هذا الذي يسبق الى افئدة الناس وعليه كلامهم فمتى كانت غير بهذه الصفة وقصد بها هذا القصد فهي معرفة
واليه اشار بقوله فليس في غير الابهام الذي ياتي عليه الا ان غيرا ان يتعرف اي يصير معرفة وكذلك لو عرف انسان بانه مثلك
في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك لكان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك والنكرة والمعرفة بمعانيهما وكل شيء
خلص لك بعينه من سائر امته فهو معرفة ومن جعل غير بدلا فقد استغنى عن هذا البيان لان النكرة قد تبدل من المعرفة
وحاصل الجواب انه منع اولا ان الذين معرفة ثم منع ثانيا ان غيرا لا يتعرف فقوله ولان المغضوب عطف على الذين من حيث
المعنى فكانه قال الفاتحة ووقوع غير صفة لان الذين لا توقيت فيه ولان المغضوب الى آخره ه قوله ويقول انا زيدا
هذا بيان ان في غير معنى لا النافية ويقرره ان نقول من الاصول المقررة عند النحاة ان وقوع المعمول في موضع لا يقع فيه عامله ممتنع

مثاله

مثاله قولنا لم اضرب زيدا فزيد معمول اضرب فكما لا يجوز تقدم اضرب على لم لا يجوز تقدم زيدا على لم فلا يقال زيدا لم اضرب فحق قولك انا زيدا مثل ضارب مثل مضاف
الى ضارب وزيدا معمول ضارب فكما لا يجوز تقدم ضارب على المثل لان المثل مضاف الى الضارب لا يجوز تقدم زيدا على المثل وعلى هذا الاصل كان ينبغي
ان لا يجوز انا زيدا غير ضارب لان زيدا معمول ضارب ولا يجوز تقدم ضارب على غير لان غير المضاف اليه ولما جاز انا زيدا غير ضارب علم ان غيرا متضمن معنى لا النافية
فكما جاز انا زيدا لا ضارب جاز ذلك ايضا قال في الحجة قال قوم تقول انت غير القائم ولا القاعد يريد وغير القاعد كما قال غير المغضوب عليهم و
لا الضالين قالوا ولم يجئ هذا في المعرفة العلم فلا يجوز انت غير زيد ولا عمرو وهذا وان لم يسمع كما قالوا فانه لا يمتنع ان يقاس فيجوز على ما سمع وذلك
ان هذا انما جاء في غير من معنى النفي فكما اجازوا انا زيدا غير ضارب لما كان المعنى معنى النفي فجعلوه بمنزلة حرفه ولم يجعل بمنزلة مثل وما كان
نحوه من الاسماء المضافة فكذلك يجوز ان يجعل بمنزلة حرف النفي في المعرفة الموقتة فيكرر معه لا كما كرر مع غير العلم فان قلت من الناس من يحمل

يحمله

انتصاب زيدا في انا زيدا غير ضارب على مضمر ولا يحمله على ضارب هذا كما لا يحمله عليه اذا قال انا زيدا مثل ضارب قيل ان حمله على المعنى وعلى ما
في اللفظ من هذا العامل الظاهر ابين لانهم قد حملوا الكلام على المعنى في النفي في مواضع غير هذا الا ترى انهم يقولون قل رجل يقول ذلك
الا زيد فجعلوا قل وان كان فعلا بمنزلة الحرف النافي لما كان مثله فكذلك غير اذا كان معناه النفي جعل بمنزلة حرف النفي فلحقت لا معه كما يلحق
مع حرف النفي وقالوا انما سرت حتى ادخلها فلم يجز الرفع بعد حتى كما لم يجز مع حرف النفي اذا قلت ما سرت حتى ادخلها وكذا احتقر
المسير الى الدخول وقالوا نشدتك الله الا فعلت فاذا اجازت في هذه الثلثة الاشياء ان يجري مجرى النفي فكذلك ما ذكرناه ومن جعل لا
غير لمستثنى لم يمتنع على قوله دخول الا بعد الحرف العاطف كما امتنع في قولهم انت غير القائم ولا القاعد وذكر ان الاستثناء يشبه النفي
الا ترى ان قولك جاءني القوم الا زيدا بمنزلة قولك جاءني القوم لا زيد ويجوز ان يجعلها زيادة في هذا الوجه كما في قوله ولا يستوي الاحياء
ولا الاموات وكذا يجوز زيادة لا في قول من جعلها حالا ثم قال رحمه الله في الحجة ما معناه ان لا تقع في النكرة على اربعة اوجه الوجه الاول
ان تكون زائدة لفظا ومعنى قال جرير وقد علاك مشيب حين لا حين لا فيه زائدة والتقدير حين حين لانك اذا قلت علاك مشيب
حينا فقد اثبت حينا علاه فيه المشيب فلو جعلت لا غير زائدة لنفيت ما اثبت حيث كان النفي بلا عاما منتظما لجميع الجنس فلما لم يستقم حمله
على النفي حكمت بزيادتها فصار التقدير حين حين وهذه الاضافة من باب حلقة فضة وخاتم حديد لان الحين يقع على الزمان القليل
كالساعة ونحوها بدليل ذلك قوله تطلقها حينا وحينا تراجع ويقع على الزمان الطويل وبالحين الاول الزمان القصير الذي يكون جزءا
من اجزائه وكانه قيل علاك مشيب في ذلك الزمان المعتبر من الشهر الفلاني او السنة الفلانية لما ورد عليه في ذلك الزمان من غم
او بلاء يجعل الولدان شيبا ثم قال ابو علي فصار حين حين كقول الآخر ولولا يوم يوم ما اردنا جزاءك والقروض لها جزاء
واما اول اليوم في البيت بالمعنى اللغوي وهو الوقت طويلا كان او قصيرا والمراد بيوم الاول الزمان القصير وبالثاني الطويل
وفي الكلام حذف اي لولا اصدقاؤك في ذلك الزمان المعتبر من الشهر الفلاني لما جازيناك لكن لما فعلت في ذلك الزمان كالقرض
فلا بد له من جزاء ويحتمل ان يكون المراد بيوم الاول الحرب الذي كان بينهم فانه يذكر اليوم ويراد به الحرب وعلى هذا لا يكون البيت
مما ذكره ابو علي في الحجة والوجه الثاني من الوجوه الاربعة ان لا يكون غير زائدة وهو على ضربين الاول ان تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد
نحو خمسة عشر كقولهم غضبت من لا شيء وجئت بلا مال فلا مع الاسم المنكور في موضع جر بمنزلة خمسة عشر والضرب الثاني ان ينتصب الاسم
بلا للاضافة نحو حننت فلو حين لا حين تحن وليس هذا القول وقد علاك مشيب حين لا حين لانه في قوله حين لا حين تحن نافية حينا
مخصوصا لا نستثني نفية جميع الاحيان كما كان ينتفي بالنفي العام جميعها فلم يلزم ان يكون لا زائدة في هذا البيت كما لزم زيادتها
في حين لا حين واما قوله المحنة في مصدر سمي بمعنى الحنين والحنين الشوق وتوقان النفس وحنين المرأة نزاعها الى ولدها وان لم
لها عند ذلك صوت وقد يكون حنينها صوتها وعلى هذا ما جاء في الحديث من حنين الجذع والوجه الثالث ان لا تعمل لا في اللفظ ويراد
بها معنى النفي فيكون صورتها صورة الزيادة ومعنى النفي فيه مع هذا صحيح كقول النابغة امسى ببلدة لا عم ولا خال وقول
الشماخ اذا ما ادلجت وصفت يداها لها ادلاج ليلة لا هجوع واما قول الادلاج بالتخفيف السير من اول الليل و
الهجوع النوم ليلا يصف ناقته بحسن السير في الليل يعني اذا سارت في الليل تصف يداها وتبين سيرها الليل انه كيف يكون
وكيف ينبغي ان يكون وفيه مبالغة اي حسن السير انما يعلم من سيرها كقولهم يصف وجهه الحسن يعني من نظر الى وجهه يعلم ان
الحسن كيف يكون فكان وجهه يصف للناس الحسن لانه في غاية الحسن ومنه قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب والوجه
الرابع ان تعمل في اللفظ ولا يراد بها معنى النفي انشد ابو الحسن لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها الى لام ذوو احسابها عمرا
اول معناه لو لم تكن لقبيلة غطفان ذنوب وعقوبات في حق بحث نسيحوا ان تعاقب عليها لا لام ذوو شرف تلك القبيلة عمر

احدٌ احقّ منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك نستعين** ايّا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم لا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشوابّ فشيء شاذ لا يعوّل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني اعبد قل أغير الله ابغي ربا والمعنى نخصّك بالعبادة ونخصّك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من لفظ الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا **اهدنا الصراط المستقيم** وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ

على ما فصل بها وهذا البحث كثير الفوائد يظهر لك جواز الجر والبناء على الفتح مثل قول المصنفة اول التسمية والا كان فعلا كلا فعل كذا في قول صاحب الحاوي تخللت بلا عنزه قوله اعلام الالفاظ التي يهجى بها بدال بين الف ولم الف باتا الى آخرها اسماء ومعانيها حروف وهي ابتث الى آخرها ليلزم من ذلك ان يكون فواتح السور عوالم والى وصل الى غير ذلك في الاصل اسما مسمياتها وعلى لا انها حروف ثم يندرج بعد ذلك الى وجه وقوع تلك الاسماء فواتح السور فقال بحوث الحرف بجوا وجاء وتحيتها تحية وتحيتها تهجيا كلها بمعنى واحد وذلك المعنى هو تعديد الحروف باسمائها فاذا اردت تعديد هذه الحروف وهي ج ذ ع مثلا قلت جيم ذال عين فتعديد هذه الحروف بتلك الاسماء هي التهجي وذلك كما اذا كان اشخاص من الاناسي ولهم اسماء كزيد وعمرو وبكر مثلا وتريد تعديد تلك الاشخاص فانما تعددها بتلك الالفاظ الموضوعة لها فاذا قلت زيد بكر عمرو فقد عددت تلك الاشخاص باسمائها

قوله وقد عيت اعلام العلماء اختلفوا في ان دلالة الالفاظ على معانيها هل هي لاجل المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى اولا لذلك بل لاجل الوضع وهو تخصيص الالفاظ بالمعاني والاول باطل لانه لو كانت المناسبة الذاتية متحققة بين اللفظ والمعنى لامتنع نقل اللفظ من مدلوله الحقيقي الى المجاز ولا منع ان لا دلالة للالفاظ المهملة على معانيها لان ما بالذات لا يزول فهي لاجل الوضع لكن الواضع لما اراد تخصيص الالفاظ بالمعاني راعى الخواص التي في الحروف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة فوضع القصم بالقاف الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير ان يبين والقصم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين ووضع النم بالميم الذي هو حرف خفيف ما بيني للخلل في الجدار والثلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل في العرض ووضع الزفير بالفاء لصوت الحمار والزئير بالهمزة الذي هو شديد لصوت الاسد وكذا راعى الخواص التي في التراكيب فوضع النزوان والحيدى بالتحريك لما فيه تحرك واضطراب وحمار حيدى اي يحيد عن ظله لنشاطه وبقال كثير الحيود ولم يجئ في نعوت المذكر شيء على فعلى غيره ولذلك لم يجعل حيوانا لموافقة مدلوله في التحرك وحملوا ما عليه وهذه هي المناسبة المرعية بين اللفظ والمعنى ولما كان مدلول اسماء حروف الفاظا كما اوامكنهم رعاية المناسبة اللفظية بين الاسم والمسمى راعوا تلك المناسبة وذلك لان كل واحد من الحروف التي هي المسميات على حرف واحد واسماؤها على اكثر من حرف فوضعوا المسمى في اول الاسم ليكون دالا على ان ذلك الاسم اسم لهذا المسمى فان الواضع لما وضع قاف لقولك ق وكاف لقولك ك كان دلالة الاسم على المسمى اوضح من دلالته لو وضع قاف لقولك ك وكاف لقولك ق قوله الا الالف وانما اختصت الالف الهمزة بالاستعمال لتقاربهما في المخرج ولانهما يتميان الفا ولان الهمزة اذا كانت اولا كتبت على صورة الالف ولانه اذا احتاج الى التحرك الالف قلبوها همزة قوله سكونها وقف المراد بالوقف هنا الوقف المصطلح وهو قطع الكلمة عما بعدها فان التقاء الساكنين عنده في هذه الاسماء للوقف وان وصل بما بعده لفظا لانه لو حرك وصلا في نية الوقف واما من ذهب الى انها مبنية فقول المبنيات قسمان قسم يكون مبنيا لكونه مشابها لمبني الاصل وقسم يكون مبنيا لانتفاء سبب الاعراب ويعوض جوز التقاء الساكنين في القسم الثاني دون الاول فرقا بينهما ولم يعكس لان اكثر الاسماء المبنية انما بنيت لوجود المانع وهو مشابهة مبني الاصل فاجروا الكثير على الاصل قوله يضمحل يقال اضمحل الشيء اي ذهب وكذا امضحل بتقديم الميم واضمحل السحاب تقشع يعني هذا التوهم الذي ذكر يذهب ويبطل بالبرهان النير الذي اقمته على كونها اسما واعلم انه قد ذكر اربعة دلائل على كونها اسما لكن المعتمد هو الاول لان الامالة قد تقع في الحروف وكلام الائمة الذي ذكرهم لا يصير حجة على الخصم هذا على الوجه الاول للاعراض واما على الوجه الثاني فالمراد بالدليل هو قوله والدليل على ان سكونها الى آخره ثم قال والسبب في قصرها مع هاء الحقه فان استعمال الفاظ التهجي في التهجي اكثر من استعمالها في غير التهجي واما قولهم هي على حرفين آخرهما حرف لين فاجاب الخليل عنه في الجملة بان هذه الاسماء امتنع ان يكون على حرفين آخرهما حرف لين لان التنوين لا يلحقها حال التهجي وهو ان سمي على حرف واحد فلا يمكن ان يكون الاسم على حرفين آخرهما حرف لين الا ترى انهم قالوا هذه شاء فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين لاجل الاضافة علامة الكاف نفسه وكذلك اذا قلت رأيت رجلا ذا مال لاتصال المضاف اليه ولذلك قولهم كيت فانه بعد من ذلك لان في معنى اللاتي هو على حرفين احدهما حرف لين لان التنوين لا يلحقه من حيث لم يحل الا من حيث كانت فيه الالف واللام ونستقل المتعدد دون في ذلك فذو هي على العهد الذي كان بيننا ام انت من الامالة تعهوده

واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون **اهدنا الصراط المستقيم** هدى اصله ان

يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل معاملة

اختار فى قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا

زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن على وابى رضى الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء

واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشئ

اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء

كقولك مصيطر فى مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاى وقرى بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهى لغة

قريش وهى الثابتة فى الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو

ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الصراط المستقيم وهو فى حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط

المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم **فان قلت** ما فائدة البدل و

هلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق

المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول

هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم

الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما

فى الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير

مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة

الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم

الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم **غير المغضوب عليهم** بدل من الذين انعمت عليهم على معنى

ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة

الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال **فان قلت** كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا

يتعرف وان اضيف الى المعارف **قلت** الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى

ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس فى غير اذن الابهام الذى يابى عليه ان يتعرف وقرى

بالنصب على الحال وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال

الضمير فى عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه **ولا الضالين**

والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل **فان قلت** ما معنى غضب الله **قلت** هو ارادة الانتقام

من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من

غضبه ونسأله رضاه ورحمته **فان قلت** اى فرق بين عليهم الاولى والثانية **قلت** الاولى محلها

النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية **فان قلت** لم دخلت لا فى ولا الضالين

قلت لما فى غير من معنى النفى كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع

امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما انهما

قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختيانى ولا الضألين بالهمزة كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن

وهذه لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة

آمين صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التى

هى امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال

افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا

وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على

الكتاب وليس من القران بدليل انه لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعى وعن ابى حنيفة

رضى الله عنه مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم وعن الشافعى رضى الله عنه يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا

ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابى بن كعب الا اخبرك

بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى

والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث

الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع

عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب اعلم ان الالفاظ التى يتهجى بها اسماء

مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را

با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية لطيفة وهى ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها

وهى حروف وحدان والاسامى عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا فى التسمية على

المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها

لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها فى ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة

وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول
واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا
كل اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ
به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها
اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا **فان قلت**
لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين **قلت**
قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد
وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف
مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس
على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا
كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف
والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب
الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف
التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول
كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فامالوا وان كان حرفا
قال فاذا كانوا قد امالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا
ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها **فان قلت** من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد
مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين
وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين **فان قلت** فلم لفظ المتهجي
بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك
لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء **قلت** هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل
والسبب في ان قرئت مقصورة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز و
استعمالها فيه اكثر **فان قلت** قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون
اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور **قلت** فيه اوجه احدها

وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
باب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى
فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم
وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتاتى فيها ان تفتح نونها وتصير
ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ
فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم
والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها
لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء
صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم
احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا و
قال الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام
من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى **فان قلت** فما وجه قراءة
من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات **قلت** الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم
وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرا من قرا ولا الضالين **فان قلت** هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله
لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح
وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد **قلت** ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى و
النهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان
تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت
للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه
بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى
ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني للاول

فما معنى تسميتهم السور بهذه الألفاظ
خاصة قلت كأن المعنى في ذلك
الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلما
عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الألفاظ كما قال عز من قائل
قرآنا عربيا فإن قلت

في الإعراب فإن قلت فقدرتها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير
إلى نحو ما أشرت إليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال أقسم الله
بهذه الحروف فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي شاكلت لذلك ما اجتمع
في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل
تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف
القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه
وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار وإضماره فإن
قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت
مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء
وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضا فإن شهرة
أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرد
لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة
عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ و
بقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب
الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه
ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على
نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن المتلو عليهم
وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم
تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء
الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد و
الرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق
ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر
وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على

الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز
ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة
يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فإن اعترضت عليه بأنه قول
معول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملا سوى ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان
يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله
ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل أسامي هذه القصائد وهذه السور
والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والآية التي تلك فاتحتها فلما
جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز
دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة
لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار
فيها لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما
لو سمي بزيد منطلق أو ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين
التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها
فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا
اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث
كان مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع
مستقلا بوجه من الإعراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب
فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن
خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد
الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون
فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن
التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد
بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله
عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في

تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف
اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن
المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة
نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء
والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن
المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف
والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء
ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم
الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه
عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة
اياهم ومما يدل على انه تغمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة و
آل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف
والحجر **فان قلت** فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور **قلت**
لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى
الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره **فان قلت** فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم
اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين
والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف
قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان
ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فان
قلت** فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها **قلت** اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تاديته هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا

كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولداك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض
هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد
الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود **فان قلت** ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية
دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور واما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس و
طسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان و
كهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا
منها آية **فان قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت** كما عد الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف **فان قلت** ما حكمها في باب الوقف **قلت** يوقف على جميعها
وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق
بها كما ينعق بالاصوات او جعلت اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله اي هذه الم ثم ابتدا
فقال الله لا اله الا هو **فان قلت** هل لهذه الفواتح محل من الاعراب **قلت** نعم لها محل فيمن جعلها اسماء
للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام **فان قلت** ما محلها **قلت** يحتمل الاوجه الثلاثة اما
الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين
ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات
المعددة **فان قلت** لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد **قلت** وقعت الاشارة الى الم بعد
ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول
وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين
ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك
وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به **فان قلت** لم ذكر
اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة **قلت** لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته
فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه
في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة
مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا قال الذبياني
نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري **فان قلت** اخبرني عن تاليف

ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسمًا للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيًا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدإ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستأهل ان يسمى كتابًا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدإ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرًا ثانيًا او بدلًا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكًا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحًا صادقًا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه الحديث انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدًا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقًا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابًا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا

والثالث والمه اشار بقوله ولان اهتدى الى آخره وهو ايضا عطف عليه انه يقال هديته فاهتدى كما يقال كسرته فانكسر وقطعته فانقطع فيكون اهتدى مطاوع هدى واذا كان مطاوعا له وجب ان يكون معنى هدى اوصل الى الحق كما ان معنى اهتدى وصل الى الحق لانه لا يكون المطاوع في خلاف معنى اصله وهو المطاوع بدليل الاستقراء في نحو عممته فاعتم وكسرته فتكسر الى غير ذلك وذكر الامام في تفسيره لبيان هذا الوجه انه كما كان الانكسار والانقطاع لازمان للكسر والقطع وجب ان يكون الاهتداء من لوازم الهدى واما اول هذا الذي ذكره المصنف والامام ضعيف بل مردود لان الفعل المطاوع انما يدل على معالجة الفاعل في ايصال فعله الى المفعول ولابد على ان المفعول قبل الفعل او لم يقبل واما هذا المعنى وهو ان المفعول قبل الفعل او لم يقبل فهو معنى فهم من المعنى الفعل المطاوع الواو فقولك كسرت الشيء يدل على معالجتك في ايصال الفعل الى المفعول فاذا قلت فانكسر علم انه قبل الفعل واذا قلت لم ينكسر علم انه لم يقبله وما ذكر من ان المطاوع لا يكون في خلاف معنى اصله ان اريد به الموافقة من جميع الوجوه فباطل وان اريد الموافقة في اصل المعنى فحق ولا يلزم منه ما ذكروه وايضا فقد قال ولم امرته فائتمر اي امتثل فيه المطاوع على خلاف اصله فان المطرزي في المغرب الائتمار من الاضداد وعليه قول ... ونحوه قال قائل وان ان ... امرته فاستبق برأيه ولم يمتثل والمراد بالمؤتمر الممتثل قال الامام فيه الهدى عبارة عن الدلالة ثم قال وقال صاحب الكشاف الهدى الدلالة الموصلة الى البغية وقال آخرون الهدى الاهتداء والعلم واستدل الامام فيه على صحة القول الاول وفساد الثاني والثالث بما معناه انه لو كان كون الدلالة موصلة الى البغية معتبرا في معنى الهدى لامتنع حصول الهدى عند عدم الاهتداء لان كون الدلالة موصلة الى البغية يستلزم تحقق الاهتداء عند الهدى فيمتنع تحقق الهدى بدون الاهتداء لكن قد اثبت الله تعالى الهدى مع عدم الاهتداء في قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ثم اورد الامام الوجوه الثلثة المذكورة في الكشاف وقال والجواب عن الاول ان الفرق بين الهدى والاهتداء معلوم بالضرورة فمقابل الهدى هو الاضلال ومقابل الاهتداء هو الضلال فجعل الهدى في مقابلة الضلال ممتنع اول هذا الذي ذكر الامام كلام صحيح وتقريره على وجه يرد على كلام صاحب الكشاف ان يقول لا نسلم ان الهدى في مقابلة الضلالة وسنده ما ذكرنا واما ما ذكره من الآيتين فلا دلالة على وقوع الهدى في مقابلة الضلال لجواز ان يكون معنى الآية الاولى انهم رضوا بضلالتهم وما طلبوا الهدى وما توجهوا اليه ليحصل لهم الاهتداء فمقابل الضلالة بالحقيقة الاهتداء لكن الهدى مقدمه وسببه فسبب بعد ... انهم ما طلبوا السبب الموصل الى الاهتداء وان يكون معنى الآية الثانية انكم مستقرون في الضلالة غير طالبين لسبب النجاة منها وهو الهدى الموصل الى الاهتداء وان يكون معنى الآية الثانية انكم مستقر ونحن في الضلالة غير طالبين لسبب النجاة منها وهو الهدى الموصل الى الاهتداء ونحن طالبون الهدى الموصل الى الاهتداء او لم نقل على الاهتداء تواضعا وحطا لمنزلتهم عما هم فيه وهو المناسب للمقام ولذلك صرف الآية عن التصريح بان يقول انا على هدى وانكم في ضلال وبعلم مما ذكرنا ان تفسير الضلالة فيما مر بما ذكرنا غير صحيح قال الامام وعن الثاني ان المنتفع بالهدى يسمى مهديا وغير المنتفع به لا يسمى مهديا لان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت نازلة منزلة المعدوم وعن الثالث ان الائتمار مطاوع الامر يقال امرته فائتمر ولم يلزم منه ان يكون من شرط كونه آمرا حصول الائتمار فكذا هذا لا يلزم من كونه هدى ان يكون مفضيا الى الاهتداء على انه معارض بقوله هديته فلم يهتد ومما يدل على فساد قول من قال الهدى هو العلم خاصة ان الله تعالى وصف القرآن بانه هدى ولا شك انه ليس بعلم في نفسه فدل على ان الهدى هو الدلالة لا الاهتداء ... قال ... فضل عدد على عدد ومثله من ذلك الجنس اضيفت الى العدد الذي قصدته منكرا فاذا قلت هو افضل رجل فالمعنى اذا فضل الجنس رجلا رجلا فهو افضل رجل واذا قلت هما افضل رجلين فالمعنى اذا فضل الجنس رجلين رجلين فهما افضل الرجلين وكذا الجمع فالحاصل انك اذا قلت زيد افضل رجل فهو يفضل لزيد على جميع الرجال لكن على سبيل التفضيل بان يفضل كل واحد منهم ويقال زيد افضل من عمرو وافضل من بكر وافضل من خالد الى ان يؤتى على الكل واذا قلت زيد افضل رجلين فهو يفضل له على جميع الرجال لكن ما يتفضل ان يقال زيد افضل من العالمين وافضل من الفاضلين وافضل من الزاهدين الى ان يؤتى على الكل واذا قلت زيد افضل رجال فهو يفضل على الجميع لكن بعد ان يفضل ويقال زيد افضل من العلماء وافضل من الكرماء وافضل من الزهاد الى ان يؤتى على الجمع والسر فيما ذكرنا ان التفضيل لا يتحقق الا اذا كان الفضل مشتركا بين المفضل والمفضل عليه ليمكن اثبات الزيادة على المعنى المشترك ليتحقق التفضيل والترجيح واذا قلت زيد افضل رجل فقد اوضحت الشركة بين زيد وبين هذا الجنس كله ثم اثبت الزيادة له على كل واحد منهم على سبيل البدل فلا يتناول هذه اللفظة الا واحدا وعلى هذا التثنية والجمع ... واما الظرف فان جعلت العامل معنى الاشارة فذو الحال اما ذا او الكتاب وتقريره ان تقول ان جعلت ذلك الكتاب مبتدأ وخبرا ... يكون ذو الحال ذا لانه مفعول معنوي يصح تقييده بالحال لان التقدير اشير اليه في حال كونه هاديا ولو قال لك لم يستقم الحال الا ترى انك لو قلت زيد قائما حولك لم يستقم ولو قلت هذا قائما اخوك لاستقام وان جعلت الكتاب صفة ذلك يجوز ان يكون ذو الحال هو الكتاب لما مر ان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هذا الانسان او ذلك الشخص فعل كذا واذا كان الاشارة الى الكتاب يكون مفعولا معنويا فيصح ان يكون هذا حالا منه وهنا بحث وهو ان نقول التحقيق ان ذا الحال والعامل محذوف والتقدير اشير اليه هاديا والعامل اشير المقدر يدل عليه ما نقل عن المصنف انه قال سئلت بمكة عن صاحب الحال في قوله هذا بعلي شيخا فقلت العامل فيها معنى الفعل فقيل لي اما استقر من اصولكم ان العامل في الحال وذي الحال يجب ان يكون واحدا وقد اختلف العامل هنا حيث جعلته في الحال المعنى الذي في حرف التنبيه او في اسم الاشارة من معنى الفعل وفي ذي الحال هنا معنى الابتداء فقلت تحقيق الكلام فيه ان التقدير وهذا بعلي انبه عليه شيخا او اشير اليه شيخا فالضمير هو ذو الحال والعامل فيه وفي الحال واحد وان جعلت العامل الظرف فذو الحال الضمير المجرور في فيه لانه مفعول معنوي ايضا تعلق به الاستقرار بواسطة الجار والعامل فيه الاستقرار ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المستتر المرفوع باعتبار انه فاعل لانه عائد الى الريب ولا يستقيم وقوع الحال منه هنا لان الريب لا يكون محكوما عليه بالهدى والحال في المعنى حكم على ذي الحال فليس هذا مثل قولك زيد في الدار قائما فان قائما حال من الضمير في الدار لانه في المعنى فاعل فصح ان تقييده باعتبار ما هو في المعنى فاعل قوله ويجوز ان ينصب عطفا على محل قوله ومحل هدى للمتقين الرفع ويجوز ان يكون عطفا على قوله الرفع اذ يصح ان يقال ومحل هدى للمتقين يجوز ان ينصب قوله عن هذه المحال المحال جمع المحل الاعرابي ويريد بهذه المحال محل قوله ذلك الكتاب وقوله لا ريب فيه وقوله هدى للمتقين قوله الم جملة براسها بان يكون خبر مبتدأ محذوف وهذا على تقدير ان يكون الم اسم السورة وهو الوجه الاول من الوجوه الثلثة ومعنى قوله جملة براسها اي جملة ملتبسة براسها لا براس غيرها وهذا كالتشبيه بشخص مستقل لا يحتاج الى انضمام احد اليه في امور واحواله فهو ملتبس براسه ولا ملابسة له براس غيره وهو كقولك جملة بنفسها فهو من اطلاق الجزء وارادة الكل قوله او طائفة من حروف المعجم وهذا على الوجه الاخير ... ان يكون ورود هذه الاسماء مسرودة على نمط التعديد كالتنبيه للنظر ليعلم انه كلام الله تعالى وان ورد السورة مصدرة بها او وجد من الاعراب ودلائل الاعجاز اعلم ان تمييز موضع العطف عن غير موضعه نوعان نوع قريب التعاطي ونوع بعيد فالقريب ان يقصد العطف بغير الواو او بالواو ولكن يكون للمعطوف عليه محل من الاعراب سواء كان ذلك من المفردات او الجمل والبعيد ان يقصد العطف بالواو وليس للمعطوف عليه محل من الاعراب ولا يكون ذلك الا في الجمل وسبب قرب الاول وبعد الثاني ان العطف يعتمد معرفة اصول ثلثة احدها الموضع الصالح للعطف من حيث الوضع وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولا وانت ... ذا اتقنت معاني القاوم وحتى ولا وبل ولكن واو وام واما حصلت لك الاصول الثلثة لدلالة كل واحد من تلك الحروف على معنى مخصوص مستدع محلا مخصوصا لا على فائدة العطف وكونه مقبولا ... بمحل العطف بغير الواو وسهل الماخذ ... وفي العطف بالواو ... البيان والتاكيد ... الصنف الاول ليس موضعا للعطف باي حرف كان لفوات شرط العطف ... شرط العطف حكما ... وجوه الاعراب دال على معنى كما تشهد لذلك قوانين علم النحو ... الا ان شرط كون العطف ان يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل ما ترى في نحو الشمس والقمر والارض والسماء ... بخلاف الشمس والارنب ورجل الضفدع ودين المجوس والباذنجان

ختيارها عليه وعلى ما ذكرنا اللام في قوله المسلم للجنس ويجوز ان تكون للعهد ويكون المراد بالمسلم الذي تنصر جبلة لاجلهم وكان على دين النصرانية فقدم مكة في احسن زي واسلم وطاف بالكعبة فوقع عليه شخص في الطواف فغاصه ذلك فلطمه جبلة فشكا الرجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحكم له ان يقتص باللطمة فسأله جبلة ان يؤخره الى الغد وسار ليلا ولحق بالروم وتنصر وقال في ذلك

تنصرت بعد الحق عارا للطمة ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر
وادركني فيها لجاج حمية فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني صبرت على القول الذي قال عمر

واصل قوله بالطويل العمر بالعمر الطويل ثم حذف الموصوف واقام الصفة مقامها وكانت الصفة اي الطويل يحتمل العمر وغيره فاتي به للبيان لا على انه جر الموصوف عن الصفة ومثله قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
وعني بالمؤمن الله تعالى لانه هو الذي امن الطيور وطيرها والعائذات جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء والقطبي وهو في الاصل من باب الكناية لان الحامل اذا اخذها المخاض عاذت اي لجأت قال تعالى فاجاءها المخاض الى جذع النخلة والغيل بالكسر الاجمة وموضع الاسد ايضا والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ولم يرد النابغة تقديم الصفة اي العائذات على موصوفها لكن اراد ان يذكر الصفة نحيث وهو العائذات فذكرها واراد بها نفس الذوات بحذف موصوفها واحتملت هذه الصفة اجناسا كثيرة لجواز وقوعها على الوحش والطير وغيرها فاراد فهاذكر الطير بيانا انه لم يرد بها الا الطير وانتصاب الطير على التبعية للعائذات لكونه عطف بيان

قوله هل تحج ربح عندك اعلم انه من شرط هذا المجاز وهو المجاز في الاسناد ان يكون لمكان الحكم الحد الاصلي في هذا المجاز معلوما اما بالعقل او بالعرف او بغيرهما ولم يتعين ان يكون المكان الاصلي للحكم معلوما بنفس العقل كما في انبت الربيع البقل فان العقل يدل على ان الانبات لا يكون فعل الربيع بل ان استعير على العلم بامر آخر كما في هزم الامير الجند وكسا الخليفة الكعبة حيث كان المراد هزم عسكر الامير الجند وكسا خادم الخليفة الكعبة جاز وكما في قولك خسر عبدك والمراد خسرت في شرى عبدك فانه ان دل قرينة على المراد بشرى عبد او جارية وترتب الخسران عليه جاز وان لم يكن قرينة دالة على المطلوب لم يجز ونقل عن علي بن عيسى البغدادي انه لا يصح وذكر لخوف الالتباس اذ يمكن ان يربح العبد بالحقيقة وفيما ذكره نظر لان وجود القرينة كاف في دفع ذلك والا لورد على قولهم هزم الامير الجند وكسى الخليفة الكعبة ثم اعلم ان من شرط هذا المجاز ايضا ان يكون فيه للمسند اليه المذكور نوع تعلق وشبه بالمسند اليه المتروك مثل ما ترى للربيع في انبت الربيع البقل من نوع شبه بالفاعل المختار وهو دوران الانبات معه وجودا وعدما نظرا الى عدم الانبات بدون وقت الشتاء ووجود الانبات مع مجيئه دوران الفعل مع اختيار الفاعل وجودا وعدما وكما في قولهم شفى الدواء المريض من دوران الشفاء مع تناوله وجودا وعدما وكما ترى للخليفة في كسا الخليفة الكعبة من دوران كسوة البيت مع امره وجودا وعدما فان لم يكن هذا الشبه بين المذكور والمتروك كما لو قال قائل انبت الرضيع البقل وشفى الدواة المريض نسب الى الحمق والجهل ولوجوب هذا التعلق المذكور بين المحل الحقيقي والمجازي ادرج المصنف هذا الشرط في التعريف وقال هو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في حقيقته له واما صاحب المفتاح فقد قال في تعريف المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التاويل وجعل التعلق شرطا وقوله خلاف ما عند المتكلم ولم يقل خلاف العقل ليشمل نحو كسى الخليفة الكعبة وليخرج كلام الدهري انبت الربيع البقل فانه يسمى حقيقة لا مجازا وقوله لضرب من التاويل احتراز من الكذب فانه يفيد خلاف ما عند المتكلم ولا يسمى مجازا

قوله هذا من الصنعة البديعة اعلم ان هذا من علم البيان لا من علم البديع وعلم البديع هو العلم بطرق الفصاحة وهي طرق لافهام والتحسين وبطرق تزيين الكلام بانواع ما يورثه القبول من وجوه التحسين اما الفصاحة فلفظية ومعنوية اما اللفظية فهو ان يكون اللفظ عربيا اصليا وعلامته ذلك ان يكون اللفظ على السنة العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم له اكثر واما المعنوية فهو خلوص الكلام عن التعقيد واما فوق الكلام وكذا المطابقة ... الاستعارة المرشحة التجنيس ... فلا يكون من علم البديع وهو من علم البيان اذ هو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام المراد منه وايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن لانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا وقلت خد يشبه الورد في الحمرة امتنع ان يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالة الوضعية اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا اقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح والا لم يفهم شيئا اصلا وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل ان يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث فاذا اردت التوصل بواحد منها الى المتعلق به فهي تتفاوت لك لسلسة في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق افادة الوضوح والخفاء وذلك كتعلق الشجاعة والبحر والحمى بالاسد لكون تعلق الشجاعة اوضح من تعلق الحمى والبحر فالانتقال من الاسد الى الشجاعة وبالعكس يكون اوضح من الانتقال من الاسد الى البحر والحمى وبالعكس فرجع علم البيان هو الانتقال من الملزوم الى اللازم وبالعكس والاول هو المجاز والثاني الكناية والاستعارة قسم من المجاز كما مر فيكون من علم البيان لكن لما سمي العلوم الثلثة اعني علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع بعضها من بعض في كتب المتقدمين كانوا يسمون الثلثة علم البديع تسمية للشيء باسم اشهر اقسامه والمتاخرون كصاحب المفتاح واكثر الاصحاب يسمون الاول بصناعة البلاغة ولذلك قال صاحب المفتاح البلاغة هو بلوغ المتكلم في تاويه المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها اشارة الى المعاني وقوله وايراد الى آخره اشارة الى علم البيان ويسمون الثالث بصناعة الفصاحة وبعضهم بعلم البديع هذا الذي ذكرنا على ان يكون المراد بالصنعة البديعة علم البديع بناء على ما مر من ان كل علم يحصل معلوماته بالتمرن على العمل لحصول معلومات صناعة كمعارضة الاعراب او بتتبع ما عندها لحصول معلومات صناعة البلاغة بتتبع خواص تراكيب الكلام يختص باسم الصناعة وكل علم يحصل معلوماته بالنظر والاستدلال يختص باسم العلوم واما ان كان المراد بالصنعة العمل بالبديعة التحسين فكانه قال هذا من العمل العجيب الذي يوصل المجاز الى الدرجة العليا

قوله وهو المجاز اي سوق الكلام مساق المجاز ثم تقفيته باشكالها المجاز المرشح والترشيح التربية واعلم ان الاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم تعقب بصفات او تفريع كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة وانما يلحقها التجريد او الترشيح اذا عقبت بذلك ثم ان الضابط هنا اصل واحد وهو انك قد عرفت ان الاستعارة لابد لها من مستعار له ومستعار منه فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له او بتفريع كلام ملائم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات او تفريع كلام ملائم للمستعار منه سميت مرشحة مثال التجريد ان تقول ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العذب فقولك ساورت بالسين المهملة تفريع كلام مناسب للمستعار له وقولك شاكي السلاح الى آخره تعقيب صفات مناسب له ايضا ومثاله في الترشيح ان تقول ساورت اسدا هصورا عظيم اللبد بين واقي البراثن منكر الزئير فقولك ساورت بالسين المهملة من المساورة وهي المواثبة تفريع كلام مناسب للمستعار منه وقوله هصورا الى آخر الصفات تعقيب صفات مناسب له

على لاريب ولابد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة
في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فُعَل كالسُّرى والبُكى وهو
الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان
اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمّه فاغتم وكسره
فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك
للعزيز المكرم أعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا
الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل
فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا
ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان
قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة
وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على
الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين
الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين و
ايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر
اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط
الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر
فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به
العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب
الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن بظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق
العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب
فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه
معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان
يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة

ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرا والإيجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام وإذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فإن قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت تحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لأن هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن يقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين

وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا يكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهارا لإنافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فإن قلت فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا قلت إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي في موضع الكلية إذا بطنت الدابة اشتغت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة فإن قلت ما الإيمان الصحيح قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق

الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصّلون واذا عطّلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد
الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم
قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او
اداؤها فعبّر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبّر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع
وبالسجود وقالوا سبّح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من
صلّى كالزكوة من زكّى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلّى حرّك الصلوين لان المصلي يفعل
ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني
على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصلّ تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق
الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله ويسمّى رزقا منه و
ادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفّا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدّم مفعول الفعل دلالة
على كونه اهم كانه قال ويخصّون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان تراد به الزكوة المفروضة
لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه
مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد
واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت
فان قلت والذين يؤمنون ايهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسّط العاطف كما يوسّط بين
الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب **قلت** يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا
بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسّهم
الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم
فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه
آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل
واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح
والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف
الاولين ووسّط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **فان قلت** فاذا اريد

بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا **قلت** ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت
صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا و
كانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك **فان قلت** قوله بما انزل اليك ان عني
به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان
اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع
سالفه ومترقّبه واجب **قلت** المراد المنزل كله وانما عبّر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقّبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلّب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت
فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل و
انتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا
كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فهو
اللغو وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه
بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان
قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان
اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار
بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف
الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في
جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود

اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ
والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به
مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه
لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته
كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا
بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم
احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احبّ رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه

وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل المجد وإن جعلته تابعاً للمتقين وقع الاستئناف على أولئك
كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير
مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً واعلم أن هذا النوع من
الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق
بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون
الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فإن قلت**
هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره **قلت**
نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى طامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم
الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال
التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك
إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى
مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه
هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل واقتعد
غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق
الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً
لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً وقال
الهذلي فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت بغنة
وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد
أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي فيها روايتان وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي
لو انفردت كفت مميزة على حيالها **فإن قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك
كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف
بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على

أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو
هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين
هم الناس الذين بلغك عنهم أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنساناً قد تاب من أهل بلدك
فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت
صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة
كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيداً هو هو فانظر كيف
كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر
اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم و
يرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب
والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة
من صدرت بذكرهم سورة البقرة ~~آمين يا إله العالمين وآخر الناصرين~~ والمفلح الفائز بالبغية كأنه
الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي
بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين
أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار
الرسول وسكوته **فإن قلت** لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم

الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة **قلت** ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت
الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد
لا مجال فيه للعاطف **فإن قلت** هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا
ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك
الآي المتلوة **قلت** قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني
على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ
فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس

باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان **فان قلت** الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح **فان قلت** ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا **قلت** هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون **قلت** اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة **فان قلت** ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار **قلت** لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر **فان قلت** فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل **قلت** القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء

على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد
في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي
المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل
مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال
إذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان
هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا
على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا
المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق إلى
إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم يبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا
ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم
على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف
لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة
يقولونه تهكما بهم في قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول
قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على
سمعهم دون قلوبهم فإن قلت أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما
للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن
كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع
فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس
سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم فإن قلت هل منع أبا عمرو والكسائي إمالة أبصارهم
ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير
كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر
به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان

خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع
وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة
والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول
نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا
لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن
لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا
تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس
وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا
من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** افتتح
الله تعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم
ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين
وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء
وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين
وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ
بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة
المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت
همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله
إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك
سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراهم يقولون في وزن قه إفعل وليس معك
إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان
ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل
ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق
ونظر موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة

كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصوله كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فان قلت** كيف يجعلون بعضاً اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً وكون المنافقين نوعاً من نوع هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضاً من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تاتي الدخول تحت الجنسية **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر **قلت** اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهوداً وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثاً الى خبث وكفراً الى كفر وايضاً فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان قلت** كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل **قلت** القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها **فان قلت** فلم جاء الايمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الاول **قلت** يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما **فان قلت** ما المراد باليوم الآخر **قلت** يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لنا آخر وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر **فان قلت** كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يات بالخدع **قلت** فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقاً بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعاً ومصاباً بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيداً فاضلاً الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوماً له قديماً كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفاً كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون **فان قلت** عم كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصنعون المؤمنون من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصاً على اذاعتها الى منابذيهم **فان قلت** فلو اظهر عليهم

حتى لا يصلوا الى هذه الأغراض بخداعهم عنها **قلت** لم تظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومشاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة **فان قلت** ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم **قلت** يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا انفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد به الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه

البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد ذلك الله بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواؤه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوا كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضاء وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزرع

لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيّ حرب الفساد وكان فساد
المنافقين في الارض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم
عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما
تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم
على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون
أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا مركبة
من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل
على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها
إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها قال أما والذي
لا يعلم الغيب غيره أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر رد الله ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في
كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أتوهم في النصيحة من
وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق
الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوا هم
لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة **فإن قلت** كيف صح أن يسند قيل إلى لا
تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح **قلت** الذي لا يصح إسناد الفعل إلى معنى الفعل
وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من
ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في
بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون
أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس
أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد
التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس
كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري

ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له مساق هذه الاية خلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم

إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل. انا معكم
انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم. فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم
بالاسمية محققة بان. قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء
حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم و
ذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن
اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه
ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى
حكاية الله قول المؤمنين ربنا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات
على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح
للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت
انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه
الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء
المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم
ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف
واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت
فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء
على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا
هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان و
الحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان
والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير
شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون
ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما
يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في

غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم
اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله الذي
يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت
فهلا قيل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث
الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في
شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل
استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به
ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا
فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على
انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي
بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل
الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي
يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح
والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب
كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره
والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع
اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا
الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من
النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه
والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد
النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من
اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما
في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته

اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه

اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة **فان قلت** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى **قلت** جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين و الربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم **فان قلت** كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها **قلت** هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين **فان قلت** هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي **قلت** نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح **فان قلت** هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة **قلت** هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن اذني قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة

تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه

فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام

اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته **فان قلت** فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **قلت** معناه ان الذي تطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فان قلت** ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم

وشأنهم المتعجب منه ولما كان في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن **فان قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل لكم الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة فلما اضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور **فان قلت** اين جواب لما **قلت** فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار **فان قلت** فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان **فان قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني **قلت** مرجعه الى الذي استوقد نارا لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم **فان قلت** كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره **فان قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت **قلت** ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون **فان قلت** فلم وصفت بالاضاءة **قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن في

ظلمات بسكون اللام وقراءة اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلاً نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون **فان قلت** فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة **فان قلت** واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابداً الا حائر خابط في ظلماء الكفر **قلت** المراد ما استضاؤا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اصم عما ساءه

اصم عن الشيء الذي لا اريده ... واسمع خلق الله حين اريد

فاصممت عمراً واعميته ... عن الجود والفخر يوم الفخار

فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعاً تقول رايت ليوثاً ولقيت صماً عن الخير ودجى الاسلام واضاء الحق **فان قلت** هل يسمى ما في الآية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ... بان له حاجة في السماء

ولبعضهم

لا تحسبوا ان في سرباله رجلاً ... ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فاتسلق

اوكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت

بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها
تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه فى شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف
وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه
فى موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى
الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات و
لا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذى الرمة كيف صنع فى قصيدته
اذاك ام نمش بالوشى اكرعه اذاك ام خاضب بالسى مرتعه فان قلت قد شبه المنافق فى التمثيل الاول
بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه فى التمثيل الثانى
بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او
كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه
اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا و
عملوا الصالحات ولا المسىء وفى قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب و
الحشف البالى قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوى
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون
المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب
تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل
امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت
شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما
معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده
من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله

لا يدرى رضا ايهم يتحرى واذا عنت له حاجة يكل كل منهم امره الى الآخر فلا يحلى بطائل وشبه المؤمن
بعبد آخر قد سلم لمالك واحد فهو معتنق لما لزمه من الخدمة معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع
فاى هذين العبدين احسن حالا والسلم بمعنى السالم وهو من قولهم سلمت له الضيعة اذا خلصت بلا مزاحم
وهذا المثل لعابد الاصنام والمؤمن الموحد ه

قوله يتخطونه اذا يتجاوزونه والاولى ان تقول لا يتخطونه بدل من قوله عليه علماء البيان وذلك لان غرض المصنف هو
علماء البيان على هذا القول وعدم مجاوزتهم عنه ودلالة لا يتخطونه على هذا المقصود اولى من دلالة قوله عليه علماء البيان ومثله
قول صاحب المفتاح وهو قوله ومن امثلة البدل قوله اقول له ارحل لا تقيمن عندنا والا فكن فى السر والجهر مسلما فصل لا
يقيمن عن ارحل لقصد البدل لان المقصود من كلامه هذا كمال اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن و
قوله لا تقيمن عندنا اوفى بتأدية هذا المقصود من قوله ارحل لدلالته عليه بالتضمن مع التجرد عن التاكيد ودلالته هذا
عليه بالمطابقة مع التاكيد حجزة الازار معقده وحجزة السراويل التى فيها التكة واخذ الحجزة عبارة عن
الاتصال والالتئام قوله فتشبهها عطف على تاخذ اى فتشبه تلك الاشياء ويعنى بهذا التشبيه المفرق قوله كما فعل
صفة مصدر محذوف من قوله تاخذ فتشبه اى فعلا مثل فعل امرئ القيس يعنى قوله كان قلوب الطير البيت له قوله
لا يشعر اى الحمار وهو حال من الحمار قوله من ذلك اى من حمل اسفار الحكمة الا بما استثناء مفرغ اى لا يشعر
بشىء الا بما مر والدف بفتح الدال الجنب ومن بيان ما وكقوله عطف على كقوله ه قوله فى آخر الصفحة لا
من الودق المعالب والمعنى اى المعنى الحاصل من المجىء بالسماء معرفة وطبق الغيم تطبيقا اذا اصاب
بمطره جميع الارض وتعالى سبحانه مطبقة قوله فيها والتنكير لماذا قلت لانه اريد نوع من المطر شديد
قوله فيها امد مزيد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره ه وذلك اشارة الى
المطر المجىء بالصيب على الوجه المذكور وهو مفعول امد وفاعله ضمير عائد الى الله تعالى قوله الارى
الى قول حسان ابا جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
البريص اسم واد بدمشق وبردى اسم نهر فى ذلك الوادى وقيل بردى وادى دمشق والبريص نهر يتشعب منه
كالصادرة من الغراد سمى بذلك لانه يسيل الى البريص وهو موضع ويصفق ماخوذ من صفق الشراب وهو ان يحول من
اناء الى اناء والرحيق صفو الخمر وما سلسل وسلسال اى سهل الدخول فى الحلق لصفائه وعذوبته معناه يسقون
من ورد هذا الموضع ماء بردى ممزوجا بالرحيق السلسل والاحسان عول على بقاء معنى المحذوف حيث ذكر
يصفق لان المعنى ماء بردى ولو نظر الى بردى ولم يعتبر المحذوف لقال تصفق بالتاء المنقوطة من فوق
لان بردى مؤنث اذ فعلى بفتح الفاء والعين من الاسماء المختصة بالتانيث قوله شم الانوف اى هم من الاعراب الحكم و
المراد بالطراز الاول الذى يبتدا بذكره فى الخصال الحميدة قوله يغشون يقال فشا الخبر وافشاه غيره والمراد بالافشاء
انهم يعمون الضيافة ويكثرونها فيكثر مجىء الضيفان اليهم فيصير الضيفان الى كلابهم معارف فلا تهر كلابهم فى وجوه
الضيفان واشار بقوله لا يسألون عن السواد المقبل انه لا يخص ضيفا فيتم لمن يعرفونه بل يعمون بها القريب والبعيد
والمعروف والمنكر فلا يبالون على ان يستخف المقبل انه من هو ومن اين هو بل يضيفونه كائنا من كان ه فهلا قيل
قال المطرزى فى المغرب الانملة بفتح الهمزة والميم لامن الاصبع وهو المفصل الاعلى الذى فيه الظفر وضم الميم لغة مشهورة ومن خطاء راوى
فقد اخطأ ، وقول بعض الفقهاء فى كل انملة من الاصابع التى فيها ثلث انامل ثلث عشر الدية وان كان فيها انملتان ففى احدهما نصف
عشر الدية هذا كله توهم وانما الصواب ان لكل مفصل ومفاصل ومعصلان واما المفاصل التى هى اصول الاصابع ففى
والواحد اشجع بضم الهمزة والجيم والبرجمة بالضم واحدة البراجم وهى مفاصل الاصابع التى من الاشاجع والانامل ه

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما
ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع
المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق
وخوف من الصواعق **فان قلت** الذي كنت تقدره في المفرد من التشبيه من حذف المضاف
وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه **قلت** لولا طلب الراجع في قوله يجعلون
اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام
فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية
كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين
في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار
وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها و
تركها خلاء خاوية **فان قلت** اي التمثيلين ابلغ **قلت** الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ **فان قلت** لم عطف
احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك **قلت** او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم
اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان
في استصواب ان يجالسا ومنه قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي
هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال
للسحاب صيب ايضا قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من
المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة
عن الحسن انها موج مكفوف **فان قلت** قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من
السماء **قلت** الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من
بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى
في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ
بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله

وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى
وينزل من السماء من جبال فيها من برد **فان قلت** بم ارتفع ظلمات **قلت** بالظرف على الاتفاق
لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتفض
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا اذا لمع **فان قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخ ان يراد به السحاب او المطر فايهما
اريد فما ظلماته **قلت** اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة
اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه
مع ظلمة الليل **فان قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب **قلت**
اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين به في الجملة فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا
في حيز يشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا
متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات **قلت** فيه وجهان احدهما ان
يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم
اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق
وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال
او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في
قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى
ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا
قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل
اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم
وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من
المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر
الاسم العام دون الخاص **قلت** لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن
الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر

بعض هذه الكنايات **قلت** هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها

بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة

والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت اجرامه وهي نار

لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة

فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت

او بالإحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان

كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه

وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها

إما أن تكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية

وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض

عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة والله محيط

بالكافرين واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه

الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف أبصارهم والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح

أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف

بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس

من حولهم كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيه

وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما

يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة

فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء

الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم وأضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم

ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى

ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد

فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو **فإن قلت** كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا **قلت**

لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها

وليس كذلك التوقف والتحبس وأظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا

لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير

من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس هما أظلما

حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في

اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة

فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق

إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب

بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في

الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو

أراد الله أن يتخذ ولدا وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق وقرأ

ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم والشيء ما صح أن

يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج

التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء

مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء

أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال **فإن قلت** كيف قيل على كل شيء قدير وفي

الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر **قلت** مشروط في حد القادر أن لا

يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل

شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن

كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فإن قلت** مم اشتقاق القدير **قلت**

من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا أيها الناس اعبدوا ربكم

الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات لما عدد الله تعالى

فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت

به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات

المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع

كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط

منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك

وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت

ولبعد عطفنا الى آخره عطف على قوله لما عدد الى آخره لان معنى قوله لما عدد الى آخره ان الخطاب شامل للمؤمن والكافر والمنافق ومعنى قوله وبلغنا الى آخره ان الخطاب مخصوص لمشركي مكة وهذا الذي رواه المصنف
عن علقمة مروي عن الحسن ايضا وكانه انما نقله عن علقمة دون الحسن لان الاسناد الصحيح الذي ذكره لم يبلغه عن الحسن وان كان قد بلغه باسناد آخر على ما يعرف قال الامام قال القاضي هذا الذي ذكره
علقمة والحسن ان كان الرجوع فيه الى النقل فسلم وان كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف لانه يجوز ان يخاطب المؤمن مرة لصفهم ومرة باسم جنسهم وقد يوم من ليس بمؤمن
بالعبادة كما يوم المؤمن بالاستمرار على العبادة والازدياد منها فالخطاب في الجميع ممكن

يا ايها الناس بالقاء السبب يدل على ان المصنف استنبح كون هذا خطابا لمشركي مكة من قول علقمة وانه لم يصح وبه تودد الكثر

إصغاءه الى إرشادك زيادة استدعاء وأوجد ته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازًّا من طبعه
لما يجده اذا استمرت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف
يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم
خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه و
اما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل مناداة من سهى وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد
فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان
قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر
قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله و
منازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته
والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان
الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل
ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي
يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه
استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد و
التشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء
ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في
كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب
من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده
واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام
ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين
والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم
فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم
ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين

وذلك لان عبادة من لا يعرف ممتنعة

فكيف اي اذا كان كذلك فكيف يجوز امرهم بما هم مشغولون به
فانه يكون امرا بتحصيل الحاصل ومثله ... ولذلك قال ابو تمام
نعمة الله فيك لا اسال الله اليها نعمى سوى ان تدوم ومثله
فلو اني فعلت كنت كمن يساله وهو قائم ان يقوما اي نعمة الله تعالى
حاصلة لك كثيرا لا اسال الله نعمة اخرى تضمها الى تلك النعمة ولكن اسال الله
دوام تلك النعمة لك ثم قال فلو اني فعلت اي لو سالت الله النعمة في حقك كنت كمن
يساله ... فانه من تحصيل الحاصل

على ما روي عن علقمة والحسن اعلم
ان هذا القول الثاني ما صرح به
اولا انه مستند الى علقمة والحسن
بل ذكر ان علقمة قال ان ما فيه
مكي وذكر ذلك هنا لك بطريق
الاستنتاج وههنا صرح بانه
منقول عنهما

قوله وحمله لو اخره جواب سوال مقدر وهو ان يقال سلمنا ان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز حمله على
رجاء الله تقواهم فلم لا يجوز حمله اي حمل خلقكم الى آخره على ان خلق الخلق حال كونهم راجين للتقوى فاجاب
بان حمله على هذا المعنى ايضا ليس بسديد اي مستقيم وذلك لانهم ما كانوا راجين للتقوى وقت خلق الله اياهم
فان قلت لم لا يجوز ان يكون حالا مقدرة كما في قوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود قلت لا يجوز ذلك
ايضا لانه لا يصح ان يقال انه تعالى خلقهم حال كونهم مقدرين الرجاء كما يصح ان يقال ادخلوها مقدرين الخلود
لانفسهم وهو ظاهر قوله ولكن لعل استندراك من قوله لست مما ذكرنا في شيء واشارة الى الجواب
عن قوله ما موقعه اي موقع لعل هنا موقع المجاز وتقريره ان نقول قد ذكرنا فيما مر ان الاستعارة لا
تقع في الحرف الا بالتبعية وذلك بتقدير الاستعارة في متعلق معناه فاذا اردت استعارة لعل لغير معناه
قدرت الاستعارة في معنى الترجي ثم استعمل لعل هنالك اي في غير معنى لعل مثل ان يبني الكلام
على اصول المعتزلة فيقول الله حكيم لا يجوز ان يكون في افعاله عبث بل جميع ذلك حكمة وصواب مفعول
لغرض صحيح ما خلق الانسان الا لغرض ان يحسن اليهم وقد ركب فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب
تركه من المعاصي والنفرة الحاملة على ترك ما يجب فعله من الطاعات وجعله عاقلا واودع في عقله
مصالح حكم الشهوة فوقع الانسان لذلك في الحرج ان اتبع العقل وقع من النفس المشتهية النافرة
في عناء وان اتبع النفس وقع من العقل الناهي الآمر في عناء وما وقعا الله في ذلك الحرج سفها
ولا عبثا تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما فعل ذلك لغرض ان يحسن اليه وهو ان يكلفه فيتمكن الانسان
بسبب ذلك التكليف من اكتساب السعادات التي لا تفي بذكرها الاوصاف مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب احد مما لا يحسن ان يفعله الله في حقه ابتداء اي من غير ان يصدر منه طاعة
يستحق بسببها تلك السعادات ولذلك وضع زمام الاختيار في يده ومكنه من فعل الطاعة والمعصية
واراد منه ان يختار الطاعة المثمرة لتلك السعادات الابدية واذا بنيت الكلام على الاصل المذكور قلت
شبه حال المكلف الممكن من فعل الطاعة والمعصية مع ان الارادة منه ان يطيع مختارا بحال المرجي
المخير بين ان يفعل وان لا يفعل ثم استعير لعل لجانب المشبه وجعل قرينة الاستعارة علم الله تعالى
العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فقيل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون ثم اعلم ان قوله تعالى لعلكم تتقون يحتمل ان يكون معلقا بقوله خلقكم ويحتمل ان يكون
معلقا بقوله اعبدوا فان كان معلقا بقوله خلقكم فالمعنى خلقكم لتعبدكم بالتقوى مصداقه
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو موافق لمذهب المعتزلة فلهذا اختار المصنف
وحمله على الوجه الذي مر تقريره وان كان متعلقا بقوله اعبدوا فمعناه اعبدوا على رجاء وطمع
ان تتقوا بعبادتكم عقوبة الله ان تحل بكم قال الامام اذا كانت العبادة تقوى فقوله اعبدوا
ربكم لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون واتقوا ربكم لعلكم تتقون ثم قال
والجواب لا نسلم ان العبادة نفس التقوى بل العبادة فعل يحصل به التقوى لان الاتقاء هو الاحتراز
عن المضار والعبادة فعل المامور ونفس هذا الفعل ليس هو نفس الاحتراز بل يوجب الاحتراز

مكانه تعالى قال اعبدوا ربكم لتحترزوا به عن عقابه واذا قيل في نفس الفعل انه اتقاء فذلك مجاز
لان الاتقاء غير ما يحصل به الاتقاء لكن اتصال احدهما مرتبا بالاخرى اجرى اسمه عليه ه
قوله على ارادتهم اي ارادة المخاطبين والغائبين واعلم ان باب التغليب باب واسع يجري في كل فن
قال تعالى وما ربك بغافل عما تعملون بتاء الخطاب اي انت يا محمد وجميع الخلائق وقال فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه فقوله يذرؤكم اي يكثركم خطاب
شامل للعقلاء والانعام غلب فيه المخاطبون على الغائبين والعقلاء على ما لا يعقل وقال بل
انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب انتم على جانب هم وقال حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ادخل شعيب في لتعودن في ملتنا
بحكم التغليب ولو لم يحمل على التغليب لا يستقيم لان شعيبا لم يكن في ملتهم كما في امثالهم فكيف يمكن
في حقه العود وكذا قوله ان عدنا في ملتكم وقال في امراته كانت من الغابرين وفي موضع آخر
وكانت من القانتين عدت الانثى من الذكور بحكم التغليب وقال واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس عد ابليس من الملائكة بحكم التغليب كما عد الانثى من الذكور ومن هذا الباب
قولهم ابوان للاب والام وقمران للشمس والقمر وخافقان للمغرب والمشرق من الخفوق وهو الغروب
قوله قدم الى آخره اعلم ان الله ذكر ههنا خمسة انواع من الدلائل اثنين من الانفس وثلاثة من الآفاق
فبدا اولا بقوله خلقكم وثانيا بالآباء والامهات وهو الذين من قبلكم وثالثا بكون الارض فراشا ورابعا بكون
السماء بناء وخامسا بالامور الحاصلة من مجموع السماء والارض وهو قوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم واما هذا الترتيب فلان خلق المكلف احياء قادرين اصل لجميع النعم وسبب لتمكنهم من العبادة
وانكم وايضا فان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه وعلمه باحوال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره و
اذا كان الغرض من الاستدلال افادة العلم فكل ما كان اظهر دلالة كان اقوى افادة وكان اولى بالذكر
فلاجرم قدم ذكر نفس الانسان ثم ثناه بآبائه وامهاته وايضا فان كل ما في السماء والارض من
دلائل الصانع فهو حاصل في الانسان وحصل في الانسان من الدلائل ما لم يحصل فيهما لان الانسان حصل
فيه الحيوة والقدرة والشهوة والنفرة والعلم والعقل وكل ذلك مما لا يقدر عليه احد سوى الله
فلما كانت وجوه الدلالة ههنا اتم كان اوطا بالتقديم ثم ثلث بالارض لانه مكانهم ومسكنهم ولا بد لهم منه
اذ لا بد للجسم من المكان ولان الارض اقرب الى الانسان من السماء والانسان اعرف بحال الارض
منه بحال السماء ثم ذكر السماء لانه كالخيمة المضروبة على المسكن فهو تتمة المكان وايضا قدم ذكر
السماء على انزال الماء من السماء واخراج الثمرات به لان ذلك كالامر المتولد من السماء والارض و
الاثر متاخر عن المؤثر فلهذا السبب اخر الله تعالى ذكره عن ذكر الارض والسماء فقوله خلقكم منصوب
لانه مفعول فقدم وهو مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير واعلم ان هذه الآية دلت على
حسن اقامة الحجة في الدين فان الله تعالى اقام البراهين على وجوده ووحدانيته من خلق الناس وجعل
السماء بناء والارض فراشا وهذا لان كون هذه الاشياء بهذه الهيآت المخصوصة من

الجائز

من الجائزات العقلية فلا يتخصص بالوجود الا بمخصص فدلت على وجود الصانع ودل انقعادها وانتظامها
على انه شيء وقدرته ودل تذللها وانقيادها للقضاء على قهره وسطوته ودل دقايق تراكيبها واوضاعها
على علمه وحكمته ودل ما لها من الضروريات في الوجود وما لها من المنافع على كرمه ورحمته ودل ما فيها
من الزينة والزوائد والمزايا على جوده وسعته ودل اتساق نظامها وانتظام دوامها على تفرده
ووحدانيته ودل اختصاص وجودها بازمنتها واوقاتها واشكالها وهيآتها مع تمام جواز وجودها
على خلاف ذلك على مشيته وارادته ودلت هذه الجملة على وجوب اخلاص الشكر له وعبادته لانه تعالى لما
كان متفردا بالخلق يجب ان يكون هو المعبود على التفرد ودل قوله فلا تجعلوا لله اندادا انه لا يجوز
ان ينسب الى غير الله ما يضاف الى الله من الخلق فيكون حجة على المعتزلة في مسئلة خلق الافعال ه
قوله وانزل لنا من السماء ماء قال في الوسيط المعنى من نحو السماء او من جانب السماء بحذف المضاف
وان جعلت السماء بمعنى السحاب لم يحتج الى تقدير المضاف هذا هو المذكور في الوسيط وما نحن فقد ذكرنا
تمام تقريره عند قوله او كصيب من السماء ه قوله الثمرات وهي جمع الثمر وهو حمل الشجر في الاصل
ثم صارت اسما لكل ما ينتفع به مما هو زيادة على اصل المال يقال ثمر الله مالك وعقل مثمر اذا كان يهدي
صاحبه الى الرشد والثمر يستعمل فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع لا صل والثمر ما يظهر من الزبد
قبل ان يجتمع ويبلغ تمام الصلوح وخص فلان بثمرة قلبه اي بمودته قال الكميت خلائق ابن الكبر
يفاع مجد واعطتك الثمار بها القلوب قال المفسرون اراد بالثمرات جميع ما ينتفع به مما يخرج من
الارض لله قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا الجعل بذكر للخلق قال تعالى وجعل الظلمات والنور
وللفعل يجعلون اصابعهم في آذانهم وللتسمية ومنه فلا تجعلوا لله اندادا والند المثل المنازع
كان كل واحد من الندين يناد صاحبه اي ينافره ويعاديه قوله المناوي اي المعادي يقال
ناواه اي عاداه واصلها الهمز لانه من النوء وهو النهوض قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديدا فكيف تكون ندالي قيل ضمن تجعلون معنى تنمون يعني تنمون تيما الي و
تجعلونه لي ندا لانه لا يقال جعل كذا اليه ويجوز ان يقال ليس هنا تضمين بل تيما معمول فعل محذوف
يدل عليه الي اي انتسبون او تضمون تيما الي تجعلونه ندا لي على ان يكون تجعلونه ندا لي حالا اما من
الفاعل او المفعول او نقول التقدير اتجعلون تيما ندا لي ويكون الي مع متعلقه المحذوف حالا
من ندا اي منضما او منسوبا الي ه قوله خطاب لمشركي مكة اعلم انه لا يلزم من الخطاب
لمشركي مكة ان يكون هذا الامر مختصا باهل مكة بحيث لا يتناول غيرهم بل المعنى انه تعالى خاطبهم
بهذا الخطاب العام الشامل لهم ولغيرهم فيدخل فيه اهل مكة وغيرهم كما تقول يا زيدا تقوا ربكم اي
اتق انت ومن معك من ابناء جنسك واهل جلدتك قال الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
وانما جاز ذلك بطريق تغليب المخاطبين على الغيب نحو انت وزيد فعلتما كذا ه

ازدياد هم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروطة فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة والزكوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم يستعمل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر **فان قلت** ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو وخلقكم بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لان الاطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى

قوله والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته قبل القطع ومنه قول زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري والفري القطع يعني ما تقدره او تدبره او تصوره تتمه ولا تدعه مهملا ولا عزيمة بخلاف غيرك قال الحجاج ما خلقت الا فريت ولا وعدت الا وفيت ويقال فلان خلق لكذا اي مومي بقدر فيه ذكره في الاية اشارة الى انه تعالى يوجد الاشياء بالقصد والاقتدار لا بطريق الايجاب والمشهور في كتب التفسير ان الخلق ابداع شيء لم يسبق اليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتديه اولا على غير مثال سبق اليه والذي ذكره المصنف لاشتماله ذكره لجواز ان يكون على تقدير واستواء ويكون ابداع شيء لم يسبق اليه الا ان ما ذكره المصنف بيان للاشتقاق اللغوي ومعنى الآية ان الله احتج على الناس بانه خالقهم وخالق من قبلهم لان الكافرين ايضا كانوا مقرين بذلك لقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فقيل لهم اذ كنتم معترفين بان الله خالقكم فاعبدوه فان عبادة الخالق اولى من عبادة المخلوق قال الامام الفائدة في قوله الذي خلقكم ان العبادة لا تستحق الا لذلك فلا الزم العبادة بين ما لاجله يلزم العبادة فان قيل ما الفائدة في قوله والذين من قبلكم وخلق الذين من قبلهم لا يقتضي وجوب العبادة عليهم قلنا الجواب من وجهين الاول ان الامر وان كان على ما ذكرت ولكن علمهم بانه تعالى خلقهم كعلمهم بانه تعالى خلق من قبلهم لان طريقة العلم بذلك واحدة الثاني ان من قبلهم كالاصول لهم وخلق الاصول يجري مجرى الانعام على الفروع وكانه تعالى يذكر عظيم انعامه عليهم فكانه قيل لا تظن اني انما انعمت عليك حين وجدت بل كنت منعما عليك قبل ان وجدت بالوف سنين بسبب انى كنت خالقا لاصولك ولابائك وقراءة ابن السميفع بتكرير خلق وحذف الذين ووضع من الموصول مكانه قراءة شاذة والسميفع بفتح السين والميم وفي بعض النسخ بضم السين وفتح الميم وكذا قراءة زيد بوضع من الموصول مكان من الجارة شاذة وهي قراءة هكذا لما فيها من الجمع بين الموصولين وليس فيها الا صلة واحدة ثم شبهها المصنف بقول جرير يا تيم تيم عدي لا ابا لكم لا يلقينكم في سوءة عمر تقريضه تيم لي عهدا لا يهجوها كما تعرض لاست الخارئ الحجر قوله لا ابا لكم دعاء عليهم وهو كلمة ذم تنقل عن الميداني انه اذا قيل لا ابا لكم فلم يترك من الشتيمة شيء وقال بعضهم لا ابا لك دعاء للشخص بكونه محسودا ثم خرج مخرج التمدح قوله لا يلقينكم من القيته اذا طرحته ورميته قيل كان عمر بن لجا التيمي اراد ان يهجو جريرا فخاطب جرير قبيلته تيم وقال لهم لا تتركوا عمر ان يقول شعرا في هجوي فيصيبكم شري ومكري بسبب هجوه في البيت الثاني هجا جرير بنفسه اقبح هجو لانه شبهه نكته باست الخارئ قوله تيما الثاني مفعول اقحم والاقحام ادخال شيء في شيء بشدة وكراهة واعلم ان مذهب سيبويه ان ابا في لا ابا لك مضاف واللام للتاكيد للاضافة وعند كثير من النحويين اصله لا اب لك فاشبعت المضاف والحق الالف نقل عن المصنف انه قال فان قيل بايهم كلام مفيد بنفسه فجاز وقوع تيم الثاني تاكيدا للاول بخلاف والذين في الاية فانه غير مفيد فكيف يجوز تاكيده فالجواب ان الذين مفيد ايضا فائدة الاشارة وان كان المشار اليه مبهما ولهذا رجع الضمير اليه والضمير انما يرجع الى المفيد فانك تقول عرفت الذي فعله

هلا قيل لما جعل المصنف قوله لعلكم تتقون متعلقا بقوله اعبدوا اورد سؤالا وهو انه كان المناسب ان تعالى اعبدوا ربكم الذي خلقكم لعلكم تعبدون او ان
او ان تعالى اتقوا ربكم الذي خلقكم لعلكم تتقون لتكون المعنى اعبدوا الله الذي خلقكم لاجل العبادة او اتقوا الله الذي خلقكم لاجل التقوى يعني لما
خلقكم لاجل العبادة فعليكم ان تعبدوه او لما خلقكم لاجل التقوى فعليكم ان تتقوا فطرف الكلام اعني اوله وآخره متناسبين ولا تناسب ان تعالى
اعبدوا الله الذي خلقكم لاجل التقوى بل يكون طرفا التركيب متنافرين لان خلقهم لامر لا يقتضي الاتيان بامر آخر واجاب المصنف بان المذكور في القرآن
المجيد ابلغ مما ذكرت لان التقوى اقصى غايات العبادة فكانه قال اعبدوا الذي خلقكم لاقصى غايات العبادة وتعال فصاراك ان تفعل اكثر بالكم و
قصاراك ان تفعل ذا كالقح وقصراك ان تفعل كذا اي غايتك وآخر امرك وما اقتصرت عليه الخريطة وعاء من ادم وغيره يشرج
على ما فيها تعالى اخرطت الخريطة اي اشرجتها وشرج العيبة
نقيح الرآة عرا ها شرجت العيبة اي ادخلت بعض اشراجها
تعالى اطل اي اطاف الجبل واظل اي اوقع الظل قال ابو بكر رم اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله برأيي

هم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين
ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب
ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار **فان قلت** كما خلق المخاطبين
الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت** لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا **فان قلت** فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان
تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم و
انما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على
اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول
لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك
الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول
النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض
التي لابد لهم منها وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة
المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة و
المظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار
رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها
فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها
لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لابد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوق قات
له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا
كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ
يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون
عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت** هل فيه دليل
على ان الارض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش
وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع
جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول

٣ الاثر من تلك القوى التي خلقها الله الجواب لا شك انه لولا القوى لا بد من الصانع الحكيم
واما التفصيل فنقول لا شك انه قادر على خلق هذه الثمار ابتداء من غير هذه الوسائط
لان الثمر لا معنى لها الا الاجسام قام بها طعم ولون ورائحة ورطوبة والجسم قابل لهذه الصفات
وهذه الصفات مقدورة الله ابتداء لان المصحح للمقدورية اما الحدوث و
اما الامكان واما هما وعلى التقديرات فانه يلزم ان يكون الله قادرا على
خلق هذه الاعراض في الجسم ابتداء بدون هذه الوسائط ومما يؤكد
هذا الدليل العقلي من الدلائل النقلية ما ورد في الخبر انه تعالى يخلق نعيم
اهل الجنة للمثابين من غير هذه الوسائط الا انا نقول قدرته على
خلقها ابتداء الاثنا في قدرته على خلقها بواسطة خلق هذه القوى المودعة
والعالم في الاجسام وظاهر قول المتأخرين من المتكلمين انكار ذلك ولا ينفعهم ذلك

والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم
ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات
بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته **قلت** المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل
في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد
ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها
لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم
قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة
قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد
قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون
بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات
ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت** فبم
انتصب رزقا **قلت** ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا
لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه
وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره
قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها
موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء وتعضد الوجه الاول قراءة محمد بن
السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو
مفعول به كانه قيل رزقا اياكم **فان قلت** بم تعلق فلا تجعلوا **قلت** فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق
بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند
ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي
جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية
فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند
ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما

يعظم يوم من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت** لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون **قلت** معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل فعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل ووقوع الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد **فان قلت** وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل **قلت** معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظيره هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير

قوله وهذا يعني هذا القول اعني ادعوا شهداءكم بالمعنى المذكور من باب المساهلة والمجاراة في الكلام
مع الخصم في مقام لا نزاع فيه ليتحقق الزامه حيث اريد الزامه تعالى ارخيت الستر وغيره اذا ارسلته وارخاء
العنان ان يخلى الفرس وشهوته في العدو وغير متعلق قوله درئت عن القوم اي دفعت عنهم والمدره
زعيم القوم والمتكلم عنهم والجمع المداره كانه بفصاحته يدفع الخصم قيل اصل ميمه مدرأ قلبت الهمزة هاء نحو
هراق وهو المذكور في الصحاح وفي المجمل يدل على ان الهاء اصل والمشاهد جمع المشهد وهو محضر الناس ووجوه
المشاهد اشراف المجالس اما من قولهم وجه صار وجيها او من الوجه بمعنى مستقبل كل شيء اي ما يلي ويقابل منه
لانهم في صدر المجالس واذا افتضت المجالس رايتهم يجالسك في اوائل المجالس قوله تجمح الجموح والجماح هو ان يركب
الفرس رأسه لا يثنيه شيء وجمح براكبه غلبه وهو جموح وجامح الذكر والانثى فيهما سواء والانف بالف يقول
باب علم يعلم انفا وانفة اي استنكف وفي قوله تجمح بهم الانسانية والانفة اشارة الى ان عصبيتهم تقتضي
ان يشهدوا لكن الانسانية والاستنكاف عن الكذب يمنعهم من ذلك

40

بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث
في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه الا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى
وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان
الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا
من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم
كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم
لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء
بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي
في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من
واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم تنلك لم ينلك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان
علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة
انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي
لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان
شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع
وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة
المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا
من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن
اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى
عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير

وقولهم الله يشهد انا لصادقون، وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة. وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة. وادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية. فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب. وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله. **فان قلت** انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك. **قلت** فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام. والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به. **فان قلت** لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه. **قلت** لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت. والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله. **فان قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لانها جملة اعتراضية. **فان قلت** ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم. وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل. **فان قلت** من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة. **قلت** لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به

قوله لا محل لها لانها جملة اعتراضية اعلم ان المفسرين اختلفوا في قوله ولن تفعلوا فبعضهم يقول هو عطف على قوله لم تفعلوا ويقول معنى الآية فان لم تفعلوا معارضته بمثل القرآن فيما مضى من الزمان ولن تفعلوا ايضا فيما يستقبل فاتقوا النار فيكون على هذا لن تفعلوا من تمام الشرط ويكون واوها عاطفة وبعضهم يقول هو جملة معترضة بين الشرط وجوابه وواوها استينافية ولا محل لها من الاعراب لان الجملة انما تعرب محلا اذا وقعت موقع المفرد لان اصل الاعراب للاسم المتمكن ولم تقع هذا موقعه ولا هي مستحقة للاعراب في نفسها وتقدير الآية على هذا فان لم تفعلوا فاتقوا النار ثم اعترض بين الشرط والجزاء بقوله ولن تفعلوا بمعنى انكم لن تقدروا على الاتيان بمثله البتة لانه معجز من عند الله ولكن هذا القول قيل معكم قبل تاملكم بطول المجاراة في الكلام ونحن عالمون بانكم وجميع الخلائق عاجزون عن الاتيان بمثله قوله وهي عند الخليل زعم الخليل ان اصل لن لا ان ولذلك تنصب الفعل الا انها خففت لكثرة دورها كما خفف ويلمه وايش تقول قال ابو علي والقول فيه انه كان اي شيء فخففتا الهمزة والفتحة كما هي الكسرة على الياء وكثر الكلام بها فكره تحركة الياء بالكسر فاسكنت والتقت مع التنوين وكل واحد منهما ساكن فحذفت الياء لالتقاء الساكنين فاذا وقفت عليها قلت ايش فاسكنت ومنهم من ابدل التنوين تاء فقال ايشت قوله لانهم لو عارضوه ظاهر الحال يقتضي ان يكون جواب قوله من اين لك بقوله من انهم لو عارضوه لكنه حمل على المعنى لان قولك من اين لك لسؤال آخره في قوة قولك لم قلت انه اخبار فاجيب بقوله لانهم الى آخره اي لو عارضوا القرآن بشيء مما يكون في فصاحة القرآن او قريبا منه وترك المصنف هذا القيد لانه لا يتحقق المعارضة الا اذا كان على هذا الوجه فان ما لا يكون في قوة الشيء قريبا منه ولا يكون معارضا له قوله لم يمتنع ان يتواصفه الناس جواب لو اي لوصل الينا ولاشتهر بين الناس ولم يبق في حيز الامتناع لتوفر دواعي اعداء الدين مع كثرتهم على نقل ذلك الشيء ولما لم ينقل وبقي على عدمه في حيز الامتناع علم انه لم يوجد والمراد بالامتناع هنا اعم من الامتناع بالذات والامتناع بالغير فان ما لم يوجد لا بد ان يكون ممتنعا اما بالذات او بالغير والضمير المنصوب من يتواصفه ويتناقلوه عائد الى شيء وبما ذكرنا يندفع سوال يمكن ان يورد هنا وهو ان يقال المراد من الكلام انهم لو عارضوه لشيء لاشتهر ذلك الشيء لان الناس ينقلونه وقول المصنف لم يمتنع الى آخره لا يدل عليه لانه لا يلزم من عدم الامتناع الوقوع وذلك بان يقول ما لا يمتنع لا بذاته ولا بغيره لا بد ان يصير واقعا لانه لو لم يكن واقعا لكان ممتنعا اما بذاته او بغيره بالضرورة قوله اذ متعلق بقوله لم يمتنع ظرف له فيه معنى التعليل لما عرفت ان قولك لم يمتنع في معنى لصار مشهورا ولم يبق في حيز الامتناع والضمير من قوله مثله يجوز ان يكون عائدا الى القرآن ويكون المراد مثل القرآن الكلام الذي كانوا عارضوا القرآن بذلك الكلام ويجوز ان يكون عائدا الى شيء وهو الشيء الذي عارضوا به القرآن ويكون لفظ مثل مستعملا بطريق الكناية ويراد به ذلك الشيء لا امثاله كما في قولك مثلك لا يبخل كذا اي انت لا تبخل ونظيره قولك غير كسلا تجود بمعنى انت تجود من غير ارادة التعريض بلفظ المثل والغير على اساس يقصد اليهما قوله فيما عليه مبنى العادة حال من مثله اي مستقرا فيما عليه والمراد بما عليه مبنى العادة من اشتهار ما يتوفر الدواعي على نقله فان اشتهار ما يتوفر الدواعي على نقله مما هي عليه العادة ثم ان اشتهار ما يتوفر الدواعي على نقله حكم ثابت لقوله مثله ولا شيئا آخر واذا كان كذلك صح جعله حالا عنه بتقدير مستقرا على ما بينا قوله والطاعنون حال بعد بين خفاء مثله محال في جميع الاحوال خاصة في هذه الحال وهو ان الطاعنين في القرآن اكثر من الدافعين عنه والذب المنع والدفع قوله

وكان معجزة **فان قلت** ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله **قلت** انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فاطيعونى واتبعوا امرى وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه فى صورته مشتعادا لك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمدانى بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اى ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته **فان قلت** صلة الذى والتى يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة **فان قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة فى سورة التحريم وههنا معرفة **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا **فان قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة **قلت** معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها **فان قلت** انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هى نيران شتى منها نيران توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فان قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا **قلت** لانهم قرنوا بها انفسهم فى الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله فى معنى الناس والحجارة وحصب جهنم فى معنى وقودها ولما اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم واغراقا فى تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هى حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعانى التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

من عادته عز وعلا فى كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصى وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب **فان قلت** من المامور بقوله وبشر **قلت** يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به **فان قلت** علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه **قلت** ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم وفى قراءة زيد بن على رضى الله عنهما وبشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سروره بخبره

دون الباقين ولو قال مكان بشرنى اخبرنى عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد
وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به
الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك
ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتينى والصالحات كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد
وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به
وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به
بعضه لا الى الواحد لان وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسية والجمعية
فى جمل الجنس لا فى وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال
الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف والجنة البستان من النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقى بها جنة سحقا اى نخلا طوالا والتركيب
دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره
كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت
الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف فى ذلك والذى يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى حواء
وآدم الجنة وبمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبى والرسول والكتاب
ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة
على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فان قلت اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر و
الاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت
لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول
ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه
لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم
لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جرى الانهار

من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى
غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا
ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شئ واحسنه
لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس
الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر
الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من
صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر
دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى
الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكر الجنات
وعرف الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان
بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب او يراد
انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى
الانهار المذكورة فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا
لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات
لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه
الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اى اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها
الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك
فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اى ثمرة كانت من تفاحها او
رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد
ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقنى فلان فيقال
لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا
جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس
المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار
ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح
ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذى رزقنا من قبل

وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي
رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه
لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق
في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين و
نظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا
على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تتشابه
ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى
المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف
له به عهد وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد
بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار
الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين
موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن
حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم
الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك
الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو
الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها
امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر
ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه
من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدكم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى
فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت
كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل

ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك
من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض
والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس
الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه من اعراق السوء و
المناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا
جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات و
فواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت
نصب القدور فملت والمعنى جماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما مطهرات وقرأ عبيد بن
عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به
تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار
بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم و
الخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في
العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما
بعوضة فما فوقها سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء
من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب
وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره
الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف
تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة
التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف
والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر
ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق
للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه وليبين ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف

والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة
بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه
عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين
في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش
الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا منها بأحقر
الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة
وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل
بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء
وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له
متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار
المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذ لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب
والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية
والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل
كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس
القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء من كذا ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء
وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فإن قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير و
الخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع
إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد و
أنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحيي
أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة
فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب
على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار
قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك
وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار

وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب
منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه إذا ما استحين الماء
يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من
ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه إبهامية
وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان
أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا إذا
نصبت بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في
تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من
تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله
البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن الله أن يتمثل للأنداد و
حقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه في صغره
إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به قوله تعالى
إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب
للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا
الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة
عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض وأنشد لنعم البيت بيت أبي دثار إذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه و
البعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها
وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس و
أنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرف فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم
كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك
وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فيقال فلان بخيل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه
تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين
ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون

فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن يذهب فقالت لا تضحكوا إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة
يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط فإن
قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فإن جناح
البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً في الدنيا وفي خلق الله
حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد
إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان
من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل
في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما
لا يعلمون وأنشد لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل ويرى عروق نياطها في
نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول فأما الذين
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً
وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب
فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب
ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيداً
وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون
إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة
الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك
وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان أن تكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي فتكون كلمتين وأن
تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسماً واحداً فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء
وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء
على الأول مرفوعاً وعلى الثاني منصوباً ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال
ما رأيت خير أي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيراً أي رأيت خيراً وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا
ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء

إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالاً لأجلها يقع منه الفعل
على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو
أمر زائد على كونه عالماً غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى
إرادته لأفعال غيره أنه آمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال
واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجباً لابن عمرو هذا ومثلاً نصب على التمييز كقولك
لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جواباً ولمن حمل سلاحاً ردياً كيف تنتفع بهذا سلاحاً أو على الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين
به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم و
أن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطاً في ظلمائهم فإن قلت لم وصف المهديون
بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس
أخبر تقله قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل
الضلال وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً
إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل
إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه
الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك
رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت
القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج عن
القصد قال رؤبة فواسقاً عن قصدها جوائراً والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة و
هو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل
بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى
عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له
شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة
وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين
هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون

فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا نزحت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع العالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعة للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصرهم اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت

ما الامر قلت هو طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثلها في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر وردفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه القصة باولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال

في جمع ميّت **فان قلت** كيف قيل لهم امواتٌ في حال كونهم جمادًا وانما يقال ميّت فيما تصح فيه الحياة من البنى

قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون
استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس **فان قلت** ما المراد بالاحياء الثاني **قلت** يجوز ان
يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء **فان قلت**
لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم **قلت** لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ و
اما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا
وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور **فان قلت**
من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها **قلت** لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على
نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر **قلت** يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات
من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم فاما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر
فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها و
عقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب و
المناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع و
الاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع
بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها
فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة **قلت** ان اراد
بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء
وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اى قصد
اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد
بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات
تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور

او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على
حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم **فان قلت** ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه
معنى التراخي والمهلة **قلت** ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا
للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به
لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اى في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر **فان**
قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها **قلت** لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء
واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله
كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل
كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتانيث الجمع واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ٣٠
وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه
مصيّر في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها
آدم وذريته **فان قلت** فهلا قيل خلائف او خلفاء **قلت** اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه
كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ
خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة
في الارض **فان قلت** لاي غرض اخبرهم بذلك **قلت** ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته
في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في
امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا
الخير **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب **قلت** عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح
او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا
احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء
ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان
والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها

وأبعد وبحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف
لم نتمكن من عبادتك أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فإن قلت هلا بين لهم تلك
المصالح قلت كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه
قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء**
إن كنتم صادقين واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس
وإبليس من الإبلاس وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه
ذلك الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له
من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس فإن قلت هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء قلت لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبئوني بأسماء
هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فلما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم
وجب تعليق التعليم بها فإن قلت فما معنى تعليم أسماء المسميات قلت أراه الأجناس التي خلقها وعلمه
أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
ثم عرضهم أي عرض المسميات وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء
على سبيل التبكيت إن كنتم صادقين يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة
للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا
فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إني أعلم ما لا تعلمون وقوله ألم أقل لكم
إني أعلم غيب السماوات والأرض استحضار لقوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك و
أشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن
أو مسمياتها لأن العرض لا يصح في الأسماء **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم**
أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون و
ما كنتم تكتمون وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة
كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه وقرأ أبو جعفر
للملائكة اسجدوا بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم
الحمد لله إلا إبليس استثناء متصل لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في

قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعا أبى امتنع مما أمر به واستكبر عنه وكان
من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه **وقلنا يا آدم اسكن**
أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار وأنت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف
للمصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما أطلق لهما الأكل من
الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة
للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر وكانت
الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين
والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين
من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهي **فأزلهما الشيطان**
عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين
الضمير في عنها للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها في قوله وما فعلته عن أمري وقوله ينهون عن أكل وعن شرب وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها
وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فأزالهما مما كانا فيه
من النعيم والكرامة أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها
وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها فإن قلت كيف توصل إلى إزلالهما
ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم قلت يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة
كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما
وقيل قام عند الباب فنادى وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم
لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد
هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم
لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض
مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع وتمتع بالعيش إلى حين يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم

معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به **فان قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **فان قلت** لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى **فان قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداى **فان قلت** فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها و يعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه

...ونهيكم عنه من المعاصي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة وهو الذي حكاه الضحاك عن ابن عباس ووجه تسميته عهدا ما جاء في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وهذا القول هو الذي اشار اليه المصنف ... ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون

الباء في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى

الجمع اى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق
قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم فى التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان
يقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفى مصحف عبد الله
وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح
ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين واقيموا الصلوة يعنى صلوة
المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يلزمهم فى دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين
يعنى فى الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير ومنه
البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من
اقاربهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغنى ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم
قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون
انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعنى تتلون
التوراة وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ
عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم فى ذلك مسلوبوا
العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر
والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اى بالجمع بينهما وان تصلوا
صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس
ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدى
جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او
واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعى اليه اخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع
وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر

والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة
الدعاء وان يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله فى دفعه وانها الضمير للصلوة
او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التى امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتى التى الى
واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع فى نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على
متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون
فيه وفى مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر
يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين
والمرائين باعمالهم ومثله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة
ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا و
الخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها اذا لينته يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين وانى فضلتكم نصب
عطف على نعمتى اى اذكروا نعمتى وتفضيلى على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال
رأيت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
يوما يريد يوم القيامة لا تجزى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا
تجزى عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون فى موضع مصدر اى قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا
ومن قرأ لا تجزى من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون فى قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار
الغنوى لا تجزى نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها
الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزى فيه ونحوه ما انشده ابو على تروحى اجدر ان تقيلى
اى ما اجدر بان تقيلى فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف
الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من
الاشياء وهو الاقناط الكلى القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل
اى فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اى توبة ولا فدية وقرأ
قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت

اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأيسوا **فان قلت** هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة
قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها
لا تقبل للعصاة **فان قلت** الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع **قلت** الى الثانية العاصية غير
المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز
ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ
منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما
تقول ثلاثة انفس آل اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان
كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى
لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد
في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم**
يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف
فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال
اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كأنه قبحه
بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرأ
الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان
الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان
ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم و**
اغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق
بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط **فان قلت** ما معنى بكم **قلت**
فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط
بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس
بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم
قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي
اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي و
وعد المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من
بعد ذلك من بعد ارتكابكم في الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل **لعلكم تشكرون** ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين
الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد
آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان
الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان
انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر من قوله **واذ قال موسى**
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم
انه هو التواب الرحيم فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان
يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة
وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم
اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا
موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار
من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **فان قلت** ما الفرق بين الفاءات **قلت** الاولى للتسبيب لا غير لان
الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم
قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة
متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب
عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم
بارئكم **فان قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع
لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت
والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط
الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك

وغبطوها بعبادة من لم يقدر على شيء قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤية الله مما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسّها فخرّوا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المنّ وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على إرادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** القرية بيت المقدس وقيل أريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى فالأصل صبرا على صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن تنصب

اعلم ان ظاهر قوله تعالى لا جناح عليه لا اثم عليه والذي يصدق عليه انه لا اثم في فعله يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح ثم انه يمتاز كل واحد من هذا الثلث عن الآخر بقيد زائد فاذا ظاهر الآية لا يدل
على ان السعي بين الصفا والمروة واجب او ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام لا دلالة فيه على خصوصية قسم من تلك الاقسام فاذا لا بد في معرفة انه واجب او غير واجب الى دليل منفصل اذا عرفت
هذا فنقول مذهب الشافعي ان السعي ركن ولا يقوم الدم مقامه وعند ابي حنيفة ليس بركن ويقوم الدم مقامه حجة الشافعي رض ما روي انه عليه السلام قال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا فان قيل هذا الحديث
متروك الظاهر لانه يقتضي وجوب السعي وهو العدو وذلك غير واجب قلنا لا نسلم ان السعي عبارة عن العدو بدليل قوله فاسعوا الى ذكر الله والعدو فيه غير واجب وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى و
المراد الجد والاجتهاد سلمنا انه يدل على العدو لكن العدو مستحب مع صفة ترك العمل في حق هذه الصفة فيبقى اصل المشي واجبا واحتج ابو حنيفة رض بهذه الآية فانه تعالى قال لا جناح في الواجبات
ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب والجواب من وجوه الاول انا بينا ان ليس في قوله لا جناح دلالة على الوجوب والذي يحقق ذلك قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلوة ان خفتم والقصر عند ابي حنيفة واجب مع انه قال فيه فليس عليكم جناح فكذا ههنا الثاني قال ابن عباس رض كان على الصفا صنم وعلى المروة صنم وكان اهل الجاهلية يطوفون بهما فكره المسلمون الطواف
بينهما لاجل الصنم فانزل الله هذه الآية اذا عرفت هذا فنقول انصرف الاباحة الى وجود الصنم حال الطواف لا الى نفس الطواف كما لو كان في الثوب نجاسة يسيرة عندكم ودم البراغيث عندنا
فقيل لا جناح عليكم ان تصلوا فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة هكذا ذكره الامام وفيه بحث والصواب ان يقال لما ظنوا الجناح من تلك الجهة بين ان ليس فيه جناح
من تلك الجهة ووجوبه علم من دليل آخر الثالث روي عن عروة انه قال لعائشة رضي الله عنها اني ارى ان لا حرج علي ان لا اطوف بهما فقالت بئس ما قلت لو كان كذلك لكان فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ثم
حكي ما تقدم من الصنم ونفس عائشة راجح على تفسير التابعين فان قيل قرأ ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما قلنا القراءة الشاذة لا يجوز اعتبارها في القرآن لان تصحيحه يقدح في كون
القرآن متواترا واما التمسك بقوله فمن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا آخر وقوله تعالى و
على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم قال فمن تطوع خيرا فهو خير له فاوجب عليهم الطعام ثم ندبهم الى التطوع بالخير فكان المعنى فمن تطوع وزاد على طعام مسكين كان خيرا فكذا ههنا يحتمل ان
يكون هذا التطوع مصروفا الى شيء آخر وهو من وجوه احدها انه يريد في الطواف فيطوف اكثر من الطواف الواجب بان يطوف ثمانية او اكثر والثاني ان يتطوع بعد حج الفرض وعمرته بالحج والعمرة مرة
اخرى حتى طاف بالصفا والمروة تطوعا والثالث قال الحسن المراد جميع الطاعات وهذا اولى لانه اوفق لعموم اللفظ وقال ابو مسلم تطوع يتفعل من الطاعة وسواء قال القائل تطوع
وطاع كما يقال حار وتحول وقار وتقول وصاف وتصيف والطوع هو الانقياد والتطوع ما ترغب فيه من ذات نفسك مما لا يجب عليك قوله شاكر الشاكر في اللغة هو المظهر
للانعام عليه وذلك في حق الله محال فالشاكر في حقه مجاز ومعناه المجازي على الطاعة وانما سمي المجازاة على الطاعة شكرا لوجوه الاول ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مبالغة
في الاحسان اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فكانه قال من ذا الذي يعمل عمل المقرض لياخذ اضعاف ما اعطى والثاني ان الشكر لما كان مقابلا للانعام وكالجزاء عليه سمي كل
ما كان جزاء شكرا على سبيل التشبيه الثالث كانه قال انا وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من القبول بحيث لو صح علي ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل وبالجملة فالمقصود
بيان ان طاعة العبد مقبولة عند الله وواقعة موقع القبول في اقصى الدرجات وقوله عليم اي يعلم قدر الجزاء فلا يبخس المستحق حقه لانه تعالى عالم بقدره وعالم بما يزيد عليه من
التفضل وهو اللائق بالكلام ليكون لقوله عليم تعلق بقوله شاكر ويحتمل انه يريد انه عالم بما يأتي العبد فيقوم بحقه من العبادة والاخلاص وبما يفعله لا على هذا الحد وذلك ترغيب اذا ما يجب
على شروطه وتحذير من خلاف ذلك قوله ومن تطوع قرأ ابن كثير وعاصم ونافع وابو عمرو وابن عامر ومن تطوع خيرا بالتاء المعجمة من فوق ونصب العين في الموضعين جميعا وقرأ حمزة والكسائي
يطوع في الموضعين اختيار يطوع امر آخر ان يكون موضعه جزما والآخر ان لا يكون له موضع فاما الوجه الذي يكون فيه تطوع في موضع جزم فان يجعل من للجزاء ويكون الفاء مع ما بعدها ايضا
في موضع جزم لوقوعهما موقع الفعل المجزوم الذي هو جزاء وتطوع ماض ومعناه المستقبل واما الوجه الذي لا يكون تطوع فيه في موضع فهو ان يجعل من موصولا والفاء على هذا مع ما بعدها في
موضع خبر المبتدأ واما من قرأ يطوع ماليا والجزم فتقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في الطاء وهذا احسن لان المعنى على الاستقبال والشرط والجزاء الاحسن فيهما الاستقبال
ليكون اللفظ موافقا للمعنى قوله من البينات المراد كل ما انزل على الانبياء كتابا ووحيا وزاد له العقول وقوله والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لما مر في تفسير قوله هدى
للمتقين الهدى عبارة عن الدلالة فيعم الكل فان قيل فقد قال والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فعاد الى الوجه الاول قلنا الاول هو المنزل والثاني ما تضمنه المنزل من الفوائد وعلم
ان الكتاب لما دل على ان خبر الواحد والاجماع والقياس حجة فكلما دل عليه احد هذه الامور فقد دل عليه الكتاب فكان كتمانه داخلا تحت الآية فثبت انه تعالى اوعد على كتمان الدلائل السمعية و
العقلية وجمع بين الامرين في الوعيد فهذه الآية تدل على ان من امكنه بيان اصول الدين بالدلائل العقلية لمن كان محتاجا اليها ثم تركها او كتم شيئا من احكام الشرع مع شدة الحاجة
اليه فقد لحقه الوعيد العظيم وبالجملة يدل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته ونظير هذه الآية قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقوله تعالى ان الذين يكتمون الآية فهذه كلها موجبة لاظهار علوم الدين وتبيينه للناس زاجرة عن كتمانها ونظيره في بيان العلم وان لم يكن فيه ذكر الوعيد
لكنه قوله فلولا نفر من كل فرقة الآية وروي انه عليه السلام قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار واحتج العلماء بهذه الآية على انه لا يجوز اخذ الاجرة على تعليم العلوم الدينية لان
الآية لما دلت على وجوب ذلك التعليم كان اخذ الاجرة عليه اخذا للاجرة على اداء الواجب وانه غير جائز قوله للناس قيل لبني اسرائيل في الكتاب اي في التوراة وهذا عند من يجعل
الآية خاصة باليهود واما من يجعلها عامة فالمراد بالناس العموم وكذا الكتاب قوله تعالى اولئك يلعنهم الله اللعن في اللغة الابعاد وفي الشرع الابعاد من الثواب قوله ويلعنهم
اللاعنون قال الامام يجب ان يحمل على من للعنه تاثير وقد اتفقوا على ان الملائكة والانبياء والصالحين كذلك فهم داخلون تحت هذا العموم لا محالة ويؤكده قوله ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين والعلماء ذكروا وجوها آخر احدها ان اللاعنين هم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر بمعاصي ابن آدم عن مجاهد وعكرمة
وانما قال اللاعنون ولم يقل اللاعنات لانه تعالى وصفها بصفة من يعقل فجمعها جمع من يعقل كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وثانيها كل شيء سوى الجن والانس قال قيل كيف
يصح اللعن من البهائم والجمادات قلنا على وجهين احدهما على سبيل المبالغة وهو انها لو كانت عاقلة لكانت تلعنهم والثاني انها في الآخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك
في الدنيا ومات عليها وثالثها ان اهل النار يلعنونهم ايضا حين كتموا الدين فهو على العموم ورابعها قال ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق فان لم يكن مستحقا
رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله وخامسها عن ابن عباس ان لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلائق قال وذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسأل ما دينك ومن نبيك ومن ربك فيقول ما ادري
فيضرب ضربة يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع شيء صوتها الا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت كذلك كنت في الدنيا وسادسها قال ابو مسلم اللاعنون هم الذين آمنوا به ومعنى اللعن
منهم مباعدة الملعون ومشاقته ومخالفته مع السخط عليه والبراءة منه قوله الا الذين تابوا اعلم انه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما انزل الله كان يجوز ان يتوهم ان الوعيد
يلحقهم على كل حال فبين انهم اذا تابوا تغير حكمهم ودخلوا في اهل الوعد وقد ذكرنا ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض آخر لان من ترك رد الوديعة ثم ندم عليه
لاجل ان الناس ذموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا وكذلك لو عزم على رد كل وديعة والقيام بكل واجب لكي تقبل شهادته او يمدح بالثناء عليه لم يكن تائبا وهذا معنى الاخلاص في التوبة
ثم بين تعالى انه لا بد له بعد التوبة من اصلاح ما افسده مما يتعلق به كما حاله وهو الذي اورده المصنف ومما افسد على غيره مثلا لو افسد على غيره دينه بايراد شبهة عليه يلزمه ازالة
تلك الشبهة ثم بين ثالثا انه بعد ذلك يجب عليه فعل ضد الكتمان وهو البيان وهو المراد بقوله وبينوا وفسره المصنف بوجه آخر بينوا ما كتموه مما بينه الله تعالى في كتابهم وما ان يبينوا
للناس حالهم انهم ما هم من كتمانهم ثم ذكر المصنف للوجه الثاني فائدتين الاولى ان يزول عنهم سمة الكفر وسنته اظهار الايمان والثانية ان يقتدي بهم غيرهم من المفسدين فيتوبوا ويصلحوا ه

[illegible]

قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الآية قال الامام اعلم انه تعالى لما حكم بالوحدانية والفردانية ذكر ثمانية انواع من الدلائل التي يمكن ان يستدل بها على وجوده سبحانه وتعالى اولا
وعلى توحيده وبراءته من الاضداد ثانيا ثم قال ذكر ابن جرير في سبب نزول هذه الآية عن عطاء ان النبي صلعم عند قدوم المدينة نزل عليه والهكم اله واحد فقال كفار قريش بمكة
كيف يسع الناس اله واحد فانزل الله ان في خلق السموات والارض وعن سعيد بن مسروق قال سالت قريش اليهود فقالوا حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات فحدثوهم بالعصا واليد
البيضاء وسالوا النصارى عن ذلك فحدثوهم بابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فقالت قريش عند ذلك للنبي صلعم ادع الله ان يجعل لنا الصفا ذهبا فنزداد يقينا ونتقوى على عدونا
فسال ذلك ربه فاوحى ان اعطيهم ولكن ان كذبوا بعد ذلك عذبتهم عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عليه السلام ذرني وقومي ادعوهم يوما بيوم فانزل الله هذه الآية مبينا لهم انهم
ان كانوا يريدون ان اجعل لهم الصفا ذهبا ليزدادوا يقينا فخلق السموات والارض وسائر ما ذكر اعظم فعلمهم الله بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده
ورغبهم الى التفكر في آياته والنظر في مصنوعاته فدلت هذه الآية على انه لا بد من الاستدلال على وجود الصانع بالدلائل العقلية وان التقليد ليس طريقا البتة الى تحصيل هذا
الغرض النوع الاول من الدلائل المذكور ههنا خلق السموات قال ابو مسلم اصل الخلق التقدير وصار اسما لافعال الله لما كان جميعها صوابا قال تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا و
يقول الناس لكل امر محكم هو معمول على تقدير قال المفسرون جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير الاخرى ووحد الارض لانها كلها تراب ودلت على ختلاف اجناس
الافلاك ما قال اهل الرصد من ظلمة القمر وهو في الفلك الاول وصفرة عطارد وهو في الفلك الثاني وبياض الزهرة وهو في الفلك الثالث وضوء الشمس وهي في الفلك الرابع وحمرة المريخ
وهو في الفلك الخامس ودرية المشتري وهو في الفلك السادس وكمودة زحل وهو في الفلك السابع وان الكواكب الثابتة هي في الفلك الثامن وان الفلك التاسع هو الفلك الاعظم
والعرش المجيد ليس فيه شيء من الكواكب فالله تعالى اقام البراهين الظاهرة والدلائل القاطعة على اسمه ووحدانيته وعلمه وحكمته وقدرته وذلك بان رفع السماء وابقى سمكها و
لولاه لاختنق الحيوان بالغبار والدخان وجعلها سقفا محفوظا من الآفات والانهدام الى قيام الساعة وزينها بالاضواء والمصابيح وجعلها متحركة وحرك فيها النجوم
والكواكب والشمس والقمر وجعل لها مشارق ومغارب فاختصاصها بهذه الاغراض دل على حدوثها وحدوثها دل على ان لها محدثا فان هذا الترتيب العجيب تركيب هذه الكواكب
الافلاك واسلاف حركاتها اترى انه حصل من غير فاعل او جاء ومحدث احدثه فانه مستحيل عقلا فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الآخر ثم تولد
منها لبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد منها تركيبها قصر مشيد وبناء عال فانه يقضى عليه بالجنون ونحن نعلم قطعا ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب وما لها من حركة
ليس اقل من ذلك البناء فثبت انه لا بد من صانع ثم انه اما ان يكون فعالا بما ينبغي على حكمة ام لا وهي واقعة بالجزاف والعبث ويستحيل في العقول ان تكون مدار هذه الاجرام المنتظمة
والحركات المسالمة من زمان طويل على العبث والسفه فلم يبق في العقول قسم هو الحق الا ذهاب اليه الا ان مدبرا قادرا عالما باقيا على الدهر والزمان حركها لاسرار مخفية وحكم لطيفة وهو
هو المطلع عليها وليس عندنا الا الايمان بها على الاجمال على ما قال ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ودل الخلق على هذا الوجه على العلم الكامل كما قال الا
يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ودلت سعتها وعظمها على ان صانعها واسع جواد ودل اتقانها على حكمه ودل تعلق المنافع بهما كونهما سببا للظلم والانوار واختلاف الفصول التي
تفضي الى مصالح العالم على رافته ورحمته والنوع الثاني من الدلائل المذكورة ههنا خلق الارض ذات الطول والعرض المحوية على البسائط العريضة والجبال الشاهقة والفجاج المضيقة
والمخارم المهيبة والبحار الطامية وفيها اصناف المعادن العجيبة فلا تخلو اجزاؤها من ان تكون معدنا لنوع من الانواع والى الاشارة بقوله وفي الارض قطع متجاورات و
جمع ذلك من التراب فاختلفت في الخواص والالوان والروائح والصلابة والرخاوة وصلاحها لاشياء مختلفة فمنها ما يكون ادواء وشفاء وعسولا ومادة لاتخاذ الاواني و
عدة في احكام المباني ومنها احجار كثيرة الانواع كادت تفوت الحصر حتى عد بعضهم ذلك سبعمائة نوع ومنها الاجسام السبعة يتخذ منها الحلي والامتعة ومنها المعادن نحو
القير والموميا والنفط ومنها اجناس الاشجار الغليظ لشداد الطوال والحشيش وانواع النجم واختلاف صورها وعجائبها ومنافعها قوله واختلاف ذكروا للاختلاف تفسيرين
احدهما انه افتعال من قولهم خلفه يخلفه اذا ذهب الاول وجاء الثاني فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء ومنه يقال فلان يختلف الى فلان اذا كان يذهب اليه
ويجيء من عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وكل شيء يجيء بعد شيء آخر فهو خلفه وبهذا فسر قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة والثاني اختلاف
الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان قال الكسائي يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان قال الامام وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الليل والنهار
كما يختلفان بالطول والقصر في الازمنة فهما يختلفان في الامكنة فان من يقول الارض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح وفي موضع آخر ظهر وفي موضع
ثالث عصر وفي رابع مغرب وخامس عشاء وهلم جرا هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول اما البلاد المختلفة بالعرض فكل بلد يكون عرضه الشمالي اكثر كانت ايامه الصيفية
اطول ولياليه الصيفية اقصر وايامه الشتوية بالضد من ذلك وكل بلد يكون عرضه الجنوبي اكثر فبالضد من ذلك فهذه الاحوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف
اطوال البلدان وعروضها امر مختلف عجيب وهذا هو النوع الثالث من الدلائل قال الامام وتحقيق الكلام فيه انه تعالى ان اختلاف احوال الليل والنهار يدل على الصانع من
وجوه الاول ان اختلاف الليل والنهار مرتبط بحركات الشمس وهي من الآيات العظام الثاني ما يحصل بسبب طول الايام تارة وطول الليالي اخرى من اختلاف الفصول
وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء من الآيات العظام الثالث ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة في الايام وطلب النوم والراحة في الليالي من الآيات
العظام الرابع ان كون الليل والنهار متعاونين على تحصيل مصالح الخلق مع ما بينهما من التضاد والتنافي من الآيات العظام فان مصفوف التضاد بين الشيئين ان يتنافيا
لا ان يتعاونا على سبيل المصالح الخامس ان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلائق اولا عند النفخة الاولى في الصور وتيقظهم عند طلوع الشمس يشبه بعودهم
الخلق اليهم عند النفخة الثانية وانصاف الليل بالعلى النهار فيتسلط ويذهب حتى لا يبقى من اثر النهار شيء وكذلك النهار ياتي على الليل فيسلط حتى لا يبقى من اثر الليل
شيء ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد في البدء من غير نقصان ولا تفاوت فدل على انه قادر على انشائهما اماتة واعادة وان لم يبق له اثر وهذا انضا من الآيات العظام
المنبهة على الآيات العظام السادس ان انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل فيه من الآيات العظام كانه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي
بالكدر ولا الكدر بالصافي وهو المراد بقوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا السابع ان تقدير الليل والنهار بالمقدار المعتدل الموافق للمصالح من الآيات العظام كما يتبين ان
في الموضع الذي يكون القطب على سمت الراس يكون السنة ستة اشهر فيها نهارا وستة اشهر فيها ليلا وهناك لا يتم النضج ولا يصلح لمسكن الحيوان ولا يتهيا شيء من اسباب المعيشة
وقال في المطلع الآية فيه جعل الليل لما فيه السواد البهيمة ومظنة للسكون والراحة وميقاتا للامور الخفية وانواع الخلوة والنهار سراجا ومصباحا وسببا للابصار ووسيلة الى
تحصيل المعاش ومعونة لانوار وذريعة الى الالتذاذ بالاشكال الحسنة والصور البهجة والاستدلالات بالنظر بالة البصر وفي وضع الزيادة والنقصان غاية الحكمة
فان لها في السنة استوائين ربيعا وخريفا فالاول عند تساوي الحر والبرد ثم لا يزال يزداد النهار ويزداد معه الحر الى ثلاثة اشهر ثم ينعكس الامر الى الاستواء الخريفي
فهذه الاشهر السنة مدة طول النهار وهي مدة الربيع والصيف موسم المكاسب والتقلب في التجارات لتحصيل المعاش فجعل النهار اطول معونة عليها ومن الخريف الى الربيع يكون الليل
اطول لانه وقت الفراغ لغلبة البرد وتعذر السفر والزراعة وهو مسافات السكون والراحة فجعل وقتها وهو الليل اكثر النوع الرابع من الدلائل قوله والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس والفلك يكون واحدا وجمعا فاذا اريد به الواحد ذكر قال في الفلك المشحون واذا اريد به الجمع انث كالتي في هذه الآية وما يجوز ان يكون موصولة
اي بالذي ينفعهم من ركوبها والحمل فيها للتجارات فهي تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع بما حمل اليه ويجوز ان يكون مصدرية اي بنفع الناس والدلالة التي فيها تسخير الله اياها
حتى يجرى بها على وجه الماء كما قال تعالى وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وقوفها فوق الماء مع ثقلها وكثرة وزنها وتعلق مصلحة الناس بما وراء البحر من الجواهر والاصداف
وانواع اللؤلؤ والمرجان والعنبر وما يجلب من الجزائر نحو الادوية والعقاقير والاصباغ والاطعمة وانواع الكسوة والاوبار والادهان وهدايتهم الى المقصد في البحر الذي
يجري فيه النجوم الثابتة وتسليط الحرص والقطع على الجالبين حتى خاطروا بارواحهم في جلب هذه الامتعة من المسافة البعيدة والاخطار الهائلة وقال الامام كيفية الاستدلال
بجريان الفلك في البحر على وجود الصانع تعالى وتقدسه من وجوه احدها لولا الرياح وعدم عصفها لما نفذت ولما سلمت وثانيها لولا تقويه قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض
فتصيرها الله بهذه الوجوه مصلحة للعباد وطريقا لمنافعهم وتجاراتهم وثالثها انه تعالى خص كل طرف من اطراف العالم بشيء معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك داعيا يدعوهم
الى اقتحام هذه الاخطار في هذه الاسفار ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء واحوج الكل الى الكل لما ارتكبوا لهذا السفر ورابعها تسخير الله تعالى البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان البحر اذا هاج وعظم الهول
فيه اذا ارسل الله الرياح فاضطربت امواجه وتقلبت مياهه وسادسها

ان الاودية العظام مثل جيحون وسيحون تنصب ابدا الى بحيرة خوارزم على صغرها ثم ان بحيرة خوارزم لا تزداد البتة ولا تنبذ فالحق سبحانه هو العالم بكيفية احوال هذه المياه العظيمة التي تنصب فيها وسائر مياهها ما في البحار
من الحيوانات العظيمة ثم ان الله تعالى يخلص السفن عنها ويوصلها الى سواحل السلامة وسائرها ما في البحار من هذا الامر العجيب هو قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقوله هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ثم انه تعالى بقدرته يحفظ البعض عن الاختلاط بالبعض وكل ذلك مما يرشد العقول الى افتقارها الى مؤثر يدبرها ومقدر يحفظها النوع الخامس من الدلائل قوله وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر فان
ويبك لمن هدى ما اطلع على علم الا الله الرعد والبرق والغيث ما ادري من اين هي ومن اي مفصل له قال الله انزل من السماء ماء قال نعم ولا ادري انزل من السماء ام من السحاب ام خلق في السحاب فاحيا به ذلك
الماء الارض بعد موتها اراد بموت الارض جدوبتها ويبوستها فسماه موتا مجازا وذلك لان الارض اذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم تنم نبتا فكانت من هذا الوجه كالميت واذا اصابها المطر انبتت فصار
كالحي والدلالة فيه تكوين النبات من الماء والتراب وامتزاجهما وتميز ما يصلح نباتا من اجزاء الارض ثم جعله نباتا ناميا منتصبا عودا اخضر تروق الابصار بهجته وتحيي الاجسام منفعته مخالفا للطرف
خاصيته جميعا من الانجماد والسواد والظلمة والوحشة والتسفل فدل ذلك على مغيّر غيّره ومكوّن كوّنه ومصوّر صوّره لان الشيء اذا تغير وصار شيئا آخر يستحيل ان يغير نفسه
لان الحقيقة الثانية لو كانت هي الموجدة نفسها فاما ان توجد قبل وجودها وهو محال لاستحالة ان يصدر من العدم فعل او بعد الوجود وتكوين المكوّن محال فلزم ان له فاطرا قادرا النوع
السادس من الدلائل قوله وبث فيها من كل دابة والبث النشر والتفريق ومنه قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومنه سمي الحزن الذي يبلغ غايته بثا لانه اذا تناهى لا يقدر صاحبه
ان يصبر عليه فيبثه والدلالة فيها عجائب صور الاصناف الاربعة من سكان الماء وسكان ما تحت الارض وسكان الفضاء والبراري من البشر والسباع والبهائم وسكان الهواء من الطيور ثم
كثرة اجناسها وانواعها وتفنّنها الى بهائمها وسباعها وعجائب الوانها فمنها ما يكون على لون واحد ومنها ما يجمع فيه الالوان وانظر الى ما ينبغي لكل واحد منها من الانياب والادرع والانفاع من الاسلحة
كجواشن الحيتان وحصون السلاحف وشوك القنافذ وابر النحل والعقرب وسم الحية العاجزة لولا سمه فانه لولا ذلك لاتخذها الناس طوقا وتكة وسياطا وملاعب ولانقلب عائبة الابدا
وكالمخالب للسباع والانياب للفيلة والخنازير والذباب وآلات الفرار كالظبي وانواع الوحش بالارجل السريعة المشي وكما للطيور في سرعة حركتها وتحصنها بالجو الاعلى بحيث لا تنالها
الايدي العادية ولا يحتك بها الاسلحة الواقعة وكما لذوات الجحر من الانسياب في الارض والانسلاخ فيها بحيث تفوت القاصد وهدى كل واحد الى طعامه وشرابه واساس ذكره لانثاه وتربية
ولده وحرزه عن اعدائه واتخاذ اوكاره وعششه وهبة ما اعطى كل احد من الزينة والجمال حتى ظهر الحيد وجناح الذباب منا وفضلا من المفضل المنان الجواد الوهاب وما اودع من العجائب
في تصوير الصور روى ان واحدا قال عند عمر بن الخطاب اني اتعجب من امر الشطرنج فان رقعته ذراع في ذراع ولو لعب الانسان الف الف مرة فانه لا يتفق مرتان على وجه واحد فقال
عمر رضي الله عنه ههنا ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها كالحاجبين والعينين والانف والفم لا تتغير البتة ثم انك لا ترى شخصين في الشرق والغرب
يشتبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها وروي عن علي رضي الله عنه سبحان من بصّر بشحم واسمع بعظم وانطق
بلحم واحوال تشريح ابدان الحيوانات والعجائب الواقعة في تركيبها وما ليقها اراد هاهنا هذا الموضع كالمتعذر لكثرتها ومن عجائب ما فيها انا اهل الطبائع قالوا اعلى العناصر يجب ان يكون
هو النار لانها حارة يابسة وادون منها في اللطافة الماء والهواء والارض لابد ان تكون تحت الكل لثقلها وكثافتها ويبسها ثم انهم قلبوا هذه القضية في تركيب بدن الانسان لان اعلى
الاعضاء منه عظم القحف والعظم بارد يابس على طبيعة الارض وتحته الدماغ وهو بارد رطب على طبع الماء وتحته نفس وهو حار رطب على طبع الهواء وتحت الكل القلب وهو حار
يابس على طبع النار فسبحان من بيده قلب الطبائع وترتيبها كيف شاء وركبها كيف اراد ومما ذكرنا في هذا الموضع ان كل صانع ما في صنعته لطف فانه يصونه عن التراب لئلا يتكدر وعن
النار حتى لا تحرقه وعن الماء لئلا يغرق وعن الريح لئلا تفرقه ثم انه تعالى وضع نقش خلقته على هذه الاشياء فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال وجعلنا من الماء كل
شيء حي وقال في الهواء فنفخنا فيه من روحنا وقال في النار وخلق الجان من مارج من نار النوع السابع من الدلائل قوله وتصريف الرياح اي تقليبها في مهابها اي مواضع هبوبها و [ط]
الرياح بهذا الاعتبار خمس الاول الصبا وهي التي تجيء من جانب المشرق الى المغرب وتسمى قبولا لانه تهب على وجه الكعبة والثاني الدبور وهي التي تجيء من جانب المغرب تهب على ظهر
الكعبة والثالث الشمال تجيء من جانب القطب من يسار من يكون متوجها الى المشرق وتسمى بهذا الجانب شمالا والرابع الجنوب وهي التي تجيء من مقابل القطب عن يمين من يكون متوجها
الى المشرق وتسمى هذا الجانب جنوبا والخامس النكباء وهو كل ريح تجيء من بين ريحين من هذه الرياح وقوله وفي احوالها عطف على قوله في مهابها فان شاء الله ارسلها رخاء وان
شاء جعلها رحمة لواقح للسحاب وتنشر بين يدي رحمته وان شاء جعلها عذابا ريحا عقيما لا تلقح شيئا انما هي عذاب على من ارسلت اليه وقال عبيد بن عمير يبعث الله
المثيرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم قرأ البيت اي كتبعة والفحل
الناقة اي احبلها عن ثابت بن قيس ان ابا هريرة رضي الله عنه قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر بن الخطاب حاج فاشتدت عليهم فقال عمر لمن حوله من يحدثنا عن الريح فلم
يرجعوا اليه شيئا قال فبلغني الذي سأل عنه عمر فاستحثثت راحلتي حتى ادركته فقلت له يا امير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من
روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا به من شرها ووجه الاستدلال بتصريف الرياح انها مخلوقة على وجه يقبل
التصريف وهو الرقة واللطافة ثم انه يصرفها على وجه يقع النفع العظيم في الانسان والحيوان والنبات ومن جملة منافع الريح من المنافع التلقيح واجراء السفن والتذرية والتنقية
والترويح والتفريج وازالة الروائح الكريهة وتحصيل الروائح الطيبة وازاحة الادخنة والبخارات المؤذية والعفونات الوبئية واتصال ريح المحبوب الى المنافق حتى
صدق به التنزيل فقال ثم حكاية عن يعقوب عليه السلام اني لاجد ريح يوسف قال ابو علي في الحجة روى ابو عمرو الشيباني في نوادر الاعشى وما عنده مجد تليد ولا له من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا
تعذر وما له من فضل الريح فضل لا فضل الجنوب ولا فضل الصبا فحذف المضاف والمعنى انه لم يسأل احدا فيكون كريح الجنوب في مجيئها الغيث ولم ينفس عن احد كربة فيكون كالصبا
في تنفيسه عن المكروب وروى غيره وما عنده رزق على ولا له علي من الريح الجنوب ولا الصبا وتقديره هذا العنا ولا له علي من فضل الريح فضل الجنوب ولا فضل الصبا ومن فوائد الريح
الانجاد والتخفيف وتنمية اصول النبات والاعانة على التربية وايصال العدد الى اطراف البلاد والاستحثاث مما تحرك تعجز فهذا يدل على ارسال القادر الفاطر اللطيف العليم
الرحيم الحكيم ومن فوائدها انها مادة النفس الذي لو انقطع ساعة من الحيوان لمات وقيل فيه ان كل ما كانت الحاجة اليه اشد كان وجدانه اسهل ولما كان احتياج الانسان الى
الهواء اعظم الحاجات حتى لو انقطع عنه لحظة لمات لا جرم كان وجدانه اسهل من وجدان كل شيء وبعد الهواء الماء فان الحاجة الى الماء دون الحاجة الى الهواء مع ان الحاجة الى
الماء ايضا شديدة فلا جرم سهل ايضا وجدان الماء لكن وجدان الهواء اسهل لان الماء لابد فيه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء فان الآلات المهيأة لجذبه حاضرة ابدا ثم الى
بعد الماء الحاجة الى الطعام شديدة لكن دون الحاجة الى الماء فلا جرم كان تحصيل الطعام اصعب من تحصيل الماء وبعد الطعام الحاجة الى تحصيل المعاجين والادوية النادرة
قليلة فلا جرم عزت هذه الاشياء وبعد المعاجين الحاجة الى انواع الجواهر من اليواقيت وان وجدنا نادرة جدا فلا جرم كانت في نهاية العزة فثبت ان كل ما كان الاحتياج اليه اشد
كان وجدانه اسهل وكلما كان الاحتياج اليه اقل كان وجدانه اصعب وما ذاك الا رحمة على العباد ولما كانت الحاجة الى رحمة الله اعظم الحاجات نرجو ان يكون وجدانه اسهل من وجدان
كل شيء وعبّر الشاعر عن هذا المعنى فقال سبحان من خص الفلز بعزة والناس مستغنون عن اجناسه وأذل انفاس الهواء وكل ذي نفس فمحتاج الى انفاسه وأما القراءة
قال ابو علي في الحجة قرأ ابن كثير الرياح على الجمع في خمسة مواضع في البقرة هنا وفي الحجر ارسلنا الرياح لواقح وفي الكهف تذروه الرياح وفي سورة الروم الحرف الاول الرياح مبشرات وفي الجاثية وتصريف
الرياح والباقي الريح وقرأ نافع الرياح في اثني عشر موضعا هاهنا وفي الاعراف يرسل الرياح وفي سورة ابراهيم كرماد اشتدت به الرياح وفي الحجر الرياح لواقح وفي الكهف تذروه الرياح وفي الفرقان ارسل
الرياح وفي النمل ومن يرسل الرياح وفي الروم في موضعين الرياح وفي فاطر وفي حم عسق يسكن الرياح وفي الجاثية الرياح وقرأ ابو عمرو هذه الاثني عشر موضعا حرف الريح في ابراهيم وفي عسق الريح
والباقي الرياح على الجمع مثل نافع وقرأ عاصم وابن عامر مثل قراءة ابي عمرو وقراءة حمزة الرياح على الجمع في موضعين في الفرقان ارسل الرياح وفي الروم الحرف الاول الرياح وسائر ذلك على التوحيد وقراءة الكسائي
كقراءة حمزة وزاد عليه في الحجر الرياح لواقح ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام واعلم ان كل واحد من هذه الرياح مثل الاخرى في دلالتها على الوحدانية وتسخيرها لينتفع الناس بها و
تصريفها واذا كان كذلك فالوجه ان يجمع لمساواة كل واحد منها الاخرى فيما ذكرنا ومن وحدها يريد به الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم وعلى هذا ينبغي ان
يحمل التوحيد للريح واما ما روي في الحديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فهذا يدل على ان مواضع الرحمة الجمع اولى ومواضع العذاب الافراد ونحوه كما
قوله عز وجل ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات فانما بالبشر بالرحمة وشبهه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد هذا الموضع من التنزيل وجعل الريح اذا كانت مفردة من قوله وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم وقد تختص اللفظة في التنزيل بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير مبين وما كان من لفظ ادريك مفسر كقوله وما ادراك
ما هيه نار حامية وما يدريك لعل الساعة قريب وقال الامام الزمخشري معنى قوله عليه السلام اجعلها رياحا مهلنا وطول اعمارنا لنرى مثل هذه الريح كثيرا ولا تجعلنا مقصورا على روية هذه الريح واهلكنا فقط
فالمراد الاستمهال لنكثر الطاعة والتوسع للتوبة وقال المعنى الاول لا يطرد لقوله وجرين بهم بريح طيبة

وقال المعنى الاول لا يطرد فانه تعالى قال وجرين بهم بريح طيبة النوع الثامن من الدلائل قوله والسحاب المسخر سمي السحاب سحابا لانسحابه في الهواء والمسخر المذلل المطيع لله
قال الواحدي فيه انه يحمل الماء الكثير فامساكه بين السماء والارض دليل على القدرة الكاملة واجراؤه الى الارض الجرز لعطشى يدل على الرحمة الواسعة والحكمة البالغة وانزال الماء منه متقاطرا
يدل على الرفق واللطف قال الامام وانما سماه مسخرا لوجوه احدها ان طبع الماء يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف الطبع فلا بد من قاسر قاهر يقسره على ذلك فلذلك
سماه بالمسخر الثاني ان هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الامطار والاسلال ولو انقطع لعظم ضرره لانه يفضي الى القحط وعدم العشب والزرع فكان
تقديره بالمقدار المعلوم هو المصلحة فهو كالمسخر لله تعالى يأتي به في وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة الثالث ان السحاب لا يقف في موضع معين بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك
الرياح الى حيث اراد وشاء فذلك هو التسخير واما قوله لآيات فهو جمع يحتمل ان يكون كل واحد راجعا الى جميع المذكورات بان يكون كل واحد منها آية والمجموع آيات ويحتمل ان يكون
راجعا الى كل واحد مما تقدم ذكره فكانه تعالى بين ان في كل واحد آيات على ما مر تفسير بعض ذلك واما قوله لقوم يعقلون فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر والاستدلال به
على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمته ليعرفوا ما يلزمهم من عبادته وطاعته واعلم ان النعم قسمان دنيوية ودينية وهذه الامور الثمانية التي عدها الله تعالى نعم دنيوية في الظاهر
فاذا تفكر العاقل فيها واستدل بها على معرفة الصانع صارت نعما دينية لكن الانتفاع بها من حيث انها نعم دينية لا يكمل الا عند سلامة العقول وانفتاح بصر الباطن فلذلك قال
لآيات لقوم يعقلون قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية قال الامام اعلم انه تعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الظاهرة القاطعة اردفه بذكر تقبيح ما يضاد التوحيد
لان تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء قال الشاعر وبضدها تتبين الاشياء وقالوا ايضا النعمة مجهولة ما دامت موجودة فاذا فقدت عرفت والناس لا يعرفون قدر الصحة
فاذا مرضوا ثم عادت الصحة اليهم عرفوا قدرها وكذا القول في جميع النعم فلهذا السبب اردف الله الآية الدالة على التوحيد بهذه الآية وذكر في المطلع انه لما ذكر الله الدلائل
على وحدانيته اعلم ان قوما بعد هذه الدلالة والبيان يتخذون الاندادا مع علمهم انهم لا يأتون بشيء مما ذكر واختلف العلماء في قوله اندادا فقال بعضهم المراد الاوثان التي اتخذوها آلهة
لتقربهم الى الله ورجوا من عندها النفع والضر وقصدوها بالمسائل ونذروا لها النذور وقربوا لها القرابين وهو قول اكثر المفسرين فعلى هذا الاصنام انداد بعضها لبعض اي امثال ليس انها انداد لله
انداد الله بحسب ظنونهم الفاسدة وقال بعضهم الانداد هي السادة الذين كانوا يطيعونهم فيحلون لمكان طاعتهم ما حرم الله ويحرمون ما احل الله عن السدي والقائلون بهذا القول
استدلوا على ان المراد بالانداد الرؤساء بان الله ذكر بعد هذه الآية اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ الرجال اندادا وامثالا لله يلتزمون من تعظيمهم
والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون من الانقياد لله تعالى وقال الامام هاهنا قول ثالث ذكره الصوفية والعارفون وهو ان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في
قلبك ندا لله وهو المراد من قوله افرأيت من اتخذ الهه هواه قوله يحبونهم كحب الله اختلفوا في قوله كحب الله على ثلاثة اقوال الاول كالحب اللازم على الخلق لله تعالى وهو الذي
عبر المصنف عنه بقوله كما يحب الله والثاني كحبهم لله وعلى هذا يكون المصدر من الفعل المبني للفاعل فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول والثالث ولم يذكره المصنف
كحب المؤمنين واما وجه هذا الاختلاف من حيث انهم اختلفوا في انهم هل كانوا يعرفون الله تعالى ام لا فمن قال كانوا يعرفونه مع اتخاذهم الانداد بأوله على ان المراد كحبهم لله والدليل المصنف
بقوله لانهم اي المشركين كانوا يقرون بالله ويتقربون الى الله ثم استشهد على انهم يعرفون الله تعالى بقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى قوله يشركون ومن قال انهم ما كانوا عارفين بربهم حمل الآية على
احد الوجهين الباقيين اي كالحب اللازم على الخلق لله او كحب المؤمنين لله قال الامام والاول وهو ان يكون المعنى كحبهم لله اقرب لان قوله يحبونهم كحب الله فيه اسناد الى الناس الذين تقدم ذكرهم و
ظاهر قوله كحب الله يقتضي حبا لله ثابتا فيهم فكانه تعالى بين في الآية السابقة ان الاله واحد ونبه على دلائله ثم حكى قول من يشرك معه وذلك يقتضي كونهم مقرين بالله تعالى قوله تعالى والذين
آمنوا اشد حبا لله اعلم ان الامة اتفقت على اطلاق هذه اللفظة وهي ان العبد قد يحب الله تعالى والقرآن ناطق به كما في هذه الآية وكما في قوله يحبهم ويحبونه لكن اختلفوا في معناها
فقال جمهور المتكلمين المحبة نوع من انواع الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالجائزات اي بما يجوز ان يقع ويجوز ان لا يقع فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته فاذا قلنا نحب الله فمعناه
نحب طاعة الله وخدمته او نحب ثوابه واحسانه واما العارفون فقد قالوا العبد قد يحب الله تعالى لذاته واما حب خدمته او حب ثوابه فدرجة نازلة واحتجوا بانا وجدنا ان اللذة
محبوبة لذاتها والكمال ايضا محبوب لذاته اما اللذة فانه اذا قيل لنا لم تكتسبون قلنا لنجد المال فاذا قيل ولم تطلبون المال قلنا لنجد المأكول والمشروب فاذا قيل ولم تطلبون المأكول والمشروب
قلنا لنحصل اللذة وندفع الالم فاذا قيل لم تطلبون اللذة وتكرهون الالم قلنا هذا غير معلل فانا نعلم ان اللذة مطلوبة لحصول اللذة وان الالم مطلوب الدفع لذاته لا لسبب آخر واما الكمال
فلانا نحب الانبياء والاولياء لمجرد كونهم موصوفين بصفة الكمال واذا سمعنا حكاية بعض الشجعان او الاسخياء واطلعنا على كيفية شجاعتهم وسخاوتهم مالت قلوبنا اليهم اذا ثبت هذا فنقول
الذين حملوا محبة الله على محبة طاعته او على محبة ثوابه فهؤلاء هم الذين عرفوا ان اللذة محبوبة لذاتها ولم يعرفوا ان الكمال محبوب لذاته واما العارفون الذين قالوا انه تعالى محبوب في ذاته ولذاته فهم الذين
انكشف لهم ان الكمال محبوب لذاته وذلك لان اكمل الكاملين هو الحق سبحانه فانه لوجوب وجوده غني عن كل ما عداه وكل ما كل شيء مستفاد منه وانه تعالى اكمل الكاملين في العلم و
القدرة فاذا كنا نحب الرجل العالم لكماله في علمه والرجل الشجاع لكماله في قدرته والرجل الزاهد لبراءته عما لا ينبغي في الافعال وجميع العلوم بالنسبة الى علمه كالمعدوم وكذا جميع ما للخلق
من صفات الكمال بالنسبة الى ما للحق تعالى من ذلك كالعدم لزم القطع بان المحبوب الحق هو الله تعالى وانه محبوب لذاته وفي ذاته واعلم انك اذا وقفت على النكتة في هذا الباب
سهل العبد لا سبيل له الى الاطلاع على كمال الله تعالى ابتداء بل ما لم ينظر الى مملوكاته لا يمكنه الوصول الى ذلك المقام فلا جرم كلما كان اطلاعه على دقائق حكمة الله وقدرته في المخلوقات اتم كان
علمه بكماله اتم وكان حبه له اتم ولما كان لا نهاية لمراتب وقوف العبد على دقائق حكمة الله فلا جرم لا نهاية لمراتب محبة العبد لله تعالى ثم يحدث هناك حالة اخرى وهو ان العبد
اذا كثر مطالعته لدقائق حكمة الله كثر ترقيه في مقام محبة الله واذا كثر ذلك صار ذلك سببا لاستيلاء حب الله على قلب العبد وغوصه فيه على مثال القطرات النازلة من
الماء على الصخر الصماء فانها مع لطافتها تثقب الحجارة الصلدة فاذا غاصت محبة الله في القلب تكيف بكيفيتها واشتد الفه بها وكلما كان الالف اشد كانت النفرة عما سواه
اشد لان الالتفات عما عداه يشغله عن الالتفات اليه والمانع عن حضور المحبوب مكروه فلا يزال تتعاقب محبة الله تعالى والنفرة عما سواه على القلب وتشتد كل واحد منها بالآخر
الى ان يصير القلب نفورا عما سوى الله تعالى والنفرة توجب الاعراض عما سوى الله والاعراض توجب الفناء عما سوى الله تعالى فيصير القلب مستنيرا بانوار القدس مستضيئا
باضواء عالم العظمة فانيا عن الحظوظ المتعلقة بعالم الحدوث فهذا مقام عالي الدرجة وليس له مثال في هذا العالم الا العشق الشديد على اي شيء كان فانك ترى من التجار
المشغوفين بتحصيل المال من نسي جوعه وطعامه وشرابه عند استغراقه في حفظ المال فاذا عقل ذلك في هذا المقام الخسيس فكيف يستبعد ذلك عند مطالعة جلال الحضرة
واما بيان ان الذين آمنوا فهم اشد حبا لله فالمتكلمون قالوا ان حبهم لله يكون من وجهين احدهما ان ما يصدر عنهم من التعظيم والثناء والمدح والعبادة خالصة عن الشرك
وعما لا ينبغي من الاعتقاد ومحبة غيرهم ليست كذلك فان المشركين قد يعدلون عنه كما ذكر المصنف وما هله قبيلة جعلوا صنمهم من حيس وهو طعام من تمر وسمن واقط ثم اكلوه
عام القحط والثاني ان حبهم لله تعالى اقترن به الرجاء للثواب والرغبة في عظيم منزلته والخوف من العقاب والاخذ في طريق التخلص منه ومن يعبد الله ويعظمه في هذا الحد
تكون محبته لله اشد واما العارفون فقالوا المؤمنون هم الذين عرفوا الله بمقدار الطاقة البشرية وقد دللنا على ان الحب من لوازم العرفان فكلما كان عرفانهم اتم وجب
ان يكون حبهم اشد قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا الآية قال في الحجة قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ولو يرى بالياء غيبة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء خطابا وروي عن
ابن عامر اذ يرون بضم الياء وحجة من قرأ بالياء ان لفظ الغيبة اولى لان المعنى يكون ولو يرون ان القوة لله جميعا فان قيل لم لا تكون المتعدية الى مفعولين وقد سدت ان مسدهما قلنا الدليل على انها المتعدية الى مفعول
واحد دون المتعدية الى مفعولين واحد فعدي الى واحد ولا تسد مسد مفعولين ويستعمل ما تسد مسده وهو ما يحسن ان يشاهدوه مع الله واما حجة من قرأ ولو يرى بالتاء ولا ان المعنى لم تعلم قدر
ما شاهدون ويعاينون من العذاب كما على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فالفعل ينبغي ان يكون مسندا اليهم في قوله ولو يرى الذين ظلموا ومن حجتهم ان المتقدم على قوله ولو يرى عيسه وهو
قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا فينبغي ان يكون المعطوف عليه مثله وايضا هو اشبه بما بعده وهو قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم واما حجة من قرأ يرى
خطابا فكثيرا ما جاء من هذا القبيل خطابا كقوله ولو ترى اذ المجرمون ولو ترى اذ وقفوا وفيه وجهان ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة لانه يعلم ولكن
في قصده بالمخاطبة تنبيه لغيره فانه قد يخاطب النبي ويكون خطابه خطابا للكافة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى وعلى هذا جاء
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض والوجه الثاني ان لا يكون هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم بل يكون خطابا لكل من يصلح ان يكون مخاطبا كما ذكرنا من

انه فلا يريد الخطاب ولا يراد به مخاطب معين كقولك فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا يريد مخاطبا بعينه كانك قلت ان اكرم او احسن اليه قصدا الى ان سوء معاملته لا يختص
واحدا دون واحد وانه في القران كثير مما يحمل عليه ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم لم يكن اشارة الى ان تقطع حال المجرمين قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص
برائي دون رائي بل اعلم انه على القراءة بالتاء خطابا يكون الذين ظلموا مفعول ترى فلا يخلو من ان يجعل ترى من رؤية العين او المتعدية الى مفعولين فان جعلها من رؤية البصر لم يجز ان يتعدى
الى ان لانها قد استوفت مفعولها الذي يقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان يكون بدلا من المفعول لانها ليست الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملا عليهم ولا يجوز ان تكون المتعدية الى
مفعولين لان المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى ولو ان القوة جميعا لا يكون الذين ظلموا واذا لم يكن اياهم لم يجز ان يكون مفعولا ثانيا فاذا لم يجز ان ينتصب ان القوة
ترى سواء جعلتها المتعدية الى مفعول واحد او مفعولين ثبت انه منتصب بفعل اخر غير ترى الظاهرة وذلك الفعل هو الذي يقدر جوابا للو كانه قيل ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون
العذاب راوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم ذلك او شكهم فيه ثم قال ابو علي في
الحجة ومذهب من قرأ بالتاء انهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر ويكون الجواب محذوفا والجوابات في هذا النحو محذوفة واما على القراءة بالتاء خطابا فيكون ان القوة معمول
الجواب فاذا اعمل الجواب في ان صار الجواب بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فيخالف ما عليه سائر هذا النحو من الاي المحذوفة الجواب فضعف كونه ابلغ في باب التوعد وقال الواحدي
الاختيار كسر ان مع المخاطبة يعني لتكون جملة مستانفة وجواب لو محذوفا وعند المبالغة في معنى التوعد ثم قال وجواب لو تقديره ههنا ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
لعجبت او لرايت امرا عظيما ثم تستانف ان القوة واما اول القراءة بالكسر قراءة شاذة وانما قدر الجواب ههنا بقوله لعجبت او لرايت امرا عظيما وقرينة القراءة بالغيبة بقوله لعلموا
مضرة اتخاذ الانداد لمناسبة الجواب اول الكلام واما اول القراءة بالتاء خطابا وفتح الهمزة يحتمل وجها اخر وهو ان يكون ان القوة بدلا من العذاب لان ذلك العذاب الذي لما كان
دليلا على ان القوة لله جميعا … ان القوة لله جميعا فيكون بينهما ملابسة فيجوز ان يكون بدلا منه بدل الاشتمال ويكون جواب لو محذوفا فيستقيم ما ذكره الواحدي والفارسي رحمهما الله
والله اعلم وقال الامام لما عرفت ان يرى الذين ظلموا قرئ بالتاء المنقطة من فوق وبالياء المنقطة من تحت مع فتح الهمزة وكسرها من ان فاعرف ان ههنا احتمالات الاحتمال الاول
ان يقرا بالياء المنقطة من تحت مع فتح الهمزة من ان والوجه انهم اعلموا برؤية القوة والتقدير ولو يرون شدة عذاب الله لما اتخذوا من دونه اندادا فجواب لو محذوف والاحتمال
الثاني ان يقرا بالياء المنقطة من تحت مع كسر الهمزة من ان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا عجزهم حال مشاهدتهم عذاب الله لقالوا ان القوة لله يعني ان مفعول ترى يكون محذوفا ويكون
جواب لو في حكم المذكور ولو قدر ان القوة جملة مستانفة لكان من تقدير جواب لو كما قال الامام لما عرفت ان حذفه اولى في مثل هذا المقام ثم قال الامام والاحتمال الثالث ان يقرا
بالتاء المنقطة من فوق وفتح الهمزة من ان والوجه فيه تكرار الرؤية والتقدير ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ترى ان القوة لله جميعا نقله عن الفراء والاحتمال الرابع ان يقرا
بالتاء المنقطة من فوق مع كسر الهمزة وتقديره ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لقلت ان القوة لله جميعا وهذا ايضا تاويل ظاهر جيد واما قول الاولى هنا فالاحسن ان يكون
الجواب محذوفا ويكون ان القوة جملة مستانفة لا معمولا للقول المحذوف لما مر قوله تعالى وراوا العذاب حال اي عاينوا جهنم وانما قيد بتلك الحال لانه في تلك الحالة يزداد
الهول والخوف والباء في بهم بمعنى عن كقوله فاسال به خبيرا اي عنه قال علقمة بن عبدة فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب اي ان تسالوني عن النساء و
قيل يجوز ان تكون الباء بمعنى السببية اي تقطعت الاسباب بسبب كفرهم ويحتمل المصاحبة اي الاسباب الملتبسة بهم واللام في الاسباب يحتمل الجنس والاضافة الى اسبابهم كما في قوله
مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واصل السبب في اللغة الحبل قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به ومنه قوله فليمدد بسبب الى السماء ثم قيل لكل شيء وصلت به الى موضع
او حاجة تريدها سببا يقال ما بيني وبينك سبب اي رحم ومودة وقيل للطريق سبب لانك بسلوكه تصل الى الموضع الذي تريده قال تعالى فاتبع سببا اي طريقا واسباب السموات ابوابها
لان الوصول الى السماء يكون بدخولها والمودة بين القوم تسمى سببا لانهم بها يتواصلون قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم اراد باسباب
المنايا الامراض والحوادث وباسباب السماء ابوابها قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا الاية قال الامام اعلم انه تعالى لما بين التوحيد ودلائله وما للموحدين من
الثواب واتبعه بذكر الشرك ومن يتخذ من دون الله اندادا ويتبع رؤساء الكفرة اتبع ذلك بذكر انعامه على الفريقين واحسانه اليهم وان معصية من عصاه وكفر من
كفر لم يؤثر في قطع احسانه ونعمه عنهم فقال يا ايها الناس كلوا وهذا الذي ذكره الامام يدل على ان لفظ الناس مجرى على عمومه شامل للمؤمنين والكفار وقال الواحدي انه قال ابن عباس
في رواية ابي صالح ان الاية نزلت في الذين حرموا على انفسهم السوائب وهي النوق التي تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه والبحائر وهي الولد الانثى للسائبة وسيجيء بيان ذلك في موضعه
ان شاء الله وقال في رواية عطاء يعني المؤمنين خاصة والاصل في الطيب هو المستلذ به ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لان النجس يكرهه النفس
فلا يستلذ والحرام غير مستلذ لان الشرع يزجر عنه وكما وصف الحلال بالطيب وصف الحرام بانه خبيث قال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ثم اعلم ان الحرام
قد يكون حراما بجنسه كالميتة والدم والخمر وقد يكون حراما لا بجنسه كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فاذا عرفت هذا ففي المراد بالحلال الطيب وجهان الاول ان المراد
من الحلال ما يكون جنسه حلالا والمراد من الطيب انه لا يكون متعلق حق الغير فان اكل الحرام وان استطابه الاكل فمن حيث يؤدي الى العقاب يصير مضرا ولا يكون مستطابا
كما قال تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا والثاني قول الزجاج الاجود ان يكون المعنى من حيث يطيب لكم اي لا تاكلوا من الوجه الذي يحرم الثاني
ان المراد من الحلال ما لا يكون محرم الجنس ولا متعلق حق غير لم ياذن فيه فالمراد بالطيب هو المستلذ وانما ذكره لذكر الامتنان لهم بنعم الانعام قوله تعالى خطوات
قال ابن السكيت فيما رواه عنه الجباني الخطوة والخطوة بمعنى وحكى الفراء خطوت خطوة بالفتح والخطوة بالضم ما بين القدمين مثل حسوت حسوة اي شربت شربة
والحسوة بالضم اسم ما تحسيته وكذلك غرفت غرفة والغرفة هو الشيء المغترف بالكف فيكون المعنى لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه لان الخطوة بالضم اسم مكان
وهذا قول الزجاج وابن قتيبة فانهما قالا خطوات الشيطان طرقه وان جعلت الخطوة بمعنى الخطوة كما ذكره الجباني فالتقدير لا تاتموا ولا تتبعوا اثره والمعنيان متقاربان
وان اختلف التقدير فهذا ما يتعلق باللغة واما المعنى فليس المراد هنا ما يتعلق بالقدم بل كانه قيل المراد له الاكل على الوصف المذكور احذر ان تتعداه الى ما يدعو اليه الشيطان
وزجر المكلف بهذا الكلام عن تخطي الحلال الى الشبهة كما زجره عن تخطيه الى الحرام واضاف الى الشيطان لانه يلقي الى المرء ما يجري مجرى الشبهة فيزين بذلك اكل ما لا يحل له فزجر الله عن ذلك ثم بين العلة
في هذا التحذير بقوله انه لكم عدو مبين اي مظاهر بالعداوة واظهر عداوته لكم بالاباء عن السجود لادم ابيكم وهو الذي اخرجه من الجنة قال الامام اظهار عداوة الشيطان انه التزم امورا سبعة في
العداوة اربعة منها في قوله ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وثلثة منها في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قوله تعالى ومثل الذين كفروا الاية قال الامام لما حكى الله تعالى عن الكفار انهم عند الدعاء الى اتباع
ما انزل الله تركوا النظر ومالوا الى التقليد وقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا ضرب لهم هذا المثل منبها للسامع انهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الاصغاء وقلة الاهتمام
بالدين فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الانعام ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة باحوال الكفار ويحقر الكافر في نفسه اذا سمع ذلك فيكون كسرا لقلبه وتضييقا لصدره حتى يصير
كالبهيمة وكان ذلك في نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن ان يسلك مثل طريقه في التقليد واعلم ان للعلماء في هذه الاية طريقين احدهما ان يقدر مضاف محذوف والثاني ان لا يقدر ذلك اما الذين
يقدرون المضاف فقال بعضهم التقدير مثل داعي الذين كفروا فيحذفون المضاف من قبل الذين كفروا وقال بعضهم التقدير مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق فيقدرون المضاف في قبل الذي
ينعق قوله والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان مبني على الوجه الاول وهو ان يكون المضاف محذوفا من الاول وهو قول الاخفش والزجاج وابن قتيبة كانه قال ومثل الذي
يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل الذي ينعق فصار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي الى الحق وهو الرسول وسائر دعاة الكفار الى الحق وصار الكفرة بمنزلة الغنم المنعوق بها
ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تفهم المراد وهكذا الكفار كانوا يسمعون صوت الرسول عليه السلام والفاظه وما كانوا ينتفعون بها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة الاية
اعلم ان لفظ انما تكون كلمة واحدة نحو انما ضربت زيدا وقد تكون كلمتين … قال الزجاج انما اذا جعلته كلمة واحدة كان اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه كقوله تعالى
انما حرم عليكم معناه ما حرم عليكم الا … وذلك لان كلمة ان للتوكيد وما تكون نفيا … فاذا قال القائل اني بشر فمعناه انا بشر على الحقيقة واذا قال انما انا بشر

لان

كان المعنى ما انا الا بشر والميتة من حيث اللغة هو الذي خرج عن ان يكون حيا من دون نقض بنيه ولهذا فرقوا بين الميت والمقتول واما من جهة الشرع فهو الذي فارقه الروح من
غير ذكاة شرعية اما لانه لم يذبح او ان ذبح لكن لم يكن ذبحه ذكاة شرعية فان قيل قال تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ثم ذكر بعد المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فدل هذا على
ان غير المذكى منه ما هو ميتة ومنه ما ليس كذلك قلنا لعل الامر كان في ابتداء الشرع على اصل اللغة واما بعد استقرار الشرع فالميتة ما ذكرناه سال عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن
جاموق وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ما تقولون في هذا فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة ان كان وقع فيها
في حال سكونها فكما في هذه الرواية وان وقع في حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم قال لانه اذا سقط فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها
في حال سكونها فمات فانما وسخت الميتة اللحم فقال ابن المبارك هذا زرين بالفارسية يعني الذهب واما الدم فكانت العرب تجعل الدم في المباعر وتشويها ثم تاكلها فحرم الله الدم
ثم اعلم ان الشافعي قال جميع الدماء حرام اي سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام فاما الشافعي فتمسك بظاهر هذه الاية وابو حنيفة تمسك
بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا فالدم الذي لا يكون مسفوحا وجب ان لا يكون محرما بمقتضى هذه الاية فاذا هذه الاية خاصة وقوله
حرمت عليكم الميتة والدم عام والخاص مقدم على العام واجاب الشافعي بان قوله قل لا اجد فيما اوحي الي ليس فيه دلالة على تحليل غير هذه الاشياء المذكورة في هذه الاية بل انما يدل على انه تعالى ما
بين له الا تحريم هذه الاشياء وهذا لا ينافي ان يبين له بعد ذلك تحريم ما عداها فلعل قوله انما حرم عليكم الميتة نزلت بعد ذلك وكان ذلك بيانا لتحريم الدم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح
فوجب الحكم بحرمة جميع الدماء ونجاستها فيجب ازالة الدم عن اللحم ما امكن وكذا في السمك ثم غاية ما يقتضي حرمة السمك والجراد والكبد والطحال لكنها خصت بالحديث قال عم احلت لنا
ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال واختلف العلماء في انه هل يطلق اسم الدم عليهما فيكون الاستثناء صحيحا ام لا منهم من منع ذلك لان الكبد
يجري مجرى اللحم وكذا الطحال وانما يوصفان بذلك تشبيها ومنهم من يقول هو الدم الجامد ويستدل عليه بالحديث قوله ولحم الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم
وانما ذكر الله اللحم لان معظم الانتفاع متعلق به وهو كقوله اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فخص البيع بالنهي لما كان هو اعظم المهمات عندهم واما شعر
الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فقال ابو حنيفة ومحمد يجوز وقال الشافعي لا يجوز وقال ابو يوسف اكره الخرز به
وروي عنه الاباحة وحكي عن ابي حنيفة ان ابا زيد المسلم فقيه … من الاساكفة على استعماله من غير نكير وان الحاجة ماسة اليه واما خنزير الماء فحلال عند الشافعي لانه صيد البحر وانه لا يسمى خنزيرا على
الاطلاق بل يسمى خنزير الماء وحرام عند ابي حنيفة لانه خنزير قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحون للاوثان
كقوله وما ذبح على النصب وهؤلاء اجازوا ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وقال بعضهم المراد ما ذكر عليه غير اسم الله وهذا القول اولى لانه اشد مطابقة للفظ وهو مذهب
مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابه قالوا لا يحل ما ذبحه النصارى باسم المسيح قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة
مرتد والذي عليه الفتوى في مذهب الشافعي ان ذبيحة الكفار اهل الكتاب اذا كانوا يهودا او نصارى بشرط ان يعلم ان اول ابائهم دخلوا في ذلك الدين قبل التحريف او بعد التحريف وقبل النسخ
بشرط ان يكونوا اسرائيلية قوله تعالى فمن اضطر اي احوج والجئ وهو افتعل من الضرورة واصله من الضرر وهو الضيق حرم الله تلك الاشياء واستثنى عنها حال الضرورة
والضرورة سببان الجوع الشديد وان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله واعلم ان الاضطرار ليس من افعال المكلف
حتى يقال له انه لا اثم عليه فيه فاذا لابد هنا من اضمار وهو الاكل والتقدير فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه والحذف هنا كالحذف في قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة والتقدير
فافطر فعدة من ايام اخر وفي قوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام ومعناه فحلق ففدية من صيام وانما جاز الحذف لعلم المخاطبين بالمحذوف ودلالة الخطاب عليه
واما القراء فقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي فمن اضطر بضم النون لاتباع ضم الطاء والباقون بالكسر على اصل التقاء الساكنين قوله تعالى غير باغ قال الفراء غير ههنا لا يصلح
ان يكون بمعنى الاستثناء لان غير ههنا بمعنى النفي ولذلك عطف عليها بلا لانها في معنى لا بل هي ههنا حال من المضطر كانك قلت فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا فهو له حلال واصل
البغي في اللغة الطلب الفساد ومجاوزة الحد وقيل الظلم والخروج عن الانصاف قال تعالى والذين اذا اصابهم البغي … بغت السماء اذا كثر مطرها حتى يجاوز الحد قوله
تعالى ولا عاد من العدو وهو التعدي في الامر وتجاوز ما ينبغي ان يقتصر عليه قال تعالى … عدوا … واعتدى اذا ظلم ظلما يجاوز الحد وعدا طوره
وجاوز قدره قال الامام … قوله غير باغ ولا عاد قولان احدهما ان يكون قوله غير باغ ولا عاد مختصا بالاكل والثاني ان يكون عاما في الاكل وغيره اما على القول الاول
ففيه وجوه الاول غير باغ باكله وذلك بان يجد حلالا تكرهه النفس فعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز لقدر الرخصة الثاني غير باغ للذة اي طالب لها ولا عاد متجاوز
سد الجوعة الثالث غير باغ على مضطر اخر بالاستيلاء عليه ولا عاد سد الجوعة القول الثاني ان يكون المعنى غير باغ على امام المسلمين في السفر من البغي ولا عاد بالمعصية اي مجاوز طريقة
المحقين قال الامام ان الشافعي … قال معنى فمن اضطر غير باغ ولا عاد من كان مضطرا ولا يكون موصوفا بصفة البغي ولا بصفة العدوان البتة فاكل فلا اثم عليه وان ابا حنيفة
قال معناه فمن اضطر فاكل غير باغ ولا عاد في الاكل فلا اثم عليه فخصص صفة البغي والعدوان بالاكل ويتفرع على هذا الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا
فقال الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان فلا يندرج تحت الاية وقال ابو حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل فيندرج تحت الاية واحتج الشافعي على قوله بانه تعالى
حرم هذه الاشياء على الكل بقوله حرمت عليكم ثم اباحها للمضطر الذي يكون موصوفا بانه غير باغ ولا عاد والعاصي بسفره غير موصوف بهذه الصفة لانه متعد بسفره فلا يصدق
عليه كونه غير عاد فوجب بقاؤه تحت اول الاية وهو قوله حرمت عليكم اقصى ما في الباب ان يقال هذا اشكال بالعاصي في سفره فانه يرخص مع انه موصوف بالعدوان لكنا نقول انه عام
دخله التخصيص في هذه الصورة والفرق بين الصورتين ان الرخصة اعانة على السفر فاذا كان السفر معصية كانت الرخصة اعانة على المعصية اما اذا لم يكن معصية في نفسه لم
تكن الاعانة عليه اعانة على المعصية فظهر الفرق واعلم ان القاضي وابا بكر الرازي نقلا عن الشافعي انه قال في تفسير قوله غير باغ ولا عاد اي غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بان لا
يكون سفره في معصية ثم قالا لا يفسر الاية بغير باغ ولا عاد في الاكل اولى مما ذكره الشافعي وذلك لان قوله غير باغ ولا عاد شرط والشرط بمنزلة الاستثناء في انه لا يستقل بنفسه فلابد
من تعلقه بمذكور وقد علمنا انه لا مذكور الا الاكل لانا بينا ان معنى الاية فمن اضطر فاكل غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه واذا كان كذلك وجب ان يكون متعلقا بالاكل الذي هو في حكم المذكور
دون السفر الذي هو ليس بمذكور واعلم ان هذا الكلام ضعيف لانا بينا ان قوله غير باغ ولا عاد لا يصدق عليه الا اذا انتفى عنه البغي والعدوان في كل الامور فيدخل فيه نفي العدوان
بالسفر ضمنا ولا تقول اللفظ يدل عليه على التعيين واما تخصيصه بالاكل فهو تخصيص من غير ضرورة وكان على خلاف الاصل ثم الذي يدل على انه لا يجوز صرفه الى الاكل ان كونه غير باغ
ولا عاد يفيد نفي ماهية البغي ونفي ماهية العدوان وهذه الماهية انما تنتفي عند انتفاء جميع افرادها والعدوان في الاكل احد افراد هذه الماهية وكذا العدوان في السفر فرد واحد
من افرادها فاذا نفي العدوان يقتضي نفي العدوان من جميع هذه الجهات فكان تخصيصه بالاكل غير جائز واما الشافعي فلا يخصصه بنفي العدوان في السفر بل يحمله على ظاهره
وهو نفي العدوان من جميع الوجوه وذلك يستلزم نفي العدوان في السفر وبه يحصل مقصوده ويؤيده ما ذكر الواحدي قوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم
يبين في هذه الاية ان المضطر انما يترخص اذا لم يكن متجانفا لاثم وهو الذي قلناه من ان الاية تقتضي ان لا يكون موصوفا بالبغي والعدوان في امر من الامور ثم اعلم ان الشافعي وابا حنيفة
واصحابه رضي الله عنهم قالوا لا ياكل المضطر من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه وقال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود واذا
وجد غنى عنها طرحها والاقرب في دلالة الاية هو الاول لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة ولا اعتبار في ذلك بسد الجوعة لان الجوعة
في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه فكذا هنا قوله تعالى فلا اثم عليه قال الامام فيه سؤالان احدهما ان الاكل في تلك الحالة واجب وقوله لا اثم عليه يفيد الاباحة
والثاني ان المضطر كالملجأ الى الفعل والملجأ الى الفعل لا يوصف بانه لا اثم عليه ثم قال قلنا قد بينا في تفسير قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ان نفي الاثم قدر مشترك
من الواجب والمندوب والمباح ايضا فقوله لا اثم عليه معناه رفع الحرج والضيق واعلم ان هذا الجائع اذا حصلت فيه شهوة الميتة ولم يحصل فيه النفرة الشديدة فانه يصير
ملجأ الى تناول ما يسد به الرمق كما يصير الهارب الى السبع ملجأ الى الهرب اذا امكنه ذلك اما اذا حصلت النفرة فانه بسبب تلك النفرة يخرج من ان يكون ملجأ
ولزمه تناول الميتة على ما هو عليه من النفار وههنا يتحقق معنى الوجوب

قوله تعالى ان الله غفور رحيم قال الامام فيه اشكال وهو انه لما قال فلا اثم عليه فكيف يليق ان يقول بعده ان الله غفور رحيم فان الغفران انما يذكر عند حصول الاثم ثم قال والجواب من وجوه احدها
ان المقتضى للحرمة قائم في الميتة والدم الا انه زالت الحرمة لقيام المعارض فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضى للحرمة عبر عنه بالمغفرة ثم ذكر بعده انه رحيم يعني لاجل الرحمة عليكم ابحت لكم ذلك
وثانيها لعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح في تناول قدر الحاجة وثالثها ان الله لما بين هذه الاحكام عقبها بكونه
غفورا رحيما لانه غفور للعصاة اذا تابوا رحيم على المطيعين المستمرين على منهج حكمه سبحانه وقال الواحدي ان الله غفور اي للمعاصي وفيه اشارة الى انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يأخذ بما جعل فيه الرخصة
رحيم حيث رخص للمضطر في اكل الميتة ❊ قوله ان الذين يكتمون ما انزل الله هذا هو الحكم الثاني قال ابن عباس نزلت الاية في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وحيي بن
اخطب كانوا يأخذون من اتباعهم الهدايا فلما بعث محمد صلعم خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا امر محمد صلعم وامر شرائعه فنزلت هذه الاية واختلف العلماء في انهم اي شيء كانوا
يكتمون فقيل كانوا يكتمون صفة محمد صلعم ونعته والبشارة به وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي والاصم وابي مسلم وقال الحسن كتموا الاحكام وهو كقوله ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ثم اختلفوا في كيفية الكتمان فالمروي عن ابن عباس انهم كانوا محرفين يحرفون ظاهر التورية والانجيل قال الامام وعند
المتكلمين هذا ممتنع لانهما كانا كتابين بلغا في الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان فيهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلعم وكانوا يذكرون لها
تأويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلعم فهذا هو المراد من الكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب ❊ قوله تعالى ويشترون به
في به يجوز ان يعود الى الكتمان والفعل يدل على المصدر ويحتمل ان يكون عائدا الى ما انزل الله ويحتمل ان يكون عائدا الى المكتوم ولما كان غرضهم من ذلك الكتمان اخذ الاموال بسبب ذلك قيل يشترون به
ثمنا قليلا انما سماه قليلا اما لانه في نفسه قليل واما لانه بالاضافة الى ما فيه من الضرر قليل قال الامام من الناس من قال كان غرضهم من ذلك الكتمان اخذ الاموال من كبرائهم واعيانهم الذين كانوا ناصرين لذلك
المذهب وليس في الظاهر اكثر من انهم بذلك الكتمان يأخذون الثمن القليل وليس فيه بيان من يأخذونه منه فالكلام محتمل وانما يتوجه الطمع في ذلك الى من يجمع الى الجهل والمعرفة التمكن من المال و
الشح على المألوف في الدين فيبذل عليه ما يلتمس منه فهذا معلوم بالعادة واما اقول هذا الذي ذكره الامام محتمل ويحتمل ان يكون غرضهم من كتمان امر محمد صلعم ان يكونوا ائمة لجهلتهم و
رؤساء لسفلتهم فيعتقدون لسفلته فيهم انهم ائمة متبعون فيخدمونهم ويعطونهم الاموال واعلم انه لما ذكر هذه الحكاية عنهم ذكر الوعيد عليه من وجوه اولها قوله اولئك ما يأكلون
في بطونهم الا النار وقال بعضهم ذكر البطون هنا زيادة والصواب ما قاله المصنف ومعناه ما يأكلون ملء بطونهم ❊ قوله تعالى وان الذين اختلفوا قيل هم الكفار اجمع اختلفوا في
القرآن والاقرب حمله على التورية والانجيل اللذين ذكرت البشارة بمحمد صلعم فيهما لان القوم قد عرفوا ذلك وكتموه وحرفوا تأويله فاذا اورد تعالى ما يجري مجرى العلة في انزال
العقوبة بهم فالاقرب ان يكون المراد كتابهم الذي هو الاصل عندهم دون القرآن الذي اذا عرفوه فانما عرفوه على وجه التبع لصحة كتابهم ثم اعلم انا ان قلنا المراد من الكتاب
القرآن كان اختلافهم فيه ان بعضهم قال انه كهانة واخرون قالوا انه سحر او زجر او اساطير او قول متقول وان قلنا المراد من الكتاب التورية والانجيل فالمراد باختلافهم فيه يحتمل وجوها
احدها انهم يختلفون في دلالة التورية على نبوة المسيح فاليهود قالوا انها دالة على القدح في عيسى والنصارى قالوا انها دالة على نبوته وثانيها ان القوم اختلفوا في تأويل الايات الدالة على نبوة محمد
فذكر كل واحد منهم له تأويلا آخر فاسدا لان الشيء اذا لم يكن حقا واجب القبول كان متكلفا كل احد يذكر شيئا آخر على خلاف قول صاحبه وكان هو الاختلاف وثالثها ما ذكره
ابو مسلم فقال قوله اختلفوا من باب افتعل الذي يكون مكان فعل كما يقال كسب واكتسب وعمل واعتمل وكتب واكتتب وفعل وافتعل ويكون معنى قوله اختلفوا في الكتاب خلفوا فيه
اي توارثوه وصاروا خلفاء فيه كقوله فخلف من بعدهم خلف وقوله ان في اختلاف الليل والنهار اي كل واحد يأتي خلف الآخر وقولهم وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
اي كل واحد يخلف الآخر وفي الاية تأويل ثالث وهو من وجوه آ ان يكون المراد بالكتاب جنس ما انزل الله والمراد بالذين اختلفوا في الكتاب الذين اختلف قولهم في الكتاب فقبلوا بعض
كتب الله وردوا البعض وهم اليهود والنصارى حين قبلوا بعض كتب الله وهي التورية والانجيل وردوا [illegible] وهم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي ان يلتفت
الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وثانيها انه [illegible] وان اختلفوا فيما بينهم فانهم كالمتفقين على عداوتك [illegible]
الله تعالى بذلك الوعيد وثالثها ان هؤلاء الذين اتفقوا على اهل التحريف فان كل واحد منهم يكذب صاحبه ويشاققه وينازعه واذا كان كذلك فقد عرفوا كذبهم في قولهم فلا يكون
[illegible] ❊ قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم وهذا يحتمل ان يكون اشارة الى ان الخطاب للكل ويجوز ان يكون اشارة الى ان الخطاب للمؤمنين قال الواحدي عن
ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء كان الرجل في ابتداء الاسلام اذا شهد الشهادتين وصلى الى اي ناحية كان ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلعم ونزلت
الفرائض وحدت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله تعالى هذه الاية فقال ليس البر كله ان تصلوا ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر ما ذكره قوله ولكن البر من آمن بالله وقال الامام
اختلف العلماء في ان هذا الخطاب عام او خاص فقال بعضهم اراد بقوله ليس البر اهل الكتاب فانهم لما شددوا في الثبات على التوجه نحو بيت المقدس قال تعالى ليس البر هذه الطاعة
لكن البر من آمن بالله وقال بعضهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا انهم قد نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة حتى كانوا يحبون ذلك خوطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم بل هو خطاب للكل
لانه عند نسخ القبلة وتحويلها حصل من المؤمنين الاغتباط بهذه القبلة وحصل منهم التشدد في تلك القبلة حتى ظنوا انه الغرض الاكبر في الدين فبعثهم الله تعالى بهذا الخطاب على استيفاء جميع
العبادات والطاعات وبين ان البر ليس بان تولوا وجوهكم شرقا وغربا ولكن البر هو هذه الامور التي ذكرها ثم قال وهذا اشبه بالظاهر اذ لا تخصيص فيه فكانه تعالى قال ليس البر المطلوب
هو امر القبلة بل البر المطلوب هذه الخصال التي عددها قال القفال قد قيل في نزول هذه الاية اقوال والذي عندنا انه اشارة الى السفهاء الذين طعنوا في المسلمين وقالوا ما
ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها مع ان اليهود كانوا يستقبلون المغرب والنصارى يستقبلون المشرق فقال تعالى ان صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا
عند مجموع امور اولها الايمان بالله واهل الكتاب اخلوا بذلك اما اليهود فلقولهم بالتجسيم ولقولهم بان عزير ابن الله واما النصارى فلقولهم المسيح ابن الله ولان اليهود وصفوا الله بالبخل على ما
حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله ان الله فقير ونحن اغنياء وثانيها الايمان باليوم الآخر واليهود اخلوا بذلك حيث قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
والنصارى انكروا المعاد الجسماني وكل ذلك تكذيب باليوم الآخر وثالثها الايمان بالملائكة واليهود اخلوا بذلك حيث اظهروا عداوة جبريل ورابعها الايمان بكتب الله واليهود اخلوا بذلك
لان مع قيام الدلالة على ان القرآن كتاب الله ردوه ولم يقبلوه وقال تعالى وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وخامسها الايمان
بالنبيين واليهود اخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء على ما قاله وطعنوا في نبوة محمد صلعم وسادسها بذل الاموال على وفق امر الله واليهود اخلوا بذلك لانهم يلقون
الشبهات لطلب المال القليل كما قال تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وسابعها اقام الصلوة والزكوة كانوا يمنعون الناس منهما وثامنها الوفاء بالعهد واليهود نقضوا العهد حيث قال
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وههنا سؤال وهو انه تعالى نفى ان يكون التوجه الى القبلة برا ثم حكم بان البر مجموع امور احدها الصلوة ولا بد فيها من الاستقبال فيلزم التناقض
ولاجل هذا السؤال اختلف المفسرون على اقوال الاول ان قوله ليس البر نفي لكمال البر وليس بنفي لاصله كانه قال ليس البر كله هو هذا فان البر اسم لمجموع الخصال الحميدة واستقبال
القبلة واحد منها فلا يكون ذلك تمام البر الثاني ان يكون هذا نفيا لاصل كونه برا لان استقبالهم للمشرق والمغرب كان خطأ في وقت النبي صلعم اذ حين نسخ الله ذلك بل كان
ذلك اثما وفجورا لانه عمل منسوخ قد نهى الله عنه وما يكون كذلك فانه لا يعد في البر الثالث ان استقبال القبلة لا يكون برا اذا لم يكن مقارنا بمعرفة الله وانما يكون برا اذا اتى
مع الايمان وسائر الشرائط كما ان السجدة لا تكون من افعال البر الا اذا اتى بها مع الايمان بالله ورسوله وسائر الشرائط فاما اذا اتى بها دون الشرائط فلا تكون من افعال البر

قوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وهم لا ينسونهم في الحقيقة بل كانوا يذكرونهم الله ويدعونهم اليه ولكن لما كان اشتغالهم بالسخرية منهم سببا لنسيانهم صرف الانساء اليهم
والاضلال على هذا المعنى يجوز ان يضاف الى الله تعالى على معنى ان الكافرين ضلوا بسبب الايات المشتملة على الامتحانات ففي هذه الاية الكفار لما قالوا ما الحاجة الى هذه الامثال وما الفائدة فيها
واشتد عليهم هذا الامتحان حسنت هذه الاضافة ب ان الاضلال هو التسمية بالضلال فيقال اضله اي سماه ضالا وحكم عليه به واكفر فلان فلانا اذا سماه كافرا وانشدوا بيت الكميت
وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب وقال طرفة ومازال شربي الراح حتى اضلني صديقي وحتى ساءني بعض ذلك اراد سماني ضالا وهذا الوجه مما ذهب اليه قطرب
وكثير من المعتزلة ومن اهل اللغة من انكره وقال انما يقال ضللته تضليلا اذا سميته ضالا وكذلك فسقته وفجرته اذا سميته فاسقا وفاجرا واجيب عنه بانه متى صيره في نفسه ضالا لزمه
ان يصير محكوما عليه بالضلال فهذا الحكم من لوازم ذلك التصيير واطلاق اسم الملزوم على اللازم مجاز مشهور وانه مستعمل ايضا لان الرجل اذا قال لآخر فلان ضال جاز ان يقال لم جعلته ضالا
ويكون المعنى لم سميته بذلك ولم حكمت به عليه فعلى هذا الوجه حملوا الاضلال على الحكم والتسمية ج ان يكون الاضلال هو التخلية وترك المنع بالقهر والجبر فيقال اضله اي خلاه وضلاله قالوا ومجازه من
قولهم افسد فلان ابنه واهلكه اذا لم يتعهده بالتأديب ومثله قول العرجي اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر ويقال لمن ترك سيفه في الارض الندية حتى فسد
وصدئ افسدت سيفك واصدأته د الضلال والاضلال هو العقاب والتعذيب لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر فوصفهم الله تعالى
بانهم يوم القيامة في ضلال وذلك لا يكون الا عذابهم وقال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا
عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين فسر ذلك العذاب بالضلال ه ان يحمل الاضلال على الاهلاك والابطال كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم
قيل اهلكها وابطلها ومجازه من قولهم ضل الماء في اللبن اذا صار مستهلكا فيه ويقال اضللته انا اذا فعلت ذلك به فاهلكته وصيرته كالمعدوم ومنه يقال اضل القوم ميتهم اي واروه
في قبره فاخفوه حتى صار لا يرى قال النابغة وآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل قال تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد اي ائذا دفنا
فيها فخفيت اشخاصنا فيحمل على هذا المعنى ان يضل الله انسانا اي يهلكه ويعدمه فيصح اضافة الاضلال اليه تعالى على هذا الوجه فهذه الوجوه الخمسة اذا حملنا الاضلال على الاضلال عن
الدين و ان يحمل الاضلال على الاضلال عن الجنة قالت المعتزلة وهذا في الحقيقة ليس تأويلا بل حملا للفظ على ظاهره فان الاية تدل على انه تعالى يضلهم وليس فيها دلالة على انه عما ذا يضلهم فنحن
نحملها على انه تعالى يضلهم عن طريق الجنة وحملوا كل ما في القرآن من هذا الجنس على هذا المعنى المحمل وهو اختيار الجبائي قال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير اي
يضله عن الجنة وثوابها هذا كله اذا حملنا الهمزة في الاضلال على التعدية ز ان يحمل الهمزة لا على التعدية بل على الوجدان يقال فلان اضل بعيره اي ضل عنه فمعنى اضلال الله لهم انه تعالى
وجدهم ضالين ح ان يكون قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا من تمام قول الكفار كانهم قالوا ماذا اراد الله بهذا المثل الذي لا يظهر وجه الفائدة فيه ثم قالوا يضل به كثيرا و
يهدي به كثيرا ذكروه على سبيل التهكم فهذا من قول الكفار ثم قال الله تعالى جوابا لهم وما يضل به الا الفاسقين اي ما اضل الا الفاسق قالت الجبرية لقد سمعنا كلامكم واعترفنا
لكم بجودة الايراد وحسن الترتيب وقوة الكلام لكن ماذا نعمل [illegible] عليكم هذه الوجوه الحسنة والدلائل اللطيفة آ مسألة الداعي وهو ان القادر على العلم والجهل
والاهتداء والضلال لم يفعل احدهما دون الآخر ب مسألة العلم وما رأينا لكم في دفع هذين الكلامين كلاما محصلا ج ان فعل العبد لو كان بايجاده لما حصل الا الذي قصد ايجاده
لكن احدا لا يريد الا تحصيل العلم والاهتداء ويحترز كل الاحتراز عن الجهل والضلال فكيف حصل الجهل والضلال للعبد مع انه ما قصد الا تحصيل العلم والاهتداء فان قيل انه اشتبه
عليه الكفر بالايمان والعلم بالجهل فظن في الجهل انه علم فقصد ايقاعه فلذلك حصل له الجهل قلنا ظنه في الجهل انه علم ظن خطأ فان كان اختاره اولا فقد اختار الجهل والخطأ لنفسه وذلك غير
ممكن وان قلنا انه اشتبه عليه ذلك بسبب ظن آخر متقدم عليه لزم ان يكون قبل كل ظن ظن لا الى نهاية وهو محال فثبت ان كلامكم في عدم استناد الاهتداء [illegible] والضلال الى الله تعالى
معارض بهذه الوجوه العقلية التي لا جواب عنها ولنتكلم الآن فيما ذكروه من التأويلات اما التأويل الاول فنقول ان انزال هذه المتشابهات هل لها اثر في تحريك الدواعي او
ليس لها اثر في ذلك فان كان الاول وجب على قولكم ان يقبح لان المكلف ينبغي ان يكون مزاح العذر والعلة وانزال هذه المتشابهات على ما ان لها اثرا في ترجيح جانب الضلال كالعذر
للمكلف في عدم الاقدام على الطاعة فوجب ان يقبح ذلك من الله تعالى واما ان لم يكن لها اثر في اقدامهم على ترجيح جانب الضلال على جانب الاهتداء كانت نسبة هذه المتشابهات الى
ضلالهم كصرير الباب ونعيق الغراب فكما ان ضلالهم لا ينسب الى هذه الامور الاجنبية فكذلك وجب ان لا ينسب الى هذه المتشابهات بوجه ما وحينئذ يبطل تأويلهم اما التأويل
الثاني وهو التسمية والحكم فهو وان كان في غاية البعد لكن الاشكال معه باق لانه تعالى لما سماه الله بذلك وحكم به عليه فلو لم يأت المكلف به لانقلب خبر الله الصدق كذبا وعلمه جهلا
وذلك محال والمفضي الى المحال محال وكان عدم اتيان المكلف به محالا واتيانه به واجبا هذا عين الجبر الذي يفرون منه فانه يلزمكم لا محالة اما التأويل الثالث وهو التخلية وترك المنع فهذا
انما يسمى اضلالا اذا كان الاولى والاحسن بالوالد منعه عن ذلك فاما اذا كان الولد بحيث لو منعه الوالد عن ذلك لوقع في مفسدة اعظم من تلك المفسدة الاولى لم يقل احد بانه افسد
ولده واضله وهنا الامر بخلاف ذلك لانه لو منع المكلف جبرا من هذه المفسدة لزمت مفسدة اخرى اعظم من الاولى على مذهبكم فكيف يقال انه تعالى افسد المكلف واضله بمعنى انه ما
منعه عن الضلال مع انه لو منعه لكانت تلك المفسدة اعظم اما التأويل الرابع فقد اعترض القفال عليه وقال لا نسلم ان الضلال جاء بمعنى العذاب اما قوله ان المجرمين في ضلال و
سعر فيمكن ان يكون المراد في ضلال عن الحق في الدنيا وفي سعر اي في عذاب جهنم في الآخرة ويكون قوله يوم يسحبون من صلة سعر واما قوله اذ الاغلال في اعناقهم الى قوله كذلك يضل الله
الكافرين فمعنى قوله ضلوا عنا اي بطلوا فلم ينتفع بهم في هذا اليوم الذي كانوا يرجون شفاعتهم ثم قوله كذلك يضل الله الكافرين قد يكون على معنى كذلك يضل الله اعمالهم اي يحبطها
يوم القيمة ويحتمل كذلك يخذلهم الله في الدنيا فلا يوفقون لقبول الحق اذا لقوا الباطل واعرضوا عن الصدق فاذا خذلهم الله واتوا يوم القيمة فقد ضلت عنهم اعمالهم التي كانوا يرجون
الانتفاع بها في الدنيا اما التأويل الخامس وهو الاهلاك فغير لائق بهذا الموضع لان قوله ويهدي به كثيرا يمنع من حمل الاضلال على الاهلاك اما التأويل السادس
وهو انه يضله عن طريق الجنة فضعيف لانه تعالى قال يضل به اي يضل بسبب استماع هذه الايات بل بسبب الاقدام على القبائح فكيف يجوز حمله عليه اما التأويل السابع وهو ان قوله
يضل اي يجده ضالا فقد بينا ان اثبات هذه اللغة لا دليل عليه وايضا فانه يعدي الاضلال بالباء فيقال يضل به والاضلال بمعنى الوجدان لا يكون معدى بالباء اما التأويل
الثامن فهو في هذه الاية يوجب تفكيك النظم لانه الى قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا من كلام الكفار ثم قوله وما يضل به الا الفاسقين كلام الله من غير فصل بينهما بل مع حرف
العطف وهو الواو ثم هب انه ههنا كذلك لكنه في سورة المدثر وهو قوله كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لا شك انه قول الله فهذا هو الكلام في الاضلال واما
قوله تعالى ويهدي من يشاء فالهدى جاء على وجوه آ الدلالة والبيان قال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي وقال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
اي سواء شكر او كفر فالهداية قد جاءت في الحالتين ب قالوا في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعو ولكل قوم هاد اي داع يدعوهم الى ضلال وهدى
ج التوفيق من الله تعالى بالالطاف المشروطة بالايمان يؤتيها المؤمنين جزاء على ايمانهم ومعونة عليه وعلى الازدياد من طاعته فهذا ثواب لهم وما زاد ضده للكافرين ويجوز ان
يسلبهم ذلك ويكون مع انه تعالى ما هداهم يكون قد اضلهم والدليل على هذا الوجه قوله والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى د الهدى الى طريق
الجنة قال تعالى فاما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما وقال والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ويصلح بالهم والهداية بعد القتل لا تكون الا الى الجنة وهذا ما ولده الجبائي ه الهدى بمعنى التقدم يقال هدى فلان فلانا اي تقدمه امامه واصل هذا من هداية الطريق لان الهادي
الدليل يتقدم المدلول والعرب تقول اقبلت هوادي الخيل اي مقدماتها ويقال للعنق هاد [illegible] لانها تتقدمها و يهديه اي يحكم بان المؤمن مهتد ويسميه
بذلك لان حقيقة قول القائل هداه جعله مهتديا وهذا اللفظ قد يطلق على الحكم والتسمية قال الله تعالى ما جعل الله من بحيرة اي ما حكم وشرع وقال ان الهدى هدى الله
معناه ان الهدى ما حكم الله بانه هدى وقال من يهد الله فهو المهتد اي من حكم الله عليه بالهدى فهو المستحق لان يسمى مهتديا فهذه هي الوجوه التي ذكرها المعتزلة ...

وقد تقدم منا وتكلمنا عليها في باب الاضلال قالت الجبرية هنا وجه آخر وهو ان يكون الهدى بمعنى خلق الهداية والعلم فان الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم قالت القدرية هذا غير جائز لانه لا يصح في اللغة ان يقال لمن حمل غيره على سلوك الطريق كرها وجبرا انه هداه اليه وانما يقال رده الى الطريق وجرّه اليه ولانه لو حصل ذلك بخلق الله لبطل الامر والنهي فان قيل مذهب انه خلق الله الا انه كسب العبد قلنا هذا الكسب اما نوع من جنس الاول او نوع هذه الحركة اما ان يكون بخلق الله او لا يكون بخلق الله فان كان بخلقه فمتى خلقه استحال من العبد ان يمتنع منه ومتى لم يخلقه استحال من العبد الاتيان به ثم يتوجه الاشكالات المذكورة وان لم يكن بخلق الله بل من العبد فهذا هو القول بالاعتزال الثاني انه لو كان خلقا قديما وكسبا للعبد لم يخل من احد وجوه ثلثة اما ان يكون الله تعالى يخلقه اولا ثم تكسبه العبد او تكسبه العبد اولا ثم يخلقه الله او وقع الامران فان خلقه الله كان العبد مجبورا على اكتسابه فيعود الالزام وان اكتسبه العبد اولا فالله تعالى مجبور على خلقه وان وقعا معا فوجب ان لا يحصل هذا الاتفاق الا بعد اتفاقهما لكن هذا الاتفاق غير معلوم لنا فوجب ان لا يحصل هذا الاتفاق وايضا فهذا الاتفاق يجب ان لا يحصل الا باتفاق آخر لانه من كسبه وفعله وذلك يودي الى لا نهاية له من الاتفاق وهو محال هذا مجموع كلام المعتزلة قالت الجبرية انما قسنا الدلائل العقلية التي لا تقبل الاحتمال والتاويل على ان خالق الافعال هو الله تعالى اما بغير واسطة او بواسطة والوجوه التي تمسكتم بها وجوه نقلية قابلة للاحتمال والتاويل والقاطع لا يعارضه المحتمل فوجب المصير الى ما قلناه وبالله التوفيق ٥

قوله من البخع البعة وهو ما يسمى منه الشخص ويقال فلان صحيح البنية اي الفطرة واعلم انهم اتفقوا على ان قوله تعالى وكنتم امواتا فالمراد به وكنتم ترابا او نطفا قال ابن عباس في رواية الضحاك اراد وكنتم ترابا ردّكم الى ابيكم آدم وقال في رواية عطاء والكلبي وكنتم نطفا لكنهم اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة او مجاز قال بعضهم هو حقيقة فيه وهو مروي عن قتادة قال كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله واخرجهم ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان واحتجوا بقوله تعالى خلق الموت والحيوة والموت المتقدم على الحيوة هو كونه ميتا على ان اطلاق الميت على الموات على سبيل الحقيقة والاول هو الاول والاكثرون عليه لان الميت ما حله الموت ولا بد ان يكون لصفة من يجوز ان يكون حيا في العادة فيكون فيه اللحمية والرطوبة فيشبه الموات بالميت ولانه تعالى في الجماد انه موات وليس بميت فاستعمال احدهما في الاخر على سبيل المجاز اي لاستعارة ومن سمى الكافر والجاهل والمكتئب موتى لانهم حرموا منفعة الاحياء فالجماد اولى قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال عليه السلام الناس كلهم موتى الا العالمون وقال الشاعر ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من تراه كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء وقال آخر فقروه مات موتا مستريحا وها انا ذا اموت كل يوم قال القفال رحمه الله هو كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فبين ان الانسان كان لا شيء يذكر فجعله تعالى حيا وجعله سميعا بصيرا ومجاز من قولهم فلان ميت الذكر وهذا امر ميت وهذه سلعة ميتة اذا لم يكن لها طالب ولا ذاكر قال ابو نخيلة السعدي واحييتم ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض فكذا معنى الاية وكنتم خاملين لا ذكر لكم لانكم لم تكونوا شيئا فاحياكم اي فجعلكم خلقا سميعا بصيرا ٥

قوله وهي مع كونها آيات من اعظم النعم اي ما عدده مع كونها آيات من اعظم النعم اي تحمل ان يكون الانكار لا شمال القصة على النعم الجسام لان عظم النعم يقتضي عظم معصية المنعم ستين ذلك ان الوالد كلما عظمت نعمته على الولد بان رباه وعلمه وعرضه للامور الجسام كانت معصيته له ابعد واعظم ولذلك استدل على عصمة الانبياء بان كانوا كانت نعم الله على الانبياء اكثر فكان صدور الذنب منهم اقبح والخشن ولو اذنبوا لاستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه غيرهم علما بان صدور الذنب منه اقبح والخشن ونعمة الله على الانبياء اكثر فكان صدور الذنب منهم اقبح العصاة من الامة ولذا وعد نساء النبي صلعم بقوله من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب وزيدت حدود الاحرار فبين تعالى بذلك عظم ما اقدموا عليه من الكفر بان ذكرهم نعمه العظيمة عليهم لزجرهم بذلك عما اقدموا عليه من التمسك بالكفر وبعثهم على اكتساب الايمان قال الحسن رحمه الله يعني بهذا الموت والحيوة العامة فاما بعض الناس فقد احياهم للشارات كحكاية في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه وفي قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وفي قوله فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وفي قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وفي قوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها وفي قوله في قصة ايوب عليه السلام واتيناه اهله ومثلهم معهم فانه تعالى رد عليه اهله بعدما اماتهم وقال بعض العلماء الاية تحتمل وجوها احدها من انظرت لكم الحجة على عبادة الاصنام وغيرها من دون الله انها حق ولم يظهر لكم منها الانشاء بعد الموت ولا الاماتة بعد الحيوة ولا الانشاء في الابتداء وثانيها كيف تنكرون البعث بعد الموت وتستبعدونه وكنتم امواتا اي نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون الانشاء الاول وثالثها كيف تنكرون الثواب والعقاب بعد الموت وفي العقل ان خلق الخلق للافناء والاماتة من غير قصد لعاقبة عبث ولعب لان كل من بنى بناء للنقض فهو عابث فكيف يعلون فعله عبثا والله تعالى اذا لم يجعل للخلق دارا للجزاء والعقاب كان في خلقه اياهم عابثا هازئا خارجا من الحكمة تعالى عن ذلك علوا كبيرا قوله تعالى ثم اليه ترجعون اي الى حكمه يرجعون لانه بعث من القبور ويحضرهم في المحشر وسمى ذلك رجوعا الى الله لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله كقولهم رجع امره الى الامير اي الى حيث لا يحكم غيره والرجوع هنا بمعنى المصير وفيه ٥

قوله في الاصل احتراز عن عارض يعرض كتعلق حق الغير واعلم ان اهل الاباحة استدلوا بهذه الاية على مذهبهم الباطل فقالوا خلق للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء دون شيء فيكون الكل مباحا على الكل وذكر ابطال من وجوه آ ان هذه اللام يقتضي اختصاصا ما لا كل اختصاص يقال هذا الخ لفلان ومسجد لفلان ونحن نسلم الاختصاص بجهة النظر والاعتبار كما ذكرنا ب قابل الجمع بالجمع فينقسم الافراد على الافراد كما في قوله ثم جعلوا اصابعهم في آذانهم وكما في قولهم ركب القوم دوابهم وبالتالي تعرف ان اختصاصا لا يقتضي اختصاص كل واحد بالكل او يقتضي اختصاص كل واحد بالبعض وهو معنى اختصاص الكل بالكل والاول محال لمانع الاختصاص على شيء واحد في زمان واحد فلا بد اما ان يقتضي اختصاص كل واحد بالبعض وذلك البعض محمل فسترها الاسباب الشرعية فاقتضت الاية اختصاص كل واحد من المخاطبين بعض ما في الارض وهو ما عينته الاسباب الشرعية ج هب ان الله معناه الثاني مرادا ثم ذلك البعض اما ان يقتضي الاختصاص او لا فان لم يقتض فمن ابن الاباحة وان اقتضت فلا يقتضي الاباحة للكل لان الاباحة للكل تنافي الاختصاص فوجب ان يكون على طريق توزيع البعض على البعض ثم فساد مذهبهم اظهر من ان يفتقر الى اقامة الحجة عليه والنار مع ما فيهم من التحاسد والتنافس والتشاكس كيف يتناصفون ويتساهلون والداعية قوية والحث غالب وهو يغضب ويهيج ولا عتاد على قرار المحبوب وهل هذا الا التسبب لسل السيوف والتفاني نعوذ بالله من الخذلان ٥

قال بعض الملاحدة خذلهم الله هذه الاية يدل على ان خلق الارض قبل خلق السماء وكذا قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وقال في النازعات ائنتم اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا يقتضي ان يكون خلق الارض بعد السماء وذكر العلماء في الجواب وجوها آ انه يجوز ان يكون خلق الارض قبل السماء الا انه ما دحاها حتى خلق السماء لان الدحية هي البسط قال الهروي في الغريبين في الخاء المنقوطة في الحديث كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الارض والخشعة مثل الصخرة الاكمة متواضعة وقال في الحاء المهملة في الحديث ان موضع البيت الله عز وجل كان حشفة فدحا الله عز وجل الارض عنها وقال الحشفة في البحر لا يعلوها الماء حشفة وجمعها حشاف واورد المصنف في الفائق هذا الحديث بهذين اللفظين والجوهري اساذكره في الصحاح ونظرا مما ذكرنا منانه هذا الجواب وصحته وقول الامام هذا الجواب مشكل لان الارض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية ولا للمنع بمنصبه وكان هذا الحديث لم يصل اليه ومع قطع النظر عن الحديث اعتراضه في غاية السقوط والجواب الثاني مما قاله العلماء عن شبهة الملاحدة ان قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض بان تكون مخلوقة غير مستوية قبل خلق الارض فسوى بها بعد خلق الارض وعلى هذا التقدير يزول التناقض قال الامام ولقائل ان يقول قوله ائنتم اشد خلقا الى فسويها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض لكن تدحية الارض ملازمة لخلق ذات الارض فاذا ذات السماء وتسويتها مقدم على خلق ذات الارض وحينئذ يعود السؤال وانا اقول هذا الاعتراض من الامام مبني على اعتراضه على الجواب الاول وقد عرفت سقوطه فسقط هذا ايضا والجواب الثالث ان ثم ليس للترتيب في الوقت وقد عرفته قال الامام وهو الجواب الصحيح وفي هذا الحمل الذي ذكره الامام نظر عرفته ٥

قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة قال الامام هذه الاية دالة على كيفية خلقه آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى اياه فيكون ذلك انعاما عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي اوردها في هذا الموضع قوله اذ نصب قال ابو عبيدة اذ هنا زائد معناه وقال ربك للملائكة لان العرب تعارف التكلم بها والقرآن نزل بلغة العرب وانكر الزجاج وغيره هذا القول وقالوا الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه ثم لهم قولان القول الاول ان فيه حذفا والمعنى واذكر لهم يا محمد اذ قال ربك فاضمر هذا الامر لاجلها ان المعنى معروف و٢ ان الله قد كشف ذلك في كثير من المواضع كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين والقرآن كله كالكلام الواحد ولا يبعد ان تكون هذه المواضع المصرحة نزلت قبل هذه السورة فلا جرم ترك ههنا اكتفاء بذكره في تلك المصرح واكثر المفسرين على ان ما ورد في القرآن من هذا النحو فالذكر فيه مضمر والقول ٢ استشهد ابو عبيدة لرجل من عبد قيس جاهلي يمدح بعض الملوك فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب ان اذ منصوب بقالوا وعلى الاول مفعول به ٥ قال الامام لا خلاف بين العقلاء في ان اشرف الرتبة للعالم العلوي هو وجود الملائكة فيه كما ان اشرف الرتبة للعالم السفلي هو وجود الانسان فيه الا ان الناس اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتها وطريق الضبط ان يقال الملائكة لا بد ان يكون ذواتا قائمة بانفسها ثم ان تلك الذوات اما ان تكون متحيزة او لا تكون اما الاول وهو ان الملائكة ذوات متحيزة فهنا قولان احدهما انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهذا قول اكثر المسلمين وثانيهما قول طوائف من عبدة الاوثان ان الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس فانها بزعمهم احياء ناطقة وان المسعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات منها ملائكة العذاب القول الثاني ان الملائكة ذوات قائمة بانفسها لكنها ليست بمتحيزة ولا بالاجسام فهنا قولان ٦ قول طوائف من النصارى وهو ان الملائكة في الحقيقة هي الانفس الناطقة المفارقة على هذه الصفة والخيرية وذلك لانها هذه النفوس المفارقة ان كانت صافية خالصة فهي الملائكة وان كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين وثانيهما قول الفلاسفة وهي انها جواهر قائمة بانفسها ليست متحيزة البتة وانها بالماهية مخالفة لانواع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة منها واكثر علما منها وانها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة الى الاضواء ثم ان هذه الجواهر على قسمين منها ما هي بالنسبة الى اجرام الافلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة الى ابداننا ومنها ما هي اعلى شانا من تدبير اجرام الافلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون ونسبتهم الى الملائكة الذين يدبرون السموات كنسبة اولئك المدبرين الى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على اثباتهما ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الملائكة الارضية المدبرة لاحوال هذا العالم السفلي ثم ان مدبرات هذا العالم ان كانت خيرات فهم الملائكة وان كانت شريرة فهم الشياطين ٥

قوله والمعنى خليفة منكم والخطاب للملائكة اعلم ان العلماء اختلفوا في ان المراد بالخليفة من هو فقيل آدم عليه السلام وقوله اتجعل فيها من يفسد فيها المراد ذريته لا هو وقيل المراد آدم وولده وهو الذي اختاره المصنف ثم اختلفوا في انه لم سماه خليفة وذكروا الذلك وجهين آ انه تعالى جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الارض بعد الجن وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن راسهم ابليس وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا الى الارض وطردوا الجن عن وجهها الى شعوب الجبال وجزائر البحار وسكنوا الارض وكانوا اخف الملائكة عبادة لان اهل السماء الدنيا اخف عبادة من الذين فوقهم وكذلك اهل كل سماء ويقولوا الملائكة لما صاروا سكان الارض خفف الله عليهم العبادة فاحبوا البقاء في الارض وكان الله قد اعطى ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزانة الجنان وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فاعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر فقال له ولجنده اني جاعل في الارض فهذا الخطاب مع بعض الملائكة وهو رواية الضحاك عن ابن عباس انه قال هذا القول للملائكة الذين كانوا مع ابليس وقال الامام الاكثر من الصحابة والتابعين على انه قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم فيكون التخصيص خلاف الاصل والوجه الثاني انما سماه الله خليفة لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهذا الراي متاكد بقوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق والى هذا الوجه اشار المصنف بقوله ويجوز ان يريد خليفة مني وهو عطف على قوله والمعنى خليفة منكم وهنا وجه آخر لم يذكره المصنف وذكره الامام وهو ان المراد ولد آدم فقالوا انا سماهم خليفة لانهم يخلف بعضهم بعضا وهو قول الحسن ويؤكده قوله هو الذي جعلكم خلائف الارض ٥

قوله اتجعل فيها تعجب تعذر هذا المقام ان نقول الجمهور الاعظم من علماء الدين اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب ومن الحشوية من خالف في ذلك لنا قوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الامور الا بمقتضى الامر والوحي واحتج المخالف بان الملائكة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وهذا اعتراض على الله وذلك من اعظم الذنوب وطعن في بني آدم بالفساد وذلك غيبة وهي من الكبائر ومدح لانفسهم وذكر شبهة الاعجاب والجواب ان ابليس غرضهم من ذلك السؤال تنبيه الله على شيء كان غافلا عنه فان من اعتقد ذلك في الله فهو كافر ولا الانكار على الله في فعل فعله بل المقصود من ذلك السؤال امور احدها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رأى ان ذلك الغير يفعل فعلا لا يقف على وجه الحكمة فيقول له اتفعل هذا كانه يتعجب من كمال حكمته وعلمه ويقول اعطاء هذه النعم العظيمة لمن يفسد ويقتل من الامور التي لا يهتدي العقول فيها الى وجه الحكمة فاذا فعلتها واعلم انك لا تفعلها الا لوجه دقيق وسر غامض انت مطلع عليه فما اعظم حكمتك واجل علمك فالحاصل ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها كانه تعجب من كمال علم الله واحاطة حكمته بما خفي على كل العقلاء هذا تقرير كلام المصنف وثانيها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانهم قالوا الهنا انت الحكيم الذي لا تفعل السفه لسه ونحن نرى في العرف ان تمكين السفيه من السفه سفه فاذا خلقت قوما يفسدون ويقتلون وانت مع علمك بان حالهم كذلك خلقتهم ومكنتهم وما منعتهم عن ذلك فهذا يوهم السفه وانت الحكيم المطلق فكيف يمكن الجمع بين الامرين فكان الملائكة اوردوا هذا السؤال طلبا للجواب وهذا انما طريقة المعتزلة قالوا وهذا يدل على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله وكانوا على مذهب اهل العدل وقال اهل السنة في الجواب قالوا ذلك اما على الناظم او الاغتنام لمن يفسد او على الاستعظام للمعصية مع جلائل النعم في حقهم او على وجه المبالغة في اعظام الله فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه او على السؤال ان يكونوا الخلفاء ويسبحوا بدلا ممن يفسد او على التعجب من حلم الله حيث يخلق من يعلم منه المعصية وقال القفال يحتمل انه لما اخبرهم انه يجعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها اي ستفعل ذلك وهو ايجاب خرج مخرج الاستفهام قال جرير الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك ولو كان استفهاما لم يكن مدحا ثم قالت الملائكة انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لك لما انا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله لهم اني اعلم ما لا تعلمون كانه قال والله اعلم نعم ما فعلتم حيث لم يجعلوا ذلك قادحا في حكمتي فاني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وعلمهم باطنهم وانا اعلم ظاهرهم وباطنهم واعلم من بواطنهم اسرارا خفية في حكاية العرف تقتضي خلقهم وايجادهم واما قولهم ذكرو اولي بني آدم بما لا ينبغي وهو غيبة فالجواب ان محل الاشكال في خلق بني آدم اقدامهم على الفساد والقتل ومن اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال لا لغيره فلهذا السبب ذكروا من بني آدم هاتين الصفتين وما ذكروا منهم عبادتهم وتوحيدهم لان ذلك ليس محل الاشكال واما قولهم مدحوا انفسهم وذلك يورث العجب وتزكية النفس فالجواب ان مدح النفس غير ممنوع منه لقوله واما بنعمة ربك فحدث وايضا يحتمل ان قولهم ونحن نسبح بحمدك ليس المراد مدح النفس بل المراد بيان ان هذا السؤال ما اوردناه لنقدح به في حكمتك يا رب فانا نسبح بحمدك ونعرف لك بالالهية والحكمة وكان الغرض من ذلك بيان انهم ما اوردوا السؤال للطعن في الحكمة والالهية بل لطلب وجه الحكمة على سبيل التفصيل ثم قالت الحشوية ان قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا يشبه الاعتذار فلولا تقدم الذنب لما اشتغلوا بالعذر فكيف لا نسلم ان الاولى للملائكة كان ان لا يوردوا ذلك السؤال فلما تركوا هذا الاولى كان ذلك الاعتذار اعتذارا من ترك الاولى فان قيل اليس انه تعالى قال لا يسبقونه بالقول فهذا السؤال وجب ان يكون باذن الله واذا كانوا ماذونين في هذا السؤال فكيف اعتذروا عنه قلنا لم يكونوا ماذونين في هذا السؤال فهذا العام قد خصص بهذه الصورة ٥

قوله من ابن عرفوا حتى يتعجبوا اختلف العلماء في ان اخبار الملائكة عن الفساد وسفك الدماء كان عن يقين او عن ظن فمنهم من قال انه عن يقين ثم ذكروا فيه وجوها الاول قال السدي عن ابن عباس قال الله تعالى لهم انه خالق بشرا وانهم يتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فلذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الثاني لما كتب الله في اللوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك الثالث قال ابن زيد لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا ربنا لم خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية تظهر منهم ومنهم من قال انه عن ظن ثم ذكروا فيه وجهين

الاول وهو موحد وعن ابن عباس والكلبي انهم علموا من الجن الذين كانوا قبل خلق آدم في الارض الثاني انهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من هذه الاخلاط الاربعة فلابد ان يتولد منها الشهوة والغضب فيتولد الفساد من الشهوة وسفك الدماء من الغضب الثالث انهم قاسوا الشاهد على الغائب فانهم لما رأوا ... خلقا كما ... في الارض ... والاحتياج الى الحاكم والقاضي ... انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام ... قال اهل التحقيق القراءة ... عن البصرة ... تعالى ويسفك الدماء اي يريقها والقراءة بفتح الياء وكسر الفاء قراءة السبعة

قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك اختلف العلماء في المراد من هذا التسبيح فروى ان ابا ذر رضي دخل بالعبادة على رسول الله صلعم او بالعكس فقال الرسول الله صلعم يا ابي انت اي الكلام احب الى الله فقال ما اصطفاه لملائكته سبحان الله وبحمده وروى سعيد بن جبير رضي قال ان جبريل اتى النبي صلعم فقال له يا نبي الله سالك عمر عن صلوة اهل السماء قال نعم قال اقره مني السلام واخبره بان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحي الذي لا يموت فهذا هو تسبيح الملائكة وقيل المراد بقوله نسبح لك اي نصلي لك والتسبيح هو الصلوة وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون ايضا لا لاله فمعنى نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له وعليه حمل قوله فسبح بحمد ربك ويكون حمد الحامد لله تسبيحا له لان معنى الحمد لله الثناء عليه وهذا تنزيه له و اعتراف انه يتنزه ويعظم ويثنى عليه قوله تعالى ونقدس لك التقديس التطهير ومنه الارض المقدسة والبيت المقدس المطهر ثم اختلفوا على وجوه احدها نطهرك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة فاللام زائدة كما في قوله ردف لكم والثاني قول مجاهد اي نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك والثالث نطهر قلوبنا عن الالتفات الى الغير حتى يصير مستغرقة في انوار معرفتك

قوله ثم عرضهم تعالى عرضت الجند عرض العين اذا امررتهم عليك ونظرت ما حالهم وفي المثل عرضتهم عرضا برى لات السابري ثوب جيد يشترى باول عرض ولا يبالغ فيه قال تعالى وعرضنا جهنم للكافرين اي ابرزناها وجعلناها بمكان يرونها قال الامام قوله ان كنتم صادقين ذكروا فيه وجوها احدها معناه اعلموني اسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام ثانيها معناه اخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور والعجز لانه متى لم يمكن في انفسهم العلم بما يمكن اخبر ولم يكونوا صادقين ولا لهم الى سبيل علموا ان ذلك متعذر عليهم ثالثها ان كنتم صادقين في قولكم انه لا شيء مما يتعبده الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن مسعود وابن عباس رابعها ان كنتم صادقين في قولكم اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم فاخبروني باسماء هؤلاء قوله سبحانك قال ابن عباس رضي الله عنهما تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وهو منصوب على المصدر جعل سبحان اسما علما للتسبيح كاللواو وقرب تقربا وقربانا وكفر تكفيرا وكفرانا قال الامام اعلم ان الذين اعتقدوا ان الملائكة اتوا بالمعصية في قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها قالوا انهم لما عرفوا خطاهم في ذلك السؤال رجعوا وتابوا واعتذروا عن خطاهم بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم ذكروا في ذلك وجهين الاول انهم انما قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم بانهم لا يعلمون ما سئلوا عنه وذلك لانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه الثاني ان الملائكة انما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك اعلمتنا انهم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء فقلنا لك اتجعل فيها من يفسد فيها واما هذه الاسماء فانك ما اعلمتنا كيفيتها فكيف نعلمها وقال بعض العلماء ان قيل لو اكتفوا بقولهم لا علم لنا لحصل المقصود فما الفائدة في قولهم الا ما علمتنا قلنا لو اكتفوا بالاول كان عذرا ولم يكن شكرا لما علمهم فجمعوا بين العذر والشكر ومما يقال العبد تمام لله بحث شكره وما من العبد يجب عليه وهذه الكلمة المحتوية على لا وا لا امر حقائق التوحيد لانه نفي غير الله واثبات اسمه كما في قولنا لا حول ولا قوة الا بالله وقولنا لا اله الا الله فكل موجود موجود بالله وغير موجود بنفسه سئل الشعبي عن مسئلة فقال لا ادري فعوتب فيه فقال ان الملائكة قالوا لا علم لنا فانا وعن بعض العلماء انه قال على المنبر في مسئلة لا ادري فقيل له ليس هذا مكان الجهال فقال انما العلو على قدر علمي ولو علوت على قدر جهلي لبلغت السماء

قال الامام العليم من صفات المبالغة في العلم والمبالغة التامة لا تتحقق الا عند الاحاطة بكل المعلومات وما ذاك الا هو الله تعالى فلهذا قال انت العليم الحكيم على سبيل الحصر وقال الحكيم يستعمل على وجهين احدهما بمعنى العليم فيكون من صفات الذات وعلى هذا التقدير يقال انه تعالى حكيم في الازل والآخر انه الذي يكون فعلا لا اعتراض عليه فيكون ذلك من صفات الفعل ولا يقال انه حكيم في الازل والاقرب هنهنا ان يكون المراد هو المعنى الثاني والا لزم التكرار فكان الملائكة قالت انك انت العالم بكل المعلومات فامكنك تعلم آدم وانت الحكيم في هذا الفعل والمصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل خليفة في الارض وقال في المطلع الحكيم هو الذي يوجد منه الافعال المحكمة المتقنة اي على ترتيب خاص ونظام مخصوص والحكيم اما ان يكون بمعنى الحاكم وهو الذي يحكم بالعدل قال صاحب بولتز الادب الحكمة ان يكون صنع كل امر في مصنوع فيستنبط فيوضع لفظة تشتمل عليه ويحتمل ان يكون الحكيم مستعارا منها واما ان يكون بمعنى المحكم للاشياء كالاليم بمعنى المولم ومعناه الحكيم امر كذا فاحكمت ان يجعل خليفة عنه قوله تعالى انبئهم اي اخبر الملائكة باسماء فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر منفعته التي لاجلها خلق روى انه عليه السلام رفع على المنبر وامر بان ينبئهم وهم جلوس وقيل قيام حوله وعن ومصادر ابنائهم ماء في الارض والحقه بجنسه ولما اخبرهم آدم عن اسماء الاسماء قال في الم اول الكلم حرف تنبيه وصل الالف استفهام فصار للايجاب والتقرير لك الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ما غاب فيها من الاسماء فسمى كل شيء باسم اهلها فيكون غيبا بالاضافة اليها وقيل ما في السموات والارض من الغيب اي ما غاب عن الخلق قال الامام والمراد من هذا الغيب انه تعالى كان عالما باحوال آدم قبل ان خلقه قوله تعالى ما تبدون اي ما تظهرون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون اي ما اضمر ابليس من المعصية الامر بالطاعة لآدم وذلك ان الله تعالى لما صور آدم علم قرأه ابليس الملائكة الذين كانوا معه في الارض اولاهم لهذا الذي لم برواية الخلائق مثله ان امركم الله بطاعته ما تصنعون فقالوا نطيع امر ربنا ونفعل ما يامرنا فاضمر ابليس في نفسه لئن فضل علي لا اطيعه وقال الحسن وقتادة وما كنتم تكتمون يعني قولهم لن يخلق خلقا اعلم ولا افضل منا ويحتمل ان يكون هذا القول سترا اسروه بينهم وابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والاليق بمعنى الآية ان يحاط بهدون على ما اظهر ابليس من الاباء من السجود لآدم وما كنتم تكتمون على امارة المعصية في امره بالطاعة لآدم والعملان واختص بهما ابليس اضافهما الى الملائكة كلهم على طريقة العرب في اضافة فعل بعض القبيلة اليها قال الامام اعلم انه لا اطلاع لاحد على اسرار حكمة الله فالملائكة وقع نظرهم على الفساد والقتل فاستحقروا البشر ووقع نظرهم على طاعة ابليس فاستعظموه واما علام الغيوب فانه كان عالما بانهم ان اتوا بالفساد والقتل فسياتي تعالى التي اعلم غيب السموات معناه اني انا الذي اعرف الظاهر والباطن والواقع والمتوقع ثم انه تعالى حقق بتر علم الغيب وعجز الملائكة ان اظهر من البشر كمال العبودية ومن ابليس ساكني السموات عباد كمال الكفر ليلا يغتر احد بعمله ولتعرضوا معرفته لا شيئا الحكمة الخالق ويزيلوا الاعتراض بالقلب واللسان عن مصنوعاته ومبدعاته

قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا قال الامام هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر وهو انه جعل اباهم مسجود الملائكة وقال الامر بالسجود حصل قبل ان سوى الله خلقة آدم بدليل قوله اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وظاهره يدل على انه علم كما صار حيا صار مسجود الملائكة لان الفاء في قوله فقعوا للتعقيب وعلى هذا التقدير يكون تعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد ان صار مسجود الملائكة قال الواحدي اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم من هم فقال بعضهم هم الذين كانوا مع ابليس في الارض وقال آخرون هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل لانه قال فسجد الملائكة كلهم اجمعون وفي هذا تاكيد للعموم قال الواحدي السجود في اللغة الخضوع والتذلل فكل من ذل وخضع لما امر به فقد سجد وسجود كل موات في القرآن طاعته لما سخر له قال ابو عبيدة عن ساجدة اذا كانت فاترة ونخلة ساجدة اذا امالت لكثرة حملها قال الامام اجمع المسلمون على ان هذا السجود ليس سجود العبادة لان العبادة لغير الله كفر والامر لا يرد بالكفر ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلثة اقوال القول الاول ان ذلك السجود كان لله تعالى وآدم كان كالقبلة ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين احدهما انه لا يقال صليت للقبلة بل يقال صليت الى القبلة فلو كان آدم عم قبلة لذلك السجود لوجب ان يقال اسجدوا الى آدم والثاني ان ابليس قال ارايتك هذا الذي كرمت علي اي لكونه مسجودا لا له انه اعظم من الساجد ولو كان قبلة لما حصلت هذه الدرجة بدليل ان نبينا محمدا عم كان يصلي الى الكعبة ولم يلزم ان يكون الكعبة افضل منه والجواب عن الاول انه كما يجوز ان يقال صليت الى القبلة يجوز ان يقال صليت للقبلة والدليل عليه القرآن والشعر اما القرآن فقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل والصلوة لله لا للدلوك فاذا جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال صليت للقبلة مع ان الصلوة تكون لله لا للقبلة واما الشعر فقول حسان بن ثابت ما كنت اعرف ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود والجواب عن الثاني ان ابليس شكى تكريمه وذلك التكريم لا نسلم انه حصل لمجرد السجود له بل لعله حصل بذلك مع امور اخر القول الثاني ان السجدة كانت لآدم عم تعظيما له وتحية له كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي

المسلمون بعضهم بعضا بالسلام قال قتادة في قوله تعالى وخروا له سجدا كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض وعن صهيب ان معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبي صلعم فقال يا معاذ ما هذا قال ان اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسيها فقلت ما هذا قال تحية الانبياء فقال عم كذبوا على انبيائهم القول الثالث ان السجود في اصل اللغة هو الانقياد والخضوع قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان واعلم ان القول الاول ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم عم وجعله مجرد القبلة لا يفيد تعظيم حاله واما القول الثالث فضعيف ايضا لان السجود لا شك انه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغير فان قيل السجود عبادة والعبادة لغير الله لا تجوز قلنا لا نسلم انها عبادة بيانه ان الفعل قد يصير بالمواضعة مفيدا كالقول بدليل ان قيام احدنا للغير يفيد تعظيمه وما ذاك الا للعادة واذا ثبت ذلك فلم لا يجوز ان يكون في بعض الاوقات سقوط الانسان على الارض والصاقه الجبين بها مفيدا ضربا من التعظيم وان لم يكن ذلك عبادة واذا كان كذلك لم يمتنع ان يتعبد الله تعالى الملائكة بذلك اظهارا لرفعته وكرامته واختار المصنف ان هذا السجود لآدم على وجه التكرمة كسجود ابوي يوسف واخوته فانه مثل ذلك كان جائزا ثم نسخ بالحديث المشهور وهو ما روى عن البغوي عن سماك بن هاني قال دخل الجاثليق على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاراد ان يسجد له فقال علي رضي اسجد لله ولا تسجد لي فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله الا ابليس قال الامام انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين كان يحتمل ان يظن انه كان معذورا في ترك السجود فبين تعالى انه لم يسجد مع القدرة وزوال العذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار اما من لم يكن قادرا على الفعل فلا يقال له انه ابى ثم قد كان يجوز ان يكون كذلك ولم يضم اليه الكبر فبين تعالى انه ذلك الاباء كان على وجه الكبر بقوله واستكبر ثم كان يجوز ان يوجد الاباء والاستكبار مع عدم الكفر فبين تعالى كفره بقوله وكان من الكافرين قوله تعالى وكان من الكافرين اعلم ان للعلماء في قوله وكان من الكافرين قولان القول الاول ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كافرا وفي تقرير هذا القول وجهان الاول حكى محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في اول كتابه المسمى بالملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة وهي مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس للملائكة اني اسلم ان لي الها هو خالقي وموجدي وهو خالق الخلق لكن لي على حكم الله سبعة اسولة آ ما الحكمة في الخلق لا سيما ان كان عالما بان الكافر لا يستوجب عند خلقه الا الآلام ب ما الفائدة في التكليف مع انه لا يعود اليه منه نفع ولا ضر وكلما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف ج هب انه كلفني بمعرفته وطاعته فلم كلفني السجود لآدم د ثم لما عصيته في ترك السجود لآدم فلم لعنني واوجب عقابي مع انه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه اعظم الضرر ه ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ووسوسة آدم و ثم لما فعل ذلك فلم سلطني على اولاده ومكنني من اغوائهم واضلالهم ز ثم لما استمهلت المدة الطويلة في ذلك فلم امهلني ومعلوم ان العالم لو كان خاليا عن الشر لكان ذلك خيرا قال شارح الاناجيل فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس انك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت انه لا اعتراض علي في شيء من افعالي فاني انا الله لا اله الا انا لا اسال عما افعل واعلم انه لو اجتمع الاولون والآخرون من الخلائق وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا عن هذه الشبهات مخلصا وكان الكل لازما اما اذا اجبنا بذلك الجواب الذي ذكره الله تعالى زالت الشبهات واندفعت الاعتراضات وكيف لا وكما انه تعالى واجب الوجود في ذاته وفي صفاته فهو مستغن في فاعليته عن المؤثرات والمرجحات اذ لو افتقر لكان فقيرا لا غنيا فهو تعالى مقطع الحاجات ومنتهى الرغبات ومن عنده نيل الغايات واذا كان كذلك لم يتطرق اللمية الى افعاله ولم يتوجه الاعتراض على خالقيته وما احسن قول من قال جل جناب الجلال ان يوزن بميزان الاعتزال فهذا العالم الاعرابي لو ولم وكان من الكافرين على ظاهره وقال انه كان كافرا منافقا منذ كان الوجه الثاني تقريره انه كان كافرا ابدا قول اصحاب الموافاة وذلك لان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم والكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم والجمع بين استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم محال فاذا صدر الايمان عن المكلف في وقت ثم صدر عنه بعد ذلك كفر فاما ان يبقى الاستحقاقان معا وهو محال او كان الطارئ مزيلا للسابق وهو ايضا محال لان القول بالاحباط باطل فلم يبق الا ان يقال هذا الفرض محال وشرط حصول الايمان في وقت ان لا يصدر الكفر عنه فاذا كانت الخاتمة على الكفر علمنا ان الذي صدر عنه اولا ما كان ايمانا فاذا ثبت هذا تعين لما كان ختم ابليس على الكفر علمنا انه ما كان مؤمنا قط ومذهب هؤلاء ان الذي كفر لم يزل كافرا من اول حاله والذي آمن لم يزل مؤمنا من اول حاله وهذا مذهب باطل لان ما قالوه سفسطة لان التصديق الموجود في زمان يوجب اتصاف الشخص بكونه مؤمنا في ذلك الزمان وبعد انقضاء الزمان المستقبل بالانكار والتكذيب لا يوجب سلب اسم المؤمن عنه قبل ذلك لم يبدل فالقائلون بهذا القول قالوا ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك وهؤلاء اختلفوا في تفسير قوله وكان فمنهم من قال هو بمعناه ثم اختلفوا فقال بعضهم معناه كان من الكافرين في علم الله اي كان الله تعالى في الازل عالما بانه سيكفر بصفته كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم وآخرون انه لما كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا قبل ذلك فبعد ما صدق عليه انه كان في ذلك الوقت من الكافرين ومتى صدق عليه ذلك صدق عليه انه كان من الكافرين لان قولنا كان من الكافرين جزء من مفهوم قولنا كان من الكافرين في ذلك الوقت ومتى صدق المركب صدق المفرد لا محالة الوجه الثاني ان المعنى صار من الكافرين وههنا بحثان آ اختلفوا في انه هل كان من الكافرين يدل على انه وجد قبله جمع من الكافرين حتى يصدق القول بانه من الكافرين قال قوم يدل عليه لان كلمة من للتبعيض فالحكم عليه بانه بعض الكافرين يقتضي وجود قوم آخرين من الكفار حتى يكون هو بعضا لهم ويؤكده ما روي عن ابي بردة انه قال ان الله خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم وكان ابليس منهم وقال آخرون هذه الآية لا تدل على ذلك ثم لهم في تفسير الآية وجهان آ ان معنى الآية انه صار من الذين كفروا واتفق في الكفر بعد ذلك وهو قول الاصم وذكر في ماله قوله في المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض فاضاف بعضهم الى بعض بسبب الموافقة في الدين فكذا ههنا لما كان الكفر ظاهرا من اهل العالم عندنا ولهذه الآية صح قوله وكان من الكافرين ب ان هذه الاضافة قد تصح من افراد الماهية الى الماهية وذلك لا يقتضي وجود الافراد في الخارج فانه يصح ان يقال لا واجب الا وحد انه من الحيوانات البحث الثالث ان الخوارج تمسكوا بهذه الآية على ان الكبيرة توجب الكفر لان الله كفر ابليس بتلك المعصية والجواب ان قلنا انه كان كافرا من اول الامر فالسؤال زائل وان قلنا انه كان مؤمنا فصول انما كفر لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد واستدل عليه بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين اشار الى انه لا يحسن ان يسجد مثلي لمثله والامر به امر بالشنيع فلذلك كفر قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة قال الامام ان الله تعالى لما امر الكل بالسجود لآدم وابى ابليس السجود صيره ملعونا ثم امر آدم عليه السلام بان يسكن هو وزوجته واختلفوا في الوقت الذي خلقت زوجته فيه ذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة ان الله لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي وعن ابن عباس رضي الله عنه بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلا الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخال الجنة واختلفوا في ان الجنة المذكورة في هذه الآية هل هي الجنة المعروفة دار الثواب ام غيرها فقال ابو بكر والمعتزلة الجنة هذه غير المعروفة فقال ابو بكر كانت بستانا من الارض وقالت المعتزلة انها بارض فلسطين او بين كرمان وفارس وان المعروفة غير مخلوقة واحتجوا بانها اخرجا واكرما وهبا فيها واخذا بالتدلي ونزع عنهما لباسهما لما قوله تعالى اهبطوا منها فدل على انها موجودة في جهة العلو وهم مخلوقون الامساك على الاستقبال من بقعة الى بقعة كما في قوله اهبطوا مصرا ولما ايضا ولانه قال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى واما ما ذكروه فهو صفة الجنة التي هي جزاء المتقين يخلدون فيها ولا يخرجون وهذا لا يمنع وجود التكليف والخروج وطعمه آثار الزلة وغير ذلك وقال بعضهم لو قال رجل لغيره اسكنتك داري لا تصير الدار ملكا له فهنالم يملك الجنة لانه خلقه لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالمقدمة لذلك واما في الآخرة فيكون بطريق التمليك قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واختلفوا في ان قوله تعالى اسكن تكليف او اباحة والمروي عن قتادة انه قال ان الله تعالى ابتلى آدم عم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه بان يكون في الجنة ياكل منها حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فبدت سوآته عند ذلك واهبط من الجنة واسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع ان منعه عن تناوله من اشد التكاليف وقال آخرون ان ذلك اباحة لان الاستقرار في المواضع الطيبة النزهة التي يتمتع فيها لا يدخل تحت التعبد كما ان اكل الطيبات لا يدخل تحت التعبد ولا يكون قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم تكليفا بل اباحة قال الامام والاصح ان ذلك الاسكان مشتمل على ما هو اباحة وعلى ما هو تكليف اما الاباحة فهو ان آدم عم كان ماذونا في الانتفاع بجميع نعم الجنة واما التكليف فهو ان المنهي عنه كان حاضرا وهو كان ممنوعا عن تناوله قوله تعالى ولا تقربا القربان الدنو من الشيء يقال ما قربته قربانا اي ما دنوت منه ومنه قربان المراة غشيانها ومعناه النهي بالاكل لانه ما عوتب على قربانها بل على الاكل منها فهو نهي بالغ بلفظ نكير يقال ما فعلت هذا الامر ولا قربته ثم ان النهي بهذا القول يعم الاكل وسائر الانتفاعات ولو نص على الاكل ما كان يعم ذلك ففيه مزيد فائدة واختلفوا في ان هذا نهي تحريم او نهي تنزيه قال بعضهم انه نهي تنزيه لان هذه الصيغة تارة وردت في التنزيه واخرى في التحريم والاصل عدم الاشتراك [uncertain reading: وهو حقيقة] بهذا المقام الحمل على التنزيه لانه ترجح حاصل معصية آدم عم الى ترك الاولى ومعلوم ان كل مذهب افضى الى عصمة الانبياء عم اولى بالقبول وقال آخرون هو نهي تحريم لقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي ان كلما منها ظلمتما انفسكما ولهذا قالا ربنا ظلمنا انفسنا وايضا لو كان نهي تنزيه لما استحق آدم الاخراج من الجنة ولما تاب والجواب عن الاول ان قوله تعالى فتكونا من الظالمين اي فتظلما انفسكما بفعل ما الاولى بكم تركه لانكما اذا فعلتما ذلك اخرجتما من الجنة التي لا تظمآن فيها ولا تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان الى موضع ليس لكما

وعن الثاني لا نسلم ان الاخراج من الجنة كان لذلك والانبياء يواخذون على ترك الاولى فيتوبون عنه ٥ قال الامام واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على تعيين الشجرة ولا حاجة الى بيانه لانه ليس المقصود
من هذا الكلام ان يعرفنا عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا في الكلام لا يجب على الحكيم ان يبينه بل ربما كان بيانه عبثا لان احدنا لو اراد ان يعلم لغيره العذر في التاخر فقال شغلت بعض غلماني
لاساءته الادب لكان هذا القدر احسن من ان يذكر عين ذلك الغلام ويذكر اسمه وصفته فليس لاحد ان يطعن بانه ورد هنا تفسير البساتين قال بعضهم الانسب لفظ الشجرة ان يتناول ما له ساق
واغصان والنجم ما لا ساق له قال تعالى والنجم والشجر يسجدان واعترض عليه بقوله وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال في الصحاح واليقطين ما لا ساق له من النبات كشجر القرع ونحوه فلم يخرجه
ذهابه على وجه الارض ان يكون شجرا قال المبرد واحسب ان كل ما تفرعت له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا في وقت تشعبه واصل هذا ان كل ما تشجر اي اخذ بعضه ببعض
تعالى رايت فلانا قد شجرته الرماح وقال تعالى حتى يحكموك فيما شجر بينهم وتشاجر الرجلان في امر كذا اي اختلفا من التشاجر من القوم وهو اختلاط الامر واختلافه والتنازع تفاعل
المصنف انه قال يحتمل ان يكون هذه الشجرة شجرة واحدة معينة معلومة ويحتمل ان يكون المراد بها الجنس ٥

فان قيل قال تعالى هنا وكلا منها رغدا وقال في الاعراف فكلا من حيث شئتما فما الحكمة في ان عطف قوله كلا على قوله اسكن هنا بالواو وفي الاعراف بالفاء قلنا اذا وجد السببية
يعطف بالفاء والا فبالواو كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا عطف بالفاء لكون الاكل منها متعلقا بدخولها فكانه قال ان دخلتموها اكلتم منها وقال في الاعراف
في مثل هذه الاية واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم فعطف بالواو لان اسكنوا من السكنى وهي المقام مع طول اللبث والاكل لا يختص وجوده بوجوده لان من
دخل بستانا قد ياكل منه وان كان مجتازا اذا ثبت هذا فنقول لما اسكن لمن دخل مكانا فراد الزم المكان الذي دخله ولا تنتقل عنه وتعال الضا لمن لم يدخله اسكن هذا المكان يعني
ادخله واسكن فيه ففي سورة البقرة هذا الامر انما ورد بعد ان كان ادم عليه السلام في الجنة فكان المراد منه اللبث والاستقرار وقد بينا ان الاكل لا يتعلق به فورد بلفظ الواو وفي الاعراف
ورد الامر قبل دخول الجنة وكان المراد منه دخول الجنة والاكل متعلق به فورد بلفظ الفاء والله اعلم قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وورى عنهما من سواتهما وقد نسب
كسب الانسان الزلة الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ~~وقد نسب كسب الانسان الزلة الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان~~ واستزل كقولهم
استجاب واجاب واستخلف لاهله واخلف فكان استزلهم من الزلة والمعنى فيه كسبهم الشيطان الزلة كذلك قوله فازلهما الشيطان عنها القول الاخر يكون فازلهما من زل
عن المكان اذا تنحى فلم يثبت عليه ويدل على ذلك قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكان خروجهما عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه الى غيره كذلك عاره فيه وزلله فاما قوله فان زللتم من بعد ما
جاءتكم البينات فاعلموا فيحتمل ان يكون زللتم من الزلة كان المعنى فان صرتم ذوي زلة ويحتمل ان يكون من العثار تشبيها للمعنى بالعين فاستعمل الذي هو العثار والمراد به الخطا وخلاف الصواب
قال الشاعر لستعن دشما حول قبته يهون عن اكل وعن شرب قوله دشما اي سمينا من الدسومة وهي معروفة والقبة شبه الخباء قوله يهون اي يلغون نهاية السمن
بسبب الاكل والشرب قال في المجمل ناقة نهبة تناهت سمنا وقال المصنف في سورة الذاريات حقيقة يصدر بما بينهم في السمن عنهما قال بعض شارحي ابيات الكشاف سمعت
من استاذي ظهير الدين الصحاف فحال ~~اكراى~~ الكشاف علمه ما دري من اين اخذ الزمخشري هذه اللغة يعني ان يهون بمعنى يتناهون في السمن وانا اقول يمكن ان يكون اخذه مما
ذكرناه ٥ وقال ابو علي في الحجة اما الشيطان فهو فيعال من شطن اي بعد مثل البيطار والغيداق تعالى شابت غيداق اي ناعم وليس بفعلان من شاط يشيط اي هلك الا ترى
ان سيبويه حكى شيطنته فتشيطن فلو كان من شاط لكان شيطنته فعلنته وفي اما لا نعلم ان هذا الوزن جاء في كلامهم ما يدل على انه فعلنة مثل بيطرته قال قلت فعد انشد
الكسائي اوعنى وقدمنت الحوا امنا عليهم وشيطان اذ يدعوهم ويثيب فمن ترك صرف شيطان دلالة على انه مثل سعدان وحمدان قلنا لا دلالة في ترك صرف شيطان على ذلك
لانه يجوز ان يكون قبيلة او اسم مونث ٥ قوله روي قال الامام روى القصاص عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس وغيرهم انه لما اراد ابليس ان يدخل الجنة منعته الخزنة فاتى الحية وهي دابة
لها اربع قوائم كانها البختية كاحسن الدواب بعدما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها فابتلعته الحية وادخلته الجنة خفية من الخزنة فلما دخلت الحية خرج ابليس من فمها واشتغل
بالوسوسة فلا جرم لعنت الحية وسقطت قوائمها وصارت تمشي على بطنها وجعل رزقها في التراب وعدوا لبني ادم قال الامام هذا واشباهه يجب ان لا يلتفت اليه لان ابليس لو قدر على الدخول
في فم الحية فلم لم يقدر على ان يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ولان الحية لما فعلت ذلك فلم عوقبت فانها ليست عاقلة ولا مكلفة ٥ وما احسن ما قال بعض العارفين هب ان زلة
ادم عليه السلام كانت بسبب وسوسة ابليس فمعصية ابليس حصلت بوسوسة من وهذا ينبهك على انه ما لم يحصل الداعي لا يحصل الفعل وان الدواعي وان ترتب بعضها على
البعض فلا بد من انتهائها الى ما يخلقه الله تعالى ابتداء وهو الذي صرح به موسى عليه السلام في قوله ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ثم اعلم ان كيفية الوسوسة
هي التي حكى الله تعالى في قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فلم يقبلا ذلك منه فلما ايس من ذلك عدل الى اليمين على ما قال وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين فاغترا وما كانا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم حتى اكلها وقيل لما عدل الى اليمين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلم يصدقاه
ايضا والظاهر انه بعد ذلك عدل الى شيء اخر ايضا وهو انه شغلهما باستيفاء اللذات المباحة حتى صارا مستغرقين فيه فحصل بسبب استغراقهما نسيان النهي فعند
ذلك حصل ما حصل قال في فنسي ولم نجد له عزما ولا يبعد ان يكون مثله مواخذا بالسهو والنسيان لان الاحتراز عنه لا يخرج عن قدر العباد الا انه وضعه من هذه الامة فضلا وكرما
قوله قيل اهبطوا يعني قال بعضهم ان قوله اهبطوا خطاب الى آخره اختلف العلماء في المخاطبين بهذا الخطاب بعد الاتفاق على ان ادم وحواء كانا مخاطبين به وذكروا
فيه وجوها الاول وهو قول الاكثرين انه ادم وحواء وابليس قالوا لان ابليس قد جرى ذكره في قوله فازلهما الشيطان عنها اي فازلهما فقلنا اهبطوا واما قوله بعضكم لبعض عدو فهو على هذا القول
تعريف لادم وحواء ان ابليس عدو لهما ولذريتهما كما عرفهما ذلك قبل الاكل من الشجرة فقال فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فان قيل ان ابليس لما ابى من السجود
صار كافرا واخرج من الجنة وقيل له اخرج منها فانك رجيم وقال ايضا اخرج منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وزل ادم انما وقع بعد ذلك بمدة طويلة ثم امر بالهبوط بسبب الزلة فلما حصل
هبوط ابليس قبل ذلك كيف يكون قوله اهبطوا متناولا له قلنا ان الله تعالى لما اهبطه الى الارض عاد الى السماء مرة اخرى ليوسوس ادم فحين كان ادم وحواء في الجنة قال لهما اخرجا
فلما اخرجا من الجنة واجتمع ابليس معهما خارج الجنة امر الكل بقوله اهبطوا ومن الناس من قال ليس معنى اهبطوا انه قال ذلك لهم دفعة واحدة بل قال ذلك لكل واحد منهم في وقت على حدة
الوجه الثاني ان المراد ادم وحواء والحية قال الامام وهذا القول ضعيف لانه ثبت بالاجماع ان المكلفين هم الملائكة والجن والانس ولقائل ان يمنع هذا الاجماع فان من الناس من يقول
قد يحصل في غيرهم جمع من المكلفين على ما قال تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه وقال سليمان عليه السلام للهدهد لاعذبنه عذابا شديدا فالمراد بالعداوة هي التي بين بني ادم والحية روى عن
صالح بن حيان قال رايت عبد الله بن عمر يعالج حية صغيرة يريد ان يقتلها فقلت ما تصنع قال قال النبي صلعم ما سالمناهن منذ عاديننا فاقتلوهن حيث وجدتموهن وفي رواية من ترك شيئا منهن
خيفة فليس منا الوجه ٣ ان المراد بهما اي ادم وحواء وذريتهما قال الامام وهذا القول ضعيف لان الذرية ما كانوا موجودين في ذلك الوقت فكيف يتناولهم الخطاب وجوابه ما ذكره المصنف
ويقول لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم اي ولما جعلا كانهما الانس كلهم صح خطابهما بلفظ الجمع في قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو ثم قال الامام اما من زعم
ان اقل الجمع اثنان فالسؤال زائل على قوله واما احوال فيما ذكره الامام نظر لانه يشكل بقوله بعضكم لبعض عدو اذ لم يثبت العداوة بين ادم وحواء ولقائل ان يقول ما روي عن ابن عباس
ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال ادم فقال يا رب زينته لي حواء فقال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ... فقيل عليك الرنة وعلى بناتك يدل على انه
عرض نوع معاداة بينهما والله اعلم بالحقيقة قال بعض العلماء العدو مشتق من عدوة الوادي بالكسر والضم مما جانبه سمي بذلك لان كلا من المعادين يسلك جانبا
غير جانب الاخر كما سمي مخاصمين ومشاقين ومحادين لكون كل منهما في خصم وحد وشق وقيل من قولهم عدا عليه يعدو عدا واعتدى اي ظلم قال الواحدي العدو
يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى وقال في الصحاح العدو ضد الولي والجمع الاعداء والانثى عدوة قال ابن السكيت فعول اذا كان بمعنى فاعل كان مونثه بغير هاء نحو رجل صبور
وامراة صبور الاحرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء وانما ادخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشيء قد يبنى على ضده ٥ قوله فتاب عليه قال الامام لا يجوز ان
يكون المراد ان الله تعالى لم يعرف حقيقة التوبة لان المكلف لا بد وان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بفعلها من تدارك الذنوب ويميزها من غيرها فضلا عن الانبياء عليهم السلام بل يجب حمله على احد امور الاول التنبيه
على المعصية الواقعة منه على وجه صار ادم عليه السلام عند ذلك من التائبين المنيبين الثاني انه تعالى عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة لا محالة على معنى من اذنب صغيرا وكبيرا ثم ندم على ما صنع وعزم ان
لا يعود فاني اتوب عليه فتلقى ادم من ربه هذه الكلمات اي اخذها وقبلها وعمل بها الثالث ذكره لنعمه العظيمة عليه فصار ذلك من الدواعي القوية الى التوبة الرابع انه تعالى علمه كلاما لو حصلت التوبة معه
لكان ذلك سببا لكمال حال التوبة والوجه الثاني الذي ذكره الامام وسماه ذكره ابو علي في الحجة ويقوله واما الكلمات في قوله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فالمراد منه الفقهاء اي الاشياء

تعريفه ثم فتاب عليه عطف على قوله فتلقى ادم وكانه قيل فتاب ادم فتاب الله عليه التوبة في اللغة الرجوع وفي الشرع رجوع العبد من المعصية الى الطاعة والامام يعطف قوله انه
هو التواب الرحيم لانه جواب سائل يسال فقال لم قبل توبته فقيل انه هو التواب الرحيم فلذا لم يقل توبته قال العلماء اصل التوبة الرجوع كالاوبة قال تعالى توبوا اوب قال الامام قابل التوب فهو لهم تاب يتوب توبا
وتوبة ومتابا فهو تائب وتواب كقولهم آب يؤوب اوبا واوبة فهو ايب واواب والتوبة لفظ مشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف به العبد فالمعنى رجع الى ربه لان كل عاص في معنى الهارب من ربه فاذا
تاب فقد رجع من هربه الى ربه فيقال تاب الى ربه والرب تاب على عبده وقد يفارق الرجل خدمة ملكه فيقطع الملك معروفه عنه ثم يراجع خدمته فيقال فلان عاد الى الامير والامير عاد اليه باحسانه ومعروفه
اذا عرفت هذا فنقول قبول التوبة يكون بوجهين ٢ ان يثيب عليها بالثواب العظيم كما ان قبول الطاعة يراد به ذلك وفي ٢ انه ثم يغفر ذنوبه بسبب التوبة قال الامام المراد من وصف الله بالتواب المبالغة
في قبول التوبة وذلك من وجهين ٢ ان واحدا من ملوك الدنيا متى جنى عليه انسان ثم اعتذر منه فانه يقبل الاعتذار ثم اذا عاد الى الجناية والى الاعتذار مرة اخرى فانه لا يقبله لان طبعه يمنعه من قبول العذر اما
الله تعالى فانه يفعل بخلاف ذلك لانه انما يقبل لا لامر يرجع الى رقة طبع او جلب نفع او دفع ضرر بل انما يقبلها لمحض الاحسان والتفضل فلو عصى المكلف كل ساعة ثم تاب وبقي على هذه الحالة العمر الطويل
لكان الله تعالى يغفر له ما سلف ويقبل توبته فصار مستحقا للمبالغة في قبول التوبة فوصف نفسه تعالى بانه تواب ٢ ان الذين يتوبون الى الله تعالى فانه يكثر عددهم فاذا قبل توبة الجميع استحق المبالغة في
ذلك ثم لما كان قبول التوبة مع ازالة العقاب يقتضي حصول الثواب وكان الثواب من جهته نعمة ورحمة وصف تعالى نفسه مع كونه توابا بكونه رحيما قال القفال لابد في التوبة من ترك ذلك الذنب
ومن الندم على ما سبق ومن العزم على ان لا يعود الى مثله ومن الاشفاق فما بين ذلك كله اما الدلالة على الترك فلانه لو لم يترك لكان فاعلا له فلا يكون تائبا واما الندم فلانه لو لم يندم لكان
راضيا بكونه فاعلا له والراضي بالشيء قد يفعله والفاعل للشيء لا يكون تائبا عنه واما العزم على ان لا يعود الى مثله فلان فعله معصية والعزم على المعصية معصية واما الاشفاق فلانه
مامور بالتوبة ولا سبيل له الى القطع بانه اتى بالتوبة كما لزمه فيكون خائفا ولهذا قال تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقال النبي صلعم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وقال حجة
الاسلام الغزالي رحمة الله عليه التوبة يحصل من ثلاثة امور مترتبة علم وحال وعمل فالعلم اول والحال ثان والكمال ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه سنة
الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنب من الحذر وكونه حجابا بين العبد وبين الرب فاذا عرف ذلك معرفة محققة حصل من هذه المعرفة تالم القلب بسبب
فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات المحبوب تالم فان كان فواته بفعل من جهته تاسف بسبب فوات المحبوب على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات فيسمى ذلك التاسف ندما
ثم ان ذلك الالم اذا تاكد حصلت منه ارادة جازمة ولها تعلق بالحال والمستقبل والماضي اما تعلقها بالحال فبترك الذنب الذي كان ملابسا له واما بالمستقبل فالعزم على ترك ذلك
الفعل المفوت للمحبوب الى اخر العمر واما بالماضي فتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني به الغفير التام بان هذه
الذنوب سموم مهلكة فهذا اليقين نور وهذا النور يوجب نار الندم فيتالم به القلب حيث ابصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في
ظلمة فيطلع النور عليه بانقشاع السحاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث من تلك النيران ارادة الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد
المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق
له كالمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال النبي صلعم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه وعن عزم يتبعه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني مثمره وثمره
فهذا حقيقة التوبة ٥
واعلم انه تعالى بين ان من تبع هداه بحقه علما وعملا بالاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه يصير الى حال لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها يجمع اشياء كثيرة
من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الاحكام والشرائع وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل وادلة العقل ووجوه التمكن وجميع قوله
فمن تبع هداي تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها ويجمع ذلك كل التكليف وجمع قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان
زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الافات وزوال الحزن يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال المكروه مقدم على حصول
المرغوب وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط
وعلى هذا التفسير الخوف غم يلحق الشخص بسبب حصول الافة والحزن غم يلحقه بسبب فوت اللذة وقال ابن زيد لا خوف عليهم فيما امامهم وليس شيء اعظم في صدر الشخص
الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى منه ثم سلاهم عن الدنيا فقال ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا وعلى هذا الخوف غم يلحق الشخص بسبب ما يتوقعه
من الافة والحزن غم يلحقه بسبب ما فاته من المطلوب وهذا هو التفسير الصحيح للخوف والحزن ٥ قوله تعالى يا بني اسرائيل اعلم انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
اولا ثم عقبها بذكر الانعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود كسرا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبيها
على ما يدل على نبوة محمد صلعم من حيث كونها اخبارا عن الغيب واعلم انه تعالى ذكرهم تلك النعمة اولا على سبيل الاجمال فقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم وفرع على تذكيرها الامر بالايمان بمحمد صلعم فقال وامنوا بما انزلت ثم عقبها بذكر الامور التي تمنعهم عن الايمان به ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الاجمال ثانيا بقوله مرة اخرى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تنبيها على شدة غفلتهم ثم اردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله واني فضلتكم على العالمين مقرونا بالترهيب البالغ بقوله
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس الى الاخر ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تامل وانصف علم ان هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة
وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع واذا حققنا هذه المقدمة فلنشتغل في التفسير ٥ قوله تعالى اذكروا نعمة الله قال الامام اعلم انه تعالى انما ذكرهم بهذه النعم لوجوه احدها
ان في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد صلعم وهو التوراة والانجيل والزبور ٢ وثانيها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء عن اظهار المخالفة وثالثها ان تذكر النعم الكثيرة يفيد ان المنعم خصهم
من بين سائر الناس بها ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يترك الاحسان اليه فكان تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الاتية وذلك الطمع مانع من اظهار
المخالفة والمخاصمة فان قيل هذه النعم ما كانت على المخاطبين بل كانت على ابائهم فكيف تكون نعما عليهم قلنا لولا هذه النعم على ابائهم لما بقوا فما كان يحصل هذا النسل
فصارت النعم على الاباء كانها نعم على الابناء وايضا الانتساب الى اباء قد خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد قال بعض العارفين عبيد النعم كثير وعبيد المنعم
قليلون فالله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما ال الامر الى امة محمد صلعم ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم ٥ قوله تعالى اوفوا بعهدي قال ابن عباس ان الله تعالى
عهد الى بني اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي ياتي به اي بالقران غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا
باتباع ما جاء به موسى واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي من ولد اسماعيل ومن كفر به كانت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال الله تعالى اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم ٥
ادخلكم الجنة وتصديقه قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وتصديقه ايضا الحديث الصحيح قال قال رسول الله صلعم ثلثة لهم اجران رجل امن من
اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد الى اخره قال الامام المفسر لقوله اوف بعهدكم من وجهين ١ انه تعالى لما وعد بالثواب وكلما وعد به استحال ان لا يوجد لما استحال الكذب
في وعده تعالى كان الثواب واجب الوقوع وكان ذلك اكدا مما يجب بالعهد والنذر الثاني ان قال العهد هو الامر والعبد يجوز ان يكون مامورا الا انه تعالى لا يجوز ان يكون مامورا فكيف جرى ذكر
على موافقة اللفظ كقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله قوله تعالى واياي فارهبون قال المتكلمون الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه وقد يقال في
المكلف انه خائف من وجهين احدهما مع العلم والاخر مع الظن اما العلم فاذا كان على يقين من انه اتى بكل ما امر به واحترز عن كل ما نهي عنه فان خوفه انما يكون عن المستقبل واما الظن
فاذا لم يقطع انه فعل المامورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف ان لا يكون من اهل الثواب واعلم انه من كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيامة اكثر وبالعكس روي انه
ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيامة قال العارفون الخوف
خوفان خوف العقاب وخوف الجلال والاول نصيب اهل الظاهر والثاني نصيب اهل القلب والاول يزول والثاني لا يزول ٥
لما لفظ الابناء على ظاهره ولانه لو كان ذكره ذلك المعنى لكان العامي عليه السلام في حال صغره معنى وما اوله وجب حمله على حال صغره لكونه في مقابلة النساء يحاب من وجوه ١ ان الابناء لما قتلوا
حال الطفولية لم يصيروا رجالا فلم يجز اطلاق اسم الرجال عليهم واما البنات فلما لم يقتلن بل وصلن الى حد النساء جاز اطلاق اسم النساء عليهن الثاني المراد بقوله يستحيون اي يفتشون حياء
المراة اي فرجها هل بها حمل ام لا وهذا الوجه مذكور في الكواشي والثالث ان النساء يقع على الصغار والكبار وهم كانوا يستبقون البنات وهذا الوجه ذكره الواحدي ٥ ذكر العلماء
في سبب قتل الابناء وجوها الاول هو ان ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فحافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد

بني اسرائيل فلا يحذرون من لو اذكر الاذى يجوع فلا نار وان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا الفناء وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يعملون عاما دون عام

نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون

المنجمون اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة قال الامام والاولى ان يكون الاول لان الذي يستفاد من علم التعبير وعلم النجوم لا يكون امرا مفصلا

وعن الغيب مجملا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على مثل هذا الامر العظيم بسببه فان قيل ان فرعون كان كافرا بالله وكان كافرا بالرسل واذا كان كذلك

الامر العظيم بسبب اخبارهم عليه السلام قلنا لعل فرعون كان كافرا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا بالجحود والاستكبار العناد او يقال كان شاكا متحيرا في دينه وكان

على ذلك لمجرد الاحتياط ه

التي ذكرها الله تعالى لما كانت من اعظم ما منّ به الناس من جهة الملوك والظلمة صار تخليص الله اياهم عن هذه المحن من اعظم النعم وذلك لانهم عاينوا هلاك من حاول هلاكهم

ولا شك في ان ذلك من اعظم النعم وعظم النعمة يوجب الانقياد والطاعة

... ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ... الآخرة ه

ميل وقد طول رمح في السماء بعضها على بعض وقيل هو طير مثل فراخ الحمام طيبا وسمنا قد تمعط ريشها وزغبها فكانت الريح تاتي بها اليهم فيصبحون وهي في معسكرهم وقيل انها طيرتهم فيستر سل
اليهم فياخذونها بايديهم وقال المورج هي العسل بلغة كنانة قال شاعرهم وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها نقال شرت العسل اشوره شورا اذا اجتنيته
وقيل هي اللحم لانه يتسلى به عن غيره من الادم وهو الالذ بتفسيره وسبب للسمن وقال ابن جريج كان الرجل منهم ان اخذ من السلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم كانوا ياخذون
فيه طعام يومين لانه كان لا ينزل يوم السبت وقيل نهوا ان يدخروا والكفر فخبثوا للغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك فعالى وما ظلمونا اي ما ضرونا بالمعصية
ومخالفة الامر ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي يضرون باجترائهم على ما لي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مونة ومشقة في الدنيا ولا حساب في الاخرة عن ابي هريرة رضه
قال قال رسول الله صلعم لولا بنو اسرائيل لم يخنز الطعام ولولا حوا لم تخن انثى زوجها اراد النبي صلعم ان حوا اكلت من الشجرة قبل ادم وحملته عليه قوله تعالى واذ قلنا الى قوله فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون هذا هو النوع الثاني من الانعام وهذه الامر معطوفة على النعم المتقدمة لانه تع كما بين نعمه عليهم بان ظلل لهم من الغمام وانزل لهم من المن
والسلوى وهو من النعم العاجلة اتبعه الله بنعمه عليهم في باب الدين حيث امرهم بما يمحو ذنوبهم ويبين لهم طريق المخلص مما استوجبوه من العقوبة قوله هذه القرية بيت المقدس
اختلفوا في المراد بهذه القرية فقال قتادة والربيع وابو مسلم الاصفهاني انها بيت المقدس واستدلوا عليه بقوله في المائدة ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا شك ان المراد
بالقرية في الايتين واحد وسميت قرية لجمعها اهلها وقال ابن عباس وابن زيد انها اريحا وهي بالحاء غير المعجمة قرية قريبة من بيت المقدس واحتج مولانا على انه لا يجوز ان يكون
تلك القرية بيت المقدس لان الفاء في قوله فبدل الذين ظلموا يقتضي التعقيب فوجب ان يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الامر في حياة موسى علم لكن موسى علم مات في
ارض التيه ولم يدخل بيت المقدس فثبت انه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس واجاب الاولون بانه ليس في هذه الاية انا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية على لسان موسى
او على لسان يوشع واذا حملناه على لسان يوشع زال الاشكال قال في المطلع قال المفسرون ان بني اسرائيل لما خرجوا من التيه قال الله لهم ادخلوا هذه القرية ولعله قال لهم ذلك
على لسان يوشع بن نون بعد موت موسى وهرون في التيه ومضي اربعين سنة وكان المصنف اشار الى هذا الجواب بقوله امروا بدخولها اي بدخول القرية بعد التيه وهم
لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى علم اي كان الامر بالدخول والدخول كلاهما بعد التيه بعد موت موسى علم واعلم ان امرهم بدخول القرية امر تكليف لا امر اباحة لقوله تعالى
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم ثم ان اشتقاق القرية من قريت اي جمعت فالقرية مجمع الناس ويقال للبيت الذي للنمل قرية لانه مجمع النمل والمقراة
الحوض يجمع فيه الماء والقرى الضيافة لاجتماع الناس فيه والقرى الظهر وهو مجمع الاضلاع والثوى قوله امروا بالسجود هذا قول الحسن رحمه الله قال
اراد به نفس السجود الذي هو الصاق الوجه بالارض قال الامام هذا بعيد لان الظاهر يقتضي وجوب الدخول حال السجود فلو حملنا السجود على ظاهره لامتنع ذلك اقول
ما ذكره الامام ممنوع لامكان ان يسجدوا ويدخلوا ساجدين فيكون دخولهم حال سجودهم وذلك ليس بممتنع على انه يحتمل ان يكون المراد ان يدخلوا ويسجدوا عقيبه فيكونوا حال الدخول
مقدرين السجود فكانهم دخلوا ساجدين وهذا معنى ظاهر يفهم من هذا التركيب ثم قال الامام ومنهم من حمله على غير السجود وهولاء ذكروا وجهين الاول رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان المراد هو الركوع لان الباب كان صغيرا ضيقا يحتاج الداخل فيه الى الانحناء ثم قال وهذا بعيد لانه لو كان ضيقا لكانوا مضطرين الى دخوله ركعا فما كان يحتاج فيه الى
الى الامر اقول هذا الذي ذكره الامام لا يرد على الوجه الذي ذكره صاحب الكشاف لان صاحب الكشاف نقل انهم امروا بالانحناء فكانوا المتمنعين من
ذلك وطوطئهم الباب اي جعل صغيرا ضيقا فلم ينحنوا ايضا على صورة الراكعين بل جلسوا ودخلوا على مثبة من يزحف على الارض كالصبي وكذا لا يرد ما ذكره الامام على النقل
الذي ذكره مولانا لانه لا يلزم من كون الباب ضيقا صغيرا ان ينحنوا لما عرفت انهم عاندوا وتزحفوا قال الامام الثاني اراد به الخضوع وهو الا قرب لانه لما تعذر حمله على حقيقة
السجود وجب حمله على التواضع لانهم اذا اخذوا في التوبة فالتايب عن الذنب يجب ان يكون خاشعا مستكينا واما اقول قد عرفت انه لم يتعذر حمله على حقيقة السجود وعلى
تقدير تعذره لم يتعين الحمل على التواضع لاحتمال ارادة الركوع كما عرفت تقال طامن الرجل ظهره وطاطاه بمعنى على العلف والاخبات الخشوع وطاطا راسه طامنه وتطاطا
تطامن والزحف من زحف الصبي على الارض قبل ان يمشي

قوله ٣ تعالى بما كانوا يفسقون اعلم انه تعالى ذكر هذه القصة في الاعراف وهي قوله واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون قال الامام وههنا سوالات
الاول لم قال في البقرة وفي الاعراف واذ قيل لهم الجواب ان الله تع صرح في اول القران بان قايل هذا القول هو الله تع ازالة للابهام لانه ذكر في اول الكلام اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
ثم اخذ بعدد نعمة نعمة فاللايق بهذا المقام ان يقول واذ قلنا واما في الاعراف فلا يبقى في قوله واذ قيل لهم ابهام بعد تقدم التصريح به في البقرة السوال الثاني لم قال في البقرة
اذ قلنا ادخلوا وفي الاعراف اسكنوا الجواب الدخول مقدم على السكون ولا بد منهما فلا جرم ذكر الدخول في السورة المتقدمة والسكنى في المتاخرة السوال الثالث لم
قال في البقرة فكلوا بالفا وفي الاعراف بالواو الجواب ههنا هو الذي ذكرناه في قوله في البقرة وكلا منها رغدا وفي الاعراف وكلا السوال الرابع لما قال في البقرة نغفر
لكم خطاياكم وفي الاعراف خطاياكم الجواب الخطايا جمع الكثرة والخطيات جمع القلة ففي البقرة لما اضاف ذلك القول الى نفسه تعالى بقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية قرن
به ما يليق بجوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة وفي الاعراف لما لم يسم فاعله لم يذكر اللفظ الدال على الكثرة السوال الخامس
لم ذكر قوله رغدا في البقرة وحذف في الاعراف الجواب عن هذا السوال كالجواب في الخطايا والخطيات لانه لما اسند الفعل الى نفسه ذكر معه الانعام الاعظم وهو ان
ياكلوا رغدا وفي الاعراف لما لم يسند الفعل الى نفسه لم يذكر الانعام الاعظم فيه السوال السادس لم ذكر في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف
قدم المؤخر الجواب الواو للجمع المطلق اي فيها معنى واحد وايضا فالمخاطبون بقوله ادخلوا الباب سجدا وقوله حطة يحتمل ان بعضهم كانوا مذنبين و
البعض الاخر لم يكونوا مذنبين فالمذنب ينبغي ان يكون اشتغاله بحط الذنوب مقدما على اشتغاله بالعبادة لان التوبة عن الذنوب مقدمة على الاشتغال
بالعبادات المستقبلة لا محالة فلا جرم كان تكليف هولاء ان يقولوا حطة ثم يدخلوا الباب سجدا واما الذي لا يكون مذنبا فالاولى به ان يشتغل اولا بالعبادة
ثم يذكر التوبة ثانيا على سبيل هضم النفس وازالة العجب في فعل تلك العبادة فهولاء يحب ان يدخلوا الباب سجدا اولا ثم يقولوا حطة ثانيا فلما احتمل كون اولئك المخاطبين
منقسمين الى هذين القسمين لا جرم ذكر الله حكم كل واحد منهما في سورة اخرى السوال السابع لم قال وسنزيد المحسنين في البقرة مع الواو وفي الاعراف بغير الواو
الجواب اما في الاعراف فذكر فيه امرين احدهما قول الحطة وهو اشارة الى التوبة وثانيهما دخول الباب سجدا وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جوابين احدهما
قوله نغفر لكم خطاياكم وهو واقع في مقابلة قول الحطة والاخر قوله سنزيد المحسنين وهو واقع في مقابلة ادخلوا الباب سجدا فترك الواو يفيد توزع كل واحد
من الشرطين واما في البقرة فيفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزاء واحدا لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة السوال الثامن قال في البقرة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وفي الاعراف فبدل الذين ظلموا منهم قولا فما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف الجواب سبب زيادة هذه اللفظة في الاعراف ان اول
القصة ههنا مبني على التخصيص بلفظ من لانه تعالى قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكران منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه
عليهم واوامره لهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فذكر لفظة من اخر القصة كما ذكرها في اول القصة ليكون اخر الكلام مطابقا لاوله فيتم ذكرامة
عليهم وههنا ذكرامة جامعة وكلنا بما من قوم موسى فهذا هو السبب في ذكر هذه الكلمة في الاعراف واما في البقرة فانه لم يذكر في الايات التي قبل قوله فبدل
الذين ظلموا تخصيصا حتى يلزم في اخر القصة ذكر ذلك التخصيص وطرد الفرق السوال التاسع لما قال في البقرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا وفي
الاعراف فارسلنا عليهم الجواب الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصاله لهم بالكلية وذلك انما يحدث في الاخرة

السوال

السوال العاشر لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف بما كانوا يظلمون الجواب انه تعالى لما بين في البقرة كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بلفظ الظلم في الاعراف لاجل ما تقدم من
البيان في البقرة اعلم ان هذا الجواب يستقيم على الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الامام في جواب اي ههكم ر لا يستقيم على الوجه الثاني منهما نعرف بالرجوع اليه
قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم انما علموا ذلك لانه امر كل انسان ان لا يشرب الا من جدول معين لئلا يختلفوا عند الحاجة قال المفسرون كان في ذلك الحجر اثنا عشر حفرة فكانوا
اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرة فحفروا الجداول الى اهلها والحكمة في ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة ومخالفة فكل سبط منها لا يتزوج من سبط اخر ويريد
تكثير نفسه فاكمل الله هذه النعمة بان عين لكل سبط منهم ماء معينا لا يختلط بغيره ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لئلا يقع بينهم جدال ومخاصمة اذا العادة في الرهط الواحد المتوافق ان يقع
منهم تنازع مثل ما يقع من المختلفين واما اضافة المشرب اليهم فلانه تعالى لما اباح لكل سبط من الاسباط ذلك الماء الذي ظهر من ذلك الشق الذي عليهم صار ذلك كالملك لهم فجازت اضافتهم اليه
ويجوز ان يكون المراد بالمشرب الموضع الذي يخرج منه الماء ويجوز ان يكون ذلك الجدول قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الى قوله قال الامام اعلم ان اكثر الظاهرين
من المفسرين زعموا ان ذلك السوال كان معصية وعندنا انه ليس الامر كذلك والدليل عليه ان قوله كلوا واشربوا من قبل هذه الاية عند انزال المن والسلوى ليس ايجاب بل اباحة واذا
كان كذلك لم يكن قولهم لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك معصية لان من ابيح له ضرب من الطعام يحسن منه ان يسال غير ذلك اما بنفسه او على لسان الرسول فلما كان عندهم انهم اذا سالوا
موسى ان يسال ذلك من ربه كان الدعا اقرب الى الاجابة جاز لهم ذلك ولم يكن فيه معصية

قوله وهو مصرا ايهم قال الامام اختلف المفسرون في ان المراد من مصر هو البلد الذي كانوا فيه مع فرعون او بلد اخر فقال كثير منهم لا يجوز ان يكون المراد هو الذي كانوا فيه مع
فرعون واحتجوا بقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم وجه الاستدلال ان قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يقتضي ايجاب دخول
تلك الارض وقوله ولا ترتدوا على ادباركم صريح في المنع عن الرجوع من بيت المقدس لانه تعالى بعد ان امر بدخول الارض المقدسة قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ذكر التقدم
هذا الامر ثم بين تعالى انهم ممنوعون من دخولها هذه المدة فعند زوال التقدير يوجب ان يلزمهم دخولها واذا كان كذلك لم يجز ان يكون المراد من مصر سواها واما ابو مسلم الاصفهاني
فانه يجوز ان يكون المراد مصر فرعون واحتج عليه بوجهين الاول انا ان قراناه مصر بغير تنوين كان لا محالة علما لبلد معين وليس في العالم بلدة ملقبة بهذا اللقب سوى هذه البلدة المعينة
فوجب حمل اللفظ عليه واما اذا قراناه بالتنوين فاما ان نجعله مع ذلك علما ونقول انه انما دخله التنوين لسكون وسطه كما في نوح ولوط فيكون التقرير ايضا ما تقدم بعينه واما
ان جعلناه اسم الجنس فقوله اهبطوا مصرا يقتضي التخيير كما اذا قال اعتق رقبة فانه يقتضي التخيير بين جميع رقاب الدنيا ثم نقول ان قراناه فيحتمل العلم واسم الجنس واذا
دار الاسم بين كونه علما وكونه اسم جنس فحمله على العلم اولى من حمله على اسم الجنس مثل حارث وحاتم فانهما لما جاء علما وغير علم كان حملهما عند الاطلاق على العلمية اولى الوجه الثاني
ان الله تع ورث بني اسرائيل مصر قال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل واذا ثبت انها موروثة لهم وجب ان لا يكونوا
ممنوعين من دخولها لان الارث يفيد الملك والملك مطلق للتصرف

قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى الى قوله قال الامام واعلم ان عادة الله تع اذا ذكر وعدا او وعيدا عقبه بما يضاده ليكون الكلام تاما فههنا لما ذكر حكم الكفرة من اهل
الكتاب وما حل بهم من العقوبة اخبر بما للمؤمنين من الاجر العظيم والثواب الكريم دالا على انه تع يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته كما قال ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى وقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون في المراد منه وسبب هذا الاختلاف قوله في اخر الاية من امن بالله واليوم الاخر بعد قوله ان الذين امنوا ونظيره في الاشكال قوله
يا ايها الذين امنوا امنوا فلاجل هذا الاشكال ذكروا وجوها الاول ان المراد المنافقون لانه تع ذكر في اول هذه السورة طريقة المنافقين ثم طريقة اليهود فالمراد من قوله ان الذين امنوا
الذين يؤمنون باللسان دون القلب وهم المنافقون فذكر المنافقين ثم اليهود والنصارى والصابئين فكانه تع قال هولاء المبطلون كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي صار
من المومنين عند الله وهو قول سفيان الثوري الثاني وهو قول ابن عباس ان المراد الذين امنوا قبل مبعث محمد علم بعيسى علم مع البراءة عن اباطيل اليهود مثل قس بن ساعدة وبحيرا
الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري ووفد النجاشي وكانه تع قال ان الذين امنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل
الذي لليهود والنصارى كل من امن منهم بعد مبعث محمد علم بالله واليوم الاخر وبمحمد فلهم اجرهم عند ربهم الثالث المراد من قوله ان الذين امنوا هم المومنون بمحمد علم في الحقيقة
وهو عائد الى الماضي ثم قوله من امن بالله يقتضي المستقبل فالمراد الذين امنوا في الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل قال الامام للصابئة قولان الاول ان خالق
العالم هو الله الا انه تعالى امر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلوة والدعا والتعظيم والثاني انه تعالى خلق الافلاك والكواكب ثم ان الكواكب هي المدبرة لما في هذا
العالم من الخير والشر والصحة والمرض فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله تعالى وهذا هو المذهب المنسوب الى الذين حاجهم ابرهيم علم رادا عليهم
ومبطلا لقولهم

قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم الى قوله قال الامام هذا هو الانعام العاشر وذلك لانه تعالى انما اخذ ميثاقهم لمصلحتهم فصار ذلك من انعامه عليهم وفيه بحثان الاول انما يكون
فعل الامور التي توجب الانقياد والطاعة والمفسرون ذكروا في تفسير الميثاق وجوها اما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وقدرته والدلائل الدالة على
صدق انبيائه ورسله وهذا النوع من المواثيق اقوى المواثيق والعهود لانها لا تحتمل الخلف والكذب وانه لا يتبدل بوجه البتة وهو قول الاصم ثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان
موسى علم لما رجع من عند ربه بالالواح قال لهم ان فيها كتاب الله فقالوا لن ناخذ بقولك حتى نرى الله جهرة فيقول هذا كتابي فخذوه فاخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احياهم ثم قال لهم بعد ذلك
خذوا كتاب الله فابوا فرفع فوقهم الطور وقيل لهم خذوا الكتاب والا طرحناه عليكم فاخذوه فرفع الطور هو الميثاق وذلك لان رفع الطور اية باهرة عجيبة تبهر العقول وترد المكذب الى
التصديق والشاك الى اليقين فلما راوا ذلك وعرفوا انه من قبله تع معجزة لموسى الجاهم الى المعجزات اقروا وصدقوا فجاء به واظهروا التوبة واعطوا العهد بان يؤمنوا بالتوراة
وهو احسان الى مسلم ثالثها ان الله هو ميثاقهم فالاول حين اخرجهم من صلب ادم واشهدهم على انفسهم الثاني انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد هذا قول
ابن عباس قال الامام وهو ضعيف البحث الثاني قال القفال انما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم لوجهين احدهما اراد به الدلالة على ان كل واحد منهم قد اخذ ذلك
كما قال يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم الثاني انه كان شيئا واحدا اخذ من كل واحد منهم كما اخذ على غيره فلا جرم كان كله ميثاقا واحدا ولو قال مواثيقكم لاشتبه ان يكون هناك
مواثيق اخذت عليهم لا ميثاق واحد قوله ورفعنا فوقكم الطور فيه بحثان الاول الواو في قوله ورفعنا واو عطف على تفسير ابن عباس والمعنى ان اخذ
الميثاق كان متقدما فلما نقضوه بالامتناع من قبول الكتاب رفع عليهم الجبل واما على تفسير ابي مسلم فليست واو عطف ولكنها واو الحال كانه قيل واذ اخذنا
ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم الثاني الطور الجبل قال العجاج داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي اذا البازي كسر وقال الخليل الطور اسم جبل
معلوم قال الامام وهذا هو الاقرب لان لام التعريف فيه يقتضي حمله على جبل معهود والمعهود هو الجبل الذي وقعت المناجاة فيه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى
الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم لان القادر على ان يسكن الجبل في الهوا قادر ايضا على ان يقلعه وينقله اليهم من المكان البعيد وقال ابن عباس امر الله
تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام فوقهم كالظلة وكان المعسكر فرسخا في فرسخ بمقدار الجبل وقيل خمسة فراسخ في مثلها فقال لهم
اقبلوا التورية والا رميت الجبل عليكم فلما راوا ان لا هرب قبلوا التورية بما فيها وسجدوا للفزع سجودا يلاحظون الجبل فلذلك سجدت اليهود على انصاف وجوههم

قوله نكالا قال القفال النكال العقوبة الغليظة الرادعة للناس عن الاقدام على مثل تلك المعصية واصله من المنع والحبس ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع منها
ويقال للقيد النكل لمنعه من المشي واللجام البغل ايضا نكل لما فيه من المنع والحبس والمعنى انا جعلنا ما جرى على هولاء القوم عقوبة رادعة لغيرهم اي لم نقصد بذلك ما يقصده الادميون
من التشفي لان ذلك انما يكون ممن تضره المعاصي وتنقص من ملكه ويؤثر فيه واما نحن فانما نعاقب لمصالح العباد فعقابنا زاجر وموعظة

اعلم ان العلماء اختلفوا في ان المراد بقوله اذبحوا بقرة بقرة معينة او بقرة ما من البقرات فان كان المراد بقرة معينة يحسن سوالهم ظاهر لان المامور به لما كان
مجملا حسن الاستفسار واما ان قلنا ان المراد بقرة ما من البقرات فالذي حملهم على هذا الاستفسار ان موسى علم لما اخبرهم بانهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل
ببعضها صار حيا تعجبوا من امر تلك البقرة وظنوا ان تلك البقرة التي يكون لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السوال عن وصفها كعصا موسى
المخصوصة من بين سائر العصا بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاثار العجيبة ما كانت خاصية للبقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى

وقيل لعل القوم ارادوا فتيل بقرة اى بقرة كانت الا ان القائل خاف من الفضيحة والتى شبهه فى البقر وقالوا انما مرنا بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقع المنازعة فرجعوا عند ذكر الى موسى عليه ه

قال المفضل سئلة فى البكر انها الشابة وهى من النساء التى لم توطا ومن الابل التى وضعت بطنا واحدا وقال القفال البكر يدل على الاول ومنه الباكورة لاول الثمر وبكرة النهار وتعالى بكرت عليه البارحة اذا جاءه فى اول الليل وكان الاظهر انها هى التى لم تلد لان المعروف من اسم البكر من الاناث فى بنى آدم ما لم ينزل عليه الفحل وقال بعضهم فى العوان التى ولدت بطنا بعد بطن وحرب عوان اذا كانت حربا قد قوتل فيها مرة بعد مرة وحاجة عوان اذا كانت قد قضيت مرة بعد مرة قال روبه فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق التوليع اختلاف الالوان وتعالى وقع الله وجهه اى برصه وتعالى برذون مولع والمولع الملمع الا ان التوليع استطالة البلق والبهق بياض او سواد يظهر فى الجلد ه

قوله تعالى ثم يحرفونه قال القفال التحريف التغيير والتبديل واصله من الانحراف عن الشىء والتحرف عنه قال تعالى متحرفا لقتال والتحريف هو امالة الشىء عن حقه تعالى قلم محرف اذا كان راسه قط مائلا غير مستقيم وحرف قلمه خلاف جزمه وقال القاضى التحريف اما ان يكون فى اللفظ او فى المعنى وحمل التحريف على تغيير اللفظ اولى من حمله على تغيير المعنى لان كلام الله تعالى اذا كان باقيا على جهته وغيروا تاويله فانما يكونون مغيرين لمعناه لا لنفس الكلام المسموع فان امكن ان يحمل على ذلك كما روى عن ابن عباس انهم زادوا فيه ونقصوا فهو اولى وان لم يمكن ذلك فيجب ان يحمل على تغيير تاويله وان كان التنزيل ثابتا وانما منع ذلك ظاهر كلام الله تعالى ظهر متواترا كظهور القرآن فاما قبل ان يصير كذلك فغير ممتنع تحريف نفس كلامه واعلم ان العلماء اختلفوا فى قوله افتطمعون فقال بعضهم آيسهم الله من ايمان هذه الفرقة وهم جماعة باعيانهم وقال آخرون لم يوئسهم بل استبعد ذلك منهم مع ما هم عليه من التحريف والتبديل والعناد فانهم لو كانوا كذلك لا يطمع لعبيدنا وخدمنا ان يملكوا بلادنا لم يرد انا لا نقطع بانهم لا يملكون بل يستبعد ذلك فان قلت كيف يلزم من اقدام البعض على التحريف حصول الياس من ايمان الباقين اوالاستبعاد فان عناد البعض لا ينافى اقرار الباقين فلما اجاب القفال عنه بانه يحتمل ان يكون المعنى كيف يومن هولاء وهم انما ياخذون دينهم ويعلمونه من قوم هم يتعمدون التحريف عنادا فاولئك انما يعلمونهم ما حرفوه وغيروه عن وجهه والمقلدة لا يقبلون الا ذلك ولا يلتفتون الى قول اهل الحق وهو كقولك للرجل كيف تفلح واستاذك فلان اى انت عنه تاخذ ولا تاخذ عن غيره قوله ثم من بعد ما عقلوه وهم يعلمون انه ليس فى عقلوه وهم يعلمون تكرار لا فائدة فيه فلما اجاب القفال عنه من وجهين الاول من بعد ما عقلوا مراد الله تعالى وعلموا ان التاويل الفاسد يكسبهم الوزر والعقوبة من الله تعالى ومتى تعمدوا التحريف مع العلم بما فيه من الوزر كانت قسوتهم اشد وجراتهم اعظم ولما كان المقصود من ذلك تسلية رسول الله صلعم ذكره فيه شدة عنادهم لانه كلما كان عنادهم اعظم كان ذلك فى التسلية اوى ه

قوله تعالى ليحاجوكم به عند ربكم هنا وجه آخر لم يذكرها المصنف الاول قال الحسن اى ليحاجوكم فى ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى من اتباع الرسل يصح ان توصف بانه محاجة فيه لانه محاجة فى دينه الثانى قال القفال يقال فلان عندى عالم اى فى اعتقادى وحكمى وهذا عند الشافعى حلال وعند ابى حنيفة حرام اى فى حكمهما فقوله ليحاجوكم به عند ربكم اى لتصيروا محجوجين بتلك الدلائل فى حكم الله ولهذا قال بعض المفسرين معناه ان القاذف اذا لم يات بالشهود لزمه حكم الكاذب وان كان فى نفسه صادقا الثالث قال الاصم المراد يحاجوكم يوم القيمة وعند المسائلة فيكون ذلك زائدا فى توبيخكم وظهور فضيحتكم على رؤس الخلائق فى الموقف لانه ليس من اعترف بالحق ثم كتم كمن ثبت على الانكار وكان القوم يعتقدون ان ظهور ذلك مما يزيد فى انكشاف فضيحتهم فى الآخرة الرابع قال القاضى ان المحتج بالشىء قد يحتج فيكون غرضه من اظهار تلك الحجة حصول السرور بسبب غلبة الخصم وقد يكون غرضه الديانة والنصيحة فقط لتقطع عذر خصمه ويقرر بحجة الله عليه فقال القوم لما احدثوا الخلوة قال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من محنتهم فى التوراة فصاروا يتمكنون من الاحتجاج به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه قد ازحت علتك عند الله واتمت عليك الحجة بينى وبين ربى فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت انت الخائب الخاسر قوله تعالى افلا تعقلون من تمام الحكاية عن اليهود لكانهم عند ما خلا بعضهم ببعض قالوا لهم اتحدثونهم بما يرجع وباله عليكم وصرتم محجوجين به افلا تعقلون ذلك لا يليق بما انتم عليه قوله اولا يعلمون الى آخره فيه قولان آ وهو قول الاكثرين ان اليهود كانوا يعرفون الله ويعرفون انه يعلم السر والعلانية فخوفهم الله به و ب انهم ما علموا بذلك فرغبهم الله بهذا القول فى ان يتفكروا فيعرفوا ان لهم ربا يعلم سرهم وعلانيتهم وانهم لا يامنون حلول العقاب بسبب نفاقهم وعلى القولين جميعا فهذا الكلام زجر لهم عن النفاق وعن وصية بعضهم بعضا بكتمان دلائل نبوة محمد صلعم ومهم لبسوا كالمنافقين الذين يعلمون الله ولا يعلمون انه يعلم السر والعلانية فشابهم من هذه الجهة اعجب ه

قوله تعالى ثم يقولون هذا من عند الله فالمراد ان من يكتب هذه الكتابة ويكسب بهذا الكسب فى نهاية الرداءة لانهم ضلوا عن الدين واضلوا وباعوا آخرتهم بدنياهم فذنبهم اعظم من ذنب غيرهم فان من المعلوم ان الكذب على الغير بما يضر يعظم اثمه فكيف من يكذب على الله ويضم الى الكذب الاضلال ويضم اليهما حب الدنيا والاحتيال فى تحصيلها ويضم الى ذلك انه مهد طريق الاضلال باقيا على وجه الدهر ولذلك عظم تعالى ما فعلوه قوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على امرين الاول تنبيه على شقاوتهم لان العاقل يجب ان لا يرضى بالوزر العظيم فى الآخرة لاجل الاجر العظيم فى الدنيا فكيف يليق به ان يرضى بالعقاب العظيم فى الآخرة لاجل النفع الحقير فى الدنيا ثم تدل على انهم ما فعلوا ذلك التحريف ديانة واعتقادا بل انما فعلوه طلبا للمال والجاه وهذا يدل على ان اخذ المال على الباطل وان كان بالتراضى محرم لان الذى كانوا يعطونه من المال كان على محبة ورضى ومع ذلك قد نبه تعالى على تحريمه قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم المراد بان ان كتبتهم لما كتبوه ذنب عظيم بانفراده وكذلك اخذهم المال عليه فلذلك اعاد ذكر الويل فى الكسب ولم يعد ذكره كانه يحذر لهم ان مجموعهما يقتضى الوعيد دون كل واحد فازال تعالى هذه الشبهة واختلفوا فى قوله مما يكسبون هل المراد ما كانوا ياخذون على هذه الكتابة والتحريف فقط او المراد منه كسبا ومعاصيهم والاقرب فى نظام الكلام اندراجه الى المذكور من المال الماخوذ على هذا الوجه وان كان الاقرب من حيث العموم انه يشمل الكل لكن الذى يرجح الاول انه متى لم يقيد كسبهم بهذا القيد لم يحسن الوعيد عليه لان الكسب يدخل فيه الحلال والحرام فلا بد من تقييده والاولى ما يقيد به ما تقدم ذكره وانما اورد الاول ماضيا والثانى مضارعا لتعدد الاختصاص بالزمان الذى يراد اختصاص الفعل به اى فويل لهم مما اسلفت ايديهم من كتابة ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بعد ذلك من اخذ الرشى ه

قوله تعالى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته الى آخره اما السيئة فانها تتناول جميع المعاصى قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن يعمل سوءا يجز به ولما كان من الجائز ان يظن ان كل سيئة صغرت او كبرت فحالها سواء فى ان فاعلها يخلد فى النار بين تعالى ان الذى يستحق به الخلود ان يكون سيئة محيطة به ومعلوم ان لفظ الاحاطة حقيقة فى اشتمال جسم بجسم آخر كاشتمال السور بالبلد والكوز بالماء وذلك هنا ممتنع فنحمله على ما اذا كانت السيئة كبيرة لوجهين احدهما ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة لكونها محبطة لثواب الطاعات كالساتر لتلك الطاعات فكانت المشابهة حاصلة من هذه الجهة والثانى ان الكبيرة اذا احبطت ثواب الطاعات فكانها استولت عليها واحاطت بها كما يحيط عسكر العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من التخلص وكانه تعالى من كسب كبيرة احاطت كبيرته بطاعته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هذا هو الوجه الذى استدلت به المعتزلة على خلود الكبائر وهو القطع بثبات العذاب المؤبد لاهل الكبائر واما نحن فنقطع بانه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصى لكنا نتوقف فى حق كل احد على التعيين انه تعالى هل يعفو عنه ام لا ولكن نقطع بانه تعالى اذا عذب مومنا من اهل الكبائر فانه لا يعذبه ابدا بل يقطع عذابه وهذا قول اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والجماعة واكثر الامامية واعلم انه لا تمسك للمعتزلة بهذه الآية لانه نقل الواحدى اجماع اهل التفسير على ان السيئة هنا الشرك وقال معنى احاطت به خطيئته سدت عليه مسالك النجاة قال ابن عباس والضحاك وابو وائل وابو العالية والربيع وابن زيد هى الشرك الذى يموت عليه الانسان وقال غيرهم هى الذنوب الكبيرة الموجبة لاهلها النار ولكن المؤمن لا يدخلون فى حكم هذه الآية لانها نزلت فى حق اليهود فان قالت المعتزلة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قلنا سلمنا ذلك لكن لفساد لادلة الدالة على ان هذه الآية مختصة بالكفار كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وغيره من الآيات والاخبار

واما استدلال المصنف بقول الحسن على ان الخطيئة المحيطة شاملة لكل ما اوعد الله عليه فى القرآن فلا نسلم لانا وان سلمنا ذلك لكن المخصص يدفع عموم حكمها المذكور فى هذه الآية وقول الحسن سبحان الله تعجب من حال السائل انه لا يعلم ذلك وقوله الا اراك ذا لحية يعنى اراك قد صرت رجلا كبيرا مالك لا تعلم هذا المقدار ه

قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قال الامام ما ذكر الله تعالى فى القرآن آية فى الوعيد الا ذكر بجنبها آية فى الوعد وذلك لفوائد الاول ليظهر بذلك عدله لانه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب ان يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الايمان الثانى ان المؤمن لا بد ان يعتدل خوفه ورجاؤه كما قال رسول الله صلعم لو وزن خوفه ورجاؤه لاعتدلا وذلك الاعتدال لا يحصل الا بهذا الطريق الثالث انه تعالى يظهر بوعده كمال رحمته وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سببا للعرفان ه

قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل قال فى الحجة الالفاظ التى جرت فى كلامهم مجرى القسم حتى اجيبت بجوابه يستعمل على ضربين آ ان تكون كسائر الاخبار التى ليست بقسم فلا يجاب كما يجاب القسم كقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا واما ما يقع فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء وثانيهما ان يجرى مجرى القسم فيجاب كما يجاب القسم كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه فاجاب بعد ذلك فيه ضرب للاول مما يجوز ان تكون حالا الا احتمل ان يكون حالا وان يكون جواب قسم كقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون فقوله لا تعبدون ولا تسفكون يجوز ان يكون جواب قسم وحالا اى غير سافكين وغير عابدين اى موحدين ه

قوله تعالى وبالوالدين احسانا اعلم ان نعمة الله تعالى اعظم النعم فلا بد من تقديم شكرها على شكر غيرها ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين اعظم النعم لانهما الاصل والسبب فى وجود الولد كما انهما منعمان عليه بالتربية واما غيرهما فلا يعد منه الانعام باصل الوجود بل بالتربية فقط فثبت ان انعامهما اعظم وجوه الانعام بعد انعام الله والمراد بالاحسان اليهما ان لا يوذيهما ويوصل اليهما من المنافع قدر ما يحتاجون اليه فيدخل فيه دعوتهما الى الايمان ان كانا كافرين وامرهما بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين قوله تعالى وذى القربى قال القفال لا يبعد ان يكون المراد بذى القربى الاقارب من قبل الاب والام وقيل من قبل الاب ولا يدخل فيه الوارث والمحرم وغير المحرم ولا يدخل الاب والابن لانهما لا يعرفان بالقريب وحق ذى القربى كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين والاتصال بالوالدين مقدم على الاتصال بذى القربى فلهذا الوجه اخره الله تعالى ذكره عن ذكر الوالدين واليتامى جمع يتيم ويتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذى مات ابوه حتى يبلغ الحلم وجمعه ايتام واليتامى مثل ندامى ويتيم هذا فى الانسان واما فى غيره فيتمه من قبل امه واليتيم لصغره لا ينتفع به ولينته وخلوه عمن يقوم به يحتاج الى من ينفعه والانسان قلما يرغب فى صحبة مثل هذا وكان درجة الانسان العظيمة فى الدين والمساكين جمع مسكين اخذ من السكون كان الفقر اسكنه وهو اشد فقرا من الفقير عند ابى حنيفة واحتج عليه بقوله او مسكينا ذا متربة وعند الشافعى الفقير اسوا حالا لان استعاذ الفقر من فقار الظهر كان فقاره انكسر من شدة حاجته واحتجوا عليه بقوله اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر جعلهم مساكين مع ان السفينة كانت ملكا لهم وانما تاخرت درجتهم عن اليتامى لان المسكين قد يكون بحيث ينتفع به فى الاستخدام وكان الميل الى مخالطته اكثر من الميل الى مخالطة اليتامى ولان المسكين ايضا يمكنه الاشتغال بتعهد نفسه ومصالح معيشته واليتيم ليس كذلك فلا جرم قدم الله ذكر اليتيم على المسكين ه

قال ابو على فى الحجة حسنا احتمل وجهين آ ان يكون لغة فى الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد والثكل والثكل وجاز ذلك فى الصفة كما جاز فى الاسم قالوا العرب والعرب وموصفه يدل عليه مررت بقوم عرب اجمعين فالحسن على هذا صفة مثل الحلو والمر وب ان يكون الحسن مصدرا كالكفر والشكر والشغل وحذف المضاف معه كانه قال ذا حسن او يجعل القول نفسه الحسن فى الاتساع ومن قرا حسنا فتحتمل جعله صفة وكان التقدير عنده وقولوا للناس قولا حسنا فحذف المضاف وحسن ذلك فيه لانها صارت من الصفات التى تقوم مقام الاسماء كالارق والابطح وعبد الاراقم يعولون هذا احسن ومررت بحسن فلا يكادون يظهرون معه الموصوف ثم قال وحكى ابو الحسن حسنى ولا ادرى اهى قراءة ام لغة غير قراءة الا انه يحتمل وجهين احدهما ان يكون فعلى افعل الا انه استعمل استعمال الاسماء فاخرج منها لام المعرفة نحو قوله فى سعى دنيا طالما قد مدت والاخرى ان يكون بمنزلة الرجعى والبشرى ثم اعلم ان المفسرين اختلفوا روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بالناس فى هذه الآية محمد صلعم كقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله كانه تعالى قال وقولوا لمحمد صلعم حسنا ومثله فى ارادة الشخص الواحد بالناس قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فان المراد بالناس الاول نعيم بن مسعود وقيل المراد بالناس من سالهم عن حال النبى صلعم قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل والاكثرون اى قولوا اصدقوا وعدلوا فى شأن محمد صلعم لمن سالكم عنه الى قاصدوه وبينوا صفة محمد صلعم ولا تكتموا امره ولا تغيروا نعته وقال الربيع وعطاء ومحمد بن على بن الحسين الباقر هذا عام فى تحسين المقالة للناس كلهم وامر بالاحسان بالمال كما قال لانه قوام مخصوص لان المال لا يسع الكل والقول الجميل يسع كلهم وفى الحديث انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وقال لقمن لابنه احسن للناس بالقول واى نزل لهم بشر ولكن احتج بعضهم من يبغض الذنب والفسقة ثم اختلف العلماء هنا فمنهم من قال يجب القول الحسن مع المومن اما مع الكفار والفساق فلا والدليل عليه وجهان آ انه يجب لعنهم وذمهم والمحاربة معهم فكيف يمكن القول معهم حسنا الثانى قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فاباح الجهر بالسوء لمن ظلم ثم ان القائلين بهذا القول منهم من زعم ان هذا الامر صار منسوخا بآية القتال ومنهم من قال انه دخله التخصيص وعلى هذا التقدير يحصل هنا احتمالان آ ان يكون التخصيص واقعا بحسب المخاطب وبحسب نوع المراد وقولوا للمومنين حسنا و ب ان يقع بحسب الخطاب وبحسب نوع المراد وقولوا للناس حسنا فى الدعاء الى الله وفى الامر بالمعروف فعلى الوجه الاول يتطرق التخصيص الى المخاطب دون الخطاب وعلى الثانى يتطرق الى الخطاب دون المخاطب وقال ابو جعفر محمد بن على الباقر رضى الله عنه ان هذا العموم باق على ظاهره وانه لا حاجة الى التخصيص قال الامام وهذا هو الاقوى والدليل عليه ان موسى وهرون مع جلالة منصبهما امرا بالرفق واللين مع فرعون وكذا نبينا عليه السلام مامور بالرفق وترك الغلظة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة اما قولهم يجب لعنهم وذمهم فلا يمكن القول الحسن معهم فجوابه انا لا نسلم انه يجب لعنهم وسبهم قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله سلمنا انه يجب لعنهم لكن لا نسلم ان اللعن ليس قولا حسنا بيانه ان القول الحسن ليس عبارة عن القول الذى يشتهونه ويحبونه بل القول الحسن هو الذى يحصل انتفاعهم به ونحن اذا لعناهم وذممناهم ليرتدعوا به عن الفعل القبيح كان ذلك المعنى نافعا فى حقهم فكان ذلك اللعن قولا حسنا كما ان تغليظ الوالد فى القول قد يكون حسنا نافعا من حيث انه يرتدع به عن الفعل القبيح واما تمسكهم بقوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فالجواب انه لم لا يجوز ان يكون المراد منه كشف حال الظالم ليحترز الناس عنه وهو المراد بقوله عليه السلام اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس قال اهل التحقيق كلام الناس مع الناس اما ان يكون فى الامور الدينية او فى الامور الدنيوية فان كان فى الامور الدينية فاما ان يكون فى الدعوة الى الايمان وهو مع الكفار او فى الدعوة الى الطاعة وهو مع الفساق اما الدعوة الى الايمان فلا بد ان يكون بالقول الحسن كما قال الله لموسى عليه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى امره تعالى بالرفق مع فرعون وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى ادفع بالتى هى احسن واما فى الامور الدنيوية فلا شك انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطف من القول لم يحسن سواه فثبت ان جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت قوله وقولوا للناس حسنا ه

قوله تعالى تفادوهم تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى اختلف القراء فى قوله اسارى تفدوهم فى اثبات الالف فى الكلمتين واسقاطها وفى فتح الراء وامالتها فقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر اسارى تفدوهم وقرا نافع وعاصم والكسائى اسارى تفادوهم بالف فيهما وقرا حمزة اسرى تفدوهم بغير الف فيهما وكان ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى يكسرون الراء وكان ابن كثير وعاصم يفتحان الراء ونافع يقرا بين الفتح والكسر قال فى الحجة اسير فعيل بمعنى مفعول لانك تقول اسرته كما تقول قتلته واذا كان بمعنى مفعول فالاسرى فى جمعه اقيس من اسارى كما ان اقيس من اسرا الاسرى انهم قد قالوا اسراء فشبهوه بظرفاء كما قالوا فى جمع قتيل قتلاء كما ان اسرى وقتلى فى جمع قتيل واسير ليس بالقياس كذلك اسارى ليس بالقياس ووجه قول من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فقيل فى جمعه اسارى كما قيل كسالى واجرى عليه هذا الجمع للحمل على المعنى كما قالوا مرضى وموتى وهلكى لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء مدخلين فيها مكرهين عليها مصابين بها فاشبه فى المعنى فعيلا الذى بمعنى مفعول فلما اشبهه فى المعنى اجرى جمعها عليه فى الجمع قال

سيبويه قالوا كسلى فشبهوه باسرى كما قالوا اسارى فشبهوه بكسالى فهذا تعلم منه ان الاصل في فعيل بمعنى مفعول ان يجمع على فعلى وقد يب فعل يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثانى بالجار كقوله
وقد فديناه بذبح عظيم قال اهل اللغة ردت على المفعولين بالنا لغوب الساع لو تستطيع اذا تابيل بحجفة فدى لك الموت بالآباء والولد وقالوا فادى للاسير اذا اطلقه واخذ عنه شيئا فمن قرا
تفادوهم فلان من كل واحد من الفريقين فعلا من الاسير دفع الاسير ومن الماسور منهم دفع الفداء فاذا كان كذلك فوجه تفادوهم ظاهر والمفعول الثانى الذى يصل اليه الفعل بالحرف محذوف
كما حذف المفعول الاول الذى يصل اليه بلا حرف في قوله عند ذى تاج اذا قيل له فاد بالمال تراخى ومرح ومن قرا تفدوهم فالمعنى فيه مثل معنى من قرا تفادوهم الا انه قد
جا بالفعل على تفعل الا ترى ان لهذا الوجه ايضا فعلا من كل واحد من الاسير والماسور منهم على وجه الفدية للاسير والاستنقاذ له من الاسر

قوله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى فداء الاسارى وتكفرون ببعض يعنى المقاتلة والاخراج من الديار وقول ابن عباس وقتادة وابن جريج قالوا اخراجهم كفر وفداؤهم ايمان ثم انه تعالى
لم يذمهم على الفداء وانما ذمهم على المناقضة اذا اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض وقد تكون المناقضة ادخل في الذم فان قيل هب ان ذلك الاخراج معصية فلم سماه كفرا مع انه ثبت ان العاصى
لا يكفر قلنا لعلهم صرحوا بان ذلك الاخراج غير حرام مع ان صريح التورية كان دالا على وجوبه وقيل المراد من قوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض التنبيه على انهم في تمسكهم بنبوة موسى
عم مع التكذيب بمحمد عليه الصلوة والسلم مع ان الحجة في امرهما على سواء يجرى مجرى طريقة السلف منهم في ان يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض والكل في الميثاق سواء وشان هذا الوجه
ان قوله ثم انتم هؤلاء الى قوله اخراجهم في حق اسلافهم وقوله افتؤمنون في حق الحاضرين في زمان النبى صلعم قوله تعالى فما جزاء استفهام في معنى النفى او متوقف قوله والخزى

قال الامام فيه سوال وهو ان عذاب الدهرية الذين ينكرون الصانع يجب ان يكون اشد من عذاب اليهود فكيف قال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب ثم قال و
الجواب المراد منه اشد من الخزى الحاصل في الدنيا فلفظ الاشد وان كان مطلقا الا ان المراد اشد من هذه الجهة وانا اقول قول المصنف والمراد من قبل منهم ذلك الى اشد
العذاب لان عصيانه اشد يدل على ان المراد اشد مطلقا وانما كان اشد من عذاب الدهرية لانهم فعلوا ذلك مع علمهم والدهرية لجهلهم ربما لم يكن عذابهم بهذه الشدة والله اعلم بالحقيقة فان
قلت قوله تعالى يردون الى اشد العذاب يقتضى ان يكونوا قبل ذلك في العذاب لان الرد لا يكون الا ان يفارق شيئا كان عليه ثم يصير اليه بعد ذلك ومعلوم انهم قبل ذلك لم يكونوا في اشد
العذاب فكيف يصح الرد هنا قلنا سوهم ما ذكرت في العود والرجوع وليس كذلك بشىء يدل عليه قال الرجل في الجنة واما من ذهب من المتاخرين الى ان الظهار لا يقع حتى يقول الزوج مرة
بعد اخرى انت على كظهر امى لقوله ثم يعودون لما قالوا فليس كما ادعاه لان العود على ضربين احدهما ان يصير الى شىء قد كان عليه قبل فتركه ثم صار اليه والآخر ان يصير الى شىء لم يكن عليه قبل
وكان هذا الوجه غمض على هذا القائل ومنه اذ السبعون افصدن سراها وسار في المفاصل والعظام وصرت كانى اقتاد عنزا وعاد الرأس منى كالثغام اى صار
لون راسى كلون الثغام ولم يكن ثم لون ثغام عاد اليه وسمت للآخرة المعاد ولم يكن فيها ثم عاد اليها وهذا اذا تتبع وجد كثيرا قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون تهديد
عظيم وزجر شديد عن المعصية قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة اى اهل هذه الصفة المذكورة اختاروا الحيوة في هذه الدار الفانية بالنعيم المقيم والعز الدائم
في الآخرة واعلم ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن والله تعالى مكن المكلف من تحصيل ايهما شاء واراد فاذا اشتغل بتحصيل احدهما فقد فوت الآخر على نفسه فجعل
الله تعالى اعراض اليهود من الايمان بما في كتابهم والعمل به وحصولهم على ما في ايديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشرى وذلك من الذم بمنزلة الذم لهم لان المغبون في البيع والشرى في الدنيا
مذموم حتى يوصف بانه ينبن عقله فان يذم مشترى متاع الدنيا بالآخرة اولى واعلم انه حمل بعضهم تخفيف العذاب على انه لا ينقطع بل يدوم لانه لو انقطع لكان قد خفف وحمله آخرون على شدته لا على
دوامه قال الامام والاولى ان تعالى ان العذاب قد يخفف بالانقطاع وقد يخفف بالقلة في كل وقت او في بعض الاوقات فاذا وصف تعالى عذابهم بانه لا يخفف فمقتضى ذلك نفى جميع ما ذكرناه و
في قوله ولا هم ينصرون وجهان الاكثرون حملوه على نفى النصرة في الآخرة يعنى ان احدا لا يدفع هذا العذاب عنهم ولا ينصرهم على من يريد عذابهم ومنهم من حمله على نفى النصرة في الدنيا والاول اولى لانه
تعالى جعل ذلك جزاء على صنيعهم ولذلك قال فلا يخفف عنهم العذاب وهذه الصفة لا تليق الا بالآخرة لان عذاب الدنيا وان حصل فيسير كالحدود التى تقام على المصر ولان الكفار
قد ينصرون غالبين على المؤمنين في بعض الاوقات قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب الى قوله اعلم ان هذا نوع آخر من النعم التى افاضها الله عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران و
الافعال القبيحة وذلك لانه تعالى لما وصف حال اليهود من قبل بانهم خالفوا امر الله في قتل انفسهم واخراج بعضهم بعضا من ديارهم وبين انهم بهذا الصنع اشتروا الدنيا بالآخرة زاد في تبكيتهم
بما ذكر في هذه الآية قوله تعالى قلوبنا غلف قال ابن عباس ومجاهد وقتادة انهم قالوا استهزاء وانكارا لما اتى به النبى صلعم قلوبنا عليها غشاوة فلا نعى ولا نفقه ما تقول يا محمد
فاكذبهم الله تعالى فقال بل لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته وطردهم واللعن في اللغة الابعاد قال نصيب اللعين في رعيته وهو الفزاعة فعيل بمعنى فاعل لانه يطرد الطير
عنها او بمعنى مفعول كان الطير طردته لتباعدها عنه وان كان هو الذى يطردها ثم سمى التعذيب والسب والشتم لعنا لقول الله تعالى لما ذكروا من ان قلوبهم في الغلاف فلا نفهم
ولكن الله لعنهم واخزاهم بكفرهم اى بسبب اصرارهم على كفرهم وتركهم الايمان بمحمد صلعم جعل الله جزاءهم على ذلك ان لعنهم فحرموا الانتفاع بما تقوله محمد صلعم قال الواحدى فهذا معنى لعن اليهود
في هذا الموضع قوله تعالى بئسما اشتروا اعلم ان نعم وبئس فعلان يدل لدخول تاء التانيث فيهما نحو نعمت وبئست وقال الفراء هما اسمان ويحتج بقول حسان بن ثابت
الست بنعم الجار يولف بيته من الناس ذا مال كثير ومعدما وبما روى ان اعرابيا بشر بمولوده فقيل له نعم المولودة مولودتك فقال والله ما هى بنعم المولودة والبصريون
يحملون ما ذكر على طريق الحكاية اذا عرفت ذلك فنقول اصلهما نعم وبئس بوزن علم الا ان ما كان ثانيه حرف حلق وهو مكسور يجوز فيه اربع لغات احداها على الاصل ثم اسكان ثانيه
مع فتح الاول ثم اتباع الاول للثانى فيكون بكسرتين ثم اسكان الثانى ونقل حركته الى الاول وهذا التغيير الاخير جعل لازما لهاتين الكلمتين لدلالة هذا التغيير على انه خرج من الاخبار الى
انشاء المدح او الذم ولا يذكرونه على الاصل الا في ضرورة الشعر كما انشد المبرد فقلت لبنى عبس على ما اصاب الناس من شر وضر ما قلت قد ما اليهم نعم السعاة في الامر المبر
والاقلال الرفيع والمراد بارفعته قدماه بدنه والمبر من قولهم ابر فلان على اصحابه اى علاهم قوله ما قلت مبتداء وقد ما خبره اى نفسى فداء لهذه القبيلة التى هم بنو عبس لانهم
يسعون في الامر الرفيع وهو الحق قوله به وهو الحق قال الامام هذا كالاشارة الى ما يدل على وجوب الايمان بمحمد صلعم وبيانه من وجهين الاول ما دل عليه قوله وهو الحق فانه
لما ثبت نبوة محمد صلعم بالمعجزات ثم اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا وثانيها ما دل عليه قوله مصدقا لما معهم وتقريره من وجهين
الاول انه عم لم يتعلم ولا استفاد من استاذ فلما اتى بالحكايات والقصص موافقة لما في التورية من غير تفاوت اصلا علمنا انه عم انما استفادها من الوحى والتنزيل الثانى ان القرآن
يدل على نبوة محمد صلعم فلما اخبر الله عنه انه مصدق للتورية وجب اشتمال التورية على الاخبار عن نبوته والا لم يكن القرآن مصدقا للتورية بل مكذبا لها واذا كانت التورية
مشتملة على نبوة محمد عم وهم اعترفوا بوجوب الايمان بالتورية لزمهم من هذه الجهة وجوب الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلعم قوله تعالى ان كنتم مؤمنين جواب هذا الشرط محذوف
اى ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم وهو التورية فلم تقتلون انبياء الله فان التورية لا تجوز ذلك وليس سبيل المؤمنين ان يقتلوا الانبياء فان قتل الانبياء كفر قال الامام هذه الآية دالة على ان
المجادلة في الدين من حرف الانبياء وان ايراد المناقضة على الخصم جائز قوله تعالى ولقد جاءكم موسى الخطاب لليهود جعل مجئ موسى آباءهم كمجيئه اياهم لانه بلغهم ما بلغ آباءهم
والبينات الدلالات التسع الواضحة نحو اليد والعصا وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم اتخذتم العجل معبودا من بعد موسى
اى بعد ذهاب موسى الى الجبل او من بعد المجئ لدلالة الكلام عليه اى بعد مجئ موسى بالبينات قال الامام السبب في تكرير هذه الآية انه تعالى لما حكى طريقة اليهود في زمن نبينا
محمد صلعم ووصفهم بالعناد والتكذيب ومثلهم بسلفهم في قتلهم الانبياء عاد الذى يناسب التكذيب لهم اعاد ذكر موسى وما جاء به من البينات وانهم مع وضوح ذلك اجازوا ان
يتخذوا العجل الها وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكذلك القول في حالى معكم وان بالغتم في التكذيب والانكار قوله واذ اخذنا ميثاقكم
المعنى قوله قال الحسن قالوا سمعنا بالسنتهم وعصينا بقلوبهم واكثر المفسرين على انهم قالوا سمعنا ما اظل الجبل فوقهم فهم نحن كشف عنهم قالوا عصينا قال ابو مسلم
يجوز ان يكون المعنى سمعوه فتلقوه بالعصيان فيكون حالهم بحال من قال ذلك العول فعبر عن ذلك بالقول وان لم يقولوا كقولهم قالت امتلأ الحوض وقال قطنى قوله تعالى واشربوا فيه وجوه الاول ان معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب قال زهير
وكقول العالم امتلأ الحوض وقال قطنى قوله تعالى واشربوا فيه وجوه الاول ان معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب
تسعى عنه بعد حب داخل والحب يشربه فوادك داء وتقرب من هذا المعنى قولهم اشربتها الكلم الاقران حتى انحتها بالقرح وقد القتل كلم جنين والقرن حبل يقرن
به البعيران والاقران الحبال وناخت النافة ابركها والقرح اسم وادى القرى والثانى كان الشرب مادة لحياة ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة مادة لجميع ما صدر عنهم

مراعاة

من افعال القبيحة قال ابو مسلم والزجاج معناه سقوا حب العجل وخلطوا به حتى اختلط بهم والثالث ان الاشراب خلط لون بلون يقال اشرب سحرة اذا كان تخالطه حمرة فان قيل لم لم يقل
واشربوا قلوبهم العجل وهو اوجز واخصر قلنا مبالغة في التاكيد باسناد الفعل والاقامة بتخصيص القلوب به كانهم اشربوا على رؤسهم واراد حب العجل فحذف المضاف ثم ان قوله واشربوا يدل على
ان فاعلا غيرهم فعل بهم ذلك لكن لما علم انه لا يقدر على ذلك الفعل سوى الله جى بالفعل مجهولا وتفسير اشربوا بقوله تداخلهم لاشعار ما ذكرنا لان ذلك التداخل انما يكون بادخال الله
حب العجل فيها قوله تعالى ان كانت لكم الدار الآخرة هذا اشارة الى نوع آخر من قبائح افعالهم وهو ادعاؤهم ان الدار الآخرة لهم خالصة في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
قوله تعالى وما يكفر بها الا الفاسقون الكفر بالآيات يكون من وجهين احدهما جحودها مع العلم بصحتها والثانى جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها والفسق
خروج الانسان عما حد له قال تعالى ففسق عن امر ربه وتقول العرب للنواة اذا خرجت من الرطب عند سقوطها فسقت النواة وقد تقرب من معناه الفجور لانه ماخوذ من فجور السد
الذى يمنع الماء من ان يصير الى الموضع فيفسد فقال تعالى فجرت الماء اى فجرته تفجيرا فانفجر فشبه تعدى الانسان ما حد له الى الفساد بالذى فجر السد حتى صار الى حيث يفسد فان قيل اليس صاحب
الصغيرة تجاوز امر الله ولا يوصف بالفسق والفجور قلنا الاسم يهما كل امر يعظم من الباب الذى ذكرنا لان من فتح من النهر نقبا يسيرا لا يوصف بانه فجر ذلك النهر وكذلك الفسق
انما يقال اذا عظم التعدى اذا ثبت هذا فنقول في قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره والمعنى ان هذه الآيات لما
كانت ظاهرة لم يكفر بها الا الكافر الذى يبلغ في الكفر الى النهاية القصوى وتجاوز عن حد عن العقل والشرع وهو الذى اشار اليه المصنف بقوله الا المتمردون من الكفرة ثم
ان كل كافر فاسق وليس كل كافر فاسق كافرا فذكر الفاسق يشمل الكافر وغيره فكان اولى وهو الذى رواه المصنف على الحسن

قوله السحر والشعوذة قال الامام ذكر اهل اللغة ان السحر في الاصل عبارة عما لطف وخفى سببه ثم قال وهو في عرف الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل
على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعنى موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال تعالى
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد روى انه قدم على رسول الله صلعم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فقال لعمرو خبرنى عن الزبرقان فقال مطاع
في ناديه شديد العارض مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان هو والله يعلم انى افضل منه فقال عمرو انه زمر المروة ضيق العطن احمق الاب لئيم الخال يا رسول الله صدقت فيهما ارضانى
فقلت احسن ما علمت واسخطنى فقلت اسوأ ما علمت فقال رسول الله صلعم ان من البيان لسحرا فسمى النبى صلعم بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشىء المشكل ويكشف عن
حقيقته بحسن بيانه فان قيل كيف يجوز ان يسمى ما يوضح الحق وينبى عنه سحرا وهذا القائل انما قصد اظهار الخفاء لا الاخفاء الظاهر ولفظ السحر انما يكون عند اخفاء الظاهر قلنا انما سماه سحرا
لوجهين الاول ان ذلك للطفه وحسنه استمال القلوب فاشبه السحر الذى يستميل القلوب فمن هذا الوجه سمى سحرا الثانى ان المقتدر على البيان يكون قادرا على تحسين ما يكون قبيحا
وتقبيح ما يكون حسنا فيشبه السحر من هذا الوجه ثم قسم الامام السحر وذكر ان قسما منها هو التخيلات والاخذ بالعيون وقال المشعبذ الحاذق يظهر عمل شىء يشغل
اذهان الناظرين به وياخذ عيونهم اليه حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشىء عمل شيئا آخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيا لتعاون الشيئين احدهما استغالهم بالامر الاول
والثانى سرعة الاتيان بهذا العمل الثانى وحينئذ يظهر لهم شىء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد ان يعمل ولم يحرك النفوس
والاوهام الى غير ما يريد اخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله فهذا هو المراد من قولهم ان المشعبذ ياخذ بالعيون لانه بالحقيقة ياخذ العيون الى غير الجهة التى يحتال وكلما
كان اخذه للعيون والخواطر وجذبه لها الى سوى مقصوده اقوى كان احذق في عمله والغرض من ايراد هذا الكلام ان الامام جعل الشعبذة من جملة انواع السحر و
المصنف جعله شيئا آخر فلذا اعطفه اعلم ان العلماء اختلفوا في ان الساحر هل يكفر ام لا وتقرير ذلك موقوف على مقدمة وهى ان السحر على اقسام القسم الاول
سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هى المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم
الذين بعث الله ابراهيم عليه مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم في مذهبهم القسم الثانى من السحر سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية قالوا لم لا يجوز ان يكون بعض النفوس مختلفة
متفقة في بعض النفوس ان كانت لذاتها قادرة على هذه الحوادث الغريبة مطلعة على الاسرار الغائبة فهذا الاحتمال مما لم يقم برهان على فساده ولو كذلك الاحتمال انكر لو
انصفت علمت ان المبادى القريبة للافعال الحيوانية ليست الا التصورات النفسانية لان القوة المحركة المغروزة في العضلات صالحة للفعل وتركه وترجح احد الطرفين على
الآخر لتصور كون الفعل جميلا او لذيذا او تصور كونه صحيحا وموليا فتلك التصورات هى المبادى لصيرورة القوى العضلية مبادى بالفعل لوجود الافعال بعد ان كانت كذلك
بالقوة واذا كانت هذه التصورات هى المبادى لمبادى هذه الافعال فاى استبعاد في كونها مبادى للافعال بنفسها والغاء الواسطة عن درجة الاعتبار وقالوا النفوس
التى تفعل هذه الافاعيل قد تكون قوية جدا فتستغنى في هذه الافعال عن الاستعانة بالآلات والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات القسم الثالث
الاستعانة بالارواح الارضية فمنها خيرة ومنها شريرة قالوا واصحاب الصنعة وارباب التجربة شاهدوا ان الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فهذا
النوع يسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن والقسم الرابع التخيلات والاخذ بالعيون وقد مر تحقيقه ثم القسم الخامس الاعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب
الهندسية مثل فارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير ان يمسه احد ومنها الصور التى
تصورها الروم والهند حتى لا يعرف الناظر بينها وبين الانسان حتى تصورونها ضاحكة وباكية حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وضحك الخجل فهذه الوجوه من لطف امور
المخايل وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ويندرج في هذا الباب علم جر الاثقال وهو ان يجر ثقيل عظيم بآلة خفيفة قال
الامام وهذا في الحقيقة لا ينبغى ان يعد من باب السحر لان لها اسبابا معلومة يقينية من اطلع عليها قدر عليها الا ان الاطلاع عليها لما كان عسيرا شديدا لا يصل اليه الا الفرد
بعد الفرد لا جرم عد اهل الظاهر ذلك من باب السحر القسم السادس من السحر الاستعانة بخواص الادوية مثل ان يجعل في طعامه بعض الادوية المزيلة للعقل القسم السابع
تعلق القلب وهو ان يدعى الساحر انه يعرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه وينقادون له فاذا اتفق ان كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق
قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة واذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة وحينئذ يتمكن الساحر ان يفعل حينئذ ما يشاء القسم الثامن من السحر السعى
بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس اذا عرفت اقسام السحر فنقول لا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هى المدبرة
لهذا العالم وهى الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا وهذا هو النوع الاول من السحر واما النوع الثانى وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان
في التصفية والقوة الى حيث تقدر بها على ايجاد الاجسام والحيوة والقدرة وتغيير البنية والشكل فاجمعت الامة ايضا على تكفيره واما النوع الثالث وهو ان يعتقد الساحر
انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية لماحث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل
فههنا اتفقت المعتزلة على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل قال الامام وهذا مشكل فان لقائل ان يقول ان الانسان
لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار هذه الاشياء عليه لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة وظهرت هذه الاشياء على يده لم يفض ذلك الى التلبيس
فان قيل ان اليهود لما اضافوا السحر الى سليمان قال الله تعالى تنزيها له عنه وما كفر سليمان وهذا يدل على ان السحر على الاطلاق كفر قلنا حكاية الحال يكفى في صدقها
صورة واحدة فحملها على سحر من يعتقد الهية النجوم فان قلت هل يجب قتل هؤلاء السحرة قلنا اما في النوع الاول والثانى فالمسلم اذا اعتقد ذلك الاعتقاد كان مرتدا
يستتاب فان اصر قتل واما في النوع الثالث فان جوز يعتقد انه يمكن الوصول الى استحداث الاجسام والحيوة وتغيير الخلقة بهذه الطرق فاذا اتى الساحر بشىء
من ذلك فان اعتقد ان اتيانه به مباح كفر وان اعتقد حرمته فعند الشافعى انه حكمه حكم الجناية ان قال انى سحرته وسحرى يقتل غالبا يجب عليه القود وان قال سحرته وسحرى
قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه فهو خطأ تجب الدية مخففة في ماله لانه ثبت باقراره الآن تصدقه العاقلة ثم تجب عليهم واما سائر انواع السحر اعنى
الاتيان بضروب الشعوذة والآلات العجيبة المبنية على النسب الهندسية او بايهام ضروب من التخويف والتفزيع حتى يصير من به السوداء محكم الاعتقاد فيه او بسعى بالتضريب والنميمة
ويجتهد في ايقاع الفرقة بعد الوصلة ويوهم ان ذلك بكلمات يكتبها من الاسم الاعظم فليس بكفر وكذا دفن الاشياء والوضع في دور الناس وكذا ايهام ان الجن يفعلون

حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لم يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرى يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو الحطة فجاءوا بلفظ آخر لانهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة واحدة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال جبريل يقول الله ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع

وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط منهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل فلان لا يأكل الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اى اختبزوا لنا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقراءة زهير الفرقبي ادنأ بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج و بلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اى صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف

عليه خبرات فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط وَاِذْ

أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وَاِذْ

اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما فى التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان

موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم

وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم

والا ألقى عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة و

اذكروا ما فيه واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان

تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله

عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة

خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق

والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيناكم وتذكروا واذكروا

السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اى جاوزوا

ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان

يبقى حوت فى البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم

يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت

الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم قردة

خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعنى

المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها لما قبلها

وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها

واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل

نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين

للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله

يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين كان

فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون

بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا

اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان

الهزؤ فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاى نحو كفؤا

وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد فى قراءة

عبد الله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك

فافعلوا ما تؤمرون سل لنا ربك ما هى سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب

ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض

المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمرى لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق

اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اى قطعتها وبلغت آخرها و

البكر الفتية والعوان النصف قالت نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت

بين تقتضى شيئين فصاعدا فمن اين دخوله على ذلك قلت لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به

الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة

الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا فعل

نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة

طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال ابو عبيدة قلت

لرؤبة فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل

كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك والذى حسن منه

ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك

جاء الذى بمعنى الجمع ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى

مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول

انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا

وانا ان شاء الله لمهتدون الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال فى التوكيد اصفر فاقع

وارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانى وذريحى واخضر ناضر

مدهام واورق خطبانى وارمك رداني فان قلت فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون

فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به

ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء

فاقع لونها **فان قلت** فهلا قيل صفراء فاقعة واى فائدة فى ذكر اللون **قلت** الفائدة فيه
التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك
جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من
جلدها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء
قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله
مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى
تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب ما هى مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها و
استكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها
لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب
الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجرة سألتنى
باى نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سألتنى اضأن ام ماعز
فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشىء فلا تراجعنى
وفى الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا
اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها يذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه
بطرح التاء وادغامها فى الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشبهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة
ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اى
لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفى علينا من امر القاتل
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما
كادوا يفعلون لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى
من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى
لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد
لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اى حيث هى وهو نفى لذلها ولان توصف به فيقال هى ذلول ونحوه قولك
مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اى فيهم او حيث هم وقرئ تسقى بضم التاء من اسقى مسلمة
سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبى عن وليته
ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شىء

من الالوان لا شية فيها لا لمعة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى
قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور
موشى القوائم الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها فذبحوها
اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال
لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت
تنتهى سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها
وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وروى انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن
البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة **فان قلت** كانت البقرة التى
تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبح المخصوصة
فما فعل الامر الاول **قلت** رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا اى يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح فى نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما **فان قلت** كيف اعمل مخرج وهو فى
معنى المضى **قلت** لانه قد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ كما حكى الحاضر فى قوله باسط
ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير فى اضربوه
اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم
تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف فى البعض الذى ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى
وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين
الكتفين والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى وروى انهم لما ضربوه
قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا

ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى
وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون
تعملون على قضيته عقولكم وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم
الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن قلت هلا أحياه ابتداء ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت** في الأسباب
والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب
والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في
ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال و
نفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ
بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق
في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب
يونق من ينظر إليه وأن يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار
وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه
لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب
لا الأسباب لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة **فإن قلت** فما للقصة
لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال
وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كل ما قص من قصص
بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات
العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين
فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل
النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل
على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما
استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا
باسمها الصريح في قوله فاضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته إلى
بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة ثم قست قلوبكم

من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن
منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين
القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار و
أن المواعظ لا تؤثر فيها وذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي
كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة أو أشد قسوة منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد
قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة
وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو
الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة **فإن قلت** لم قيل أشد قسوة
وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه أبين وأدل على فرط القسوة
ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت
قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك
زيد كريم وعمرو أكرم وقوله وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله
أو أشد قسوة وقرئ إن بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها
قوله وإن كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر ويشقق يتشقق
وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها
ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منها الماء أيضا يهبط يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم
الباء والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا
تفعل ما أمرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن
يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة
فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله
وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما
أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا
وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء

وحرّفوا فلم يسابقه في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود قالوا أي منافقوهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون

وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا إلى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أي اختلقته وقيل إلا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة والاشتقاق من منى إذا قدر لأن المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وإلا أماني من الاستثناء المنقطع وقرئ أماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

يكتبون الكتاب المحرف بأيديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبته يا هذا كتبته بيمينك هذه يكسبون من الرشى أياما معدودة أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وأم إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة بلى إثبات لما بعد حرف

النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر وأحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة المحيطة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية ولا تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها وأخبر أن من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون

لا تعبدون إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل عليه أيضا قوله وقولوا وبالوالدين إحسانا إما أن يقدر وتحسنون بالوالدين أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني إسرائيل إجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم قيل هم الذين أسلموا منهم وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية

وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا ودينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون

غيرًا أولئك المقربين تنزيلًا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به. وقوله تقتلون بيان لقوله أنتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين. وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون أي تتعاونون عليهم. وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأُسارى. وهو ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهمًا تفسيره إخراجهم. أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء، وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا. والخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية. وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد. وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء. فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقص الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة.

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون

الكتاب التوراة آتاه إياها جملة واحدة. ويقال قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب، وقفاه به أتبعه إياه، يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى، وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم. وقيل عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم، وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة: قلت لزير لم تصله مريمه. ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب. البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات. وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر. بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق، ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة، وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث، وقيل بجبريل وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا، وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره. والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم أفكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ

والتعجب من شأنهم، ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر. فإن قلت هلا قيل وفريقا قتلتم؟ قلت هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة، وقال عليه السلام عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري.

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

غلف جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن كقوله قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه. ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين. فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون، وما مزيدة للمبالغة في القلة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم. وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره. وروي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين. كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه، وقرئ مصدقا على الحال. فإن قلت كيف جاز نصبها عن النكرة؟ قلت إذا وصفت النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله. وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك. يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه، والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر، أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم. فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة. على الكافرين أي عليهم، وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم، واللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا.

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من

قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين

ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اى قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة واشربوا في قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اى سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت

فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن

النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي

ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين

بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون

هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا حفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت لم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام

معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم و
ان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر
من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد و
الانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان
القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين روى ان عبد الله بن صوريا
من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال
ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان
كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اى حق تقتلونه وقيل امره الله
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان
ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك
فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلعم
وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب
كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب
منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون
فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما
كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن
قمطريل وجبريل بحذف الياء وجبرل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرئل بلام مشددة
وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة
لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته

على قلبك اى حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت
جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على
قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى
جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه
وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه
انزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا لهم وهم له كارهون وللقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه
ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن
قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت
بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة
الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في
الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون
الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله
مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهد وكم اخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم
لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق
ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها
نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله
لا يخالجهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم

واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناءً عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين

ايديهم يقرأونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلّوه بالذهب ولم

يحلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه واتّبعوا اى نبذوا كتاب الله **واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلّمان من احد

حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من احد الا باذن الله ويتعلّمون

ما يضرّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق واتّبعوا اى نبذوا كتاب الله واتّبعوا ما تتلوا الشياطين

يعني واتّبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اى على عهد ملكه وفي زمانه وذلك

ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمّون الى ما سمعوا اكاذيب يلفّقونها ويلقونها الى الكهنة وقد

دوّنوها في الكتب يقرؤونها ويعلّمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن

تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تمّ لسليمن ملكه الا بهذا العلم وبه تسخّر الانس

والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من

اعتقاد السحر والعمل به وسمّاه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه

يعلّمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اى

ويعلّمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اى واتّبعوا ما انزل وهاروت وماروت

عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله للناس من تعلّمه منهم

وعمل به كان كافرا ومن تجنّبه او تعلّمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقّاه ولئلا يغترّ به كان مؤمنا عرفت

الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس منّي ومن لم يطعمه فانه منّي

وقرأ الحسن وعلى الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلّمان الملكان

احدا حتى ينبّهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اى ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلّم

معتقدا انه حق فتكفر فيتعلّمون الضمير لما دلّ عليه من احد اى فيتعلّم الناس من الملكين

ما يفرّقون به بين المرء وزوجه اى علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة

وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه

لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارّين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده

فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشرّ وفيه ان

اجتنابه اصلح كتعلّم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجرّ الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من

اشتراه اى استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب **ولبئس ما شروا**

به انفسهم لو كانوا يعلمون اى باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون

وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان

اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما

يعلّمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها والمرّ على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرخ واجراء

الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضارّي بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف

فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن **قلت** جعل الجارّ جزءا من المجرور **فان قلت**

كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون **قلت**

معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه **ولو انهم آمنوا** برسول الله صلى الله عليه و

سلم والقرآن **واتقوا الله** فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين **لمثوبة من عند الله خير لو كانوا**

يعلمون لمثوبة عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم

فيه وقد علموا لكنه جهّلهم لترك العمل بالعلم **فان قلت** كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو

قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم

لذلك **فان قلت** فهلّا قيل لمثوبة الله خير **قلت** لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان

يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنّيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم

آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين**

عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول

الله اى راقبنا وانتظرنا وتأنّ بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابّون بها عبرانية او

سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك

المسبّة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابيّ

انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه

بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اى لا تقولوا قولا راعنا منسوبا

الى الرعن بمعنى رعينا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السبّ اتّصف بالرعن

واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلّمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة

حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع

اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين وللبهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شىء من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روى انهم طعنوا فى النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول وقراء عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقراء حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شىء قدير نات بآية خير منها للعباد اى بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها فى ذلك على كل شىء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله فى الخير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب

قال الامام لما حكم الله بجواز النسخ عقبه ببيان ان ملك السموات و الارض له لا لغيره وهذا هو التنبيه على انه انما حسن التكليف منه لمحض كونه مالكا للخلق مستوليا عليهم لا لثواب يحصل او لعقاب يندفع قال القفال ويحتمل ان يكون هذا اشارة الى امر القبلة فانه اخبرهم بانه مالك السموات والارض وان الاماكن والجهات كلها له وانه ليس بعض الجهات حرمة من البعض الا من حيث يجعلها الله له واذا كان كذلك وكان الامر انما هو محض التخصيص والتشريف فلا مانع يمنع من جعله الى جهة ومن الناس من الآية على ان الملك غير القدرة والا لزم التكرار من غير فائدة والولى والنصير تعالى هو والى الامر ولية اى القائم به والمعنى مالكم من دون الله والى يلى امركم وناصر

لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اى حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شىء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة صلاة او صدقة او غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين الضمير فى وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين فيها وقراء ابى بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الامانى المذكورة وهى امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اى تلك الامانى الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية

وهنا وجه آخر لم يذكره المصنف وهو انها وان كانت امنية واحدة فى نفسها فبالنسبة الى آحاد كل واحد من الفريقين امانى

أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعاً في البطلان مثل أمنيتهم
هذه والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه
فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى أحضر بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة بلى من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فإن قلت من أسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى رداً لقولهم ثم يقع
من أسلم كلاماً مبتدأ ويكون من متضمناً لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلاً لفعل
محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم على شيء وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة
لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به
إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك و
حالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والإنجيل أو غيرهما من كتب الله و
آمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب
الله جميعاً متواردة في تصديق بعضها بعضاً كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كذلك أي مثل ذلك الذي
سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا
لكل أهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي
أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى
لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بينهم بين اليهود والنصارى يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما
يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن الحسن
حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار أن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما
منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن لأن أصل الكلام من
أن يذكر ولك أن تنصبه مفعولاً له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله
وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا

وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فإن
قلت فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام
قلت لا بأس أن يجيء الحكم عاماً وإن كان السبب خاصاً كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً ومن أظلم ممن آذى
الصالحين وكما قال عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها
بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين
منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين أولئك المانعون ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي لهم أن
يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن
يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم
وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا
خائفين وروي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني
في بيت المقدس إلا أنهك ضرباً وأبلغ إليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا
يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله إلا خيفاً وهو مثل صيم وقد
اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام
وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول
الله لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم
قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكها
ومتوليها فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها ورضيها
والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في
أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إمكانها بمسجد
دون مسجد ولا في مكان دون مكان إن الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم
وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا إلى
أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة
وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو وقالوا
اتخذ الله ولداً يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك

ولا لا قول ثم اى حال الايجاد لانه لو كان قول فاما ان يخاطب به المخلوق قبل دخوله في الوجود وهو محال لاستحالة خطاب المعدوم او يخاطب به حال الوجود وهو ايضا باطل لاستحالة ايجاد الموجود ولعدم الفائدة وايضا قد يكون المخلوق جمادا وتكليف الجماد عبث فلابد من التاويل وهو من وجوه آ ان المراد من هذه الكلمة بيان سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الاشياء وانه يخلق الاشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة ونظيره قوله عند وصف خلق السموات والارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولا قول منهما واستعمال القول على سبيل المجاز كما في قول الشاعر اذ قالت الانساع للبطن الحق اى صرّ يابطن لاحقا اى ضامرا والنسعة هي التي ينسج عرضها لشدة وسط الدابة الثاني انه علامة يفعلها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا الثالث انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن جرى مجراهم وهو قول الاصم والرابع انه امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة قال الامام والكل ضعيف والقوى الاول وقال الواحدى ما قدر الله وجوده فهو كالموجود المشاهد فجاز ان يخاطب وقال ابن الانبارى يحتمل ان يكون اللام لام اجل والتاويل فاذا قضى امرا فانما يقول من اجل ارادته كن فيكون ٥

وتبعيد ﴿بل له ما في السموات والارض﴾ وهو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿كل له قانتون﴾ منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم **فان قلت** كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون **قلت** هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴿بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له﴾ بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر ﴿كن فيكون﴾ من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرى بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرا المنصور بالنصب على المدح ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به ﴿لولا يكلمنا الله﴾ هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا ﴿او تاتينا آية﴾ جحودا لان يكون ما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها ﴿تشابهت قلوبهم﴾ اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله تعالى اتواصوا به ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ اى ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها ﴿انا ارسلناك﴾ لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ﴿ولا تسأل عن اصحاب الجحيم﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرى ولا تسأل على النهي روى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى

قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قال الامام اعلم ان القوم لما اصروا على العناد واللجاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين تعالى لرسوله عليه السلام انه لا مزيد على ما فعله في مصالح دينهم من اظهار الادلة وكما بين هنا بين انه لا مزيد على ما فعله الرسول في باب الابلاغ والتنبيه لئلا يكثر غمه بسبب اصرارهم على كفرهم وفي قوله بالحق وجوه احدها انه متعلق بالارسال اى ارسلناك ارسالا بالحق وثانيها انه متعلق بالبشير والنذير اى انت مبشر بالحق ومنذر به وثالثها الباء بمعنى مع فالمراد بالحق القرآن او الاسلام قال ابن عباس الحق القرآن كقوله تعالى جاءهم الحق وكقوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان الحق هنا الاسلام قال تعالى جاء الحق وزهق الباطل قوله بشيرا فعيل بمعنى فاعل من بشر يبشر كما يدخل بشر الفعل الباء بمعنى بشر يبشر او نذيرا اى منذرا بمعنى مخوف فالعامل فيه ويجوز ان يكونا حالين من الحق اذا كان بمعنى القرآن اى ارسلناك بالقرآن حال كونه بشيرا لمن اطاع الله بالثواب ونذيرا لمن كفر بالنار والاولى ان يكون حالا من كاف الخطاب وهو الذي اختاره المصنف فكانه قال ارسلناك يا محمد لتكون بشيرا لمن تبعك ونذيرا لمن كفر بك ٥ قوله ولا تسالك هذا النفي على القراءة برفع التاء واللام وعلى هذه القراءة في المعنى وجوه آ ان مصيرهم الى الجحيم فمعصيتهم لا تضرك ولست بمسؤول عن ذلك وهو كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب والثاني انما انت بشير ونذير ليس لك من الامر شيء فلا تاسف ولا تغتم لكفرهم ومصيرهم الى العذاب ونظيره قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات الثالث لا تنظر الى المطيع والعاصي في الوقت فان الحال قد يتغير فهو غيب فلا تسأل عنه ٥ قال في الكشف وقرا نافع وحده ولا تسأل مفتوحة التاء مجزومة اللام وقرا الباقون ولا تسأل مضمومة التاء مرفوعة اللام العرب في سالت ان تتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال سالناها الشفا فما شفتنا ومنتنا المواعد والخلاف ويجوز ان تقتصر على مفعول واحد فاذا اقتصرت في التعدي على مفعول واحد كان على ضربين آ ان يتعدى بغير حرف والآخر ان تتعدى بحرف فاما تعديته بغير حرف فقوله فاسئلوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا وقوله فاسئلوا اهل الذكر واما تعديه بحرف فالحرف الذي يتعدى به حرف الباء كقوله سأل سائل بعذاب وعن كقولك سل عن زيد واذا تعدى الى مفعولين كان على ضربين احدهما ان يكون بمنزلة اعطيت كقوله سألناها الشفا اى استعطيناها الشفا والثاني ان يكون بمنزلة اخترت الرجال زيدا كقوله ولا يسأل حميم حميما والمعنى هنا ولا تسأل عن حميمه لذهوله عنه ولاشتغاله بنفسه فهذا على هذه القراءة كقوله وسلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر والثالث ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما الاستفهام كقوله عز وجل سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة وقوله وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ثم قال ابو علي في الحجة لمن قرا بالرفع ان الرفع يحتمل وجهين احدهما ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه اى بشيرا ونذيرا وغير مسؤول ويكون ذكر تسأل وهو فعل بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا ونذيرا كذكر قوله ويكلم الناس في المهد بعد ما تقدم من المفرد وكذا قوله من المقربين وهو جرى مجرى الجملة والآخر ان يكون مستقطعا من الاول مستانفا به ويقوي هذا الوجه اى الاستئناف ما روي من ان عبد الله وابيا قرا احدهما ما تسأل والآخر لن تسأل ووجه قراءة نافع بالجزم للنهي ما روي ان النبي عليه السلام سال اى ابويه كان احدث موتا واراد ان يستغفر له فانزل الله ولا يسأل عن اصحاب الجحيم وهذا ذا اثبت معنى صحيح وذكرت في اسناد الحديث شيئا هكذا ذكر ابو علي في الحجة وقال الواحدي انه عليه السلام سأل جبريل عن قبر ابيه وامه فدله عليهما فذهب الى القبر فدعا لهما وتمنى ان يعرف حال ابويه في الآخرة فنزلت قال الامام هذه الرواية بعيدة لانه عليه السلام كان عالما بان الكافر يعذب ومع هذا العلم كيف يمكن ان يقول ليت شعري ما فعل ابواي وقال ابو علي في الحجة فاما قول من قال انه لو كان نهيا لكانت الفاء في قوله فلا تسأل اسهل من الواو فالقول فيه ان هذا النحو انما يكون بالفاء اذا كانت ارساله بالبشارة والنذارة علة لان لا يسأل عن اصحاب الجحيم كما يقول الرجل قد حملتك على فرس فلا تسألني غيره فيكون حمله على الفرس علة لان لا يسأل غيره وليست البشارة والنذارة علة لان لا يسأل ٥

وكان البيت محترما بحكم الله وكان اهل الجاهلية متمسكين بحرمته لا يسفكون احدا التجأ اليه وكانوا يسمون قريشا اهل الله واعتمد فيه امن الصيد حتى ان الكلب ليهم بالظبي خارج الحرم فيفر الظبي منه ويتبعه الكلب فاذا دخل الظبي الحرم لم يتبعه الكلب ووردت الاخبار في تحريم مكة قال عليه السلام ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت ومذهب الشافعي الى ان المعنى لم يحل لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان دخل البيت من يجب عليه الحدود فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد ومن قاتل في الحرم جاز قتاله قال الواحدي في الوسيط قال ابن عباس يريد من دخله كان آمنا لمن احدث حدثا خارج الحرم ثم لجأ اليه امن ان يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع فاذا خرج منه اقيم عليه الحد ومن احدث في الحرم اقيم عليه الحد فيه وهذا مذهب ابي حنيفة وهو ان الجاني اذا لاذ بالحرم امن ومذهب الشافعي انه لا يامن بالالتجاء اليه ويستوفى منه في الحرم ما وجب عليه على ما روي في الخبر ان الحرم لا يعيذ عاصيا وعلى هذا فمعنى قوله وامنا الاولى ان يامن فيه الجاني فان اخيف باقامة الحد عليه جاز وقد قال كثير من المفسرين من شاء آمن ومن شاء لم يؤمن كانه لما جعله مثابة من شاء ثاب ومن لم يشأ لم يثب وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم

واعلم ان الابتلاء والامتحان في الشاهد استفادة التخلص من الامر الخفي عليه من الممتحن والمبتلى به لينفع عنده علم ما كان ملتبسا عليه وفي حق الله تعالى لا يجوز ذلك لانه تعالى عالم من الازل الى الابد بما يكون وما كان في اوقاته ابدا فالاختبار في حقه تعالى مجاز كما مر من انه مشبه بالاختبار لما امرهم على الاختيار وقالوا يرجع الابتلاء من الله تعالى الى الامر بالشيء والنهي عنه قال الامام وصف تعالى تكليفه اياه بلوى توسعا لان مثل هذا يكون منا على جهة البلوى والتجربة من حيث لا نعرف ما يكون من امره فلما كثر ذلك في العرف بين الناس جاز ان يصف الله تعالى امره ونهيه بذلك مجازا لانه تعالى لا يجوز عليه الاختبار والامتحان لانه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد

قوله فيتعلق اي الحاق الضمير بالفاعل وهو ما فيه اضمار قبل الذكر لانه يعود الى المفعول وهو متاخر من حيث المعنى اعلم ان الضمير لا بد ان يكون عائدا الى مذكور لفظا او تقديرا فالضمير اما ان يكون متقدما على المذكور لفظا ومعنى واما ان يكون متاخرا عنه لفظا ومعنى واما ان يكون متقدما لفظا متاخرا معنى واما ان يكون بالعكس منه اما القسم الاول وهو ان يكون متقدما لفظا ومعنى فالمشهور عند النحويين انه غير جائز وقال ابن جني بجوازه واحتج عليه بوجهين الاول قول الشاعر جزى ربه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل قال الضمير راجع الى عدي وهو متاخر لفظا ومعنى واجيب بان المعنى جزى رب الجزاء الثاني ان الفاعل مؤثر والمفعول قابل وتعلق الفعل بهما شديد فلا يبعد تقدم اي واحد منهما كان على الاخر عنه

قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾ كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ﴿ولئن اتبعت اهواءهم﴾ اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة ﴿ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب﴾ هم مؤمنو اهل الكتاب ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿اولئك يؤمنون به﴾ بكتابهم دون المحرفين ﴿ومن يكفر به﴾ من المحرفين ﴿فاولئك هم الخاسرون﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه ﴿وابراهيم الذي وفى﴾ وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا﴾ فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع

اي يجوز ان يكون قال تفسيرا لقوله ابتلى وهذا على تقدير اضمار عامل اذ فكأنه قال تعالى اذكر اذ ابتلى ابراهيم ربه ثم فسر الابتلاء بقوله قال هذا هو الظاهر وذكر صاحب المطلع فيه انه على الثاني اي على ان يكون قال عاملا في اذ يجوز ان يكون قال بيانا وتفسيرا لقوله ابتلى فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة الى آخره فعلى ما ذكر في المطلع يكون قد ذكر صاحب الكشاف لموقع قال على الثاني وجهين وهذا الذي ذكره في المطلع المناسب من حيث المعنى لكنه ... والبيان غير مختص بالوجه الاول ولا بالوجه الثاني ولذا فصله المصنف وقال ويجوز

قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى آخره اختلفوا في ان المراد بالذين آتيناهم الكتاب من هم فقيل المراد الذين آتاهم الله القرآن واحتجوا عليه بوجوه احدها ان قوله يتلونه حق تلاوته حث وترغيب في تلاوة هذا الكتاب ومدح على تلك التلاوة والكتاب الذي هذا شأنه هو القرآن لا التوراة والانجيل فان قراءتهما غير جائزة وثانيها ان قوله اولئك يؤمنون به يدل على ان الايمان مقصور عليهم ولو كان المراد اهل الكتاب لما كان كذلك وثالثها قوله ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون والكتاب الذي يليق به هذا الوصف هو القرآن وقيل المراد هم الذين آمنوا بالنبي عليه السلام من اهل الكتاب وهو الذي اورده المصنف والدليل عليه ان الذين تقدم ذكرهم اهل الكتاب فلما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء افعالهم اتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم وتأمل التوراة وترك تحريفها وعرف نبوة محمد عليه السلام في الوسيط ذكر ان من كان منهم غير متعصب ولا حاسد ولا طالب رياسة يتلو التوراة كما انزل وفيها ان النبي صلى الله عليه وسلم حق فآمن به وقال الضحاك نزلت في مؤمني اليهود وقال نزلت في الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا من اهل الكتاب آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يتلونه حق تلاوته فيه معنيان احدهما القراءة والثاني الاتباع فعلا يقال لمن يتبع غيره تلاه قال تعالى والقمر اذا تلاها وتحقيق فيهما جميعا المبالغة لان التابع لغيره قد يستوفي الاتباع فلا يخل بشيء منه وكذلك التالي يستوفي حق قراءته فلا يخل بما يلزم فيه والذين حملوه على القراءة اختلفوا على وجوه الاول ما ذكره المصنف وهو انهم يقرءونه كما انزل الله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يتأولونه على غير الحق والثاني انهم تدبروه فعملوا بموجبه حتى تمسكوا باحكامه من حلال وحرام وغيرهما والثالث انهم خضعوا عند تلاوته وخشعوا اذا قرءوا القرآن في صلاتهم وخلواتهم والرابع انهم عملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وتوقفوا فيما اشكل عليهم منه وفوضوه الى الله سبحانه وتعالى والخامس ان تحمل الآية على هذه الوجوه لانها مشتركة في مفهوم واحد وهو تعظيمها والانقياد لها لفظا ومعنى فوجب حمل اللفظ على هذا المشترك تكثيرا للفوائد كلام الله المجيد

قوله تعالى يا بني اسرائيل الآية قال الامام اعلم انه تعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني اسرائيل ثم في شرح قبائحهم في اديانهم واعمالهم وختم ذلك بما بدأ وهو قوله يا بني اسرائيل الى قوله ينصرون شرع تعالى ههنا في نوع آخر من البيان وهو ان ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وكيفية احواله والحكمة فيه ان ابراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف واهل الملل والمشركون كانوا يعترفون بفضله مسرورين بانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخادم بيته واهل الكتاب من اليهود والنصارى انكروا قول محمد عليه السلام الاعتراف بدينه والانقياد لشرعه فذكر ابراهيم عليه السلام بهذا الوجه كالذي ينبغي الايمان بنبينا محمد عليه السلام وبيانه من وجوه احدها انه تعالى لما امره ببعض التكاليف فلما وفى بها وخرج من عهدتها لا جرم نال النبوة والامامة وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على ان الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة الا بترك التمرد والعناد والانقياد لامر الله وثانيها انه تعالى حكى عنه انه طلب الامامة لاولاده فقال تعالى لا ينال عهدي الظالمين دل ذلك على ان منصب الامامة والرياسة في الدين لا يصل الى الظالمين فهؤلاء متى ارادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل وثالثها ان الحج من خصائص دين محمد عليه السلام فحكى تعالى ذلك عن ابراهيم عليه السلام ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك ورابعها ان القبلة لما حولت الى الكعبة طعن في ذلك اليهود والنصارى فبين تعالى ان هذا البيت قبلة ابراهيم الذي يعترفون بتعظيمه ووجوب الاقتداء به فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك التعصب عن قلوبهم وخامسها ان بعض المفسرين فسر الكلمات بما هو مرجوح حاصله الى تطهير البدن وذلك مما يجب على المشركين اختيارهن وترك ما كانوا عليه من التلطخ بالدماء وترك النظافة وبعض المفسرين فسر الكلمات بان ابراهيم عليه السلام صبر على ما ابتلي به في دين الله وهو النظر في الكوكب والشمس والقمر ومناظرة عبدة الاوثان ثم الانقياد لحكم الله في ذبح الولد والالقاء في النار وهذا مما يوجب على هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين الذين يعترفون بفضله ان يتشبهوا في ذلك فيسلكوا طريقته في ترك الحسد والحمية وكراهة الانقياد لمحمد عليه السلام واعلم انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام امورا بعضها يرجع الى الامور الشاقة التي كلفه الله تعالى بها وبعضها يرجع الى التشريفات العظيمة التي خصه بها ونحن نستقصي ان شاء الله تعالى

قال الامام لا اشكال ان قوله جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر اما القول الاول فهو ان يكون المراد انه تعالى جعل اهل الحرم آمنين من القحط والجدب على ما قال اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ولا يمكن ان يكون المراد منه الاخبار عن عدم وقوع القتل في الحرم لانا نشاهد ان القتل الحرام قد يقع فيه وايضا فالقتل المباح قد يوجد فيه قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم فاخبر عن وقوع القتل فيه القول الثاني ان نحمله على الامر على سبيل التأويل والمعنى ان الله تعالى امر الناس بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة والقتل وكان ...

قوا عليه والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص
الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم
الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون
وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم
يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما
يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي
وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا
يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم
للصلوة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل
المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت
له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني
مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما
فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما
هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم
واذ جعلنا البيت والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحاج و
العمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع
امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف والبادي واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين واتخذوا على ارادة القول
اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد
افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة

وسبعاً أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب ابن أبي وداعة هل تدري أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها وعهدنا أمرناهما أن طهرا بيتي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اجعل هذا البلد أو هذا المكان بلداً آمناً ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمناً من فيه كقولك ليل نائم

وإذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير

ومن آمن منهم بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فإن قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه يكون استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمناً معنى الشرط وقوله فأمتعه جواباً للشرط أي فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه وقرأ أبي فنمتعه قليلاً ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلاً ثم اضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فإن قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم أي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر يجمع حكايته

قال المصنف في تفسير قوله تعالى سيقضون عهد الله عهد الله في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه قال المولى العلامة التفتازاني رحمه الله تعالى فلو قيل هنا هذه الآية عهدنا إليهما في أن طهرا لكان موافقاً لما ذكر هناك

وهو عطف التلقين إنما قلنا عطف التلقين وفيما سبق كأنه عطف التلقين رعاية للأدب تعرف بالتأمل

في قعدك الله وجهان الأول أنه يكون أصل الكلام أسأل الله بتعدك تعبدا فعلى هذا يكون لفظ قعدك والله كلاهما منصوبين بأسأل المحذوف على أن كل واحد منهما مفعول به لأسأل وقعدك بمعنى أن تعبدك والثاني أن التقدير قعدك الله تعبداً فلفظة الله وقعدك كلاهما منصوبان تعبدت والأول مفعول به والثاني مصدر وكلام المصنف يدل على اختيار الوجه الأول

المستوطئة من قولهم وطئ الشيء برجله وطاء ومنه وطئ المرأة جامعها وأوطأت فلاناً الدابة أي التبتة لحاجته ومنعت عليه رحلها

قوله في الورق الثاني في الورق المقابل غبن رأيه الغبن بالتسكين في البيع والغبن بالتحريك في الرأي يقال الغبن في المشتري أمور من الغبن فما ترى غبن غبنا يقال غبنته في البيع أي خدعته وقد غبن فهو مغبون وغبين بالكسر إذا نقص فهو غبين أي ضعيف الرأي قوله فيه وكان مشهوداً له ليس في قول مشهود احتمل لأنه عدي باللام وقوله على متعلق بالاستقامة وقوله متعلق مشهود أظرف له وصله محذوف من الاستقامة أي شهد له الملائكة في الآخرة بالاستقامة على الخير في الدنيا فكأنه قيل على الخير في الدنيا في الآخرة قوله فيه قال له أسلم معنى أن كان المراد بالإسلام المعرفة والإيمان يعني قال له أسلم أخطر بباله النظر إلى آخره لأن ابرهيم عليه قبل معرفته وإسلامه لا يجوز أن يقال أوحى الله تعالى إليه الأمر بالإيمان والمعرفة والإسلام فلا بد من الحمل على أن الله تعالى أخطر بباله النظر في الدلائل وأما إذا كان المراد بالأمر بالإسلام الأمر بالإذعان والطاعة فيجوز أن يحمل على ظاهره فلذا حمله المصنف على ظاهره قوله فيه ويجوز فيه نظر لأنه لو كان سؤالاً عن الصفة لكان جوابه بالصفة لا بالاسم لكن أجيب بالاسم فيه بحث ونظر ويمكن أن يقال إنما أجيب بقوله نعبد إلهك لأن إلهك يدل على الصفة لأن الإله لا يكون إلا القادر العالم الحي غير ذلك من الصفات مع أن قوله تعالى بعد ذكر إلهاً واحداً بدل إلهاً ذكر موصوفاً بالوحدانية يدل على الصفة فكأنهم قالوا نعبد المنفرد المتوحد بالألوهية الذي ليس له شريك وكذلك قد قلنا هو مخصوص منصوب على الاختصاص قوله في الورق الذي يليه يا بني هذا نهي في معنى النهي وفي المتن مؤكد بالنون فهو نهي صريح وعلى التقديرين فني قوله يا بني معنى الطلب فحاصل أنه نهى عن أن يأتي الناس بالحق وهم بالنسب فعلى الوجه الأول خبر في معنى النهي كقولك لغلامك لا تخرج إلى السوق أي لا تخرج أو لا يأتينا قوم بالنسب والأولى أن يقال الواو للجمع ويكون يأتي منصوب بحذف نون الإعراب للنصب فهو مثل قوله لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

قوله فيه في معنى الجماعة فيكون المعنى إذا تقصيت جماعة الأنبياء جماعة جماعة فلا تعرف بين جمع من جموعهم وهذا المعنى بين المصنف في سورة الأحزاب فقال أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد معنى ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن

حال ماضية ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي

صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسأل الله ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء

عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان

يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد

رفعها بالبناء لانه اذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع

ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء

وروى انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من

يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف

حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد

حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على

ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنائه

وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل

بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل

بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان

ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل

يناوله الحجارة ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ اى يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في

قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائرنا ونياتنا **فان قلت** هلا

قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين **قلت** في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس

في ايضاحها في الايضاح بعدما لا ابهام من تفخيم لشأن المبين ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه

لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك و

قرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا

واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم

فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم

واهلينا ولاتنا ولا الابناء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرى وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتنا وابعث فيهم فى الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم **يتلو عليهم آياتك** يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك **ويعلمهم الكتاب** القرآن **والحكمة** الشريعة وبيان الاحكام **ويزكيهم** ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم ومن سفه فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم اى فى ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطا راى من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله فى الدارين بان كان صفوته وخيرته فى الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة فى طريقته منه **واذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه فى ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر فى الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث

قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا الآية هذا هو النوع الثالث من احوال ابرهيم عليه السلام التى حكاها الله تعالى هنا كل موضع من الارض عامرا وغامر مسكون او خال بلد و القطعة منه بلدة والجمع بلاد والبلدان قال القاضى فى هذه الآية بعد ذلك وباخيرالات قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البيت فى الوجود والذى ذكر من بعد وهو قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان كان متاخرا فى التلاوة ... احعل هذا الوادى بلدا آمنا ... اجعل هذا المكان ... بسقط قول القاضى ... بالحرمة لان التنكير يدل على المبالغة فقوله رب اجعل هذا بلدا آمنا معناه اجعله من البلدان الكاملة فى الامن ...

من ولد إسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم
رسله، وأبى مهاجران ان يسلم فنزلت ووصّى وقرئ وأوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها
لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة و
يعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصّى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصّى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بنيّ على اضمار القول عند البصريين
وعند الكوفيين يتعلق بوصّى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبّة اخبرانا انا رأينا
رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة أبيّ وابن
مسعود أن يا بنيّ اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم
للاخذ به فلا تموتنّ معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن
كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصلّ الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن
عن ترك الخشوع في حال صلوته **فان قلت** فأي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة و
ليس بمنهي عنها **قلت** النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكأنه قال
انهاك عنها اذا لم تصلّها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في
المسجد فانه كالتصريح بقولك لا تصلّ الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا
على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان
لا يحلّ فيهم ونحوه في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة
الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة
بان يحث عليها ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب
للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم
كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه
لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادّعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم
شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدّعون على الانبياء

اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ
اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدّعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ
حضِر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرّق بما
ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعمّ الا اولي العلم وحدهم ويجوز
ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه ام طبيب ام غير ذلك من
الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم
أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل
صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي و
قال ردّوا عليّ ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبيّ و
اله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان
يكون جمعا بالواو والنون قال وفدّيننا بالابينا الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية
ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او
من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية
مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان
احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك
انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه و
سلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيّئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا بل ملة ابرهيم
بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع
ملة ابرهيم وقرئ ملة بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا
حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين
الحق والحنف الميل في القدمين وتحنّف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا
ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدّعي اتباع ابرهيم
وهو على الشرك قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي

موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز

ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم

يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين

سبطى رسول الله صلعم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر لا نفرق بين احد منهم لا

نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين

الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر

يماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا

بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة

والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه

حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الراى الصواب

فان كان عندك راى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت

صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راى وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة

كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم

التى آمنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابى بالذى آمنتم به وان

تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا فى شقاق اى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا

من طلب الحق فى شئ او فان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها فسيكفيكهم الله

ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجزه وعده بقتل قريظة وسبيهم و

اجلاء بنى النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم

وعيد لهم اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق

وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك ومن احسن من الله صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن

قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة

التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى

كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد

قوله من الصبغ بفتح الصاد

والصبغ بكسر الصاد ما يلون

به الثياب والصبغ بالفتح

مصدر والمعمودية

قوله تعالى ونحن له مسلمون قال الواحدى اى مخلصون دونا عن الشرك ما تقدم وقال الامام

المعنى ان اسلامنا لاجل طاعة الله تعالى لا لاجل الهوى واذا كان كذلك فهذا يقتضى انه

متى ظهر المعجز وجب الايمان به فاما تخصيص بعض اصحاب المعجزات بالقبول والبعض بالرد

فذلك يدل على ان المقصود من ذلك الايمان ليس طاعة الله تعالى والانقياد له بل اتباع الهوى

بالميل روى عن ابى هريرة رضه قال كان اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية ويفسرونها

لاهل الاسلام بالعربية فقال عليه السلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله

وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية وروى عن الضحاك قال علموا اولادكم واهاليكم و

خدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤا به فان الله

يقول قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم وقالت العلماء لا يكون الرجل

مؤمنا حتى يؤمن بسائر الانبياء وجميع الكتب المنزلة عليهم فيجب على الانسان ان يعلم صبيانه

ونساءه اسماء الانبياء ويامرهم بالايمان بجميعهم اذ لا يبعد ان يظنوا انهم كلفوا الايمان

لمحمد صلعم فقط بل يجب ان يلقنوا قوله آمنا بالله وما انزل الاية وروى عن ابن عباس

ان رسول الله صلعم كان يقرأ فى الركعتين ركعتى الفجر الاولى منهما قولوا آمنا بالله

وما انزل الاية كلها وفى الاخرى واشهد بانا مسلمون رواه مسلم قوله فقيل

عطف على قوله فلا يوجد اى ان دين الحق واحد فلا يوجد دين مماثل له فلذلك قيل فان

آمنوا بان دون اذا ليعلم انه على سبيل الفرض والتقدير كما يفرض المحال لان اذا

تعلق بفرضها غرض كقوله ولو سمعوا ما استجابوا لكم والضمير للاصنام والحاصل ان

فى الاية اشكالا وهو ان الذى آمن به المؤمنون ليس له مثل حتى يصح ان يقال ان آمنوا

بذلك المثل اهتدوا فكيف قيل فان آمنوا وجوابه ان المقصود الزام الخصم و

تبكيته والمعنى ان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد

اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى السداد استحال

الاهتداء بغيره كما ذكر فى مثاله قال ابن الانبارى فان آمنوا بمثل

ما آمنتم اى مثل ايمانكم فزيدت الباء للتوكيد كما زيدت فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة

وعلى هذا مثل صفة مصدر محذوف وما مصدرية والهاء لله او للقرآن او لمحمد عليه السلام ويجوز

ان يكون للجميع وقال ابو معاذ النحوى اراد فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم انتم بكتابهم

فعلى هذا يكون المراد بقوله ما آمنتم به هو كتابهم والمراد بالمثل القرآن يعنى انهم آمنتم بكتابهم

فان آمنوا بالقرآن وهو مثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وقيل المعنى انكم آمنتم بالقرآن

من غير تصحيف وتحريف فان آمنوا هم بمثل ذلك وهو التورية من غير تصحيف وتحريف فقد

اهتدوا لانهم يتوصلون به الى معرفة نبوة محمد عليه السلام قوله فقد اهتدوا قال

الواحدى اى فقد صاروا مسلمين وقال بعضهم اى رشدوا واصابوا الحق وقال الامام فقد

هدوا الى الدين ومن يكون هذا حاله يكون ولى الله واخلاء فى اهل رضوانه قال والاية

تدل على ان الهداية كانت موجودة قبل هذا الاهتداء وتلك الهداية لا يمكن حملها الا على

الدلائل التى نصبها الله تعالى وكشف عنها وبين وجوه دلالتها وهذا الذى ذكره الامام يشكل

من قوله فقد ولولا ذلك لكان المعنى لعله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اهتدوا قوله او

وان تولوا عطف على قوله ان تولوا وحذف جوابه لان جواب ما تقدمه يدل عليه اى فانهم الآن

شقاق قال بعض اهل اللغة الشقاق ماخوذ من الشق كانه صار فى شق غير شق

صاحبه بسبب العداوة وقد شق عصا المسلمين اذا فرق جماعتهم وفارقها وقال

نظير المحادة وهو ان يكون هذا فى حد وذلك فى حد آخر والنصارى مثله كان هذا يكون

فى عدوة وذلك فى عدوة وعدوة الوادى طرفه والمحاسة ان يكون هذا فى جانب

وذلك فى جانب آخر وقال الآخرون انه من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق

صاحبه ويؤذيه قوله فان تولوا اى ان تركوا ذلك فقد التزموا المناقضة

قوله وهذا العطف اى عطف قوله ونحن له عابدون على قوله امنا يدفع
ويبطل قول من قال هو بدل من ملة او نصب على الاغراء لما يلزم على
مذهبهم من تخلل الكلام الاجنبى وهو قوله صبغة الله من المعطوف
والمعطوف عليه ثم قال انتصاب صبغة على المصدر كما ذكرنا اولا هو
مذهب سيبويه واشار لوجوب اختيار قول سيبويه الى قول الشاعر
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام قال حذام اسم
امراة حذرت قومها من غارة قوم فانكروا ذلك فلما نزلت بهم الغارة قالوا
ما قالت حذام فصار مثلا هذا تقرير ما ذكره المصنف قال الامام فى تفسير قوله
صبغة الله اعلم انه تعالى لما ذكر الجواب الثانى وهو ان ما يدل على صحة هذا الدين
ذكر بعده ما يدل على ان المتعقد الدين واضحه جلته واختلفوا

منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان

صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم

نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس

كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعنى انه يصبغ عباده بالايمان و

يطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله

وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى

عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها

مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا

بادغام النون والمعنى اتجادلوننا فى شان الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون

لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نصيب برحمته من يشاء وكرامته من

عباده هم فوضع ذلك لا تختص به عجمى دون عربى اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى ان

العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله فى اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك

ونحن له مخلصون ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اى ونحن له موحدون نخلصه بالايمان

فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون

النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

كانوا هودا او نصارى ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى

اى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله تعالى ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد

بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا

وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل انتم اعلم ام الله يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام

فى قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من

الله اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين

احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى انا لو

كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة

فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى

لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء من الناس السفهاء الخفاف الاحلام

قال المصنف من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس صلة كما فى قولك برئت من الدين

والعاقل لا يلتزم المناقضة السفه لخبث الغرض وظهر انه ليس غرضهم طلب الدين و
الانقياد للحق وانما غرضهم المنازعة واظهار العداوة قال الامام ثم للمفسرين عبارات
احدها قال ابن عباس فانما هم فى خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا
مخالفين لله ورسوله وثانيها قال ابو عبيدة ومقاتل فى شقاق اى ضلال وثالثها قال ابن
زيد اى فى منازعة ومحاربة ورابعها قال الحسن فى عداوة قال القاضى لا يكاد يقال
فى المعاداة على وجه الحق او فى المخالفة التى لا تكون معصية انه فى شقاق وانما يقال
ذلك فى مخالفة عظيمة توقع صاحبها فى عداوة الله وغضبه ولعنه واستحقاق النار
فصار هذا القول وعيدا منه لهم وصار وصفهم بذلك دليلا على ان القوم معادون
للرسول مضمرون له السوء مترصدون لايقاع المحن فعند هذا امنه الله
من كيدهم وامن المؤمنين من شرهم فقال فسيكفيكهم الله تقوية لقلبه وقلب
المؤمنين لانه تعالى اذا تكفل بالكفاية فى امر حصل الوثوق به قوله تعالى لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم قال الامام المراد منه النصيحة فى الدين كانه قال لنبيه قل لهم هذا القول
على وجه الشفقة والنصيحة اى لا يرجع الى من افعالكم القبيحة ضرر حتى يكون مقصودى
من هذا القول دفع ذلك الضرر وانما المراد نصحكم وارشادكم الى الاصلح وبالجملة فالانسان
انما يكون مقبول القول اذا كان خاليا عن الاغراض الدنيوية فاما اذا كان طالبا لشىء
من الاغراض لم ينجع قوله فى القلب البتة قال ابن الانبارى وفى الآية اضمار وهو وانتم
غير مخلصين فحذف اكتفاء بقوله ونحن له مخلصون كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قوله تعالى
ام تقولون الآية قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم تقولون بالتاء خطابا وقرأ ابو عمرو
وابن كثير ونافع وابو بكر عن عاصم بالياء غيبة وحجة من قرأ بالتاء ان قبلها وبعدها على
المخاطبة فالمخاطبة المتقدمة قوله اتحاجوننا فى الله والمتأخرة قل انتم اعلم ام الله
ومن قرأ بالياء فلان المعنى اليهود والنصارى وهم غيب ومعنى قوله انتم اعلم ام الله
ان الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر فى القرآن على لسان محمد صلعم انهم كانوا مسلمين
فان قيل انما يقال هذا فيمن لا يعلم وهم علموه وكتموه فكيف يصح الكلام قلنا من قال انهم على
ظن وتوهم فالكلام ظاهر ومن قال علموا وجحدوا فمعناه ان منزلتكم منزلة المعترضين على ما يعلم
ان الله اخبر به فلا ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم وهو كلام جامع لكل وعيد ومن يتصور انه تعالى عالم بسره وعلنه لا يخفى عليه
خافية وانه من وراء مجازاته ان خيرا فخير وان شرا فشر لا يمضى عليه طرفة عين الا وهو حذر
خائف كالذى ان احدنا لو كان عليه رقيب من جهة السلطان يعد عليه الانفاس
لكان دائم الحذر والوجل مع ان ذلك الرقيب لا يعرف الا الظاهر فكيف بالرب العالم
الذى يعلم السر واخفى اذا اعتقد ووعد بهذا الجنس قوله تعالى تلك امة قد خلت الآية
اعلم انه لما اخرج اليهود من متابعة هولاء الانبياء عقبه بهذه الآية ليكون وعظا لهم وزجرا حتى لا يتكلوا
على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ بعمله ولانه تعالى بين انه منزه ان لها ما كسبت ولكم ما كسبتم فلا سيكران
تكونوا فرضكم غير فرضهم لاختلاف المصالح فلا يسكران تختلف المصالح فتنقلكم محمد من ملة الى
ملة اخرى ويكون هذا كالمقدمة لامر القبلة فان قيل لم كررت الآية قلنا فيه وجهان الاول قال
الجبائى عنى بالآية الاولى ابرهيم عليه ومن ذكر معه وبالثانية اسلاف اليهود وقال القاضى هذا بعيد
لان اسلاف اليهود والنصارى لم يجر ذكرهم مفصلا والجواب عن الشبهة ان القوم لما قالوا فى ابرهيم و
بنيه انهم كانوا هودا فكانهم قالوا انهم على مثل طريقة اسلافنا من اليهود فصار سلفهم فى حكم
المذكورين فجاز ان يقول تلك امة قد خلت ويعنيهم قال الامام وذلك كالتعسف بل المذكور الثانى
هو ابرهيم وبنيه فقوله تلك امة يجب ان يكون عائدا اليهم والثانى قال الواحدى مضت هذه الآية و
اعيدت هنا لان الحجاج اذا اختلفت مواطنه حسن تكريره للتذكير به قال الامام فكانه قال
ما هذا الا بشر هولاء الانبياء وما انتم عليه من الدين لا يسوغ بالتقليد فى هذا الجنس فعليكم
بترك الكلام فى تلك الامة فلها ما كسبت وانظروا فيما دعاكم اليه محمد فان ذلك ينفعكم ولا
تسألون الا عن عملكم

وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على
الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن
الى دينهم **فان قلت** اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه **قلت** فائدته ان مفاجأة
المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين
النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم
ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب اي بلاد
المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه
الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم امة
وسطا ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط
الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام و
الشجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالشحم الذي هو وسط الظهر
انه اخرت تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي
فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتنفت بمكة جمل اعرابي للحج فقال
اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا روي ان الامم يوم
القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى
بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين لكم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته
فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا **فان قلت** فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم **قلت** لما كان الشهيد
كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما
لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان
قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا **قلت** لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم

على الامم وفي الآخرة اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾

التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل القبلة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة ان هي المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال عن الحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم

عن الطريق اي حاد عند ... ابو تمام المستعصم في فتح القلعة المعروفة معناه ومجتمع عسكر قالت لها عسكرا كسرا من كثرتهم لا يقدرون ان يستنوا سوا السبل ... عنه وكانت تلك المعركة وسطا مجيما لا تستطرق اليه الفساد فاصبحت تلك الوقعة طرقا تتسارع اليه الفساد قوله وقد اكثرت قال الامام قال الكسائي اكثرت حمل اعرابي مكة ... فقال اعطني من سطاتهنه اي من خيار الدنانير ...

... واصل هذا ان الاتباع ... كما اطرت النصارى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله ... لتكونوا شهداء اختلفوا ... ان الشهادة المذكورة هنا تحصل في الآخرة ام في الدنيا ... عن ابن عباس قالوا كيف بمن مات قبل التحويل الى قوله فنزلت ... وما كان الله ليضيع ايمانكم ... حفظه واضاعته الآن استحقاق الثواب ... فلا اضيع عمل عامل منكم

على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانه مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين تعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره و طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو

قال ابو علي في الحجة قرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رعوف في كل القرآن وكذلك ابن عامر وقرأ عاصم في رواية ابي بكر و ابو عمرو والكسائي وحمزة لرؤف على وزن رعف قال ابو زيد رأفت بالرجل ارأف بالفتح فيهما رأفة ورآفة ورؤفت به اروف بالضم فيهما ورئفت بالكسر ارأف بالفتح كل ذلك من كلام العرب وجه قراءة من قرأ رؤوف ان فعولا اكثر في كلامهم من فعل الا ترى ان باب ضروب وشكور اكثر من باب حذر وحدث ويقظ واذا كان الرؤف على السمتهم كان اولى مما هو بخير هذه الصفة وكذلك كان صفات الله قد جاءت على هذا الوزن نحو غفور وشكور ولم يات شيء منها على وزن فعل ومن قرأ رؤف فلان ذلك غالب على اهل الحجاز ومنه قول الوليد بن عقبة بن ابي معيط لمعوية بن ابي سفيان وشر الطالبين فلا تكنه بقاتل عمه الرؤف الرحيم وقد اتبع ذلك حتى قال لغيرهم قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية وهو المشهور الذي عليه اكثر المفسرين ان ذلك كان لانتظار تحويله من بيت المقدس الى الكعبة والعالمون بهذا القول ذكروا وجوها انه كان يحب التوجه الى الكعبة الا انه ما كان يتكلم بذلك وكان يقلب وجهه في السماء لهذا المعنى وروي عن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل انما انا عبد مثلك فاسأل ربك ذلك فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يجيء جبريل بما سأل فانزل الله تعالى هذه الاية

فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يتزلزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده ولئن اتبعت أهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد قبلة واحدة في البطلان الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا تشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اعرف واشهر وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قالوا فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب ليكتمون الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتداء محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه الى الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتداء فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ثم ذكر بعده قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وهذا الترتيب يقتضي صحة المذهب الذي قلناه ولو انا قلنا بان التوجه الى بيت المقدس صار منسوخا بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام يكون تقديمه عليه في الترتيب على خلاف الاصل فيستقيم قلناه واما الاثر فما روي عن ابن عباس ان امر القبلة اول ما نسخ من القرآن والامر بالتوجه الى بيت المقدس غير مذكور في القرآن واما المذكور في القرآن فهو ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله فوجب ان يكون قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ناسخا لذلك الامر متوجه بيت المقدس

قوله وجهك نصف المسجد الحرام وهو بعيد لان التكليف لا تعلق له بالنصف وفرق بين النصف وبين الموضع الذي عليه قبل النصف والكلام انما يستقيم لو حمل على الثاني الا ان اللفظ لا يدل عليه اعلم ان قوله ثم شطر المسجد الحرام فلا بد من حمله ومن ان المسجد الحرام عبارة عن اجسام مخصوصة وهي السقوف والحيطان والبناء ولا شك ان تلك الاجسام حاصلة في احياز مخصوصة فالقبلة اما ان تكون تلك الاجسام فقط او تلك الاجسام بشرط حصولها في تلك الاحياز لا جائز ان يقال انها تلك الاجسام فقط لانا لو اجمعنا على انه لو نقل تراب الكعبة وما فيها من الاحجار والخشب الى موضع آخر وبني منها وتوجه اليه احد في الصلوة لم يجز ذلك ولا جائز ان يقال انها تلك الاجسام بشرط حصولها في تلك الاحياز لان الكعبة لو انهدمت والعياذ بالله وازيلت عن تلك الاحياز تلك الاحجار والخشب وبقيت العرصة خالية فان اهل المشرق والمغرب اذا توجهوا الى تلك الجانب صحت صلوتهم وكانوا مستقبلين القبلة فلم يبق الا ان يقال القبلة هو ذلك الخلاء الذي يحصل فيه تلك الاجسام فلفظة شطر دلت على ان المراد التوجه الى جهة المسجد الحرام اي جانبه ثم اختلف العلماء في ان المراد من المسجد الحرام اي شيء هو فحكي في شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك وقال آخرون القبلة هي الكعبة وهو مذهب الشافعي والدليل عليه ما اخرج في الصحيح عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي صلعم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة قال القفال وقد وردت الاخبار الكثيرة في صرف القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وفي خبر البراء بن عازب ثم صرف الى الكعبة وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة وقال آخرون بل المراد المسجد الحرام كله قالوا لان الكلام يجب اجراؤه على ظاهر لفظه الا اذا منع منه مانع قال الامام الرافعي في شرح الوجيز والمصلي في المسجد الحرام ينبغي ان يستقبل الكعبة فانه ممكن منه فلو وقف على طرف من اطراف البيت وبعض بدنه خارج عن المحاذاة فالاظهر انه لا يصح لانه يصح ان يقال ما استقبل الكعبة وانما استقبل بعضه ولو امتد المصطفون خلف الامام ولم يستديروا فالخارجون عن المحاذاة لا تصح صلوتهم لانهم ليسوا مستقبلين وعن ابي حنيفة تصحيحها بناء على ان المعتبر عنده الجهة لكن الاقرب الى الفهم من كلام اصحابه ان الاكتفاء بالجهة مخصوص بالبعد عنها لان في استقبال عين القبلة حرج عظيم على البعيد وان القادر على اصابة العين يلزمه اصابتها ولو امتد الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صحت صلوتهم لانهم اذا بعدوا واعتدوا مستقبلين والمصلي بمكة خارج المسجد ان كان يعاين الكعبة يوجه اليه فلو سوى محرابه بناء على المعاينة صلى اليه ابدا ولا يحتاج في كل صلوة الى معاينتها وان كان يصلي بحيث لا يمكن المعاينة يستدل بما امكنه ويسوي محرابه بناء على الادلة والمصلي بالمدينة ينزل محراب الرسول صلعم منزلة الكعبة للعلم بانه صلوات وكذا كل المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي الجواد التي يطرقونها ولا يجوز النافر والتيامن عن محرابه علم بالاجتهاد وفي محراب سائر المسلمين الاظهر انه يجوز الانحراف منه ويمين بعد الاصابة في اصل الجهة مما لا يبعد له قوله تعالى ليعلمون انه الحق قيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود خاصة والكتاب هو التورية عن السدي وقيل بل المراد احبار اليهود وعلماء النصارى وهو الصحيح لعموم اللفظ والكتاب التورية والانجيل والضمير في قوله انه راجع الى مذكور سابق وقد تقدم ذكر الرسول صلعم كما تقدم ذكر القبلة فيجوز ان يكون المراد ان القوم يعلمون ان الرسول صلعم مع شرعه حق فيشتمل ذلك على امر القبلة وغيرها ويجوز ان يرجع الى هذا التكليف الخاص بالقبلة وانهم يعلمون انه الحق وهذا الاحتمال الاخير هو الذي اختاره المصنف وهو اقرب لانه الذي بالكلام اذا القصد بالاية ذلك دون غيره ثم اختلفوا انهم كيف عرفوا ذلك وذكروا فيه وجوها الاول انه كان في بشارة انبيائهم الى انهم كانوا يعلمون ان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله قبلة لابراهيم عليه السلام والثاني انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلعم لما ظهر عليه من المعجزات ومتى علموا نبوته فقد علموا لا محالة ان كل ما اتى به حق وكان هذا التحويل حقا قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب للمسلمين والباقون بالياء على انه راجع الى اليهود فان جعلناه خطابا للمسلمين فهو وعد وبشارة لهم اي لا يخفى علي جدكم واجتهادكم في قبول الدين فلا اخل بثوابكم وان جعلناه كلاما مع اليهود فهو وعيد وتهديد لهم ويحتمل ايضا انه ليس بغافل عن مكافاتهم ومجازاتهم وان لم يعجلها لهم كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ه

على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابو ضاربه وقراء ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اى جهة يصلى اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضرى المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اى بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة وانه وان هذا المامور به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا تكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور فى نعته فى التورية فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابرهيم واسمعيل ابى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقراء زيد بن على رضى الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم واخشونى فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشونى فلا تخالفوا امرى وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ولارادتى اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشونى لاوفقكم ولاتم

نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائى يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشىء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل فى قوله بشىء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شىء او على الخوف وشىء من نقص الاموال والخطاب فى وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك

هم المهتدون والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اى رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الامر لله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم و الشعائر جمع شعيرة وهى العلامة اى من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف فى السعى فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله لا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس و ابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابى حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شئ عليه وعند مالك والشافعى هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفى قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من احبار اليهود ما انزلنا فى التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس فى الكتاب فى التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم الا الذين تابوا وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله فى كتابهم فكتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ان الذين كفروا يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقراء الحسن والملائكة و

الناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفى الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها فى اللعنة وقيل فى النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها و لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار و اعتقابهما لان كل واحد يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر بين السماء والارض سخر للرياح تقلبه فى الجو بمشية الله تعالى يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظم القدرة وباهر الحكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ و الفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اى كما يحب الله على انه مصدر من المبنى للمفعول وانما استغنى عن

عن ذكر من تحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم لانهم كانوا يقرون

بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حبا لله

لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد

فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و

يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الههم من حيس عام المجاعة

ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين

اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب الذين ظلموا اشارة الى متخذى الانداد اى ولو يعلم هؤلاء الذين

ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شىء من العقاب والثواب دون اندادهم

ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من

الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما فى قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم

لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اى ولو ترى

ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ فى المستقبل كقوله ونادى اصحاب

الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ

مجاهد الاول على البناء للفاعل والثانى على البناء للمفعول اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا

العذاب الواو للحال اى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب

الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله

لقد تقطع بينكم وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو فى معنى التمنى ولذلك اجيب

بالفاء الذى يجاب به التمنى كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم

الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات

عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما فى الارض

هم بمنزلته فى قولهم هم يفرشون اللبد كل طمرة فى دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص

حلالا مفعول كلوا او حال مما فى الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا

فى حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما فى الارض ليس بما كول و

قرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء

كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة

مابين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطى على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لاخفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اى لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء والفحشاء بالقبيح وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق وندائه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام على باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم للاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك

نفسك في الخلاء ضلالا . واما نعق الغراب فبالغين المعجمة . ضم هو صم ومو رفع على الذم . يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والجن والانس في نبإ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم . قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم . اهل به لغير الله اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى . غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة . فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لى ميتتان ودمان . قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا . فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه . قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم . ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه . الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال . اكلت دما ان لم ارعك بضرة . بعيدة مهوى القرط طيبة النشر . وقال . يأكلن كل ليلة اكافا . اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له . ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاى شىء صبرهم

ويقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب وروي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فما اصبرهم على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب فان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينته وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البرَّ بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القرآن لقرات ولكن البَرّ بفتح الباء وقرئ ولكنّ البارّ وقرا ابن عامر ونافع ولكنِ البرُّ بالتخفيف واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس بالطاعة وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمساكين جمع المسكين وهو الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه

وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القرآن لقرات ولكن البر بفتح الباء واعلم انه لا شبهة ان المبرد كان يقرا القرآن ويعلمه فليس المراد من هذا الكلام ظاهره بل المعنى لو جاز لي ان اقرا بحسب ما اطلق جواز القراءة من ملاحظة المعنى وحسن النظم لا من غير نقل متصل الى النبي صلعم لقرات بفتح الباء او المعنى لو كان قد بلغ الي جواز القراءة بفتح الباء وكسرها بالنقل لاخترت الفتح كما يختار القراء بعض ما بلغ اليهم من القراءات وينسب تلك القراءة اليه ثم ان كلام المبرد مع احتماله هذين المعنيين لا حاصل له لان القراءة بالكسر اصح معنى واوفق لفظا من القراءة بالفتح لما مر ولا يجوز ان يعتقد احد انه لو غير لفظ من الفاظ القرآن كان اصح معنى فظننا انه لو كان سمع القراءة بالفتح والكسر لكان القراءة بالفتح اولى او مساويا للقراءة بالكسر فان قيل لم خص الايمان بهذه الامور الخمسة فالجواب لانه دخل تحتها كل ما يلزم ان يصدق به فقد دخل تحت الايمان بالله معرفته بتوحيده وعدله وحكمه والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليه فيدخل فيه العلم بحدوث العالم والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل فيه العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه كونه منزها عن الحالية والمحلية والجسمية والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه قدرته على الخلق والايجاد وبعثة الرسل ودخل تحت الايمان باليوم الآخر المعرفة بما يلزم من احكام العقاب والثواب والمعاد والحساب وما يتصل بذلك ودخل تحت الملائكة ما يتصل بادائهم الرسالة الى النبيين ليؤدوها الينا وما يجب ان نعلم من احوال الملائكة كالعلم بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ودخل تحت الكتاب القرآن وجميع ما انزل الله على انبيائه ودخل تحت النبيين الايمان بنبوتهم وصحة شرائعهم وههنا تقرير آخر وهو ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات وهو المراد من الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي لا تتم الا بوجود الملائكة الآتين بالوحي ونفس ذلك الوحي وهو الكتاب والموحى اليه وهو الرسول فان قلت لا طريق لنا الى العلم بوجود الملائكة ولا الى العلم بصدق الكتب الا بواسطة صدق الرسل فاذا كان قول الرسل كالاصل في معرفة الملائكة والكتب فلم قدم الملائكة والكتب في الذكر على الرسل قلنا الامر وان كان كما ذكرتم في عقولنا وافكارنا الا ان ترتيب الوجود على العكس من ذلك لان الملك يوجد اولا ثم يحصل بواسطة تبليغه نزول الكتب ثم يصل ذلك الكتاب الى الرسول فالمراعى في هذه الآية ترتيب الوجود الخارجي لا ترتيب الاعتبار الذهني فان قيل لم قدم هذا الايمان على افعال الجوارح وهي ايتاء المال والصلوة والزكوة قلنا للتنبيه على ان اعمال القلوب اشرف عند الله من اعمال الجوارح وايضا فهذه الاشياء لا تصح ولا تنفع بدون الايمان قوله تعالى وآتى المال قال الامام اختلفوا في المراد من هذا الايتاء فقال قوم انها الزكوة وهذا ضعيف لانه تم عطف الزكوة عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه فثبت ان المراد غير الزكوة ثم انه لا يخلو اما ان يكون من التطوعات او من الواجبات لا جائز ان يكون من التطوعات لانه تم قال في آخر الآية اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وقف التقوى عليه ولو كان ذلك ندبا لما وقف التقوى عليه فثبت ان هذا الايتاء وان كان غير الزكوة الا انه من الواجبات ثم فيه قولان الاول انه عبارة عن دفع الحاجات الضرورية مثل اطعام المضطر ومما يدل على الوجوب النص والمعقول اما النص فقوله عليه السلام لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره طاو الى جنبه واما العقل فانه لا خلاف في انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن عليهم شيء من الزكوة فان قيل نقل عن علي رضي الله عنه ان الزكوة نسخت كل حق قلنا الجواب من وجوه انه معارض بما روي عن النبي صلعم انه قال في المال حقوق سوى الزكوة وقول الرسول اولى من قول علي رضي الله عنه الثاني ان المراد ان الزكوة نسخت الحقوق المقدرة اما الذي لا يكون مقدرا فانه غير منسوخ بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة ويلزم النفقة على الاقارب والمملوك القول الثاني ان المراد بايتاء المال ما روي انه عليه السلام قال عند ذكر الابل فان فيها حقا هو اطراق فحلها واعارة دلوها قال الامام وهذا بعيد لان الحاجة الى اطراق الفحل امر لا يختص به ابن السبيل والسائل والمكاتب واما قول فيما ذكره الامام نظر لانه لا يلزم ان يشمل كل واحد من هذه الحقوق جميع الاصناف فيجوز ان يكون بعضه ذلك وبعضه ما روي عن الشعبي انه سئل عن من له مال فادى زكوته فهل عليه سواه قال نعم يصل القرابة ويعطي السائل ثم تلا هذه الآية قوله ذوي القربى من الناس من حمل ذلك على المذكور في آية النفل اعني قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى والاكثرون من المفسرين حملوه على ذوي قربى المعطي واختاره المصنف وهذا هو الصحيح لانهم احق بان يتطوع عليهم ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى واعلم ان ذوي القربى هم الذين يقربون منه بولادة احد الابوين او بولادة احد الجدين ولا وجه لقصر ذلك على ذي الرحم المحرم على ما حكي عن قوم لان المحرمية حكم شرعي واما القرابة فهي لفظة لغوية موضوعة للقرابة في النسب قوله واليتامى من الناس من حمله على ذوي اليتامى قال لانه لا يحسن من المتصدق ان يدفع المال الى اليتيم الذي لا يميز ولا يعرف وجوه منافعه فانه متى فعل ذلك يكون مخطئا بل اذا كان اليتيم مراهقا عارفا بمواقع حظه ويكون الصدقة من باب ما يؤكل ويلبس ولا يخفى على اليتيم وجه الانتفاع به جاز دفعها اليه هذا كله على قول من

وسلم للسائل حق وإن جاء على فرسه ﴿وفي الرقاب﴾ وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل

في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى **فإن قلت** قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه

ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة **قلت** يحتمل ذلك وعن

الشعبي أن في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو

يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي

ليس في المال حق سوى الزكاة ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء

والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين

منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ

والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة

صدقوا كانوا صادقين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة

وهو مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية

ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس لأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها

وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة

والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت

بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن

التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين

من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم

بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله

بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباءوا ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف

من ربكم ورحمة﴾ معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة

من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه

هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه وليّ الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك

كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت

بينهما من الجنسية والإسلام **فإن قلت** إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له **قلت**

يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك

الى الجاني وقال الله عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت
له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية **فان قلت**
هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به **قلت** لان عفى الشيء بمعنى تركه ليس
بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى **فان قلت** فقد ثبت عفا اثره اذا محاه
وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء **قلت** عبارة قلقة في مكانها والعفو في
باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى
اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج
وجه للمشكل من كلام الله عز وجل على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة
يستعاذ بالله منها **فان قلت** لم قيل شيء من العفو **قلت** للاشعار بانه اذا عفي له طرف
من العفو او بعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص
ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه
والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة
وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو
واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث
القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا **فمن اعتدى بعد ذلك** التخفيف فتجاوز ما شرع
له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل
بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله **فله عذاب اليم** نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن
قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا تقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل
بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون** كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان
القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف
القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة
وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن
وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام
بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع

عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى سهو من المصنف فان الذكر يقتل بالانثى عند الشافعي ومالك وجميع
الائمة نقل الامام الاجماع على ذلك والواحدي في الوسيط والنكت المصنفة في مذهب الامام الشافعي رحمه الله تدل عليه ايضا فانه ذكر فيه انه يقتل الذكر بالانثى بلا خلاف قال الامام الرافعي رحمه الله في
الشرح الكبير يقتل الرجل بالمرأة وبالعكس والخنثى بهما وبالعكس كما يقتل العالم بالجاهل والشريف بالخسيس والشيخ بالشاب وبالعكس وروي عن عمرو بن حزم ان النبي صلعم كتب في كتابه الى اليمن
ان الرجل يقتل بالانثى ثم لم يذكر الامام الرافعي خلافا في قتل الذكر بالانثى مع ان عادته ان يبسط مواضع الخلاف ثم قال الامام الرافعي كما لا يؤثر اختصاص العاقل بفضيلة الذكورة في
منع القصاص لا يؤثر اختصاص القاتل بهذه الفضيلة في ضم شيء من المال الى القصاص ثم قال وعن عطاء والحسن البصري رحمهما الله انه ان قتل الرجل المرأة تخير وليها بين ان ياخذ ديتها وبين ان
يقتله ويبذل نصف ديته وان قتلت المرأة الرجل تخير وليه بين ان يأخذ جميع ديته من مالها وبين ان يقتلها ويأخذ نصف الدية وروي مثله عن علي رضي الله عنه في رواية ثم قال الامام الرافعي وانما ذكرنا
مذهبهم في المسألة لما بينا انه اي الامام الغزالي رحمه الله تكلم في الصفات التي هي في القصاص عند بعض العلماء اولا كلامه هذا يدل على ان لا خلاف لاحد في قتل الذكر بالانثى واما ما روي
محمد بن جرير فلا يدل على عدم القصاص فثبت ان ما نقله عن الشافعي ومالك رضي الله عنهما ليس مذهبهما وما نقل عن غيرهما ان اراد عدم القصاص اصلا فغير صحيح ايضا وان اراد عدم الاكتفاء
بالقصاص لما بيناه فيه من التراجع فحسن لكن لفظ لا يدل عليه ه قوله تعالى للوالدين والاقربين لما بين الله ان الوصية واجبة بين بعد ذلك انها واجبة لمن فقال للوالدين و
الاقربين وفيه وجهان الاول ه الاصح انهم كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقرب في الفقر والمسكنة فاوجب الله تعالى في اول الاسلام الوصية لهؤلاء منعا
للقوم عما كانوا اعتادوه وهذا بين والثاني قال اخرون ان ايجاب هذه الوصية لما كان قبل آية المواريث جعل الله الخيار الى الموصي في ماله والزمه ان لا يتعدى في اخراجه ما بعد
موته عن الوالدين والاقربين فيكون واصلا اليهم بتمليكه واختياره ولذلك لما نزلت آية المواريث قال علم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين ان ما تقدم كان
واصلا اليه بعطية الموصي فاما الان فانه تعالى قدر لكل ذي حق حقه وان عطية الله اولى من عطية الموصي واذا كان كذلك فلا وصية للوارث البتة فعلى هذا الوجه كانت الوصية من قبل
واجبة للوالدين والاقربين ثم اعلم ان العلماء في قوله والاقربين منهم فقال قائلون هم الاولاد فعلى هذا امر الله بالوصية للوالدين والاولاد وهو قول عبد الرحمن بن زيد عن
ابيه والقول الثاني وهو قول ابن عباس ومجاهد المراد من الاقربين من عدا الوالدين والقول الثالث انهم جميع القرابات من يرث منهم ومن لا يرث قال الامام وهذا معنى قول من
اوجب الوصية للقرابة ثم رآها منسوخة والقول الرابع من لا يرث من الرجل من اقاربه فاما الوارثون فهم خارجون عن اللفظ قوله والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام
واعلم ان الناس اختلفوا في هذه الوصية منهم من قال كانت واجبة ومنهم من قال كانت ندبا واحتج الاول بقوله كتب وبقوله عليكم وكلا اللفظين ينبئ عن الوجوب ثم انه تعالى
اكد ذلك الايجاب بقوله حقا على المتقين ومن قالوا اختلفوا منهم من قال هذه الآية صارت منسوخة ومنهم من قال ما صارت منسوخة اما القائلون بانها منسوخة فاختلفوا في انها
باي دليل صارت منسوخة وذكروا وجوها احدها انها صارت منسوخة باية المواريث فانها تدل على اعطاء الله اهل المواريث كل ذي حق حقه فقط وهذا بعيد لانه لا يمنع مع قدر من
الحق بالميراث وجوب قدر اخر بالوصية واكثر ما يوجبه ذلك التخصيص لا النسخ بان يقول قائل انه لما ثبت ان تكون منسوخة فيمن لا يختلف الا الوالدين من حيث يصير كل مال حقا لهم لسبب
الارث فلا يبقى للوصية شيء الآن هذا تخصيص لا نسخ وثانيها انها صارت منسوخة بقوله عليه لا وصية لوارث وهذا اقرب الا ان الاشكال فيه ان هذا خبر واحد فلا يجوز نسخ القرآن
واجيب عن هذا السؤال ان هذا الخبر وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول فالتحق بالمتواتر وثالثها انها صارت منسوخة بالاجماع والاجماع لا يجوز ان ينسخ به القرآن لان
الاجماع يدل على انه كان الدليل الناسخ موجودا الا انهم اكتفوا بالاجماع عن ذكر ذلك الدليل واما القائلون بان الآية ما صارت منسوخة وهو اختيار ابي مسلم
الاصفهاني فلهم وجوه الاول انه لا منافاة بين ثبوت الوصية وبين ثبوت الميراث لم يحكم الاثنين اذ لا يمنع ان يثبت لهم قدر من الحق بالميراث وقدر اخر بالوصية وثانيها ليست
هذه الآية مخالفة لآية المواريث وهذا الوجه يقرر ان التقرير وان معنى هذه الآية كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين وكانه قيل فرض عليكم ان
تراعوا وتحافظوا على ما اوصى الله به في قوله يوصيكم الله في اولادكم الى اخره فهي في قول المصنف من توريث الوالدين بيان ما اوصى ومنع قوله من قوله يجوز ان يكون الانذار
متعلقا اما بقوله كتب او بقوله اوصى ويجوز ان يكون في الكلام حذف اي هذا المعنى ماخوذ من قوله يوصيكم الله فانه تم لما قال هناك يوصيكم الله علم ان المراد بالوصية في هذه الآية
هو ذلك لا انصا والتقرير الثاني ان معنى الآية كتب على المريض الذي حضره الموت ان يوصي لاجل الوالدين والاقربين بان يوفر عليهم ما اوصى الله به لهم وبان لا ينقص من انصبائهم
سي والوجه الثالث ولم يذكره المصنف انا لو قدرنا حصول المنافاة لكن يمكن جعل آية المواريث مخصصة لهذه الآية وذلك لان هذه الآية توجب الوصية للاقربين
ثم آية المواريث تخرج القريب الوارث ويبقى الذي لا يكون وارثا داخلا تحت هذه الآية وذلك لان من الوالدين من يرث ومنهم من لا يرث اما بسبب اختلاف الدين او القتل
او الرق ومن الاقارب الذين لا يسقطون في فريضة من لا يرث بهذه الاسباب الخارجة ومنهم من يسقط في حال ويثبت في حال اذا كان في الواقعة من هو اولى بالميراث ومنهم
من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فكل من كان من هؤلاء وارثا لم يجز الوصية له ومن لم يكن وارثا جازت الوصية له لاجل صلة الرحم فقد اكد الله ذلك بقوله واتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام وبقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وتقرب من هذا مذهب ابن عباس وممن قال هذه الآية منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث
قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية والمختار ما ذكر الواحدي وهو ان سبب نزول هذه الآية ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للبعداء
رياء وسمعة فصرف الله بهذه الآية ما كانوا يصرفون الى البعداء الى الاهل والاقرباء فعمل بها ما كان العمل صالحا ثم نسخها آية المواريث في سورة النساء وكانت الوصية
للوالدين والاقربين فرضا على من مات وله مال حتى نسخ حكم الآية ولا يجب على احد وصية لاحد قريب او بعيد واذا اوصى فله ان يوصي لكل من يشاء من الاباعد والاقارب
الا الوارث قال عليه [illegible] ان يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قوله تعالى حقا على المتقين ان قيل ظاهر الكلام يقتضي تخصيص هذا التكليف بالمتقين
دون غيرهم فالجواب من وجهين الاول ان المراد بقوله حقا على المتقين انه لازم لمن آثر التقوى وتحراه وجعله طريقة له ومذهبا فيدخل الكل فيه الثاني ان هذه الآية تقتضي
وجوب هذا المعنى على المتقين والاجماع دل على ان الواجبات والتكاليف عامة في حق المتقي وغيره فبهذا الطريق يدخل الكل تحت هذا التكليف ففي الاول كان واجبا
على الكل والان مندوب على كل من ترك خيرا

عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اى فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اى لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله تعالى روحا من امرنا ويحيى من حى عن بينة لعلكم تتقون اى ارينكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين اذا حضر احدكم الموت اذا دنى منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشئ يسير فاتركه لعيالك وعن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصى ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقى الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذى صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هى بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصى للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية

أو إثماً أو تعمداً للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع

فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول ذكر من بدل بالباطل من يتبدل بالحق ليعلم

أن كل تبديل لا يؤثم **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات**

كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني

أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم

لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن الصائم

أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء

أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام

وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق

عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوماً كفارة لتحويله

عن وقته وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها

حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا

العشاء أو بعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات

بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه

والكثير يهال هيلاً ويحثى حثياً وانتصاب أياماً بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة **فمن كان**

منكم مريضاً أو على سفر أو راكب سفر **فعدة** فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وعلى هذا سبيل

الرخصة وقيل الواجب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة **من أيام أخر** واختلف في المرض المبيح للإفطار فمن

قائل كل مرض لأن الله لم يخص مرضاً دون مرض كما لم يخص سفراً دون سفر فكما أن لكل مسافر

أن يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع

إصبعه وسئل مالك عن رجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال

إنه في سعة من الإفطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله

بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضاً في القضاء فعامة

العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن

يشق عليكم في قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وعن علي رضي الله عنه وابن عمر والشعبي

وغيرهم أنه يقضى كما فات متتابعاً وفي قراءة أبي فعدة من أيام أخر متتابعات فإن قلت

قوله وبعد أن يناموا يريد أو بعد أن يناموا كما يجي بيانه عند تفسير قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث قالوا وفيه بمعنى أو والأولى أن الواو مضاد لا بمعنى أو فإنه لما قال بعد وبعد علم أن الانتفاء واجب بعد كل واحد فلا حاجة إلى جعل الواو بمعنى أو ولو قال المصنف فإن بعد العشاء وإن ناموا لاحتيج إلى جعل الواو بمعنى أو ه قوله وانتصاب أي أعمل المصدر وإن كان باللام ومثله قوله كفى لب أن أعز قليل البواه أعدائه يخال الفرار يراخي الأجل ه قوله كل مرض خبر مبتدأ محذوف أي هو كل مرض والجملة مقول القول المحذوف وقوله فمن قائل تقديره فبعض القائلين يقول هو كل مرض فمن قائل خبر مبتدأ محذوف أي قائل يقول كل مرض قوله كما لم يخص خبر مبتدأ محذوف أي هذا كما لم يخص أي عدم اختصاص مرض دون مرض مثل عدم اختصاص سفر دون سفر ه قوله فكما أن لكل مسافر إلى آخره أن مع ما في حيزه في تأويل المصدر قوله كل مرض مبتدأ خبره كأن إلى آخره وفي الكلام حذف أي فكثبوت إفطار كل مسافر ثبوت إفطار كل مريض

قوله الجهد المشقة يقال جهد دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ه قوله فواتر قيل المواترة المتابعة قال اللحياني لا تكون مواترة إلا إذا وقعت بينها فترة وإلا فهي مداركة قال صاحب المجمل المطرزي يقال هم على وترة واحدة أي طريقة وأصله من التواتر التتابع ومنه جاؤوا تترى أي متتابعين وترا بعد وتر وقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى أي متقطعين متفاوتة الأوقات بين كل نبيين منهم دهر طويل ومنه حديث أبي هريرة لا بأس بقضاء رمضان تترى أي منقطعاً يصوم يوماً ويفطر يوماً ه قوله إذا دبرت الدبرة واحدة الدبر بقول الأدبار مثل شجرة وشجر وأشجار يقول منه دبر البعير بالكسر وأدبره القتب والأدبر من البعير الموضع الذي يقع عليه ظلفة الرحل فيعقره ومنه قيل للغراب ابن دابة ه قوله يتقيم التنق التزعزع والنقض وتنقنقة أنتقد بالضم تنقفاً قال ولم وادت تنقفنا الجبل فوقهم أي زعزعناه وفرس ناتق إذا كان ينقض راكبه ه الظلفة واحدة ظلفات الرحل والقتب وهي الخشبات الأربع اللواتي تكون على جنب البعير يصيب أطرافها السفلى الأرض إذا وضعت عليه ه قوله من حمله من للتبعيض وفي قوله من وجه للبيان والحاصل أن المراد بقوله تعالى الهدى والفرقان جميع الكتب السماوية الهادية الفارقة والمراد بينات من القرآن والفاء في فليصمه جواب شرط محذوف أي إذا كان رمضان على ما وصفناه من نزول القرآن فيه فمن شهده فليصمه أو مقولاً للسببية ومؤذناً بها والفاء في فليصمه جزاء الشرط قال الإسنوي لعله نبه على أن الأصوب عندي في الجواب أن يقال ذكر أولاً أنه هدى وما نزلت بينات ثم ذكر بعده ما قوله من الهدى والفرقان فقوله من الهدى متعلق بقوله هدى للناس وقوله من الفرقان متعلق بقوله بينات لأن البينة هي الحجة التي يفرق بها بين الحق والباطل فكأنه قيل هدى عظيم وأي هدى من جملة ما هدى الله به الناس وبينات أي حجج واضحة فارقة بين الحق والباطل من جملة الحجج الواضحة الفارقة بين الحق والباطل ففيه لف ونشر ناطق بتطبيق وفائدة تنكير الأول وتعريف الآخرين ه

فكيف قيل صفة على التنكير ولم يقل فعدة بها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة
والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لو بُشر على عددها فاغنى
ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر
بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق و
عند اهل الحجاز مدّ وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوّقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه
ويطّوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيّقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم
تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او
يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو
على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او
الخير وقرئ فمن يطّوّع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوّقون وجهدتم
طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر
ايضا وفي قراءة ابيّ والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما و
منع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة
وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم
سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي
يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة
التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا و
احتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيى
النطاسيّ حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القران او على انه

اما بذكر اولاد او بالزام عقد فهنا يمنع منه ومنها ان يوصي باكثر من الثلث ومنها ان يوصي للاجانب وفي الاقارب شدة حاجة ومنها ان يوصي مع قلة المال
وكثرة العيال الى غير ذلك قوله تعالى فلا اثم عليه لانه متوسط للاصلاح وليس بمبدل للافساد فانه ذكر اثم التبديل لمن بدله المبدل بالباطل
ثم ذكر هنا المبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يوجب الاثم وانما الموجب بالاثم هو المبدل بالباطل فان قيل هذا المصلح قد اتى بطاعة عظيمة
في هذا الاصلاح وهو يستحق الثواب عليه فكيف عبر عنه بان قال فلا اثم عليه فالجواب من وجوه الاول انه تعالى لما ذكر اثم المبدل في اول الآية وهذا
ايضا من التبديل بين مخالفته للاول وانه لا اثم عليه لانه رد الوصية الى العدل والثاني ان المصلح ينقص الوصايا وذلك يصعب على الموصى له
ويوهم ان فيه اثما فازال الله الشبهة وقال فلا اثم عليه والثالث بين ان الوصية والاشهاد الاختم ذلك وانه متى غير الى الحق وان خالف وصيته
فلا اثم عليه وان حصل فيه مخالفة لوصية الموصي وصرف لماله عمن احب الى من كره لان ذلك يوهم نوع قبح فبين الله ان ذلك حسن بقوله فلا اثم عليه
الرابع ان الاصلاح بين الجماعة يحتاج الى الاكثار من القول ويخاف فيه ان يتخلله بعض ما لا ينبغي من القول والفعل فبين تعالى انه لا اثم على المصلح
في هذا الجنس اذا كان قصده في الاصلاح جميلا قوله تعالى ان الله غفور رحيم فيه ايضا هذا السؤال وهو ان قوله تعالى هذا الكلام انما
يليق بمن فعل فعلا لا يجوز وهذا الاصلاح من جملة الطاعات فكيف يليق به هذا الكلام وجوابه من وجوه احدها ان هذا من باب
تنبيه الادنى على الاعلى كانه تعالى قال انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي وثوابي اليك مع انك تحملت
المحن الكثيرة في اصلاح هذا المهم كان اولى وثانيها يحتمل ان يكون المراد ان ذلك الموصي الذي اقدم على الجنف والاثم متى اصلحت وصيته
فان الله غفور رحيم يغفر له ويرحمه بفضله وثالثها ان المصلح ربما احتاج في الاصلاح الى افعال واقوال كان الاولى تركها فاذا علم الله
تعالى منه ان غرضه ليس الا الاصلاح فانه لا يؤاخذه بها فانه غفور رحيم قال ابو علي في الحجة قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر موص ساكنة
الواو وحفص عن عاصم مثله وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي موص مفتوحة الواو مشددة الصاد فمن قرا بالتشديد فلقوله
فلا يستطيعون توصية ومن قرا بالتخفيف فلقوله يوصيكم الله وكلا اللغتين جاء في الشعر قال الشاعر
اهيم بدعد ما حييت فان امت اوصي بدعد من يهيم بها بعدي وقال آخر اوصيك ايصاء امرئ لك ناصح طبيب بريب الدهر
غير مغفل قوله تعالى لعلكم تتقون فيه وجوه لم يذكرها المصنف احدها انه تعالى بين بهذا الكلام ان الصوم يورث التقوى
لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فانه يردع عن الاشر والبطر والفواحش ويهون لذات الدنيا ورياستها وذلك لان الصوم
يكسر شهوة البطن والفرج وانما يسعى الناس لهذين كما قيل في المثل السائر المرء يسعى لغاريه لبطنه ولفرجه فمن اكثر الصوم
هان عليه امر هذين وخفت عليه مؤنتهما وكان ذلك رادعا له عن ارتكاب المحارم ومهونا عليه امر الرياسة في الدنيا وذلك
جامع لاسباب التقوى فيكون المعنى فرضت عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين اثنيت عليهم في كتابي واعلمت ان هذا الكتاب
هدى لهم ولما اختص الصوم بهذه الخاصية حسن منه تعالى ان يقول عند ايجابها لعلكم تتقون منبها بذلك على وجه وجوبه
لان ما يمنع النفس عن المعاصي لا بد ان يكون واجبا وثانيها ان المعنى ينبغي لكم بالصوم ان يقوى رجاؤكم في التقوى وهذا
معنى لعل وثالثها المعنى لعلكم تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات فان الشيء كلما كانت الرغبة فيه اكثر كان الاتقاء عنه
اشق والرغبة في المطعوم والمنكوح اشد من الرغبة في سائر الاشياء فاذا سهل عليكم اتقاء الله بترك هذين كان
ترك سائر الاشياء اسهل واخف قوله تعالى اياما معدودات اختلف العلماء في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان و
هو قول معاذ وعطاء ورواه عطاء عن ابن عباس ثم اختلف هؤلاء فقيل ثلاثة ايام من كل شهر عن عطاء وقيل ثلاثة ايام من كل شهر وصوم عاشوراء
عن قتادة ثم اختلفوا ايضا فقال بعضهم انه كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء على انه منسوخ بصوم رمضان
واحتج القائلون بان المراد بهذه الايام غير صوم رمضان بوجوه اولها ما روي عن النبي صلعم انه قال صوم رمضان نسخ كل صوم فدل هذا
على ان قبل وجوب شهر رمضان كان صوم آخر واجبا الثاني انه تعالى ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الآية ثم ذكر حكمهما ايضا في
الآية التي بعد هذه الآية الدالة على صوم رمضان فلو كان هذا الصوم هو صوم رمضان لكان ذلك تكريرا محضا من غير فائدة
وانه لا يجوز الثالث ان قوله تعالى في هذا الموضع وعلى الذين يطيقونه فدية يدل على ان هذا واجب على التخيير يعني ان شاء صام
وان شاء اعطى الفدية واما صوم رمضان فانه واجب على التعيين فوجب ان يكون صوم هذه الايام غير صوم رمضان
والقول الثاني وهو اختيار اكثر المحققين كابن عباس والحسن وابي مسلم ان المراد بهذه الايام المعدودات شهر رمضان
قالوا وتقريره انه تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل ليوم ويومين وايام ثم بينه بقوله اياما معدودات فزال
بعض الاحتمال ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فعلى هذا الترتيب يمكن ان تجعل الايام المعدودات
بعينها شهر رمضان واذا امكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره واثبات النسخ فيه لان كل ذلك زيادة لا يدل اللفظ عليها فلا يجوز
القول به اما تمسكهم اولا بقوله عليه السلام ان صوم شهر رمضان نسخ كل صوم فالجواب انه ليس في الخبر انه نسخ عنه وعن امته
كل صوم فلم لا يجوز ان يكون المراد انه نسخ كل صوم واجب في الشرائع المتقدمة لانه كما يصح ان يكون بعض شرعه ناسخا
لشرع غيره سلمنا ان هذا الخبر يقتضي ان يكون صوم رمضان نسخ صوما ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا
لصيام

لصيام وجب بغير هذه الآية فمن اين لهم ان المراد بهذه الآية غير شهر رمضان واما حجتهم الثانية وهي ان هذه الايام لو كانت هي شهر رمضان
لكان حكم المريض والمسافر مكررا فالجواب ان في الابتداء كان صوم شهر رمضان ليس بواجب معين بل كان التخيير ثابتا بينه وبين الفدية
فلما كان كذلك رخص للمسافر في الفطر كان من الجائز ان يظن ان الواجب عليه الفدية دون القضاء ويجوز انه لا فدية عليه ولا قضاء لمكان
المشقة التي يفارق بها المقيم فلما لم يكن ذلك بعيدا بين تعالى ان افطار المسافر والمريض في الحكم خلاف التخيير في المقيم فانه يجب عليهما
القضاء في عدة من ايام اخر فلما نسخ الله ذلك عن المقيم الصحيح والزمه الصوم حتما كان من الجائز ان يظن ان الحكم في الصوم لما انتقل عن
التخيير الى التضييق حكم يعم الكل حتى يكون المريض والمسافر في هذه المنزلة المقيم الصحيح من حيث تغير حكم الله في الصوم فبين تعالى ان
حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا فهذا هو الفائدة في اعادة ذكر المسافر والمريض لا لان
الايام المعدودات سوى شهر رمضان واما حجتهم الثالثة وهي قولهم صوم هذه الايام واجب مخير وصوم شهر رمضان واجب معين
فجوابه ما ذكرناه من ان صوم شهر رمضان كان واجبا مخيرا ثم صار معينا اذا عرفت هذا القول فاعلم انه على كلا القولين لا بد
من تطرق النسخ الى هذه الآية اما على القول الاول فظاهر واما على القول الثاني فلان هذه الآية تقتضي ان يكون صوم شهر رمضان
واجبا مخيرا والآية التي بعدها تدل على التضييق وكانت الآية الثانية ناسخة لحكم هذه الآية وفيه اشكال وهو انه كيف يصح ان يكون
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ وذلك لا يصح وجوابه ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول
كما قال الفقهاء في عدة المتوفى عنها زوجها ان المقدم في التلاوة هو الناسخ والمنسوخ متأخر وهذا ضد ما يجب ان يكون عليه حال الناسخ والمنسوخ
فقالوا ان ذلك في التلاوة اما في الانزال فكان الاعتداد بالحول هو المتقدم والآية الدالة على اربعة اشهر وعشر هي المتأخرة فصح كونها ناسخة
فلذلك نجد في القرآن آية مكية متأخرة في التلاوة عن الآية المدنية قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر كلمة الشرط تقتضي ان يكون المعنى
الاستقبال اي من يكن مريضا او على سفر والمعنى ان فرض الصوم في الايام المعدودات انما يلزم الاصحاء المقيمين فاما من كان مسافرا او مريضا
فله تأخير الصوم عن هذه الايام الى ايام اخر قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فانه تعالى بين في اول الآية
ان لهذه الامة في هذا التكليف اسوة بالامم المتقدمة والغرض منه ما ذكرنا ان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو انه
سبب لحصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام معدودات فلو جعله ابدا او في اكثر
الاوقات لحصلت المشقة العظيمة ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي انزل فيه القرآن لكونه اشرف الشهور بسبب هذه الفضيلة
ثم بين خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى ان يصيروا الى الرفاهية والسكون فهو سبحانه
راعى في ايجاب الصوم هذه الوجوه من الرحمة فله الحمد على نعمه الكثيرة قال الامام المرض عبارة عن عدم اختصاص جميع اعضاء الحي بالحالة
المقتضية لصدور افعاله سليمة سلامة تليق به واختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها ان اي مرض كان واي مسافر
كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين وثانيها ان هذه الرخصة مختصة بالمريض
الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وبالمسافر الذي يكون كذلك وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ المطلق على اكمل احواله وثالثها
وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام لاشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف ان صام ان يشتد وجع عينه
قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا ان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه اذن ما يؤثر الصوم في تقويته ثم تأثيره
في الامر اليسير لا عبرة به لان ذلك قد يحصل فيمن ليس بمريض ايضا فاذا يجب ان يعتبر ما ذكرناه وهذا هو الذي رواه عن الشافعي رضه فقوله
يجهده الجهد فيعفى له مطلق واعلم ان اصل السفر الكشف وذلك لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم والمسفرة
المكنسة لانها تسفر التراب عن الارض والسفير الداخل بين اثنين للصلح لانه يكشف المكروه الذي اتصل بهما والمسفر المضيء
لانه قد انكشف وظهر ومنه اسفر الصبح والسفر الكتاب لانه يكشف عن المعاني ببيانه واختلف الفقهاء في قدر السفر المبيح
للرخص فقال داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان السفر فرسخا وتمسك بان الحكم لما كان معلقا على كونه مسافرا فالحيث
تحقق هذا المعنى حصل هذا الحكم ثم قال وقصارى ما في الباب ان يروى خبر واحد في تخصيص هذا العموم لكن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير
جائز وجوابه انه جائز كما قرر في موضعه وقال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وذلك لان اقل من هذا القدر يدخل في
المقيم واما الاكثر فليس عدد اولى من عدد فوجب الاقتصار على الواحد ومذهب الشافعي ان اقله مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحتسب
منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جد النبي صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم
وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة وهذا مذهب مالك واحمد واسحق وقال ابو حنيفة والثوري انه مقدر بثلاثة
ايام حجة الشافعي ما روي عن ابن عباس رضه ان النبي صلعم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان

بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا
شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن
ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى
الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر
كذا وفي علي رضي الله عنهما كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس
وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات
مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد
قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به
الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى و
الضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في
الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به
كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك
ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر
حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف
مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم
من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير و
هذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان
وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد
فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا

قال اهل اللغة وكل بريد اربعة فراسخ فيكون مجموعه ستة عشر فرسخا ... [illegible]

[illegible]

تعالى فليستجيبوا لي اجاب واستجاب بمعنى قال كعب الغنوي وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اهل المعنى الاجابة من العبد لله الطاعة واجابة الله لعبده اعطاؤه اياه مطلوبه لان اجابة كل احد على وفق ما يليق به قال الامام وجه
النظم ان تعالى قال انا اجيب دعاك مع اني غني عنك مطلقا فكن انت ايضا مجيبا لدعائي مع انك محتاج الي من كل الوجوه فما
اعظم هذا الكرم وفيه دقيقة اخرى وهي انه تعالى لم يقل للعبد اجب دعائي حتى اجيب دعاك وهذا ابتنه على ان اجابة الله للعبد
فضل منه ابتداء وانه غير معلل بطاعة العبد وان احسان الرب في هذا الباب الى العبد متقدم على اشتغال العبد بطاعة الرب
وهذا ادل على فساد ما نقلناه عن المعتزلة وليؤمنوا بي ولو منوا بي ان قيل اجابة العبد لله ان كانت اجابة بالقلب واللسان فذاك هو الايمان
وعلى هذا التقدير يكون قوله فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي تكرارا محضا وان كانت اجابة العبد لله عبارة عن الطاعات كان الايمان متقدما
على الطاعات وكان حق النظم ان يقال فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي فلم جاء على العكس فجوابه ان الاجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام
والايمان عبارة عن صفة القلب وهذا يدل على ان العبد لا يصل الى نور الايمان وقوة الايمان الا بتقدم الطاعات والعبادات
منه قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وقوله
لعلهم يرشدون معنى الامر انهم اذا استجابوا لي وآمنوا بي اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لان الرشد هو ضد الغي

العدة او على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت
لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل
هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه
وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون
بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة
او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان
عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره
بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد
العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد
وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما
الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه
لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ها هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف
قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا
حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما
وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت
لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في
عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت
عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب
الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم

قوله معطوفا على مقدر
الاملاء والاقسام معدى بعلى لانه قد ضمن هذا القسم معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين قوله
واعلم ان المعلل محذوف على هذا الوجه ايضا مع كونها معطوفة على علة مقدرة وفائدة هذه الطريقة ان تكون اشارة الى ان له فوائد
كثيرة منها ما ذكر ههنا ثم قال والاول اوجه وذلك لان في تقدير لتعلموا ما تعملون زيادة اضمار من غير ضرورة واحتياج ولا
دلالة دليل عليها وفي العطف على اليسر فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله ولا يريد بكم العسر مع المخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه
في تعلق الفعل المعطوف عليه بغير اللام وبالمعطوف باللام ومثل هذه المخالفة قليل مع انا لو جوزنا مثل هذا العطف ههنا لاوهم
العطف على العسر وفساده لا يخفى قوله واعلم ان لتكملوا اذا كان عطفا على علة مقدرة يكون ذلك المقدر
متعلقا بقوله يريد فكانه قيل يريد الله بكم اليسر لتسهلوا ولتكملوا وفائدة هذه الطريقة الاشارة الى ان له فوائد كثيرة ولا وجه
ولا وجه للحاشية التي قبل هذا من ان المعلل محذوف على هذا الوجه ايضا فتأمل قوله تعظيم الله والثناء عليه
هو الملائم للمعنى المذكور في اللف والنشر واما الوجهان الآخران فلا يناسبان ذلك ويمكن ان يقال هما ايضا مناسبان لان
التكبير يوم الفطر وعند الاهلال يكون لشكر ذلك قوله وقيل وقيل اعلم ان الوجه ملوما ذكره اولا لانه لا يبقى
اللف والنشر المذكور على هذين الوجهين والملائمة بين العلل للملك قوله هذه الخاطئة صفة نفس وتعلق للتحقير
مثل قوله تم هذه الحجج الدنيا والزيادة الاعتناء بتميزها عن غيرها كقول الشاعر وإذا ما شخص ضيف مقبل حرجالة
مسربل سربال ليل اغبر او مر الى الكوماء هذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحر
لي اذا دعوتهم يدل على ان المصنف فسر قوله فليستجيبوا لي بمعنى فليجيبوا فعلى هذا يكون السين للمبالغة في معنى الاجابة لا للطلب فتأمل
وكانه رحمه الله نظر الى لفظ وليؤمنوا فلذلك فسره كذلك قال الامام الكازروني رحمه الله واما لو لا يبعد ان يكون معنى فليستجيبوا فليطلبوا
اجابتي اي ليطيعوني فيما امرتهم ونهيتهم عنه فان طاعة الله تعالى فيما امر ونهى طلب اجابة الدعاء من الله والعلم ان هذا وان كان محتملا
الا ان المعنى هو الذي ذكره المصنف وكانه قيل كما اجبتهم فليجيبوني قال في التفسير الوسيط فليستجيبوا لي اي فليجيبوني بالطاعة
وتصديق الرسل واجاب واستجاب بمعنى واحد واجابة العبد لله الطاعة وهذا المذكور في الوسيط موافق لقول المصنف قوله
ليلة الصيام الرفث الرفث حقيقة في اللفظ كناية عن الفعل وانما يكنى به عن الجماع لانه لا يخلو من الافصاح بالجماع يقال
رفث اي افصح بالجماع ولا يكون رفث بمعنى جامع الا على وجه الكناية واذا كان الرفث من لوازم الجماع فاطلق اللازم واراد الملزوم
فيكون كناية قوله كلفظ النيك فان لفظ النيك لفظ يجب ان يكنى عنه بحسب محاسن العادات لا بحسب الشرع قوله
هن يمشين الضمير للعيس وقوله ان تصدق الطير اي في العيافة وليس اسم صاحبته يعني العيافة بشر بلقاء المحبوبة ووصلها
وكان ابن عباس لم انشد هذا البيت ليعلم ويشهد ابن عباس وقال العالم ارفثت فانه اطلق الرفث على الافصاح بما يجب ان يكنى عنه فكانه قال كيف رفثت
الغرض من اراد حدث ابن عباس بقوله ما كان عند النساء اي الجماع يريد ان الرفث المنهي عنه في الحج انما هو الجماع ثم اشار بقوله وقال الله
في الحج فاجاب ابن عباس بقوله ما كان عند النساء الى انه قد تعلم ان الله تعالى نهى عن الرفث ويستحضر هذا المعنى لكن الرفث الذي نهى الله الحاج عنه ليس

صوابه الافصاح بما ينبغي ان يكون عنه انما هو الجماع لا غير وانما عبر عنه بقوله ما يكون عند النساء لزيادة بيان ما هو المراد في قوله الرفث

ولما هو من بدع العلماء سرد لهذا القول الاخير لكن وان رده فلهذا القول وجه حسن لطيف وهو انه تم لما اباح لهم الرفث ليلة

الصيام اشار الى ان الرفث وان كان حلالا لهم في تلك الليلة لكن عليهم ان يشتغلوا فيها بالعبادة ايضا ولا يستغرقوا في

اتباع الشهوة واستيفاء اللذة لئلا يفوتهم فضيلة العبادة ليلة القدر لو هي مظنة الطاعة فيها وانما اورده المصنف لانه

مناسبا لقوله ثم فالآن باشروهن لكن وجه المناسبة قد بيناه بتوفيق الله تعالى

وله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعان قرأ ابو عمرو وورش عن نافع باثبات الياء فيهما في الوصل والباقون بحذفهما فالاول على الاصل والثاني على التخفيف قال ابو سليمان الخطابي الدعاء مصدر

من قولك دعوت الشيء ادعوه دعاء ثم اقاموا المصدر مقام الاسم تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم رجل عدل وحقيقة الدعاء استدعاء العبد من ربه العناية

واستمداده اياه المعونة قال الامام اختلف الناس في الدعاء فقال بعض الجهال الدعاء شيء عديم الفائدة واحتجوا عليه من وجوه احدها ان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع عند الله

كان واجب الوقوع فلا حاجة الى الدعاء وانه كان معلوم اللاوقوع كان ممتنع الوقوع فلا حاجة ايضا الى الدعاء وثانيها الاقدار سابقة والاقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا

ينقص شيئا منها فاي فائدة في الدعاء قال علم قدر المقادير وقيل ان يخلق الخلق وقال عليه جف القلم وثالثها انه تعالى علام الغيوب يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاي حاجة بالداعي الى الدعاء

ورابعها المطلوب بالدعاء ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه وخامسها ثبت بنقل اهل العقل والاحاديث الصحيحة ان اجل مقامات الصديقين

الرضا بقضاء الله والدعاء ينافي ذلك لانه اشتغال بالالتماس وترجيح لمراد النفس على مراد الله وطلب لحصة البشر وسادسها ان الدعاء يشبه الامر والنهي وذلك من العبد في حق المولى

الكريم الرحيم سوء ادب وسابعها روي انه عليه السلام قال رواية عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين قالوا فثبت بهذه الوجوه ان الاولى ترك الدعاء وقال

الجمهور الاعظم من العقلاء ان الدعاء افضل مقامات العبودية ويدل عليه وجوه من النقل والعقل اما الدلائل النقلية فكثيرة الاول ان الله تعالى ذكر السؤال والجواب في كتابه في عدة مواضع

منها اصولية ومنها فروعية اما الاصولية فقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسألونك عن الجبال ويسألونك عن الساعة واما الفروعية فقوله ويسألونك عن اليتامى ويسألونك

عن المحيض ويسألونك عن الانفال ويسألونك عن ذي القرنين يسألونك ماذا احل لهم ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة اذا عرفت هذا فنقول هذه الاسئلة جاءت اجوبتها على ثلاثة انواع

فالاغلب فيها انه تعالى لما حكى السؤال قال لمحمد صلعم قل وفي صورة واحدة جاء الجواب بقوله فقل مع فاء التعقيب والسبب فيه ان قوله ويسألونك عن الجبال سؤال عن قدمها وحدوثها وهذه مسألة

اصولية فلا جرم قال الله فقل ينسفها ربي نسفا كانه قال يا محمد اجب عن هذا السؤال في الحال ولا تؤخر الجواب فان الشك فيه كفر ثم تعرض الجواب بان النسف ممكن في كل جزء من اجزاء الجبل

فيكون ممكنا في الكل وجواز عدمه يدل على امتناع قدمه واما سائر المسائل وهي فروعية فلا جرم لم يذكر فيها فاء التعقيب اما الصورة الثالثة فهي في هذه الاية قال واذا سألك عبادي عني

فاني قريب ولم يقل فقل اني قريب وذلك يدل على تعظيم حال الدعاء من وجوه الاول كانه تعالى يقول عبدي انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك

ان قوله واذا سألك عبادي يدل على ان العبد له وقوله فاني قريب يدل على ان المعبود والمالك للعبد مني قريب بل قال اما منه قريب وهو صريح في التفضيل فان العبد ممكن الوجود فهو

من حيث هو هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب اما الحق سبحانه فهو القادر من ان يقرب بفضله ورحمته من العبد والقرب من الجانبين العبد لا من العبد الى

الحجة الثانية في فضل الدعاء قوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الحجة الثالثة انه تعالى لم يقتصر في بيان فضل الدعاء على الامر بل بين

انه يغضب وهو قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقوله قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم الحجة الرابعة قوله عليه السلام لا ينبغي لاحد

ان يقول اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسألة فيقول اللهم اغفر لي وقوله عليه الدعاء مخ العبادة وقوله عليه الدعاء هو العبادة الى معظم العبادة واكثرها كقوله عليه الحج عرفة

الى الوقوف بعرفة هو الركن الاعظم واما الحجة العقلية في فضل الدعاء فهي ان الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولا بغير الله فانه لا يكون داعيا له فاذا فني عن الكل صار مستغرقا

في معرفة الحق فامتنع ان يبقى في هذا المقام ملاحظا لحقه طالبا لنصيبه فلما ارتفعت الوسائط بالكلية فلا جرم حصل القرب فانه ما دام يبقى العبد ملتفتا الى غرض نفسه لم يكن

قريبا من الله لان ذلك الغرض يحجبه عن الله ثم ثبت ان الدعاء يفيد القرب من الله ثم كان الدعاء اعظم العبادة والجواب عن الشبهة الاولى انها منقوضة لان اقدام الانسان

على الدعاء ان كان معلوم الوقوع فلا فائدة في اشتغاله بالدعاء وان كان معلوم العدم لم يكن الى انكاره حاجة والجواب عن الشبهة ان نقول كيفية علم الله تعالى

وكيفية قضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف

باحاطة علم الله بالكل وجريان قضائه وقدره في الكل ولهذا الاشكال سألت الصحابة رسول الله صلعم فقالوا ارايت اعمالنا هذه اشيء قد فرغ منه ام امر نستانفه فقال علم امر قد

فرغ منه فقالوا فقيم العمل اذا قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فانظر والى لطائف هذا الحديث فانه عليه السلام علقهم بين الامرين فرهبهم بسابق القدر المفروغ منه ثم الزمهم العمل الذي

هو مدرجة التعبد فلم يبطل ظاهر العمل بما تعلق من القضاء والقدر ولم يترك احد الامرين للآخر واخبر ان فائدة العمل هو القدر المفروغ منه فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر

في ايام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعلم ههنا فرق ما بين الميسر والمعسر فتأمل لمعرفته فانه لجة مسألة القضاء والقدر وكذا القول في باب الكسب

والرزق فانه مفروغ منه في الاصل لا يرد الطلب ولا ينقصه الترك والجواب عن الشبهة الثالثة انه ليس المقصود من الدعاء الاعلام بل اظهار العبودية والذلة والانكسار والرجوع

الى الله بالكلية وعن الرابعة انه يصير ما ليس بمصلحة مصلحة بحسب سبق الدعاء وعن الخامسة انه اذا كان المقصود من الدعاء اظهار الذلة والمسكنة ثم بعده رضي بما قدر

الله وقضاه فذلك من اعظم المقامات ثم اعلم ان في الاية سؤالا مشكلا مشهورا وهو انه قال ادعوني استجب لكم وقال اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال امن يجيب المضطر اذا دعاه

ثم انا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب والجواب من وجوه الاول ان هذه الايات وان كانت مطلقة الا انه وردت آية اخرى مقيدة وهو قوله بل اياه تدعون فيكشف ما

تدعون اليه ان شاء ولا شك ان المطلق محمول على المقيد والثاني ان الداعي لا بد ان يجد من دعائه عوضا اما اسعافا بطلبته التي لاجلها دعا وذلك اذا وافقها القضاء فان لم

يساعده القضاء فانه يعطى سكينة في نفسه وانشراحا في صدره وصبرا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر وعلى كل حال فلا يعدم فائدة وهو نوع من الاستجابة والثالث روى القفال

في تفسيره عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم دعوة المسلم لا ترد الا باحدى ثلاث ما لم يدع باثم او قطيعة رحم اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يؤخر الى الآخرة

واما ان يصرف من السوء بقدر ما دعا وهذا الخبر تمام البيان في الكشف عن هذا السؤال لانه تعالى قال ادعوني استجب لكم ولم يقل استجب لكم في الحال فاذا استجاب له ولو في

الآخرة كان الوعد صادقا وروى الواحدي في الوسيط عن انس ان رسول الله صلعم قال ~~قال~~ قال اصحابه يا رسول الله انا ندعو الله بدعاء كثير ومنه ما نرى اجابته ومنه ما

لا نرى اجابته فقال والذي نفس محمد بيده ما منكم من احد يدعو بدعوة الا استجيب له او صرف عنه مثلها سوء ما لم يدع باثم او قطيعة رحم قالوا يا رسول الله اذا نكثر

قال فالله اكثر واطيب ثلث مرات وروى ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما قال عبد قط يا رب يا رب ثلثا الا قال الله عز وجل لبيك عبدي فيعجل من

عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها
حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين
تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم واطلبوا ما قسم الله لكم
واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله
له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله
لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة ما كتب الله من الاباحة بعد الحظر وقرأ
ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من
الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض و
اسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان
للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان تكون
من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه
قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت
من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة
التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال
او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا
وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان
حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل
فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما
ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات
لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما
تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى

ذلك ما يشاء ويوجد ما يشاء والرابع ان لفظ الدعاء والاجابة يحتمل وجوها كثيرة احدها ان تكون الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله كقول العبد يا الله لا اله الا انت و
هذا انما يسمى دعاء لانك عرفت الله ثم وحدته واثنيت عليه فهذا يسمى دعاء بهذا التاويل ولما سمى هذا المعنى دعاء سمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ ومثله كثير

يتبيّن له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مراده قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به

ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون

قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف ولذلك اذا لمس او قبّل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن

النبي صلى الله عليه وسلم قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله **فان قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت** كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوها والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة

قوله تعالى يسالونك عن الاهلة

قال الامام نقل عن ابن عباس انه قال ما كان قوم اقل سوالا من امة محمد عليه السلام عن اربعة عشر حرفا فاجيبوا واولى ثمانية منها في سورة البقرة اولها واذا سالك عبادي عني فاني قريب وثانيها هذه الآية والستة الباقية بعد في سورة البقرة فالمجموع ثمانية في هذه السورة والتاسعة قوله في سورة المائدة يسالونك ماذا احل لهم والعاشر في الانفال يسالونك عن الانفال والحادي عشر في بني اسرائيل ويسالونك عن الروح والثاني عشر في الكهف ويسالونك عن ذي القرنين والثالث عشر في طه ويسالونك عن الجبال والرابع عشر في النازعات يسالونك عن الساعة ولهذه الاسولة ترتيب عجيب ثنتان منها في الاول في شرح المبدا فالاول قوله واذا سالك عبادي عني فهذا سوال عن الذات والثاني قوله يسالونك عن الاهلة وهذا سوال عن صفة الخلقة والحكمة في جعل الهلال على هذا الوجه واثنان في النهاية الآخر في شرح المعاد احدهما قوله ويسالونك عن الجبال والثاني يسالونك عن الساعة ايان مرسيها ونظير هذا انه ورد في القران سورتان اولهما يا ايها الناس احداهما في النصف الاول وهو السورة الرابعة من سور النصف الاول لان اولها الفاتحة وثانيها البقرة وثالثها آل عمران ورابعها النساء وثانيهما في النصف الثاني اولها مريم وثانيها طه والثالث الانبياء ورابعها الحج ثم يا ايها الناس في النصف الاول مشتمل على شرح المبدا فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وثانيهما وهو الواقع في النصف الثاني مشتمل على شرح المعاد فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فسبحان من له في هذا القران اسرار خفية وحكم مطوية لا يعرفها الا الخواص من عباده قال الواحدي الاهلة جمع هلال وهو غرة القمر حين يهله الناس سمي هلالا لان الناس يهلون بذكر الله ويذكرونه حين يرونه اي يرفعون اصواتهم قال الامام يقال له هلال لليلتين من اول الشهر وللليلتين من آخر الشهر ويسمى ما بين ذلك قمرا وقال الجوهري في الصحاح الهلال اول ليلة والثانية والثالثة وكذا قال الهروي في الغريبين واحد الغارس في المجمل قوله روي عن معاذ هذا بيان سبب النزول قال الواحدي قال معاذ بن جبل يا رسول الله ان اليهود تغشانا ويكثرون مسئلتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انهم سالوا نبي الله صلعم لم خلقت هذه الاهلة فانزل الله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج قال الامام واعلم ان قوله يسالونك عن الاهلة ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سالوا لكن الجواب كالدال على موضع السوال لان قوله قل هي مواقيت للناس والحج يدل على ان سوالهم كان على وجه الفائدة والحكمة في تغير حال الاهلة في النقصان والزيادة فصار القران والخبر مطابقين في ان السوال كان عن هذا المعنى واذا ثبت ان القوم انما سالوا عن الحكمة في اختلاف احوال القمر فنقول ان الله ذكر وجه الحكمة فيه وهو قوله قل هي مواقيت للناس والحج وذكر هذا المعنى في آية اخرى وهي قوله وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال في آية ثالثة فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وتفصيل القول فيه ان تقدير الزمان بالشهور فيه منافع بعضها يتصل بالدين وبعضها بالدنيا اما ما يتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم قال فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومنها الحج قال الحج اشهر معلومات وثالثها عدة المتوفى عنها زوجها قال والله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ورابعها النذور التي تتعلق بالاوقات وخامسها فضائل الصوم في ايام لا تعلم الا بالاهلة واما ما يتصل منها بالدنيا فهو كالمداينات والاجارات والمواعيد ومدة الحمل والرضاع كما قال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا

قوله لا علاء كلمة الله هو معنى قوله ولا تعتدوا على هذا التفسير

وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا ويؤيد الاول ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ان الله لا يحب المعتدين ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة من غير دعوة واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال

فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من الموت وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل

لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب

قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين والا صيتنا مجازعنه والجواب ان يقول الا على الظالمين في معنى على غير الظالمين وغير الظالمين هم المنتهون وعلى هذا الوجه تكون العدوان اي الظلم بمعناه بخلافه في الوجه الثاني كما سيجي وقال ره هذا التكلف ان تكون العدوان اي الظلم بمعناه ولو لم يحمل على هذا المعنى يلزم المجاز في العدوان كما في الوجه الثاني ره قوله نحن نهتكوا حرمة شهركم وتحقيق هذا المعنى انهم لما بالغوا في مقاتلتكم حتى قاتلوكم في الشهر الحرام صاروا في حكم من وجب قتله حيث ما كان كالفواسق الخمس والسباع العادية مثل الذئب والنمر فيقتلون وان كان في الحرم ره قوله ويجوز ان تعالى وعلى هذا الوجه يكون مصدرا من باب التفعيل وعلى الاول كان من الثلاثي المجرد فالمضرة والمشرة بمعنى الضر والشر ره قوله جاورته مجاورة وجوارا وجوارا والكسر افصح وبهذا الجوف واما الجوار بمعنى الصياح فمهموز ره قوله ائتوا بهما تامين اعلم ان المراد على هذا الوجه ان لا تتركوا شيئا من واجباتهما اي اركانهما كالطواف لهما وغير اركانهما من واجباتهما كالرمي للحج وليس المراد الاتيان بسننهما ومكملاتهما ولذلك اورد البيت ههنا فان الناس عن اعتقد انه لو لم يرها كما ذكر لم يخرج عن الحج ما اتيا بشرائطه واركانه واما على الوجوه الاربعة فالمراد بها ان ياتي بهما غير منقوص على شرائطهما واركانهما بل ان ياتي مع الواجبات بسننهما على ما ذكر لكونا تامين كاملين باتمامهما مولانا تان بهما تامين كاملين من غير ترك شيء مما يتوقفان عليه وليس المراد انه اذا شرع اتمهما اورد البيت لبيان ان التمام يستعمل بهذا المعنى ره

قوله تعالى والفتنة اشد من القتل فيه وجوه احدها ان المراد بالفتنة المحنة والبلاء وذلك لان اصل الفتنة عرض الذهب على النار لاستخلاصه
من الغش ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان تشبيها بهذا الاصل والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المومنين وعلى تشديد الامر عليهم
بحيث صاروا ملجئين الى ترك الاهل والوطن هربا من اضلالهم في الدين وتخليصا للنفس مما يخافون ويحذرون فتنة شديدة بل هي اشد
من القتل الذي يقتضي التخلص من غموم الدنيا وآفاتها او المعنى ان هذا القتل الذي اوجبه عليكم جزاء عن تلك الفتنة والى هذا الوجه
اشار بقوله اي المحنة التي هي الاخرج وقوله جعل الاخراج الى آخره استيناف كلام الوجه الثاني ان المراد من الفتنة العذاب
الدائم الذي يلحقهم بسبب كفرهم فكانه قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه كقوله ولنحن
نريكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده واطلاق اسم الفتنة على العذاب جائز وذلك من اطلاق اسم السبب على المسبب قال تعالى يوم هم
على النار يفتنون وقال ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي عذبوهم ثم قال عقيبه ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وقال فاذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله اي عذابهم كعذابه والى هذا الوجه اشار بقوله وقيل الفتنة عذاب الآخرة ثم استدل عليه
بقوله ذوقوا فتنتكم الوجه الثالث ان المراد من الفتنة الشرك والكفر وانما سمي الكفر بالفتنة لانه فساد في الارض يودي الى
الظلم والى الهرج والمرج فيه الفتنة وانما جعل الكفر اعظم من القتل لان الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم والقتل ليس كذلك وكان
الكفر اعظم من القتل قوله وذلك انهم كانوا يستعظمون اشارة الى سبب النزول وروي في سبب نزول الآية ان بعض
الصحابة كان قتل رجلا في الشهر الحرام والمومنون عابوه على ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وكان المعنى ليس لكم ان تستعظموا الاقدام
على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك والى هذا الوجه اشار بقوله وفتنة الشرك اعظم الى
آخره وقوله فقتل بالفاء عطف على قوله كانوا الوجه الرابع ان يكون المراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد
من قتلكم اياهم في الحرم لانهم يسعون في الحرم المنع من العبودية والطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها الوجه الخامس
فتنتهم اياكم بالصد عن المسجد الحرام اشد من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم اياكم قوله ولا تقاتلوهم نهى عن
ابتدائهم بقتال وقتال في الحرم حتى يبتدئ المشركون فهذا بيان لبقاء هذا الشرط في قتالهم في هذه البقعة خاصة وقد كان من قبل
شرطا في كل القتال وفي الاشهر الحرم قوله وقرئ لا تقتلوهم اختلف القراء فيها بالالف وطرحها في قوله ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فقرا حمزة والكسائي كله بغير الف والباقون جميع ذلك بالالف ووقع في المصحف بغير الف
روي ان الاعمش قال لحمزة ارايت قراتك اذا صار الرجل مقتولا فبعده كيف يصير قاتلا فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم
رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم رجل قالوا ضربنا والى هذا المعنى اشار المصنف بقوله جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم قال
ابو علي في الحجة المعنى فان قتلوا بعضكم في الحرم فاقتلوهم في الحرم الفاسد ووقع قوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي فما وهن
الباقون منهم لما اصابهم في سبيل الله قوله تعالى كذلك جزاء الكافرين قال الواحدي انه متعلق بقوله تعالى واقتلوهم حيث
ثقفتموهم لانه قال المعنى جزاء الكافرين ان يقتلوا حيث ما وجدوا قوله تعالى فان انتهوا قال الامام لما اوجب الله
تعالى عليهم القتال على ما تقدم ذكره كان يجوز ان يقدر ان ذلك القتال لا يزول وان انتهوا وقبلوا كما ثبت في كثير من الحدود
ان التوبة لا تزيله فقال تعالى بعد ما اوجب القتل عليهم فان انتهوا فان الله غفور رحيم بين بهذا انهم متى انتهوا عن ذلك
سقط وجوب القتل عنهم ونظيره قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قوله تعالى وقاتلوهم قال الامام
قال قوم هذه الآية ناسخة لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ثم قال والصحيح انه ليس كذلك لان البداية
بالمقاتلة عند المسجد الحرام نفيت حرمته اقصى ما في الباب ان هذه الصيغة عامة لكن مذهب الشافعي ان العام سواء كان مقدما
على المخصص او متاخرا عنه فانه يصير مخصوصا به اذا عرفت هذا فنقول المراد بالفتنة هنا ولان آية الشرك والكفر وله معنيان
المعنى الاول قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشركين الوثني جزية والمعنى الثاني انهم كانوا يضربون ويوذون اصحاب النبي صلعم بمكة
حتى ذهبوا الى الحبشة ثم واظبوا على ذلك الايذاء حتى ذهبوا الى المدينة وكان غرضهم من اثارة ذلك ان يتركوا دينهم ويرجعوا
كفارا فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك العرب الثاني قوله
الى مسلم ويكون المراد بالفتنة هنا الحرب قال لان الله امرنا بقتالهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدأوا وانه كان فيه على المومنين
لما يخاف عنده من انواع المضار فان قيل كيف قال وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة مع علمنا ان قتالهم لا يزيل الكفر قلنا الجواب
من وجهين الاول ان هذا محمول على الاغلب لان الاغلب عند قتالهم زوال الكفر والشرك لان من قتل فقد زال كفره ومن لا يقتل يخاف
من الثبات على الكفر فاذا كان هذا هو الاغلب جاز ان يقال ذلك والجواب الثاني ان المراد قاتلوهم قصدا منكم الى زوال الكفر
لان كل واحد من الذين يقاتلون الكفار يحتاج ان يكون مراده هذا ولذلك متى ظن ان مرتقاتله ينقلع عن الكفر بغير القتال
وجب عليه العدول

فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر الحرام بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء فى بايديكم مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو وروى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو على فى الحلبيات عن ابى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابى عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة والتنفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء

قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام الآية اعلم ان الله تعالى لما اباح القتال وكان ذلك منكرا فيما بينهم ذكر فى هذه الآية ما يزيل ذلك وفيه وجوه ذكر المصنف احدها ما اشار اليه بقوله قاتلهم المشركون الى آخره فقوله فقيل لهم عطف على قوله فهى قاتلهم وقوله الشهر الحرام مقوله ولم يذكر باقى الوجوه فهنا ما روى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ان رسول الله صلعم خرج عام الحديبية للعمرة وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده اهل مكة عن ذلك ثم صالحوه على ان ينصرف ويعود فى العام القابل حتى يتركوا له مكة ثلثة ايام فرجع رسول الله صلعم فى العام القابل وهو فى ذى القعدة سنة سبع ودخل مكة واعتمر فانزل الله هذه الآية يعنى انك دخلت الحرم فى الشهر الحرام والقوم كانوا صدوك فى السنة الماضية فى هذا الشهر فهذا الشهر بذلك الشهر ومنها ما روى عن الحسن ان الكفار سألوا ان الله قد نهى الرسول صلعم عن ان يقاتلهم فى الاشهر الحرم فارادوا مقاتلته وظنوا انهم لا يقاتلهم وفى ذلك قوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فانزل الله هذه الآية لبيان الحكم فى هذه الواقعة فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام اى من استحل منكم من المشركين فى الشهر الحرام فاستحلوا منه ومنها ما ذكره قوم من المتكلمين وهو ان الشهر الحرام لما لم يمنعكم عن الكفر بالله فكيف يمنعنا عن مقاتلتكم فالشهر الحرام من جانبنا مقابل بالشهر الحرام من جانبكم والحاصل فى الوجه الثلثة ان حرمة الشهر الحرام لما لم تمنعهم عن الكفر والافعال القبيحة فكيف جعلوه سببا فى ان يمنع فى القتال من شركهم وفسادكم واما قوله والحرمات قصاص فالحرمات جمع حرمة وهى ما منع من انتهاكه وفى هذه الآية يعود ملك الوجوه اما الذى ذكره المصنف فظاهر واما الوجه الاول من الوجوه الثلاثة المذكورة فالقصاص المساواة اذا عرفت ذلك فهذا نفى فهو ان المراد بالحرمات الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام فقوله والحرمات قصاص معناه انهم لما اضاعوا هذه الحرمة فى سنة ست فقد قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع واما على الوجه الثانى منها فهو ان المراد ان اقدموا على مقاتلتكم فقاتلوهم انتم ايضا قال الزجاج اعلم الله بهذه الآية انه ليس للمسلمين ان ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء بل على سبيل القصاص وهذا القول اشبه بما قبل هذه الآية وهو قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وبما بعدها وهو قوله فمن اعتدى عليكم واما على الوجه الثالث منها فقوله والحرمات قصاص يعنى حرمة كل واحد من الشهرين كحرمة الآخر فهما مثلان والقصاص هو المثل فلما لم يمنعكم حرمة الشهر من الكفر والفتنة والقتال فكيف يمنعنا عن القتال قال الواحدى قال ابن عباس يريد ان انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا منهم مثل ذلك قال الزجاج معناه قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام والحرمات قصاص فلا يكون للمسلمين ان ينتهكوها على سبيل الابتداء ولكن على سبيل القصاص ودل على هذا المعنى قوله فمن اعتدى عليكم اى ظلم فقاتل فاعتدوا عليه اى جازوه باعتدائه واتقوا الله قوله تعالى وانفقوا فى سبيل الله قال الامام اعلم ان واجبات مقاصد واهمها ان امر الله بالقتال والاشتغال بالقتال لا يتيسر الا بالآلات وادوات يحتاج فيها الى المال وربما كان ذو المال عاجزا عن القتال وكان الشجاع القادر على القتال فقيرا عديم المال فلهذا امر الله تعالى الاغنياء بان ينفقوا على الفقراء الذين يقدرون على القتال والثانى روى انه لما نزل قوله الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر رسول الله صلعم ان ينفقوا فى سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة فيما يحمل فى سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الآية على وفق امر رسول الله صلعم واعلم ان الانفاق هو صرف المال الى وجوه المصالح فلذلك لا يقال فى المضيع انه منفق فاذا قيد الانفاق بذكر سبيل الله فالمراد به فى طريق الدين لان السبيل هو الطريق وسبيل الله هو دينه فكل ما امر الله به فى دينه من الانفاق فهو داخل فى الآية سواء كان انفاقا فى حج او عمرة او كان جهادا بالنفس او تجهيزا للغير او كان انفاقا فى صلة الرحم او على العيال او فى الصدقات او فى الزكوات والكفارات وغير ذلك الا ان الاقرب فى هذه الآية وقد تقدم ذكر الجهاد انه يراد به الانفاق فى الجهاد بل انما قال وانفقوا فى سبيل الله لوجهين الاول ان هذا كالتنبيه على العلة فى وجوب هذا الانفاق وذلك لان المال مال الله فيجب انفاقه فى سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز ونشط فيسهل عليه انفاق المال والثانى ان هذه الآيات انما نزلت وقت ذهاب رسول الله صلعم الى مكة لقضاء العمرة وكانت تلك العمرة لا تؤمن ان تفضى الى القتال ان ما بهم المشركون فكان عمرة وجهادا فاجتمع فيه المعنيان فلما كان الامر كذلك لا جرم قال الله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولم يقل وانفقوا فى الجهاد وانفقوا فى العمرة

واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا
وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت
هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين
او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما
بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب فى اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب
كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب و
هو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج
جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن
عمر رضى الله عنه ان رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين علىّ اهللت بهما جميعا فقال
هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها
قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج و
العمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينة له فى الوجوب واما حديث عمر فقد
فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع
من الصلوة والدليل الذى ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيها فهما
بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ على و
ابن مسعود والشعبى والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب
فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا
فى سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضى او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا
هو الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو
الشيبانى وعليه قول ابى حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر فى اثبات حكم
الاحصار وعند مالك والشافعى رحمهما الله منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر و

... والدليل هذا جواب قوله وقد نظمت لكن يلزم منه ان يكون اللفظ الواحد مستعملا لمعنيين معا فمن الا...
... فقال اتموا الحج واتموا العمرة فحذف من الثانى ...
... المحاسب فذلك جمعا بعد التفصيل لما كان قوله ... عائدا الى ثلثة وسبعة ومعنى قوله فتلك اى جمعت بعد التفصيل ... وقيل فذلك اى جمعت بعد التفصيل بان قيل عشرة بعد ثلثة
... الماخوذ من فذلك كذا معنى الجمع بعد التفصيل فاشتق منه الفعل ... وسبعة ... فكانه قال عشرة ... لقوله ثلثة وسبعة وكذا ... كاملة ... وسبعة
... وسبعة ... ولذلك عطف على جملة قوله ... ذكر المصنف لقوله كاملة وجها آخر وهو ان لا يكون ... الثلثة والسبعة
... لبيان زيادة الاعتناء بان هذا العدد وان لا ينقص ... منها ... الايام نوب مناب الهدى ويقوم مقامه ... الثواب الذى
... المراد الايام دون الليالى ... من
... وجبر النقصان الذى ... فى التمتع ... قوله عشرة ... قوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام وانما قلنا المراد الايام لقوله بعد ذلك ... ذى الحجة ... النحر
... الايام دون الليالى ... المصنف ... عندهم يكون بالليالى لا الايام ... الصوم لا يكون
... الانسان ... قيل الصواب ان اراد الايام والليالى كلهما فغلب الليالى لان الحساب عند العرب بالليالى و
... النهار ولو قلنا ... خرجتم عن كلام العرب ... منهما ما الذكر ... قولك ضمنا فانه ما عنينا آخر ...
... مثل قولهم سبع ليال وثمانية ايام لا فراد كل ...
٥

قوله فمن كان منكم مريضا قال بعضهم هذه الآية مختصة بالمحصر وذلك لانه قبل بلوغ الهدى محله ربما لحقه مرض او اذى في رأسه ان صبر فاباح الله تعالى له ان يحلق بشرط بذل الفدية وقال الآخرون بل الكلام مستأنف في كل محرم لحقه المرض في بدنه فاحتاج الى علاج او لحقه اذى في رأسه فاحتاج الى الحلق فبين الله تعالى انه له ذلك ويجب عليه من الفدية اذا عرفت هذا فنقول المرض قد يحوج الى اللباس فتكون الرخصة في اللباس كالرخصة في الحلق فيكون ذلك لعذر المرض من شدة البرد وما شاكله فابيح له بشرط الفدية وقد يحتاج ايضا الى استعمال الطيب في كثير من الامراض فيكون الحكم فيه ذلك واما من يكون به اذى من رأسه فقد يكون ذلك بسبب القمل وقد يكون بسبب الصداع وقد يكون عند الخوف من حدوث مرض او الم وبالجملة فهذا الحكم عام في جمع محظورات الحج قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث هذا اصل معنى النسك ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله.

حتى يبلغ الهدى محله

استيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهديّ بالتشديد جمع هديّة كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدى المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية وروى انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج اى في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج

عند ابى حنيفة وعند الشافعى هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجئ للاباحة فى نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفى امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى وفى قراءة ابى فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ذلك اشارة الى التمتع عند ابى حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعى اشارة الى الحكم الذى هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابى حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله فى المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم فى التقوى الحج اى وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة عند ابى حنيفة وعند الشافعى تسع ذى الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعى فى غيرها وعند ابى حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه فى ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروى عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان

يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتنى انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدى وسوقه عند ابى حنيفة وعند الشافعى بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قال ولا شك ولا خلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسئ فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف فى الحج واستدل على ان المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابى يا اولى الالباب يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها

الداج هم الاعوان والمكارون قال ابو عبيدة الداج الذين يكونون مع الحاج من الاجراء والمكارين والخدم واشباههم قال الاصمعى انما قيل لهم داج لانهم يدجون على الارض اى يدبون

في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح لهم ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر أن رجلا قال له إنا قوم نكرى في هذا الوجه وإن قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به وقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج. أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين أن تبتغوا في أن تبتغوا أفضتم دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا به وعرفات علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فإن قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها وإما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لأن هذه التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بجمع المؤنث ~~مانعة من تقديرها كما لا يقدر~~ كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه إياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك العرفة فقد أدرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء عليه والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل

قوله فإن الناس من بين مقل اي الناس واقفون بين مقلين ومكثرين ومن فيه اما زائدة او للابتداء كما في قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي انهم اما طالبون للقليل وهم الذين مطلوبهم الدنيا فقط واما طالبون للكثير وهم الذين يطلبون خير الدنيا والآخرة فسمي طالب الدنيا والآخرة مكثرا اما من قولهم اكثر الرجل اذا اي جعله كثيرا ... اكثر الرجل كثر ماله فكان من طلب الكثير مكثرا له ولذا سمى المصنف طالب الدنيا مقلا اي مفتقرا اي فقيرا من اقل الرجل اي افتقر فكان من يعز طالبا قليلا يكون قليل المال واما من اقل الرجل اي طلب القليل وجعل ماله قليلا لكنه لم ار اقل بهذا المعنى انتهى

واقفا حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فإن قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين أي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فإذا قضيتم مناسككم فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم أو أشد ذكرا في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين

فكونوا من المكثرين ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او وما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر فلا اثم عليه حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم

من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول واذا قيل له اتق الله اخذته العزة من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا

نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء

يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم

السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا ان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التورية في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قاريا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت اتيان الله اتيان امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهو جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام **فان قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على

والخطاب الى قوله بالسنتهم متعلق بالوجه الاول دون الاخر لان المؤمنين يجوز ان يؤمروا بالاستسلام دون الاسلام وهذا مبني على ان الايمان هو الاسلام واما من قال الايمان تصديق الرسول في جميع ما علم مجيئه فلا يحتاج هذا الى تاويل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا بالتاويل المذكور وانما يحتاج اليه في مثل يا ايها الذين آمنوا آمنوا فتأمل

المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ومن يبدل نعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كم استفهامية او خبرية **قلت** يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير **فان قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت** معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا اي كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او وهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم **فان قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا يسعد عنده الا المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا

الامة هم القوم المجتمعون على شيء واحد بعضهم ببعض

ان السؤال آخره هذا على تقدير ان يكون المراد بالايات معجزاتهم وقوله او حرفوا على تقدير ان يكون المراد بالآية ما في كتبهم من الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام

لان النبي صلعم كان عالما بتلك الاحوال باعلام الله اياه فلا يكون المراد من الاستفهام ان يعلمه النبي صلعم من جهتهم فانه كان معلوما له فالمراد من الامر بهذا السؤال ان يجعلهم مقرين بسبب هذا السؤال

المزين هو الشيطان ولما امهله الله تعالى فكأنه اي الله تعالى زين والحاصل ان التزيين من الله تعالى اما بان خذلهم او بانه امهل المزين وهو الشيطان

فهذه مبتدأ من جهة خبره او من متعلق بالتوسعة لما خبره الاول او لمطابقته للفظ المذكور

معنى السؤال ان المناسب والذين آمنوا للنظر الى قوله من الذين آمنوا والمناسب من الذين اتقوا للنظر الى والذين اتقوا والجواب ان هؤلاء الكفرة كانوا يسخرون من المؤمنين من غير تفرقة بين المتقين منهم وغير المتقين لانهم لم يكونوا يعلمون من المتقي وغير المتقي فان التقوى امر قلبي لا يعلمه الا الله وانما تكون فوقية الكفار المتقون من المؤمنين لا غير المتقين كالمنافقين والمرائين فلهذا اطلق في الاول وقيد في الثاني

فبعث الله، وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه. وفي قراءة عبد الله كان الناس
امة واحدة فاختلفوا فبعث الله، والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه. **فان قلت**
متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق. **قلت** عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة
قرون على شريعة من الحق فاختلفوا، وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة. وانزل معهم الكتاب
يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق
ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق. وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا
الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا
في شدة الاختلاف واستحكامه. بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم. ومن
الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف. ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده. لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمومنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه
من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ
ام حسبتم. ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع
منتظر. مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة. مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا
قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء. وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما
اصابهم من الاهوال والافزاع. حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر
الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان
الشدة. وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر
ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة
التي لا مطمح وراءها. الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من
عاجل النصر. وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع
على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية.
فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون
واجيبوا ببيان المصرف. **قلت** قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل

خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها. قال
الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع. وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح و
هو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت. وعن السدي هي منسوخة بفرض
الزكوة. وعن الحسن هي في التطوع. كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا. ثم اما ان تكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له. واما ان
يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم. وقرأ السلمي بالفتح على ان
يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها. وعلى قوله وعسى
ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه. والله يعلم ما يصلحكم
وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك. يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله و
كفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم. بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش
فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد
رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى. وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة.
والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم. وقرأ عكرمة
قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير. وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت. واكثر الاقاويل
على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره

لفظ المصنف والقرآن
فاقتلوا بالفاء ه

يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام
وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء
على الظن والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به
فإن قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت وكفر به في معنى
الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كأنه لا فصل وكأنه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام
هذا وجه والوجه الثاني أن موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام إلا أنه قدم لفرط العناية
عليه كما في قوله ولم يكن له كفوا أحد كان من حق الكلام أن يقال ولم يكن أحد كفوا له إلا أنه قيل ولم يكن له
فقدم قوله له لفرط العناية فكذلك ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم
لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي
يقاتلونكم كي يردوكم عن دينكم وإن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه وإن ظفرت
بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على
رده إليه فيمت على الردة فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما
للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي
على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما إن الذين
آمنوا والذين هاجروا روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا
من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم
الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك عن الخمر والميسر قل
فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب
تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس
فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم
فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من
يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى
أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل

حاصل هذا السؤال يعود إلى أنه لا يجوز الفصل بين المعطوف عليه المجرور وبين ما عطف عليه بدليل امتناع نظام زيد فاستفد وعمرو بالجر عطفا على زيد وإذا ثبت أنه لا يجوز الفصل بينهما لكون المعطوف على المجرور من تتمته فكون والمسجد من تتمة عن سبيل الله من موصله المصدر أعني صد فكان العطف على صد قبل تمامه فكيف جاز ذلك

أشار قتادة إلى أن العبد يكون راجيا لإجازته بالثواب ولا قانطا ويكون خائفا آمنا مقتصدا على الطاعة ثم ذكر قتادة فائدة الخوف والرجاء فقال من رجا أي من رجا طلب الثواب بطاعته فإنه لو لم يرج قنط وترك الطاعة ومن خاف أي من خاف عقاب الله هرب عن العقاب بترك الذنوب

وإنما شربها قوم وتركها آخرون لما رأوا من شبه التخيير المناسب للإباحة حيث ذكر في الشرب الإثم وفي ذلك أيضا المنفعة ففهموا أن الإثم والمنفعة يتعارضان فيبقى أصل الإباحة لكن الإباحة إنما تكون لو لم يكن فيه رجحان الإثم وقد رجح بقوله وإثمهما أكبر من نفعهما وكأنهم لما لم يفهموا التحريم لم يتركوه

أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة
لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت أصبعي فيه
لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد
من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم
غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو و
الطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب إلي من أن أقول مرة هو حرام
ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام
كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرها
أي تحجزها وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة
من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على
أهله وماله قال أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسر فإن
قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من
جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد
ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح وأساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي
خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن
خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب
له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون
منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من
النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين المشئومتين فإنهما
من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد والشطرنج من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله فيهما إثم كبير وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر وإثمهما وعقاب الإثم في
تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيها والتوصل بها إلى مصادقات

أي هذا الذي ذكرنا من حالهم حيث لم يكونوا يجتنبونها ما دامت حلالا وإذا حرمت اجتنبوها احتياطا بالكلية على ما ذكروا أنهم كانوا بالغين للشريعة في التحليل والتحريم والإباحة والمنع دون ميل النفس ومشتهى الطبع وهذا هو الإيمان حقا

والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما إثم كبير

قوله ويجوز هذا عطف على قوله كما بينت لانه كان المراد منه ان قوله كذلك اشارة
الى ان العفو اصلح فقال هنا ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اي كما بينت ان اثمهما
اكبر فاسم يكون ضمير عائد الى قوله كذلك والحاصل ان المعنى يبين الله آياته بيانا مثل ذلك
البيان وذلك البيان يجوز ان يكون اشارة الى ان العفو اصلح او الى ان اثمهما اكبر
وقوله على النجاة اشارة الى ان جعل ترك المحرمات هي النجاة من العقاب الذي كان
يلحق بمباشرتها والاتيان بها

البنيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ
اثم كبير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام
من وجوه كثيرة ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة
العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي
وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا
فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون
فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او
تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر
من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على
النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق
بهما لعلكم تتفكرون ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام باموالهم فشق
ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم و
لاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله
من داخلهم بافساد او اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس
قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام
هكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف
الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات

الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى
امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك
ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت ولأمة
مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة
الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين
الا المناصبة والقتال والله يدعو الى الجنة يعني اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة
وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله و
توفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة بالرفع اي والمغفرة
حاصلة بتيسيره ويسألونك عن المحيض المحيض مصدر حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا
قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن
يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون
بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود
كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال
فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا
اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته
وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم
ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم

شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول أبي حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطّهّرن بالتشديد أي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقراءة عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة الى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى أنه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الأمرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن **من حيث أمركم الله** من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل **إن الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش أو أن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الأقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل وإتيان ما ليس بمباح ونحو ذلك **نساؤكم حرث لكم** مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله **فأتوا حرثكم أنى شئتم** تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت **وقدموا لأنفسكم** ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء **واتقوا الله** فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات **فإن قلت** ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وإزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض **فإن قلت** ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا **قلت** كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر ... فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما يحلف عليه وقوله أن تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس **فإن قلت** بم تعلقت اللام في لأيمانكم **قلت** بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح ذات بينهم **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من إثم القصد إلى الك

الكذب في اليمين وهو أن يحلف على شيء يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم
أي لا يلزمكم الكفارة باللغو في اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت
قلوبكم وقصدت من الأيمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم
باللغو في أيمانكم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فإن قلت كيف
عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون
من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك لي منك
كذا والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر
أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي وحكم ذلك
أنه إذا فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته
كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة و
عند الشافعي لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فإما أن يفيء وإما أن
يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فإن فاءوا فإن فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله
فإن فاءوا فيهن فإن الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء
وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضى منهن إشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب
لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة فإن الله سميع عليم وعيد على
إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة فإن
قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لأن
قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل
كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول الى آخره
فإن قلت ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب
أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن
يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة
الشيطان والمطلقات يتربصن بأنفسهن أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء فإن قلت كيف جازت إرادتهن
خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه
فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن بالتربص قلت

هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر
وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة
فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة
فإن قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس قلت
في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن
وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها
على التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة أيام
أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصلي في
العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء
دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت فما تقول
في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات
لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث
فإن قلت فما تقول في قول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت أراد لما ضاع فيها
من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها
النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه
مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ
جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت
على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف
أي يتربصن مدة ثلاثة قروء فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي
الأقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما
في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا
في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم

المساعدة المعاونة والاسعاد الاعانة وقولهم سعديك اي اسعادا بعد اسعاد الحنان
الرحمة يقال حن عليه حنانا وقولهم حنانيك معناه رحمة بعد رحمة اي كلما كنت
في رحمة منك اتصلت برحمة منك اخرى اي حنانا بعد حنان

تلتف بشيء وقرأ الزهري ثلثة قروء بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض و
ذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق
على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق و
يجوز ان يراد اللاتي تبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك
فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن
وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن احق بردهن والبعول جمع بعل
والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من
قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي
بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كأن للنساء حقا
فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان
هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا
اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي
يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن
ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب
الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل
نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة
مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان الطلاق
بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى
ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد
بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة
والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق
الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان بان
لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها

وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين
والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في
حديث ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر
استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلاني
الذي لاعن امرأته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه روي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو
يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي
ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة
واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في
الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه
قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا
بمؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام
ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ
والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن
من الصدقات الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله
فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما
فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت
به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي
ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال
ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال
لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان
كان منه كره له ان يأخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا
يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه

قوله فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها فسر قوله اجلهن بقوله آخر عدتهن وقوله بلغن بقوله شارفن المعنى اذا شارفن منتهى العدة ثم حقق ان المعنى هذا ان الاجل يقع على آخر المدة والبلوغ على المشارفة ثم اشار بقوله ولانه قد علم الى آخره الى انه لا يصح الحمل على غير هذا المعنى ثم اذ لا يمكن ان يكون المعنى اذا انقضى الاجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف فتعين الحمل على ما ذكر فقوله ولانه قد علم عطف من حيث المعنى على الجملة المذكورة قبل عرض قوله والاجل يقع على المدة الى آخره لانها في معنى التعليل فكانه قال انما فسر بلوغ الاجل بمشارفة المنتهى لان الاجل يقع على جميع المدة وآخرها والبلوغ على الوصول والمشارفة لا يمكن حمل الاجل على جميع المدة والبلوغ على الوصول لانه لا يمكن الامساك بعد تقضى الاجل فتعين الحمل على ما ذكرنا ه

قوله عهدت اى كنت حاضرا عنده صلعم حين ما ذكره وسمعته وذلك لان العهد بمعنى اللقاء فاطلق العهد وهو اللقاء واريد ملزومه وهو الحضور والسماع فكون كانه قال عهدا بكلام

وامروا الذين ظلوا ويعضده قراءة عبد الله الا ان يخافا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن عوف تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر رضى الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال لها قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضى الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمن رضى الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ايضا

ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا عليهن لتظلموهن وقيل لتلجؤهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتورية وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن من النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشعبي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد حولين كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة

عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل **فإن قلت** كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فإن قلت** فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن **قلت** إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم **فإن قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد: فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها وقراءة لا تضار بالفتح أكثر القراء وقراءة الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا

وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فإن قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ذلك مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه وقيل على الوارث الباقي من الأبوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا فإن أرادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوز وإنما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما أما الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فإن أرادا استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين

لم يكن احدهما جائرا عن الحق واذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وقرئ ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اى مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما أوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا
على ان يكون الشىء الذى تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك
اصلاحا لشأن الصبى واحتياطا فى امره فأمر بايتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل اذا اديتم اليهن
يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا بأن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه
ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين
يتوفون منكم ازواجا على تقدير حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم
وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى ان ابا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة
فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلى رضى الله
عنه على ان امره بان يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة
معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت
خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن
فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن
من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما ينكر
كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
او اكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم فيما عرضتم
به ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لى
امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه
ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك
عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على ابو جعفر محمد بن على وانا فى عدتى

فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقلت
غفر الله لك أتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال اوقد فعلت انما اخبرتك بقرابتى من رسول
الله وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابى سلمة
فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده من شدة تحامله
عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اى فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر
الشىء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شىء لم تذكره كما يقول المحتاج
للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم فى
انفسكم او سترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم
ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله ولا تواعدوهن سرا **قلت**
هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا
تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا
تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه
سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم
يتعلق حرف الاستثناء **قلت** بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اى لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء
منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا
وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا
معروفا يعنى من غير رفث ولا افحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اى فى السر على ان المواعدة
فى السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن فى الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن
ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح
من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح فى العدة لان العزم
على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه الصلوة والسلام

لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ويروى لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب أجله يعني ما كتب
وفرض من العدة ويعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من إيجاب مهر لا جناح عليكم إن طلقتم النساء
ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على
المحسنين وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي
بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير إن طلقتم النساء
ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن أو تفرضوا لهن فريضة إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا
وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمي لها مهر فلها نصف
المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة
المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة
والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها
الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص
من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو
الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي
شيء قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب
لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في
الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا على المحسنين الذين
يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله
سلبه إلا أن يعفون يريد المطلقات فإن قلت أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون
قلت الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن
والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل ومحله محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة
النكاح الولي يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول
المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن
وهو مذهب الشافعي رض وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر كملا وهو مذهب أبي حنيفة

والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم
أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا
ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة عن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة و
طلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص
فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها
فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل والفضل التفضل أي و
لا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمتعوا ولا تستقصوا وقرأ الحسن ويعفو الذي بسكون
الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك و
أن يعفو بالياء ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أي الوسطى بين الصلوات أو
الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة
العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر
وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة التخصيص
لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إما الظهر وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها و
الثانية العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن
داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية
فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه و
الصلاة الوسطى صلاة العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم و
معايشهم وعن ابن عمر هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لأنها بين صلاتي
النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر
من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على المدح و
الاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت أن
تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدي والبصر
وروي أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصا
أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا فإن خفتم فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره فرجالا فصلوا

وراجلين وصحب راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجلٌ اى راجل وقرئ فرجّالا بضم الراء ورُجّالا
بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلّون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي
يصلّون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلّون في حال الخوف وفي حال الامن تقديره فيمن قرأ
وصيةٌ بالرفع ووصية الذين يتوفون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية او اهل وصيةٍ لازواجهم وفيمن
قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصيةً كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم
الذين يتوفون وصيةً ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابيّ متاع
لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه
نصب بالفعل وعلى قراءة ابيّ متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك هذا القول غير ما تقول الحمد
لله حمد الشاكرين واعجبني ضربٌ لك زيدا ضرب الشديد وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول
غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن
ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا
يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل
نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى
فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من التزين و
التعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة
قلت قد تكون متقدمة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف عمّ المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما
اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين
وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع
الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم
تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل الم تر تقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع

لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روى ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفرّ من حكم الله وقضائه و
قيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا
مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففرّوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون
ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا
قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة
وان الموت اذا لم يكن منه بدّ ولم ينفع منه مفرّ فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث
احياهم ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه
القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم يسمع
ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي
يطلب به ثوابه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون
والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة
وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه
بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني
اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا
تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر
في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروى انه امر
الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالرفع والنون
على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل

وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط
فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم
ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله هل اتى على الانسان معناه
التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي
غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم
ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم
يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله
واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله
الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت
منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا
كما وافق حنطا حنطة وبشمالا ها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان
عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له
فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة
على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا
يستحق التملك لوجود من هو احق منه بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك
لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين
ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو
الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا
من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله
من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد

ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي
ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء
يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون
والطمأنينة وقيل هي صورة كانت من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي
الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة والبقية رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشيء من التورية وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية
لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل
غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن
فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب
الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء
وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا
يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه و
صاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل
هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث
وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء **فان قلت**
من آل موسى وآل هرون **قلت** الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن
يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما
فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال
الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت

وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين

فصل من موضع كذا إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولاً ويجوز أن يكون فصله فصلاً وفصل فصولاً كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي أنه قال لهم لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه مما اختار ثمانون ألفاً وكان الوقت قيظاً وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهراً فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتداء شربه من النهر بأن كرع فيه فليس مني فليس من أشياعي أو ليس بمتحد معي من قولهم فلان مني كأن بعضه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً قال وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضاً ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعاً بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبياً كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت مم استثني قوله إلا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه أي فكرعوا فيه إلا قليلاً منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون

هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا به والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب كان إيشى أبو داود [illegible] يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن احملني وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك وإنك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب واستماع أخبار تلك الرسل إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال

للرجلين فعل هذا فضولٌ احدكم او بعضكم يريد الذى تعرف واشتهر به من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسُئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولى العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل صلى الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغى لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين سائر الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله سبحانه وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى اوتى منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه الحى الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملى

وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اى لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية ايناما ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين ملئتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء انى امسك السموات والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم او نعاس لزالتا من ذا الذى يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشئ من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السموات والارض الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطى ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسى الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثانى وسع علمه وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك والرابع ما روى انه خلق كرسيا هو بين يدى العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شئ وعن الحسن الكرسى هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما وهو العلى العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسى من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى

في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله. وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي. **قلت** لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه فإن العرانين تلقاها محسدة.

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم

لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار. قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة. فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا المثل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية. وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما.

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات

الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها

131

حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة. ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ألم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به. أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون. والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك. فإن **قلت** كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر **قلت** فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا بالعبادة. إذ قال نصب بحاج أو بدل من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت. إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن إبراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة. قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين. وقرئ فبهت الذي كفر أي فغلب إبراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب. وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت.

أو كالذي مر على قرية معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية. والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي. وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي. والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الألوف. وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد. قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم. بنى على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله. لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة

كنفخة البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان
كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه
بإدغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز
ان يريد وانظر اليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف
ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ
ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها
هذاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير
فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي
بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء
قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت
زيداً ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء
للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافراً فكيف
يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافراً واذ قال ابراهيم رب أرني كيف
تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أرني بصرني فان قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس
ايماناً قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه
بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال و
تظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك
بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت
اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب قال فخذ أربعة من الطير
قيل طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن اليك
قال ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان
الكروم الدوالح وعن ابن عباس فصرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّه
يصرّه ويصرّه اذا جمعه نحو ضرّه يضرّه ويضرّه وعنه فصرّهن من التصرية وهي الجمع أيضاً

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على الجبال
التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين
باذن الله يأتينك سعياً ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على أرجلهن فان قلت
ما معنى أمره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها
وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعياً وروي
انه أمر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها و
لحومها وان يمسك رؤوسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر
ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن
فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤاً بضمتين وجزّاً بالتشديد ووجهه
انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو
الله ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها
سبع سنابل ان تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير
للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود
قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي
القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير
فان قلت هلا قيل سبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلثة
قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم اي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها
لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه وأوجب
عليه حقاً له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرءاً أسدى الي
صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ ومن منع نائله وضنّ
وفيها طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب
ما أزل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير
من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا

فان قلت اى فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى
الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر
وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على
المسؤل او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره
خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة
به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك
بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله
رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله تعالى ولا ثواب الآخرة ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله ونفقته التي
لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين
الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في
محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون
بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان
فكانه قيل كمن ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل
جنة بربوة وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء
على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما
يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعها لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا
لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه
اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه
ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء
الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين
انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى
التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء عند الله
كمثل جنة وهو البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل

مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل
فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة
والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة
كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله زاكية عند الله زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين ايود احدكم ان تكون
له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه
نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية
ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل
الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك
حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة
معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا
الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين
قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل
الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل
قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان
احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل
واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها
منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما
ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان
له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر
قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت
ان يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة
واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من
الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل
الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف

لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال

وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى

قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه

وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص

كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهرى

تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة

تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين

وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا

يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه اى يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة

انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر

قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع

الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة

لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ورثوا باعليه في الآخرة يؤتي

الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله

هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا

كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء

العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة

في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه

وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون

بالنذر او ينذرون في المعاصي من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات

فنعما هي ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر

النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء

خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه

صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل

من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان

المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل

ونكفر وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اى ونحن نكفر او على انه

جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ و

يكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات

وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك هداهم لا

يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك

وما عليك الا البلاغ ولكن الله يهدي من يشاء للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض الجار

متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء كقوله في تسع آيات او يكون

خبر مبتدأ محذوف اى صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون

لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اهل الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من فقراء

قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن

بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على

اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من

امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة يحسبهم الجاهل بحالهم

اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال

لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق

الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه

وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا

سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره

يريد نفي المنار والاهتداء بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة

لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت و

لا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة

بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق

بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في

قوله فلهم اجرهم خبران الذين والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على علانية ...

قوله تعالى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان الاصل ان الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهما بدرهمين ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن

بسبيل الله. وعن ابى هريرة كان اذا امر بقرب يمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا. الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع. لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون. والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجنى يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم فى الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات. فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض. ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا. فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام فى الربوا لا فى البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوى الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين. قلت جىء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع. وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه. فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربوا فانتهى فتبع النهى وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم فى شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شىء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقى ولانها فى معنى الوعظ وقرأ ابى والحسن فمن جاءته. يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل. ويربى الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى

الحديث ما نقصت زكوة من مال قط. كل كفار اثيم تغليظ فى امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين. اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقا بقلب الياء الفا على لغة طىء وعنه ما بقى بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم ماضى العزيمة ما فى حكمه جنف. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعنى ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك. فأذنوا فاعلموا بها من اذن بالشىء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة. فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله. فان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها. فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا بين المسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون. وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اى ذو اعسار وقرأ عثمان رضى الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة. فنظرة الى ميسرة فالحكم او فالامر نظرة وهى الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اى منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها. الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة. وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة. ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء. واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابى تصيرون الى الله وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش

رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة: داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه. فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم فى كتابه وانزل فيه اطول آية. بالعدل متعلق بكاتب صفة له اى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا. ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى هى فرض كفاية. وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب. فان قلت اى فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا تعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة. وليملل الذى عليه الحق ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه. ولا يبخس منه شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد

سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به او خرس فليملل وليه الذى يلى امره من وصى ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه. وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه. واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن على رضى الله عنه لا تجوز شهادة العبد فى شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى انها جائزة و يجوز عند ابى حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل. فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص. ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدى احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اى ارادة ان تضل. فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذكر اى وقرأ حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعنى انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداياناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير فى تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اى حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلكم الكتب اقسط عند الله اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى

أن لا ترتابوا وأقرب من انتفاء الريب فإن قلت مم بنى أفعلا التفضيل أعنى أقسط وأقوم قلت
يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذى قسط وأقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما فإن قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى إدارتها بينهم قلت أريد بالتجارة ما
يتجر فيه من الأبدال ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد والمعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا
بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة
وقيل هى الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على إلا أن تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أى إذا كان اليوم يوما
وأشهدوا إذا تبايعتم أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا كان أو كالئا لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع
من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد
كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزيمة من
الله ولو على باقة بقل **ولا يضار** يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر
بالإظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالإظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك
الإجابة إلى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم
ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلده وقرأ الحسن ولا يضار
بالكسر **وإن تفعلوا** وإن تضاروا **فإنه** فإن الضرار **فسوق بكم** وقيل وإن تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه **واتقوا الله و
يعلمكم الله والله بكل شىء عليم وإن كنتم على سفر** مسافرين وقرأ ابن عباس وأبى كتابا وقال ابن عباس أرأيت
إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقراءة أبى العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب
فرهن مقبوضة فالذى يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف و
سقف وقرهان فإن قلت لم شرط السفر فى الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه فى غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة
ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان
على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد وعن مجاهد والضحاك أنهما
لم يجوزاه إلا فى حال السفر أخذا بظاهر الآية وأما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان
بالإيجاب والقبول بدون القبض **فإن أمن بعضكم بعضا** فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن

ظنه به وقرئ اؤتمن فإن أمن أى آمنه الناس ووصفوا المديونين بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان
من مثله **فليؤد الذى اؤتمن أمانته** حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدى
إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه
والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو بياء فتقول الذى اؤتمن أو الذى ايتمن وعن عاصم أنه قرأ الذى اتمن
بإدغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم
الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا **وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم** خبر إن وقلبه رفع
بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن
فإن قلت هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت
كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل
إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى
ومما عرفه قلبى ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت
فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان
الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه و
اللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهى لها كالأصول التى تتشعب منها
ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم
الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنه أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة و
شهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبى عبلة أثم قلبه أى
جعله آثما **لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه** يعنى من السوء **يحاسبكم به الله فيغفر لمن
يشاء** لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمر **ويعذب من يشاء** ممن استوجب العقوبة
بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس وحديث النفس لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو
منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا
لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبى عبد الرحمن قد وجد المسلمون
منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط و
مرفوعين على فهو يغفر ويعذب فإن قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم
الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس

بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم بها والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة
الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو. وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوماً على البدل من يحاسبكم كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا. ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن
التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيداً رأسه
وأحببت زيداً عقله وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان **آمن الرسول
بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** والمؤمنون إن عطف على الرسول كان
الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعاً إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله من المذكورين ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى
كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين. وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن أو
الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب فإن قلت كيف يكون الواحد أكثر من الجمع قلت لأنه
إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء وأما الجمع فلا يدخل تحته
إلا ما فيه الجنسية من الجموع **لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**
يقولون لا نفرق وعن أبي عمرو يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون وأحد في
معنى الجمع كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين. سمعنا أجبنا غفرانك منصوب
بإضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك. وقرئ وكتبه ورسله بالسكون **لا يكلف الله
نفساً إلا وسعها** الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه و
يتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لأنه
كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من
حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ينفعها ما كسبت من خير
ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فإن قلت لم خص
الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس
وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن
كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا
فإن قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان
والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال ألا ترى إلى قوله وما أنسانيه إلا

الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط
الذي منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان
والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذاناً ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان
النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان ويجوز أن يدعو
الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه
ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا الإصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه
لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسات من الجلد و
الثوب وغير ذلك وقرئ آصاراً على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد فإن قلت
أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل
حمله من مفعول واحد إلى مفعولين **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا
الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم
في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا
تكرير لقوله ولا تحمل علينا إصراً **أنت مولانا** سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي
أمورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإن
ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من
قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز
الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه
عن قيام الليل فإن قلت هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة
قلت جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة
وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا إله غيره رمى من أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق
بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة وإذا قيل قرأت البقرة

لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله وتسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال
قرأت السورة التي يذكر فيها البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها
البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة تمت سورة البقرة بحمد الله تعالى وفضله وكرمه ومنه و
الصلوة والسلام على خيرة من خلقه وصفوته من بريته وحبيبه ويتلوه السورة سورة آل عمران

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على
الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة
ألقيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل
لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في
حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها
لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها
حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك هذا
ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان
في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء
الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن
الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان
يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما
حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان
قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى
للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام التورية
والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما
يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح

الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان
القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى
للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت
ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب
التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او
من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او
كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس
تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد
لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
لا اله الا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من
كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم
اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك
وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد
كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و
اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه
متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال
ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن
كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى
الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى
معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل
فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد
الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام
الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن
واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة
الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون

بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق
ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يؤولوه التأويل
الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب
لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا
وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون
ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول
هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا
به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولو الألباب
مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله
إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا
لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة
وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف
الميعاد جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ
جامع الناس على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد
كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله
شيئا وأولئك هم وقود النار قرأ علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة
على حروف اللين من الله مثله في قوله وإن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى
لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا
ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك
وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ
وقود بالضم بمعنى أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس هم قريظة والنضير كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله
بذنوبهم والله شديد العقاب الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان

من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون و
غيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك
أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان
يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما
فعلوا وفعل بهم على أنه سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد
هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا
والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى
وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع
فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد
عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت
منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله
قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فإن قلت أي فرق بين
القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة
والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل
عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد
إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله و
أخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم
مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة
ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم
من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش
المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال
ويقللكم في أعينهم قلت قللوا أولا في أعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم
حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال
قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقفوهم إنهم مسئولون وتقليلهم تارة و
تكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي

وإنما عرف الأضعاف لأن المراد المعهود بقوله يغلبوا مائتين ولو قال تسعة الأضعاف أو عشرة الأمثال بدل
قوله عشرة الأضعاف لكان أحسن لأن العشرة تسعة أضعاف الواحد لا عشرة أضعافه وعشرة أضعاف
الواحد يكون أحد عشر لأن ضعف الواحد اثنان وضعفا الواحد ثلثة وثلثة أضعافه أربعة وقس على هذا
أربعة أضعاف الشيء خمسة أمثاله وتسعة أضعافه عشرة أمثاله وفيه زيادة بحث لا يسعه الحواشي ويجيء
تحقيقه في هذا الكتاب

المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون
ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرئ يُرَوْنهم وتُرَوْنهم على البناء للمفعول بالياء والتاء
أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئةٌ تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين و
بالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره من يشاء كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو
إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين المزين هو الله سبحانه للابتلاء
كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّن للناس على تسمية الفاعل
وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها حب الشهوات جعل
الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن
يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد
على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس
أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها
وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب
والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام
يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم
ألف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة
أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحياة
الدنيا قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان
ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلكم على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز
أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات
ويعضده قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب

ويجوز أن يكونا حالا عن هو والعامل معنى الجملة أي تفرد قائما أو أحقه
لأنها حال مؤكدة أو النصب على المدح أو الصفة للمنفي وهو ضعيف للفصل
وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا عن الضمير
قوله تعالى إلا من بعد أي بعد ما علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها
بالآيات والحجج

على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا إننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار الذين يقولون
نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة
على كمالهم في كل واحدة منها وقدم الكلام في ذلك وحصر الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل
فيحسن طلب الحاجة بعده إنه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون
في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله
أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما
اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب شبّه
دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار
الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق
والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فإن قلت لم جاز إفراده بنصب
الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت إنما جاز هذا
لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أن انتصب نافلة حالا عن يعقوب
ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح فإن قلت أليس من حق
المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل
لا ندعي لأب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فإن قلت هل يجوز أن يكون صفة للمنفي
كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فإن قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو
في لا إله إلا هو قلت نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي
هي زيادة فيها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا عبد الله
شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فإن قلت هل
دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت

قوله الى تشبيه لا تؤدي الرؤية الى التشبيه اذ المراد بها ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله سترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر [illegible] تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولعل الرؤية الموهمة الى التشبيه بان تكون على وجه المواجهة والمقابلة فاهل السنة برءاء منها وهذا واضح ظاهر لمن لم يفسر كلام الله تعالى برأيه واما من يفسر برأيه بان يصرف كلام الله عن معناه ويحمله على ما هو هواه فلا يبالي بما يقول [illegible] ثم يقول لا يخفى انه ليس في الجبر الجور فانه مالك الملك يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد [illegible]

نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة واولوا
العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او هو خبر
مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته
من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في
افعاله **فان قلت** ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة
في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة و
البراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل
واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة
للجملة الاولى **فان قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله
قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل
والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه
او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو
الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحتين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد
الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الاسلام هو
التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض
مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة
على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة
من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع
على هم شهداء لله **فان قلت** فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم **قلت** على
الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فان قلت** لم كرر قوله لا اله الا هو **قلت** ذكره
اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما
قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف
بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا
الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل
من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله

وحدانيته اي اثبات ما يتعلق بالذات وعدله اي اثبات ما يتعلق بالافعال

قوله تعالى لا اله الا هو كرر للتأكيد مزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة ولتبنى عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما [illegible]

اثبات الصفات لا ينافي التوحيد [illegible] فاندفع الاعتراض على اهل السنة والجماعة زاد الله رفعة شأنهم

مفعول العلم

اي قوله الله بان تركهم التوحيد وقوله وقالوا اتخذ الى آخره بان تركهم العدل والمجموع بان قوله تركوا الاسلام وفيه لف ونشر

وقالوا نحن احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا بيان لقوله بغيا
بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في
نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم
من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين
حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين
بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم
في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي و
جملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين
القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن
عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين
اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم على كفركم بعد وهذا كقولك
لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل
فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة
وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما
يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم
منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول
منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
قرأ الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون
النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا

الذين في عصر النبي صلعم

فانما عليك البلاغ

وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رض قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم **يدعون الى كتاب الله** وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه **ثم يتولى فريق منهم** استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله **ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم **فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل باطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس

تريد ثلثة اناسي **قل اللهم** الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك **مالك الملك** اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون **تؤتي الملك من تشاء** تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك **وتنزع الملك ممن تشاء** النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير دون الشر **قلت** لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه

السلام كانوا يتولون عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية و المحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا فيعدى بمن وينتصب تقاة اوتقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضاه الله تعالى يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات و ما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه يوم تجد منصوب بتود

والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت وتكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه ينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه ولاملمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال اخب ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان

تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم

آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى و مريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران بعضها من بعض يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلى وهى حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى و هرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران ابن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هى في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشىء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبى محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فلما وضعتها

الضمير لما في بطنى وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنث الحال لان الحال وذا الحال لشىء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتأنث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كأنه قيل انى وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت انى وضعتها انثى وما ارادت بهذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشىء الذى وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضى الله عنهما والله اعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها اى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله وانى سميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومى لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضى بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشىء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من

قوله ويجوز عطف على قوله فرضي بها عقيب قوله فتقبلها ربها فالحاصل ان المصنف فسر قوله فتقبلها بوجهين الاول قوله فرضي بها والثاني استقبلها

قوله تعالى المحراب اي الغرفة التي بني لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس

انها عتيقة لولده وقبل ان ترشد وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس
بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكرياء انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع
عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكرياء فوق الماء و
رسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي
قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله و
تقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال
القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي
فاخذها في اوائل عمرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها
زكرياء بوزن فعلها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب زكرياء والفعل لله تعالى بمعنى وضمها
اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها
وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو
بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكرياء كافلا لها قيل بنى لها زكرياء عليه السلام
محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان
لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان
رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا
وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت
له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه
وسلم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله

الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم او من جملة كلام رب العزة عن من قابل بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسبه لا استحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب هنالك في ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى
حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في
النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة
في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فتعلق بها ذرية طيبة والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء
مجيبه فنادته الملائكة قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله
يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ان الله يبشرك بالفتح على اي بان الله
بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره يبشرك بيحيى
الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان
عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى من مناه قيل انه اول من آمن به
وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة
من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود
قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط و
يا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو
الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها
بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب
فقال ما للعب خلقت من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله
وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء
انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن
العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون
كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز

كذلك على الوجه الاول صفة مصدر وعلى الثاني خبر مبتدأ

والعجز الظاهر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي
يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت
بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس
لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس
لسانه عن الكلام للناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك
النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك
ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا
الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ
يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم
وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك و
تستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة والعشي من حين تزول الشمس الى ان
تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته
بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى
الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان
الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه
السلام او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية
وطهرك مما يستقذر من الافعال وما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي
مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين و
كوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في
صلاته ولا يركع وفيهم من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم

نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم
قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي
في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة
ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم وهي
قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا
بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل
عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت
وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق
قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا
في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان
الابناء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه
وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها
مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح
والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف
به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن
الصالحين وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم
على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته
للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا
عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت
بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير
ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من
ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم

وناصر متعلق بالياء فإن قلت علام تحمل رسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله إني قد
جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت
على إرادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين
يدي والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني
أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة أني قد جئتكم أصله بأني قد
جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل وأني أخلق نصب بدل من أني جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على
هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه فيكون
طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية
لكم إن كنتم مؤمنين فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا كسائر الطيور حيا
طيارا وقرأ نافع هنا وفي المائدة فيكون طائرا وقيل لم يخلق غير الخفاش الأكمه الذي
ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب
التفسير وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما
كانت مداواته إلا بالدعاء وحده وكرر بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الألوهية وروي أنه أحيا سام
بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا يا فلان خبئ لك كذا وقرئ
تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولأحل رد على قوله
بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم
مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر
فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت و
قرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى صلى الله عليه لأن
ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله و
أطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي
قوله إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من
آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض فإن قلت كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت
لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل و
الاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق

الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر
ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما أدعوكم إليه
ابتداء فقال إن الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش
فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس عيسى منهم
الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون فلما أحس فلما علم منهم الكفر
علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وإلى الله من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين
يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله
ملتجئا إليه نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات
الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح وفي
وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وإنما طلب شهادتهم بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم
القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون
لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة
ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ومكروا أي الذين أحس منهم
الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل والله خير الماكرين أقواهم مكرا إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك
الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلى محل كرامتي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض
من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن
وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف و
تستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال
بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين
كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فأحكم بينكم تفسير الحكم قوله فأعذبهم فيوفيهم أجورهم
وقرئ فنوفيهم بالياء ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر

ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم

[illegible] خبر [illegible] الحروف ويجوز ان يكون [illegible] ومثله صلته ومن الآيات الحكيم ويجوز ان

[illegible] ذلك [illegible] الحكيم [illegible] ينطق بالحكمة

لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ان شأن عيسى وحاله الغريبة

كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اى خلق آدم من تراب ولم يكن ثم

اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب

وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان

المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما

في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب

بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض

العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له

قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف

فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب

قدره جسدا من طين ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال

ماضية الحق من ربك فلا تكن من الممترين الحق خبر مبتدا محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر

محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات و

الطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا و

نساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما

جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر

في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اى يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة

ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة

وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل

الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة

قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال

والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله

ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم

والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين

آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران

يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا

ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على

دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال

اني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا

عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية

من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا

قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس

الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم جاءت

فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه

الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء و

النساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته

وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك

خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز

الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون

مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم

في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون

بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة

نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا لهو القصص

الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ان هذا الذي قص

عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو

منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق

خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر

بأن دخولها على الفصل أجيز لأنه أقرب إلى المبتدأ من غيره وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن زائدة وقصدها من إله
إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في
تثليثهم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا
من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء
بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله ألا نعبد
إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم و
ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق
أو صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء
فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا
بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم
لي الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن
الحق بعد ظهوره يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون زعم
كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما
حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين
عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى
لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم
لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه
وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم وعن الأخفش ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام
قلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته

والله يعلم ما حاججتم فيه وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينهم وما كان إلا حنيفا مسلما وما كان
من المشركين كما لم يكن منكم والمراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم عزير والمسيح إن أولى الناس بإبراهيم
إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين
آمنوا من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي اتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا
على إبراهيم والله ولي المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون نزلت في اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم إذ
العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم أو وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وبال الإضلال إلا عليهم
من أشياعهم يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون بآيات الله بما نطقت به التوراة والإنجيل وكفرهم بها
أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو
تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا
وأنتم تعلمون أنها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق
مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وقوله إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار أوله
قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين
في أول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر
قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في
دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في
دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل
عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم
يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
إلا لأهل دينكم دون غيرهم أراد وأسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم
ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى
الإسلام أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا

ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة. فإن قلت فما معنى الاعتراض؟ قلت معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين. وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق. أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم. وقوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم. والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد. فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا؟ قلت معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم. ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم. وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم. ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا.

ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

عن ابن عباس من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه، ومن إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه. وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم. إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه. وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها. وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر حرف المضارعة. دمت بكسر الدال من دام يدام. ذلك إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده

أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا. وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة. وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا؟ قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيبة أنفسهم. ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون.

بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين

بلى إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم. وقوله من أوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها. والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه. فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله. قلت أجل لأنهم إذا أوفوا بالعهود أوفوا أول كل شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء. فإن قلت فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من؟ قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير.

إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب. يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك. وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله وأخذوا الرشوة على ذلك. وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل

فقالوا نعم فقال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا
حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي
نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فيّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي
فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في
رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب
وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم و
السخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني
عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز قلت اصله فيمن
يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى
صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى
الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لفريقا
هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا رؤوسهم وعن
مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء
حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه
قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم
بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا
وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة
وعن ابن عباس رضي هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا
كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه
بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون

الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما
يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه
قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل
علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب
كونكم دارسين للعلم كما اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان
مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم و
تعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى
درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل وتدرّسون من التدرّس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون
بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس
وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث
لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد
معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى
اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان
تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة
واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على
ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وايأمركم للبشر

وقيل الهمزة في أيأمركم للانكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

ميثاق النبيين فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد ابن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي وقرئ أصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر وأن يكون جمع إصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة

بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون

فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل روي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال عليه السلام كلا الفريقين بريء من دين إبرهيم عليه السلام فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه وكرها بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه فإن قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على طريق الانتهاء فقد تعسف ألا ترى إلى قوله بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الإسلام يعني التوحيد وإسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام بالإدغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد

من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا
مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن
الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت فإن
قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن
معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وكقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم
الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا
ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم قيل نزلت في الحرث بن سويد
حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة
فتاب وقبل رسول الله توبته إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون إن
الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين
ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد و
القرآن أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم
فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل
آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص
بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة فإن قلت قد علم أن المرتد كيف
ما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت
على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود والمرتدين
الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فإن قلت فلم قيل في
إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل قلت قد أوذن بالفاء أن الكلام
بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول التوبة هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن
الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا
في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فإن قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى
الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة

القلوب وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر قلت لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام
ولا يموت على الكفر فإن قلت فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول
التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف
من أجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال
عندي عشرون نفسا رجال فإن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى
كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته
ضرب زيد تريد مثل ضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية
ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء ومل الأرض بتخفيف
الهمزتين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة
البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من
أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا
شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها
يا رسول الله حيث أراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح وإني أرى
أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة
بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد
في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله
تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من
سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء
بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم

لحاجته إليه يوم أوضع في حفرته. وفي قراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في من شيء للتبعيض ونحوه أخذت من المال. ومن شيء في ما تنفقوا من شيء بيان لما تنفقوا أي من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فإن الله عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه. كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون

كل الطعام كل المطعومات أو كل أنواع الطعام. والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا. وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه. ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم. والذي حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الإبل وألبانها. وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه. وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء. والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا. وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم. قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه. فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما لزمتهم الحجة القاطعة فأولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات. قل صدق الله فاتبعوا

ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين

قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه. إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين

وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله. ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة. وعن علي رضي الله عنه أن رجلا قال له أهو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش. وعن ابن عباس هو أول بيت حج بعد الطوفان. وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته. وقيل هو أول بيت بناه آدم في الأرض. وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات. للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الإبدال أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة. وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد. وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها. وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة. قال إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكه. وقيل تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله. مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار. وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم. مقام إبراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات. فإن قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته

على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة. واما في اشتماله على آيات فلان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية و الانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية. ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة. وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في روايته فيه آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان. فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية. قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله. فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه. وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه. ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله او لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا. وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب. وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه. وعند ابي حنيفة رض من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج. وقيل آمنا من النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا. وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ

باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة. وعن ابن مسعود رض وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام. من استطاع بدل من الناس. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء. وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد. وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج. والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه. وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته. ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين. ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر. ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان. ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه. وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب. وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة. وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه. وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت. وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا. وقرئ حج البيت بالكسر

قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين

والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجترئوا على الكفر بآياته. قرأ الحسن تُصِدّون من أصدّه عن سبيل الله بموضع حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم. وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة. فإن قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال؟ قلت فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم. وأنتم شهداء أنها سبيل الله التي لا يصد عنها إلا الضلال أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم وهم الأحبار. وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال. قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تآلفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون

وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب والمعنى من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله يبينها لكم ويعظكم وينبه شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول إذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده. حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا. وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني إلا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه وقت الإتيان

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم. ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام. كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله. وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله و

قوله ومن منها انما ذكره لبيان اكتساب التانيث فانه
قبل المضاف لا يكتفي من المضاف اليه التانيث الا اذا
كان بعضا منه نحو تلتقطه بعض السيارة او فعله
نحو اعجبني مشي هند او صفته نحو اعجبني حسن هند
ولا يجوز ان يقال اعجبني غلام هند ٥

وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم • وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها
في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على
حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع
في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك
هم المفلحون ولتكن منكم من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح
له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف
وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار
على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة
حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل
محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب
وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح
فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع
والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان
ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن
النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان
لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه

قوله وتشرق بالقول الذي قد اذعته يقال شرقت بالماء كما يقال غصصت باللقمة و
اذعته اي افشيته خاطب مذياعا وتشرق بالقول الذي افشيته ورميته و
اطرحته للناس كما ان الشاة عند الطعن شرقت بالدم ولا تشربه ٥

قوله لان الامر متعلق بمحذوف اي انما اشفق
الاشرف عليه يقال اشفى على الشيء
اشرف عليه ٥

قوله ترتيب الامر اعلم ان هذا الامر واحد لا احد
بخلافه في قوله الامر بالمعروف فانه واحد الاوامر
والضمير من اقامته يعود الى الامر في قوله

وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته
مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب
لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت
كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تارك الصلاة وجب عليه الانكار
لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان
والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان
قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى غيره عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان
لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول
ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف
قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة
الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه و
تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم
البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة
والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض
وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من
اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين
يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته
واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم
فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم
برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه
بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج

... على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار ثلاثاً شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى
تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو أمامة أتقوله برأيك أم سمعته من رسول الله
فقال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام
فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم كثيراً فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار
لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي
الثواب المخلد فإن قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع
الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات
الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور تلك آيات
الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه
وما الله يريد ظلماً فما يأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلماً وقال
للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا
بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع
طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً ومنه قوله تعالى كنتم خير أمة كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل
كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به أخرجت للناس أظهرت
وقوله تأمرون كلام مستأنف بيّن به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما
يصلحهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله لأن من
آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه
فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك
هم الكافرون حقاً والدليل عليه قوله تعالى ولو آمن أهل الكتاب مع إيمانهم بالله لكان خيراً لهم لكان الإيمان
خيراً لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان
الإيمان خيراً لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا مما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز
بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين ومنهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضرراً مقتصراً على أذى من طعن في الدين أو تهديد
أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل ولا أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر
من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم

وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالي به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام
منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون
قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت
فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار و
حين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية
أنهم مخذولون منتفٍ عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت فالذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة
الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فما
معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم
الأدبار فإن قلت ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على
طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت
ولذلك جاءا من غير عاطف ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس بحبل من الله
في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم
عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس
يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية
وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة
غير ظاعنين عنها وهم اليهود وعليهم لعنة الله وغضبه ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير
حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أي
ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله و
اعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب
المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه ما حكي أنهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس
بالباطل ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله
عليم بالمتقين الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام
مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بياناً لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة مستقيمة

عادلة من قولك أمّتُ العوج فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبّر عن تهجّدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدلّ على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلّونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لأمّة أي أمّة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في تولّيه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقّوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عزّ وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيضه فإن قلت لم عُدّي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعدّيان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضُمّن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تُحرموه بمعنى فلن تُحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون الصرّ الريح الباردة نحو الصرصر قال:

لا تعدلنّ أتاويّين تضربهم ... نكباء صرّ بأصحاب المحلّات

كما قالت ليلى الأخيلية:

ولم تغلب الخصم الألدّ وتملأ الجفان ... سديفا يوم نكباء صرصر

فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صرّ قلت فيه أوجه أحدها أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة فوُصف بها القِرّة بمعنى فيها قِرّة صرّ كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصرّ مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيّعني فلان ففي الله كاف وكافل وفي الرحمن للضعفاء كاف شبّه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع

الذي حسّه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقرّبون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبّه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأُهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشدّ وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلّة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصرّ والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثّلا بالريح قلت هو من التشبيه المركّب الذي مرّ في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقّة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة وقرئ ولكنّ بالتشديد بمعنى ولكنّ أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنّه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيّه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبّه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلّقه بلا تتّخذوا وببطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الأمر يألو إذا قصّر فيه ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد ودّوا ما عنتّم ودّوا عنتكم على أنّ ما مصدرية والعنت شدّة الضرر والمشقّة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنّوا أن يضرّوكم في دينكم ودنياكم أشدّ الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يُعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطّلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بيّنّا لكم الآيات الدالّة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بيّن لكم فعملتم به فإن قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز أن تكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأمّا قد بيّنّا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلّها على وجه التعليل للنهي عن اتّخاذهم بطانة ها أنتم أولاء تحبّونهم ولا يحبّونكم وتؤمنون بالكتاب كلّه وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في

من اهل الكتاب. وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء
وقيل هو الموصول اي تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد
بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف
المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري
فأقتل اقواما لئاما اذلة ... يعضون من غيظ رؤوس الاباهم
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد
غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك
من الذل والخزي والتبار. ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق والغيظ
وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف
معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل
غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان
شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما
يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا
يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار
بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك. الحسنة الرخاء
والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم
حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا
ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة. ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك. اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا. وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم
عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في
كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد
كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان
يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد
فضلا في نفسك. ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء

بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه. واذ غدوت من اهلك واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة
وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال
عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا
اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في
منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته
فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا
رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد
صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل
يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في
عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا. تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد
للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في
معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك و
الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم. اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع
عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح
ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن
حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم

الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة
من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر
فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما
فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله وان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية
والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه وليها قلت معنى ذلك فرط
الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة
غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله
والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم
الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة و
الاذلة جمع قليل والذلة جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان
بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة و
المدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسول الله لعلكم تشكرون بتقواكم ما
انعم عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا و
تتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم و
لتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر
او بدل ثان من واذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقوله لهم يوم احد و
لم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم
يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن
يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي

للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد
لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال وان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد
مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره
الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رضه الامر على الفور لا على التراخي
وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج
على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم
هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر
فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر و
مسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر
مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد
مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر
صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان
الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك
مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في
حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم
او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب
لاكبت حاسدا وارى عدوا هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله
وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر
وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب بان وان يتوب
في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او

ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي
على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل
شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم
فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر
لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين
للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله أو يتوب عليهم أو
يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الأهواء
والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون من
ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير يا أيها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة نهي
عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون كان أبو حنيفة
رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في
اجتناب محارمه وقد أتبع ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة
رسوله ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي
ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن
من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضى الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا
بغير واو وقرأ الباقون بالواو ويبصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى
المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والأرض أي عرضها كعرض السموات
والأرض كقوله عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما
علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله
بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض
الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن

ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة و
عن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة ولا
تثنيهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء عن المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو حبس
فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في
ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين الغيظ كظم القربة
إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر
ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه
أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي
غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم
القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله
وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن
ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا
أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين والذين عطف على المتقين أي أعدت
للمتقين وللتائبين وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك فاحشة
فعلة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم
النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله
تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة
الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله
وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما
يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع
عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده
معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا

على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف
النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد
عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات
متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك
فقد كابر عقله وعاند ربه فلا اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين
اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون و
روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي
على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة
جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها
كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح
محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي
قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر
في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني
انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون
قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون
قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن
الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد
او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان
قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة

وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان
توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم
الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس قرئ قرح
بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال
قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم
قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا
ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان
يخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين
قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام
تلك مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام
تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء
وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم
الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين
ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا
عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضه لا سواء قتلانا في الجنة
وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة فاني
برد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين وليعلم الله الذين آمنوا فيه
وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا
فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم
موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى
عليهم وليبصرهم ان العبد يسوؤه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما

قال الشاعر لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه ومنه قول آخر
اذا قال قد في قال بالله حلفة لتغني على ذا انا بك اجمعا على رواية من روى لتغني بفتح
اللام والياء وقيل ان الرواية بفتح اللام من لتغني غير صحيحة بل الرواية بكسر اللام من
الصحيح اذ لا يحذف النون الخفيفة من مثله الا بشرط ملاقاة الساكن والصواب انه
جاء الرواية بفتح اللام ايضا وانه حاء حذف النون الخفيفة من غير ملاقاة الساكن كقول
الشاعر اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس اصله اضربن
حذفت النون الخفيفة وابقيت فتحة الباء

يوما فلعمتم وليتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او و
ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب
من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممتحصين من الذنوب والتمحيص التطهير
والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص
وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا
لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله
في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما
مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله و
قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف و
روى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ولقد كنتم تمنون خوطب به الذين لم يشهدوا يوم
بدر وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم
الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني كنتم تمنون الموت
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه
معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا
توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة
ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد
متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب
دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان
الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رض حين نهض الى مؤتة وقيل له
ردكم الله لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه
مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر
قتله فانكفؤوا فجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على
هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس
ابن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء
به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال
يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم والمعنى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم
فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين اظهر قومه افائن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان
يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان
قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من
ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر
قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا
ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن
رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيئا فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي
الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
وسيجزي الشاكرين المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا

يعني لو كانت اماتة الانفس مقدرة للنفس
فلا تتاتى من النفس الاماتة الا باذن الله
ومشيئته لا سيما اذا لم يكن مقدرة كيف
تتاتى منها الاماتة بدون اذن
الله تعالى

هذا اشارة الى ضعف هذا القول
وهو ان يكون المراد بالانقلاب
الارتداد
ويجوز ان يكون ما كان اسم الا والخبر قوله
من قول المنافقين ومن للتبعيض اي لكن
الذي وقع بعض قول المنافقين و
تحقيق معنى الاستثناء ههنا ان تقول
لا بد من صحة المستثنى المنقطع من
مخالفة المستثنى للمستثنى منه في نفي
الحكم الذي ثبت للاول نحو جاء القوم
الا حمارا او في ان المستثنى حكم آخر غير
حكم المستثنى منه نحو ما زاد الا ما نقص
فما مصدرية هي مع ما بعدها في موضع
نصب على انه اسم لكن وفي زاد ضمير
يرجع الى متقدم ومفعوله محذوف اي
ما زاد شيئا لكن النقصان
حصل

أن يأذن الله فيه تمثيلاً ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله ومنه
على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحداً
لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو
والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتاباً مصدر مؤكد لأن المعنى
كتب الموت كتاباً مؤجلاً موقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين
شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم
يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل
ربيون أو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائناً معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر
الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات
الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما
وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من
الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا أن قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم إلا هذا القول وهو
إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضماً لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها
مقدماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة
وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله ثواب
الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه
وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي
الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه
في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال

قوله تعالى ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب إذا محذوف وهو امتحنكم

غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم
يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا
على حكمهم وعلى مشاورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى
نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب
بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد من غير سبب ولهم القوة و
الغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن
قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما أشركوا بالله بسبب
إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم ما لم ينزل به سلطاناً آلهة لم ينزل الله بإشراكها
حجة فإن قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك قلت لم يعن أن هناك حجة إلا
أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد
ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ولقد صدقكم الله وعده أي وعده إياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى في قوله إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يمنعهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين
من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحداً
خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة
للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم تحسونهم أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى إذا فشلتم والفشل الجبن
وضعف الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف
أمر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون
بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة
وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صباً حتى هزموهم وقتلوا
من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها
ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل
عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن

حتى قد تكون حرف جر بمعنى الى في انتهاء الغاية نحو اكلت السمكة حتى راسها اى الى راسها وقد تكون حرف عطف نحو اكلت السمكة حتى راسها اى وراسها وقد تكون حرف ابتداء نحو مستانف بها الكلام نحو اكلت السمكة حتى راسها اى حتى راسها ماكول قال فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل اذا عرفت ذلك فنقول حتى هذه لا يجوز ان تكون عاطفة لان حتى العاطفة تجمع بين الاول والثاني في الحكم الذي ثبت للاول وهي مثل ثم في الترتيب والمهلة ويكون معطوفها جزءا من متبوعه ... فلابد ان تكون اذا شرطية ويكون جوابها محذوفا وهو متعلق حتى اذا ... فاما ان تكون حرف جر او حرف ابتداء فان كان حرف ابتداء ... فتكون اذا ظرفية مجرورة بها ... ظرفيته بدل من الليل ... قراءة لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا كذا في قراءة من ... ودم اشكل اذا كان فيه بياض وحمرة

النصر ورحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اى فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتم لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب ابن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه كقولك رايت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان تكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم

انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث يظنون بالله غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم يعني من علم الله منهم انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمحص ما في صدوركم ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه

البيان للجملة التي قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلا
من الإخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من
يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن
يكون استئنافا فإنما استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه أن الذين
انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم
التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب
قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول
الله بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم خطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا
الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية فإن قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت
هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا فيها وأبعدوا
للتجارة أو غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فإن قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك
حين يضربون في الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك
حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في
النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت
ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد
الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده
من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء
وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما
يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط
وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى
المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل
في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم
تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار ولئن متم أو قتلتم لإلى الله
تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه
وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات
فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما
نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم
وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله
إتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم
ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد
أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم
وعن أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب إذا لم
يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم
وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فإذا عزمت
بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا إن
الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي
ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك
من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا
وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما
يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه
فليتوكل المؤمنون

لا ناصر لهم سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته فان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب و

قوله والمعنى بمعنى سواء قلنا التقدير هم كدرجات او قلنا التقدير هم ذوو درجات فانه يجوز ان يكون المعنى تفاوت منازلهم ويجوز ان يكون المعنى التفاوت بين الثواب و العقاب

العقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين لمن من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم المنتفعون ببعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد

من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله و المعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شىء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اى بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الآذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روى ان عبد الله بن ابى انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدى وقد كف بصره لو امكننى لبعت دارى ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشىء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راى عبد الله كان فى الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعنى انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعى قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود فى افواههم معدوم

فى قلوبهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجرى بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا فى اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار وقعدوا اى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعنى ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذى هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين فى انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون فى مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين فى قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اى ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو فى الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا فى قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين و قتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء

حضرٍ بين مُعجَّلًا لهم رزقُ الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله
أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يُقتلوا فيلحقوا
بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم
ومنزلتهم أن لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم
من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر
حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد
والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه
في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله أن لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون من زيادة النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل
لهم ولا يضيع وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة
اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح
روي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في
طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة
حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم
حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين
أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت
لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير الذين قال لهم
الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال
صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران
فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم

إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر
من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم
يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد
وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم
فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في
سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم صلوات الله
عليه حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا
خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش
السويق وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه
فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما
يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من
ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت إلام يرجع المستكن
في فزادهم قلت إلى المقول الذي هو أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا
الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده
فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم
على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان
بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان
لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال
نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به حسبنا الله محسبنا
الله أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل
حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم
الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في
التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو

واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالام رجع الضمير في تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما

في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله تعالى المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان الاملاء خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم

من منا وفيكم لا نفاقكم على المتصدقين جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير** ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليهم بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق** سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لم يفتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا **ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد** ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن **الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي ويدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين

الآيات وقد الزمهم الله ان ابناءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم
ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بالزبر وبالكتاب
بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي
قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد
كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف و
الكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ
اليزيدي ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف
اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا
توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور
فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم
وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد
اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور
وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى و
الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما
يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان

من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير
فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه
من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا فبئس ما يشترون واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب
اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا
على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من
تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما
لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن
كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن
علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ
ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة
وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء
على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا
يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت
شيئا فريا وتدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه
بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل

اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا أن ابراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لأحب قربك وأحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا أبكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي أن الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذاك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار يذكرون الله ذكرا دائبا على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة

او لماذا الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما

خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق

العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا

حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد

اخزيته وما للظالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى

الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان

من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا

فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل

على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف

او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي

وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم

من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي الى الاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق

ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع

وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي

للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى

كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية

ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن

كعب القران ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين

بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا

على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة

على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول

وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان تكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا

على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب

وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد

قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله و

من باب اللجاء

الخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل

لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر

او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم

جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه

عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد

من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر

اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة

بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني

اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على

سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم

فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم

المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا

المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقدم بالتخفيف والتشديد

وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في

موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى

لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي

ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه

ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق

في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع الاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب

موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي من حزبه امر فقال خمس

مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا

خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذكر رفع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من

تقدمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و

سلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ

الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يكتسبون ويتجرون ويتدهقنون

عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروى ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل ثم مأواهم جهنم** متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **وبئس المهاد** وساء ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار** النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب** عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد **يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية

وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم **فان قلت** علام عطف قوله وخلق منها زوجها **قلت** فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر **فان قلت** الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته

أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها **قلت** لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنا شدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون في موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله واتقوا الأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وإذكار الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن

الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه وإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا** اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات **فإن قلت** كيف جمع اليتيم وفعيل لا يجمع على فعالى **قلت** فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار **فإن قلت** فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم **قلت** إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطل إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع
ماله اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني
جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر
وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في
سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا
تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله
المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى
الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا
عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو
ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا
ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال
الصبي ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في
الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين
الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله
معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال وهم على
ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم
فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق
ام ايوب لحوب وكأنه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا وهو مصدر حاب
حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية
في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط
في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته
العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان
خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء
فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج

عن يصرف للعدل والصفة فانها نعت صفات وان
كانت اصولها لم تبن لها وعدل المكرر العدل فانها معدولة
باعتبار الصيغة والتكرير

ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل
كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى
فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة
لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم
الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء
على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما
حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء
ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف
لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف
تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا
الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي
اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت
الخطاب للجمع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو
افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال
الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة
اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها
فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز
الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان
يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاءوا مختلفين في تلك
الاعداد وان شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع
على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها
فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما

وجدتم العدل فعليكم بها وقرئ فواحدةٌ بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم
واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوّى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر
ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك
أكثرت منهن أو أقللت عدلت بينهن في القسم أو لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن
أبي عبلة من ملكت ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى أن لا تعولوا أقرب من أن
لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه
إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول علي وقد روت عائشة رضي
الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعولوا ألا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي
رحمه الله أنه فسر ألا تعولوا ألا يكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله
يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك
ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من
أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا
يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن
بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب
شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب
من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة
طريقة الكنايات فإن قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر
قلت ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك
جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى
التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال
الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي
قصده وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدُقاتهن وصُدْقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن غُرْفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال
على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة نحلة من نحله كذا إذا أعطاه

إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه إني كنت نحلتك
جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء
فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم
أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات
أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن
وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن
مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه
وفرضه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا
لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه فإن طبن لكم عن
شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال
تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي
عن رؤبة أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى
ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم يخل
بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق ونفسا تمييز و
توحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من
الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من
شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه
بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية
أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله
تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت
ولا أقيله لأنهن يخدعن وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان
لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة
بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن
عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت
أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال إذا

جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله في الآخرة و
روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت
نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب
الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما
بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن
طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن
الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف
إلى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض
الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا
لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه وقيل
لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة والمريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه ومنه وصف للمصدر
أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ
هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة
عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم
فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا السفهاء المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي
لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من
جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم
قياما أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم
وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام
الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت
له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا
لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان
إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك

وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب
المال فلا يأكلها الإنفاق وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي
رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم
ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا
وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت
إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت
منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها
إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا
عليهم وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى إذا تبينتم
منهم رشدا أي هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح
للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف
في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى
يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي إلى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل
والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء أن تتتبع أحواله وتصرفه في الأخذ و
الإعطاء وتتبصر مخايله وميله إلى الدين والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال
فإن قلت فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر
إلى خمس وعشرين سنة لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع
سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع
إليه ماله أونس منه الرشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع إليه أبدا إلا بإيناس الرشد
فإن قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة
أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام
قلت ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل والجملة
الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح و
قوله فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة معترضة من شرط وجزاء واقعة

جزاءً للشرط الأول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاق دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقراءة ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فما لا بد له وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من

ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك

لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة **فان قلت** ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين **قلت** معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة الى حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صاف وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم في اولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر **قلت** ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا

يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به **فان قلت** فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان **قلت** اريد حال الاجتماع لا الانفراد اى اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اى من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولود ذات نساء خلصا ليس معهن رجل يعنى بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت **فان قلت** قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث **قلت** وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء **فان قلت** هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة **قلت** لا ابعد ذلك **فان قلت** لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة **قلت** لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها **فان قلت** قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر **قلت** اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم

الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الاثنين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما ثانيا قلت لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء السدس فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه قلت معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون الأم عن الثلث و

إن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم فإن قلت فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية قلت الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب تجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا إن الله كان عليما بمصالح

خلقه حكيماً في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن
ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل
واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار فإن
كان لهن ولد منكم أو من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق
النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل يعني الميت ويورث من ورث أي
يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث
خبر كان وكلالة حالاً من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء
للفاعل وكلالة حال أو مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلثة على من لم يخلف
ولداً ولا والداً وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه
قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عيّ وما كف عن جبن والكلالة في الأصل
مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة
فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالّة ضعيفة وإذا
جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي
ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسماً للقرابة
في الآية فعلام تنصبها قلت على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها
فإن قلت فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ
هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت
إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما
في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه
قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سوّيت
بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه
برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة
ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير
هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم ويدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من

الأم وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من الأم وقيل إنما استدل على أن الكلالة ههنا
الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم ههنا لما
جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئاً أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا
فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم
غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث
فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار
في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار
وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة
بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله
بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية
من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت
في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى
فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى
بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثمة
موصياً كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحاً فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل
ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالاً عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى
والوصايا والمواريث وسماها حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا
يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك
يدخله ناراً وقيل يدخله وخالدين حملاً على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالداً
على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات وناراً قلت لا لأنهما جريا على غير
من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالداً هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل
الله لهن سبيلاً يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى

وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل أو يميتهن الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة إن الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن **واللذان يأتيانها منكم** يريد الزاني والزانية **فآذوهما** فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله **فإن تابا وأصلحا** وغيرا الحال **فأعرضوا عنهما** واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما يدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر **فإن قلت** ما معنى من في قوله من قريب **قلت** معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين

وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد ...... فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار **أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما** في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة **فإن قلت** من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل

عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها
الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها وعن أبي قلابة
ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا
حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل
لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس
ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح
وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء
منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها فقيل وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن
قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء
إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى
تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء
فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير
المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد
أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة
ليست من أعلم النساء والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء
منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له
وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم
ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا والميثاق
الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بإفضاء بعضكم إلى
بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري
بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب
الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا
فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون

روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي
ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد
على ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من
الكراهة والإكراه وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر
الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وآتيتم إحداهن بوصل همزة إحداهن كما قرئ
فلا إثم عليه فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد
النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن فإن قلت أي فرق بين تعدية ذهب بالباء
وبينها بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الإذهاب
فكالإزالة فإن قلت إلا أن يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من أعم عام الظرف
أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن
لعلة من العلل إلا أن يأتين بفاحشة فإن قلت من أي وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط
قلت من حيث أن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثني
غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره
وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو
قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في
حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن
تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما ومعنى حرمت عليكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم
لحم الخنزير تحريم أكله وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى
المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته و
كل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته
وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من
غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم

الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان
يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطئ امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية
لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطئ الاب اياها وهذا
المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة
على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها **فان قلت** هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم **قلت**
لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق
بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احدى المتعلقين
خلاف معناه مع الاخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من
لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح ان تعنى بالكلمة الواحدة
في خطاب واحد معنيين مختلفين ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض
امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات
بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان
تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان تتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة
فارسلوا ما ارسل الله عن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روى عن علي وابن عباس وزيد و
ابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما
نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما
قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير الزوج ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في
غالب الامر ثم اتسع فسميا بذلك وان لم يربهما **فان قلت** ما فائدة قوله في حجوركم **قلت**
فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم
اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة

قوله كره ان يخلف على امها اى كره ان يخلفها على امها اى ان يجئ
بعدها على امها ومن قولهم خلف فلان فلانا جاء خلفه خلفا
وخلفة ومنها خلفة الشجر هي ثمر يخرج بعد الثمر الكثير

والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن
عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود ما معنى
دخلتم بهن هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر
والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رحمه الله وعن عمر رضي الله عنه
انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد
موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة
فيغمزها بشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر
الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب و
ارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد
حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما
انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان
التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء القراءة
بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج
فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر
فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم ذلك كتابا او فرضه فرضا وهو تحريم
ما حرم علام عطف قوله واحل لكم على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب
الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليماني
كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على
حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله
لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا
دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع

في اكرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان لا يكون مقدرا
وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكأنه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء
ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي
فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن عليه فأسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما
في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن
مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان
الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله
كان عليما حكيما فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام
او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل
ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت
متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى برجل تزوج امرأة الى
اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت
امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم
مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى
انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول
الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به
مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن
لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد
وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة
رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان
النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة
نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر انه لا
يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل

فحمل على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس
بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت
لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة
ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم
اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم
بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه
فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق
المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء و
ترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان
لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به
لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم
وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز
فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن قلت
لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف
حذف المضاف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان محصنات عفائف والاخدان الاخلاء في
السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب
ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم
الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة و
ضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها
فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير
لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم
اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد
اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان
يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا

بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الطاعات ان فعلتم لها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفرها
لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع
الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات
الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة
وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن
المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت
احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه
رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله
بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع من نحو السرقة والخيانة والغصب
والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن
تراض منكم او ولكن كونه تجارة غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة
عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى
المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه
الله وعند الشافعي رحمة الله عليه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من
كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض
الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه لا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم
الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا
لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك
ذلك اشارة الى القتل اى ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ

عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه
شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة
شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اى ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر
عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعله كان لم تكن لزيادة الثواب
المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر
والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة
وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من
الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان
رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء وندخلكم مدخلا كريما الجنة ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان
والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله
به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير
وعلم باحوال العباد وما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى جعل ما قسم
لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله
من فضله ان الله كان بكل شيء عليما واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن
سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في
الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر
واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من
الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي
وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر

قال الامة القسامة في اللغة اسم للاولياء الذين يحلفون على دعوى الدم وفي لسان الفقهاء هي اسم الايمان تقسم على الاولياء في الدم وهي اسم يقام مقام المصدر يقال اقسم اقساما وقسامة كما يقال اكرم اكراما وكرامة ولا يختص لقسامة بالذكور عند الشافعي ومالك واحمد رضي الله عنهم وصورتها ان يوجد قتيل في موضع لا يعرف من قتله ولا تقوم عليه بينة ويدعي الولي قتله على واحد او جماعة ويقترن بالواقعة ما يشعر بصدق الولي في دعواه ويقال له اللوث فيحلف على ما ادعيه ويحكم له بالقتل فيلزم الدية وان كان اولياء الدم متعددا سواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين يحلفون بقدر حصصهم من الخمسين واما عند ابي حنيفة فلا اعتبار للوث ولا ابتداء بيمين المدعي واذا وجد قتيل في محلة او قرية وادعى وليه قتله على رجل او جماعة باعيانهم يختار الامام ويقال يختار الولي خمسين رجلا من صلحاء تلك البقعة يحلفون خمسين يمينا انهم ما قتلوه ولا عرفوا قاتله فان نقصوا عن الخمسين كرر الايمان حتى يتم خمسين فاذا حلفوا وجبت الدية على عاقلة من بني تلك الخطة فان لم يعرف الباني او لم يوجدوا قلنا اخذت الدية من سكان ذلك الموضع وفيهم الحالفون في ثلث سنين وان لم يحلفوا حبسوا حتى يحلفوا او يقروا ه

كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من نعمة الله او لكل حظ من نعمة الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون **والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا** والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون الضمير في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده ويرث بحق الولاء خلافا للشافعي رحمة الله عليه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم **وبما انفقوا** وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن **من اموالهم** في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا

واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا **فالصالحات قانتات** مطيعات قائمات بما عليهن للازواج **حافظات للغيب** الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الآية وقيل للغيب لاسرارهم **بما حفظ الله** بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع** في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابع اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها **فلا تبغوا عليهن سبيلا** فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله

صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام. أو
إن الله كان عليا كبيرا فإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم
فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع. فإن خفتم شقاق بينهما أصله شقاقا بينهما فأضيف
الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار
أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم. والضمير للزوجين ولم
يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء. فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا
إصلاحا يوفق الله بينهما حكما من أهله رجلا مقنعا رضيا يصلح للحكومة والعدل والإصلاح بينهما وإنما كان
بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس
الزوجين ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك
ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه. فإن قلت فهل يليان الجمع
بينهما والتفريق إن رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس لهما ذلك إلا بإذن الزوجين
وقيل ذلك لهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما. وعن عبيدة بن
السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس
فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا
فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح
حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي. وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان. وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز. والألف في إن يريدا إصلاحا ضمير الحكمين وفي
يوفق الله بينهما للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق
والألفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة. وقيل الضميران للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين
والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق
حتى يحصل الغرض ويتم المراد. وقيل الضميران للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا
الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء
مودة. إن الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما
في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم. واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و

بالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو
غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد. وقيل الجار القريب النسيب
والجار الجنب الأجنبي. وأنشد لبلعاء بن قيس: لا يجتنبنا مجاور أبدا ذو رحم أو مجاور جنب
وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها
على عظم حقه لإدلائه بحقي الجوار والقربى. والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما
رفيقا في سفر وإما جارا ملاصقا وإما شريكا في تعلم علم أو حرفة وإما قاعدا إلى جنبك في مجلس أو
مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه و
تجعله ذريعة إلى الإحسان. وقيل الصاحب بالجنب المرأة. وابن السبيل المسافر المنقطع به. وقيل
الضيف. والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن أكارم أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم
ولا يلتفت إليهم. وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا. الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على
الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون و
يصنعون أحقاء بكل ملامة. وقرئ بالبخل بضم الباء وبفتحها وبفتحتين وبضمتين أي يبخلون بذات أيديهم و
بما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد. وفي أمثال العرب أبخل من الضنين
بنائل غيره. وإن امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل. ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من
إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما
نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده. وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا
من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون
وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس. وعن النبي صلى الله عليه
وسلم إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده. وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره
فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك
بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه. وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم. والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له
قرينا. رئاء الناس للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله. وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرئاء وكل شر

ويجوز أن يكون وعيدًا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا**
مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما وماذا عليهم وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله والمراد
الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت و
للعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارًّا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ
وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** الذرة النملة الصغيرة
وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال
كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على أنه لو
نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلمًا وأنه لا يفعله لاستحالته في
الحكمة لا لاستحالته في القدرة **وإن تك حسنة** وإن تكن مثقال الذرة حسنة وإنما أنث ضمير
المثقال لكونه مضافًا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة **يضاعفها** يضاعف ثوابها لاستحقاقها
عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبي عثمان النهدي أنه قال
لأبي هريرة بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يعطي عبده
المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف
حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد **ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل عطاء عظيمًا وسماه أجرًا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته وقرئ يضعفها
بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعّف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون **فكيف** يصنع هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم **إذا جئنا من كل أمة بشهيد** يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم **وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا** وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى
وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل تصير البهائم ترابًا فيودون حالها **و
لا يكتمون الله حديثا** ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون
أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لأنهم
إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ تسوى بحذف التاء

من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بإدغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه
استوى كزكى روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم
ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات
الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا
ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورأوا بسكر سناتهم كل [illegible]
وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق
العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى
على أن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم **ولا جنبا** عطف على قوله
وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا
والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب
إلا عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال فإن قلت كيف جمع
بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال
أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة
لقوله جنبا أي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير معذورين فإن قلت
كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا
الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه
لا تقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه
وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد
فرخص لهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو
جنب إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد فإن قلت أدخل في حكم الشرط أربعة
وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند
عدم الماء منهم قلت الظاهر أنه متعلق بهم جميعا وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم

وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله فإن قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه فإن قلت قالوا إن من لابتداء الغاية فإن قلت قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء إن الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر فإن قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه وغير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط ألم تر من رؤية القلب وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم أنهم ضلوا بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض

أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

أي فمنهما تارة أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا قولهم غير مسمع حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فإن قلت كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان

وراعنا اجوبة المتشبه وعادة التعن ويجوز ان يبقى فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم
لما لم يسلموا جعلوا كانهم نطقوا به وقرئ ابى وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان
قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم
عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم
بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا
منهم قد آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على
ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب و
انف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء
للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها
بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه
آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم
ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم
صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير
فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه
لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات
او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت
هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة
ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم
او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل
لسان والظاهر ان اللعن المتعارف دون المسخ الذي الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله
مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر
الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت

جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون
الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار
ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد
افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مختلق ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من
زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك
حين قال له المنافق اعدل في القسمة اكذابا له اذ وصفه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان
من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان
تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء
يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم
يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى به
بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان
وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال
كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن
ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى
سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون
ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم

نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير
لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك
أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق
وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم
قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم
لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب
وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس بل أيحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم
الله من فضله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء
الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه
الله مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان
وقيل استكثروا نساءه فقيل كيف استكثروا له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة
مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم
نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا و
عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فمنهم فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من
اليهود من آمن برسول الله ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله
فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها فإن قلت كيف تعذب
مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن
فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع
مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه
شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه

لما يزلف إليها المتقين تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن
طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح
أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم
أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه و
سلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت
فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال
لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
فهبط جبريل وأخبر أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم
بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا نعما ما إما أن تكون منصوبة
موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به ذاك وهو المأمور به
من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم
وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم
فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين
لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين و
من تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة
لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي
الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد
أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن
المنكر فإن تنازعتم في شيء فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه
إلى الله والرسول أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح
الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل

في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك إشارة الى الرد اى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم وأصلح وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك يعني يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك الا إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك و

عطف بلا بعد النفي والاستثناء وقد منع جواز ذلك بعضهم

هذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا فان قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغا اى قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اى قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم ولا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ او قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط الا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه توابا اى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه

الدغل بالتحريك الفساد مثل الدخل يقال قد أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده

وما هذه المكافة عطف على لا فرق اى انتم مثل الكفرة وانما ترك القتال معكم لإظهاركم الإيمان

محضته الود وأمحضته وكل شيء أخلصته فقد أمحضته

الشجر لتداخل أغصانه حرجاً ضيقاً أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكاً لان الشاك في ضيق
من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليماً وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه
بشيء من قولك سلم لامر الله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له
خالصة وتسليماً تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه
بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن
أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى
يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه
السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا
فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا
أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس
ابن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها و
روي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده
إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب أنه
قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب
ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل
من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا قليل منهم
وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلاً بالنصب على أصل الاستثناء
أو على إلا فعلاً قليلاً ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه و
يحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيراً لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتاً
لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذن جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما ذا يكون لهم أيضاً
بعد التثبيت فقيل وإذن لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذن جواب وجزاء من لدنا أجراً عظيماً كقوله ويؤت
من لدنه أجراً عظيماً في أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجراً لأنه تابع للأجر

وعندنا الكل بطريق التفضل ه

فمنهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم
والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى
بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى
بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته
وأموالهم في مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان
أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونوا كمن يرى الشيء
قريباً وهم الأنبياء أو لا فيكون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات يطمئن إليها نفوسهم
وهم الصالحون ه

لا يثبت إلا بثباته ولهديناهم صراطاً مستقيماً ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله و
الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والصديقين أفاضل
صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم
وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات
عنده وحسن أولئك رفيقاً فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً ولاستقلاله بمعنى
التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب وحسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك
بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز
أن يكون مفرداً بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه و
عرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من
وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت
الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت فقال صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده
والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ الفضل صفته من الله الخبر ويجوز
أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة
المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم وكفى بالله عليماً بجزاء من أطاعه أو أراد أن
فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليماً بعباده
فهو يوفقهم على حسب أحوالهم يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر و
الأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه
ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فانفروا إذا
نفرتم إلى العدو وإما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعاً وإن منكم لمن
ليبطئن وإما جميعاً أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة
وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن
جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من

والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم
المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقاً ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ
بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان
وأبطأ عليه وبطؤ نحو ثقل ويقال ما أبطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولاً من بطؤ
نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله
بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة قال قد أنعم الله علي إذ لم
أكن معهم شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فأفوز فوزاً عظيماً فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن
ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون
المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم
لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسداً لهم فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه
العكس تهكماً بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفاً على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني
فيكونا متمنيين جميعاً ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت يشرون
بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه
فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون
الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن صد الذين مرضت قلوبهم
وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً
أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل
لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً والمستضعفين فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله أي
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوباً على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص
المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار

من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة
فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص
ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من
لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر
ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس
كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة فإن قلت لم ذكر الولدان قلت
تسجيلاً بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم
الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء وعن
ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء
الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل
للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة فإن قلت لم ذكر
الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو صفة للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطي إعراب
القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث فقيل
الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث فإن قلت هل يجوز
من هذه القرية الظالمين أهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني
البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً
بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا
ولي لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه
كفوا أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا
بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكاً في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفاً من الموت يخشون الناس كخشية الله من إضافة
المصدر إلى المفعول فإن قلت ما محل كخشية الله من الإعراب قلت محله النصب على الحال من

الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى
او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر و
هو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت
ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية
لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية
فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية
الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده
فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله و
يجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد
خشية منها لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق قل
متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على
مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ يدرككم
بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم
كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون
فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ
قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون
مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ
نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة
وانما الشاعر قارضها وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب
ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما

كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح
قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انهم تشاءموا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق
ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك
صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله
تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب
فيها بما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت
رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى
بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر
الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله
وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم الا نذيرا لا حفيظا
ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم
بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول
المرتسم سمعا وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت
فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على
الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي
تقول بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف
ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما
ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله
يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى

اليك فيطلعك على أسرارهم فلا تحسبوا أن ابطانهم يغني عنهم فأعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم
وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره
وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى
الفريق والفوج. تدبر الأمر تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم
استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا
لو جدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا فيه اختلافا كثيرا وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به
متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا
عنه يمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه
وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب
كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق أخبار علم أنه ليس إلا من
عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه فإن قلت أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان
مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلاف
قلت ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال
ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة
أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى
أولي الأمر وهم كبار الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم
تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم
بأمور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر
على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر
فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه
إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون
ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا
غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي
الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه
منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول

وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة
وهو أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل
من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه و
استنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير
فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم
الشيطان لبقيتم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال
وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك
لا تكلف إلا نفسك غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله هو ناصرك لا الجنود
فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى
إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا
فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ
لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض
المؤمنين وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا
وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا
السويق ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء
مقيتا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي
بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق
من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه
المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا
أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لأنها في معنى الشفاعة
إلى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال
له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا
وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وكنت على إساءته مقيتا

وقال السموأل الى الفضل ام على اذا حوسبت انى على الحساب مقيت اشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا ها فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابى يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعى السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابى يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام او غيره وذكر الطحاوى ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على الاجنبية ويسلم الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدا وعن ابى حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهودى بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبى انه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس فى رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعى وعن ابى حنيفة رحمه الله لا تبتدئه بسلام فى كتاب ولا غيره وعن ابى يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه فى دنياه ان الله كان على كل شىء حسيبا اى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة

فائدة الواو فى وعليك السلام ان تكون عطفا على محذوف اى علينا السلام وعليك السلام

السام الموت وقيل السام والذام الشتم واللعن

الصواب ههنا عليكم بغير واو وهو رواية الثقات

اى يحشركم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذى هو كونه كذبا واخبارا عن الشىء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غنى عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب فى اخباره ولا يبالى بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهاتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا انى صادق فى قولى لا لقلتها فكان الحكيم الغنى الذى لا تجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم فى المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روى ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله فى الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم فى شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اى ردهم فى حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم فى الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هى لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين

اى لا ينشأ له راى ويبدو له بعد ندم

يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وقيل إن الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من أنسبائهم والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاؤوكم لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤوكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤوكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤوكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم ولم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد

والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود أن يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدم على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق

والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد
صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي رحمه الله كفارة الظهار فاشترط الايمان
وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان
اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها
الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول
فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه
فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان
اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث
من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة
لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من تجب الرقبة والدية **قلت** على
القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان
لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون
ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ ابي
الا ان يتصدقوا **فان قلت** بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه
او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على
الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله
بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه
الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله
شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم
جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين
الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى
لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما توبة
قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فتاب عليكم

من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد
له عذابا عظيما هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ
ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان
كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ و
التشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا
اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك
في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل
مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون
هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم
لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو
عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم
للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل
الكبائر **قلت** ما ابين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او
كافر تائب وغير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات
بدليل مثله يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى
الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام
وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا
وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك
اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن
فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا
وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال
فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ

ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة «تبتغون عرض الحيوة الدنيا» تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع
النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه «فعند الله مغانم كثيرة»
يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله
«كذلك كنتم من قبل» اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت
دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم «فمن الله عليكم»
بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا
لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله و
قوله «فتبينوا» تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم «ان الله كان بما تعملون خبيرا» فلا تتهافتوا في
القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما» غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدين
والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج
او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي
القاعدون من المؤمنين ~~غير اولي الضرر~~ والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله و
كيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا
يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها
والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي
القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير
عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت
العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد
ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به
التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صنعة الجهل الى
شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه

قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة
الاولى المتضمنة لهذا الوصف «وكلا» وكل فريق من القاعدين والمجاهدين «وعد الله الحسنى» اي
المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم
الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير
من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم
قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون
درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض
كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من
التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا
فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا «درجات ومغفرة ورحمة» بدل من اجرا ويجوز
ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم
تفضيلات ونصب اجرا عظيما على الحال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة «ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي
انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم
جهنم وساءت مصيرا» توفيهم يجوز ان يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم
كقراءة من قرأ توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين
فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق
الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء
من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به
واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة
بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة
الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون

الى أرض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق من اقامة الدين بما يتخصص او علم انه فى غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتى اليك لم تكن الا للفرار بدينى فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ودرك المرجوّ من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمى مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان فى جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين ممتدين وبعض لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التى هى لا يستطيعون ما موقعها قلت هى صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشئ بعينه كقوله ولقد امرّ على اللئيم يسبنى فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيّق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدى كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة

الهاء الى الكاف كقوله من عنزى سبنى لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب السقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة الضرب فى الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابى حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشى الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعى رحمه الله ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعى رحمه الله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وعند ابى حنيفة رحمه الله القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضى الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء فى الحديث اقصارا لخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهرى تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واما فى حال الامن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة

يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها
بعده ان الائمة نواب عن رسول الله في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل
امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي
كان يحضرها والضمير فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح
ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير
المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصلي الامام باحدى
الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو و
تأتي الاخرى فيصلي بها ركعة بغير قراءة ويتم صلوته ثم تقف وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير
قراءة وتتم صلوتها ... على ظاهره عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك رحمه الله بمعنى
الصلوة لان الامام عنده يصلي بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم تصلي
بالثانية ركعة ويقعد قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك فليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا وفي وامتعتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت
جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ
وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم و
متبوءا لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة
واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من
مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر
بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته
واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين و
قعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها

وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على
مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى ان يطمئن
وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة و
التأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بان تلتجئوا الى ذكر الله و
دعائه واللجاء اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون
من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون
عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من
اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا بفتح الهمزة بمعنى
ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون و
روي ان هذا كان في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا ان الله كان عليما حكيما لا يكلفكم شيئا و
لا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس روي ان طعمة
بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده
فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه
فقتله بما اراك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم
قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله
كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل
الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي

ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يختانون انفسهم

يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم

كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق

طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبرآءة ونصروه فكانوا شركاء له في

الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت

لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم

ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات

وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف

عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم

ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم

وكفى بهذه الآية ناعية على الناس بما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين

انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون

ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة انه يرمي بالدرع في دار زيد

ليسرق دونه ويحلف ببرآءته فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت

لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد

ان عثر عليه ورميه الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة

الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما

مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك

وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم

خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله

عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا

يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل و

من يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة

لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لطف به لما وجد منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما

يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما ومن يكسب

خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه

البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف و

الشين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من

الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل

مع علمهم بان الجاني صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا

انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان

الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب

او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل

الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن

يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور

بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من

امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل

جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى

الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله

وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم

فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب

الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان

الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير

ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك

فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل

كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و

يتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع

حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل

المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي

بينه وبين ما اختار ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده

عو الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل
عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لسلاثة اوجه آ انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى و٢ انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن و٣ انه في غاية العداوة
والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته ١٥م

وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروى انه مات مشركا
وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى شيخ منهمك في الذنوب الا انى
لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله
ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما ترى حالى
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا
هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حى من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى
بنى فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله و
قرئ انثا جمع انيث كخبث وخبث واناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد
واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضى الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون
بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا لانه هو الذى اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة
لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا
مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسى من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل
الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك
مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولامنينهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة
الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان
فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على
انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو
في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بنى آدم فمحظور وعند ابى حنيفة رحمه الله يكره شرى
الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين
الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود
هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا مصدران
الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت

ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماينه الباطلة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون
في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
في ليس ضمير وعد الله اى ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا بامانى اهل الكتاب والخطاب للمسلمين
لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله و
عن مسروق والسدى هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل ان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله
وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى
على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء
لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لى عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله
وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات من
ذكر بعد ذكر تمنى اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله
الامانى واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك
تبين الامر ووضح ووجب قطع الامانى وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه
الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها
ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال
والثانية لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم
مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال
الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا
الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين

معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من
فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه
لا يقع نقصان في الفضل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها
ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم حنيفا حال من المتبع او
من ابرهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في
الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة
فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع
ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى
خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم
ساءه الخبر فغلبته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه
ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله
عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين و
معناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم
فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب
في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان
يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما
للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله
التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن و
انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم
بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله

من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي
يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير
فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في
ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من
الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة
عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك
والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين من الولدان
والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان
يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم
في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امرأة خافت
من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من
مخايله واماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة
وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من
طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما في
ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في
معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن
بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان
عايشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه
ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب
الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او
يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل
شيء او والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت

«لأنفس الشح» ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرًا لها لا يغيب عنها أبدًا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة
عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا
رغب عنها وأحب غيرها «وإن تحسنوا» بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة «وتتقوا» النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة «فإن الله كان بما تعملون»
من الإحسان والتقوى «خبيرًا» وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم و
امرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يومًا ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على أني
وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد
الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» ولن تستطيعوا و
محال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن
فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم
وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا
في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك
فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل
بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدًا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوى بينهن في القسمة والنفقة
والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو
كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن «فلا تميلوا كل
الميل» فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل
مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ
«فتذروها كالمعلقة» وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال: هل هي إلا حظة أو تطليق
أو صلف أو بين ذاك تعليق. وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة. وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة إلى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا
قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعًا و
كان لمعاذ امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في

قبر واحد «وإن تصلحوا» ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة «وتتقوا» فيما يستقبل غفر الله لكم. قرئ وإن
يتفارقا بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه «يغن الله كلًا من سعته وكان الله واسعًا حكيمًا ولله ما
في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» يغن الله كلًا يرزقه زوجًا خيرًا من زوجه
وعيشًا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر «من قبلكم» متعلق بوصينا
أو بأوتوا «وإياكم» عطف على الذين أوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية «أن اتقوا الله» بأن اتقوا أو
يكون أن المفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله «وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض» عطف
على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن لله الخلق
كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعًا في خلقه غير معصي
يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن
اتقوا الله يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون
عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم وإن تكفروا فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة و
الثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه «وكان الله» مع ذلك «غنيًا» عن خلقه وعن عبادتهم «حميدًا» مستحقًا
لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله «ولله ما في السموات وما في الأرض» تقرير لما هو موجب
تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية أصل الخير كله «وكفى بالله وكيلا إن يشأ يذهبكم»
يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم «ويأت بآخرين» ويوجد إنسًا آخرين مكانكم أو خلقًا آخرين
غير الإنس «وكان الله على ذلك» من الإعدام والإيجاد «قديرًا» بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده وهذا غضب
عليهم وتخويف وبيان لاقتداره. وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العرب أي إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه. ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس «من كان يريد ثواب
الدنيا» كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة «فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعًا بصيرًا» فما له
يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لأن من جاهد لله خالصًا لم تخطئه الغنيمة و
له من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط» مجتهدين في إقامة
العدل حتى لا تجوروا «شهداء لله» تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها «ولو على أنفسكم»
ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم فإن قلت الشهادة على الوالدين والأقربين أن

يقول أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم أو أقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده من كل ناظر فإن قلت لم ثنى الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحد لأن قوله إن يكن غنيا أو فقيرا في معنى إن يكن أحد هذين قلت قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله إن يكن غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبيرا ويجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا فإن قلت كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض

الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم إيمانا وهذا الذي أراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا فإن قلت لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أن إذا سمعتم هي أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة

يفعلون من خوض المشركين فيه أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة. وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذاً مثلهم أي مثل الأحبار في الكفر. إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم. **فإن قلت** الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع **قلت** إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. **فإن قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض **قلت** لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر. **فإن قلت** فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين **قلت** لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم. الذين يتربصون بكم إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم. يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق. فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة. وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم. وقرئ ونمنعَكم بالنصب بإضمار أن، قال الحطيئة:

ألم أك جاركم ويكون بيني ... وبينكم المودة والإخاء

فإن قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها. إن المنافقين يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم. والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه. وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة. يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة. ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف

ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه. أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة، وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه. ويجوز أن يراد بالقلة العدم. **فإن قلت** ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية **قلت** فيها وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه، والثاني أن تكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى أرآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق. روى أبو زيد رأت المرأة المرآة الرجل إذا أمسكتها له ليرى وجهه. ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحق يُرَؤُّونهم بهمزة مشددة مثل يُرَعُّونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤونهم كذلك. مذبذبين إما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراءون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم. ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون. وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان، إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه. وقرأ ابن عباس مذبذِبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم، أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى. وفي مصحف عبد الله متذبذبين. وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا ماضين على دبة واحدة، والدبة الطريقة، ومنها دبة قريش. بين ذلك وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان. لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين. ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء. أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق. وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا. الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض، وقرئ بسكون الراء، والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم. **فإن قلت** لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر **قلت** لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم. إلا الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين

الجزء السادس

فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين «وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا» فيشاركونهم فيه ويساهمونهم
فإن قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر. وأما تسمية من ارتكب ما
يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن
فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان
وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. وقيل لابن عمر ندخل
على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق. وعن الحسن أتى
على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج «ما يفعل الله بعذابكم»
أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أو يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم
وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن
قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب «وكان الله شاكرا» مثيبا موفيا
أجوركم «عليما» بحق شكركم وإيمانكم. فإن قلت لم قدم الشكر على الإيمان قلت لأن العاقل ينظر
إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة
المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره
«لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما» إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي
لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء. وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم «ولمن انتصر بعد ظلمه» وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية
فنزلت. وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء
ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا
عمرو بمعنى ما جاءني إلا عمرو ومنه «لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» ثم حث على العفو و
أن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب
إليه والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو ثم
عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على أن العفو هو
الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله «فإن الله كان عفوا قديرا» أي يعفو عن الجانين مع قدرته على
الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله «إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا» جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله

طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا وإجمالا فالكفر ببعض ذلك كالكفر بالكل في الضلال

وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة. ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن
يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» أي طريقا
وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة. وقد أخطأوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال «أولئك هم
الكافرون حقا» أي هم الكاملون في الكفر «وحقا» تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا
وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه
فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت إن أحدا عام في الواحد المذكر
والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان
فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة. ومنه قوله «لستن كأحد من النساء» «وأعتدنا للكافرين عذابا
مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما» سوف يؤتيهم
أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا
«يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة
بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك» روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء و
غيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى
فنزلت. وقيل كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنك رسول الله. وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا
ذلك على سبيل التعنت. قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية «فقد سألوا
موسى» جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه. وإنما أسند
السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت «جهرة» عيانا بمعنى أرناه نره جهرة «بظلمهم» بسبب سؤالهم الرؤية ولو
طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم صلوات الله عليه أن يريه إحياء
الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق «وآتينا موسى سلطانا مبينا»
تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا
بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين «ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم» بسبب ميثاقهم
ليخافوا فلا ينقضوه «وقلنا لهم» والطور مطل عليهم «ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت» وقد أخذ منهم
الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد. وقرئ ولا
تعتدوا ولا تعدوا بإدغام التاء في الدال «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم»

قرأ ورش عن نافع على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال

وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فبما نقضهم

نقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق
بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم
من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم
الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت
هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما
نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف
ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكذب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها
الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من
قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من
قوله بكفرهم فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب
او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم
بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم
بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم
وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان
العظيم التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر
ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على
وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا
بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود
سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي
فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء و

قوله لفي شك لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم ص

يطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة
فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب
وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه ما لهم به من علم فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به
وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم
كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا
قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس
من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين
ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون
ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا
حكيما وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او تجعل يقينا
تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء
علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل
وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن به
جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن قبل موته
بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها
يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه
ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان
متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت
الارض بقضيبه ثم قال اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت

الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية. قال اردت ان اغيظه يعني بزيادته اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية. وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به. ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع. فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لابد لهم من الايمان به عن قرب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله. وقيل الضميران لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم. وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم. فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما. فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة. والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها. وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا. بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب. لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما. لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه. والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون. والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنون من المهاجرين

والانصار. وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره. والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم. وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء. وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي. انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا. انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا. وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما. ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قد قصصناهم. وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل. وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب. ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن. رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما. رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير. فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها. قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له. وقراءة السلمي لكن الله يشهد بالتشديد. فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد. وقيل لما نزل انا اوحينا اليك

قال لكن الله يشهد يعني انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا
فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات
وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة تشهدون بذلك
قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة
ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي
قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه
كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه
انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل
انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين
برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية الى قوله واحاط بما لديهم و
الاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر و
المعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب الكبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا
بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها
يسيرا اي لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض وكان الله عليما حكيما فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على
الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم
مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله لا تغلوا في دينكم غلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد قرأ جعفر بن محمد
انما المسيح بوزن السكين وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة
اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة
المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم

اوصلها اليها وحصلها فيها ولا تقولوا ثلثة انتهوا ثلثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم
يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم
يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلثة
والا فتقديره الآلهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة آلهة
وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله و
قالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية
من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال
الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا
حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد حكاية لقوله
وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد
وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان
له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف
يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام و
الاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما و
لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع
اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا
وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت
من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني
لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة
العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف
الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين
لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم
ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم

في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف
بالطرف البين وقراء علي رضي الله عنه عُبيدًا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول
انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك
فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان
قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر
في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبيد ابوه فالعطف
على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو
ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم
جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من
الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا
عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون
فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت
هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين
احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني ان الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته و
يستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
اليه صراطا مستقيما البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين
ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه
الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل
من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله
فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك

ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ
غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط
الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله
فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس
في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم وهو يرثها واخوها يرثها
ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون
البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد
قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام
الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما
بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى
الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان
الكلالة تتناول انتفاء الولد والوالد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان
قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله
فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا
وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث
في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا
مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك و
كان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه و
الموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي
عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود
الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من

تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدّم مجملاً ثم عقّب بالتفصيل وهو قوله **أحلت لكم بهيمة الأنعام** والبهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام **الا ما يتلى عليكم** الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه **غير محلي الصيد** نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله **وانتم حرم** حال عن محلي الصيد كأنه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم **ان الله يحكم ما يريد** من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم **يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً** الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعاراً وعلماً للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمّو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصاً والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلاً ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلاً من ربهم وهو الثواب ورضواناً وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيماً لهم واستنكاراً ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولاً فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل

هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احداً عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمّي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم** اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنباً نحو كسبه وجرمته ذنباً نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنباً على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنباً وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا **ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا** وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم **وتعاونوا على البر والتقوى** على العفو والاغضاء **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار **واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **والمنخنقة** التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب **والموقوذة** التي اثخنوها ضرباً بعصا او حجر حتى ماتت **والمتردية** التي تردت من جبل او في بئر فماتت والتي **والنطيحة** التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح **وما اكل السبع** بعضه **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع **وما ذبح على النصب** كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه وقيل هو جمع والواحد نصاب

وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لا يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم

وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا

يعني اخترته لكم من بين سائر الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سألوا عما احل لهم منها فقيل قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والشاهين والباشق والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا واسم امساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه السلام

لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل فانه انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي
فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه
في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين سباع الكلاب والجوارح وعن
سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت
اسم الله عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى
ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله
واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم قيل هو ذبائحهم
وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس
انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن
الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما
المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي
عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور
وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما
عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن المحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين
لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما
الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح
الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها
ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء غير مسافحين
ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما
احل الله وحرم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق كقوله اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك
فتهاون عليه فان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت

لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما
عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران و
الابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك
عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن
الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة
قصدتموها لان من توجه وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت
ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان
يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر
كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح
مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء
على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين
من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد
معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على
الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو
دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل
لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره
لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع
العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه
على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر و
داود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه
وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح
براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ

الشافعي رحمه الله باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس قرأ جماعة وأرجلكم
بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة. فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت
الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم
المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها
وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في
الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال
ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب
من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب من النار وعن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا يتوضأ فترك
باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن
تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر
العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح
والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع يعني وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين و
قرئ فأطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا وإن كنتم جنبا
فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه
إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام و
ميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره
فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا عدي بحرف الاستعلاء
مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا

فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من أتبع على ملي فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنآن بالسكون
والنون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا
عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة
أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولا أن
تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف
فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل
في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار
الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه
وأحباؤه واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر
عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله
كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول
بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا
على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم
من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول
يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال
قبل الوصول إلى الثواب يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا
أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا
بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن
أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه
في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده و
نزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه

فقال من يمنعك مني قال الله فالقاها فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم
وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد
الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما
استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم
فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض
كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا و
حدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي
ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اني معكم اني ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم
ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ
بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه
لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا
منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم
موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهو ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد
ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل
سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم
النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم واخرجناهم
من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى قست قلوبهم وامهلناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية
اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين

اي ردي ذو غش من نحاس وغيره وجمعه قسيان كصبي وصبيان ودراهم قسية وقسيات

ان المراد بالوعد هنا الوعيد فان الشرط لئن اقمتم الى حسنا وعد والجزاء لاكفرن الوعد

فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من
الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة
يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة
وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه
الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا
تزال تطلع اي هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او
على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا
منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم يبعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل
فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما
ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اخذنا ميثاقهم
اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال
الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم فهلا قيل من النصارى لانهم
انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله ثم اختلفوا
بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري
بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى
المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو آية الرجم من الكتاب ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم يضطر
اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحا حكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم
وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق

ابان الشيء فهو مبين وابنته انا اوضحته يتعدى ولا يتعدى فاذا كان ههنا مبين متعديا يكون معناه لابانته ما كان خافيا واضافة الابانة الى الفاعل وان كان لازما فمعناه انه ظاهر في الاعجاز

وقيل يريد بالنور محمدا صلعم

او لانه ظاهر الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين

موسى وعيسى عليهما السلام الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما السلام اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم اذ لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم عليه السلام لما رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفة امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل معناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب ومحل انعم الله عليهما الرفع ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان وان جعل كلاما معترضا فلا محل له

... من أين علما أنهم غالبون ... من جهة إخبار موسى عليه السلام بذلك وقوله كتب الله لكم
وصل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه و
ما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا هاهنا قاعدون لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وأبدا تعليق للنفي المؤكد
بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للأبد فاذهب أنت وربك يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب
ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر
أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم
وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما
بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا
برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع
موافق يثق به إلا هرون عليه السلام قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى إلى
الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه
السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة
إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر
في إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير في إني بمعنى لا أملك إلا نفسي وإن
أخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح
العطف على الضمير المجرور إلا بتكرير الجار ... أما كان معه الرجلان المذكوران ... كأنه
لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه
وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع
منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا
بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم على
وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فإنها فإن الأرض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها ... كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم

... فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم
والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى عليه السلام
سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل
لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه
وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبابرة وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض
المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة
ودخلوها والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين
لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل
يوم جادين حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس و
يطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم
مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ... فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم
معاقبون ... كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة و
مثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه
... هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام ... اختلف في ذلك فقيل لم يكونا
معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا
لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لإبرهيم وملائكة العذاب وروي أن هرون مات في التيه ومات
موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة غير
كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء بتعذيبهم
بالعذاب فلا تحزن ولا تندم واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لأقتلنك هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة
الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا
فمن أيكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا
وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو اتل
نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين
وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق

وإذ قربا نصب بالنبأ اى قصتهم وحديثهم فى ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب

كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال انى اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره انى اخاف الله رب العالمين انى اريد ان تبوء باثمى واثمك ان تحتمل اثم قتلى لك لو قتلتك واثم قتلك لى كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى المراد بمثل اثمى على الاتساع فى الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم على ان البادى عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافى دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج عن حد المكافاة واعتدى لم يسلم

فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا فى شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى اريد ان تبوء بمثل اثمى لو بسطت اليك يدى وقيل باثمى باثم قتلى واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو

قوله لئن بسطت ما انا بباسط ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اى ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقوم للسوأة السوآء اى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على التسكين فى موضع النصب للتخفيف فاصبح من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائب من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا فى عاجل انا آجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعلته واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اى من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اى من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بنى اسرائيل ومن لابتداء الغاية اى ابتدأ الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة

وفتح النون لا لقاء حركتها عليها وهو قراءة ابي جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة واذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه القصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجميع في ذلك فما الفائدة في ذكر ذلك تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ وقال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو

حارث فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفون الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيمة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيز خبر ان لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان فما وجه قوله قلت لما فيها وتبارك بها الغرض او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية فان قلت اما يوجب الضمير في قوله وما هم بخارجين منها بالاختصاص قلت ليس بمختص بالاختصاص فانه يأتي للتأكيد كما يأتي لذلك كقوله

ولهم يفرشون اللبد كل طروقة اى يجعلونه فراشا والسارق والسارقة فاقطعوا على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء
والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذى سرق والتى سرقت
فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه
على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه
فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان
بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق فى الشريعة من
سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع عشرة
دراهم عند ابى حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعى رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفى
مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم جزاء ونكالا مفعول لهما
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات فان الله يتوب
عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله
وعند الشافعى رحمه الله فى احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب فى الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين
والتائبين وقيل يسقط حد الحربى اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير
عنه ولا يسقط عن المسلم لان فى اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم فى القصاص حيوة ف
لم قدم التعذيب على المغفرة لانه ق بل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم
الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر اى فى اظهاره بما يلوح منهم من
آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع
فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر ووقوعهم وتهافتهم
فيه اسرع شىء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا
وآمنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون
اى ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون و
الضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من
الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يعنى اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط بهم من

قوله ما يروى عن ابرهيم الى آخره عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلعم لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال بينما هو ذات يوم وسارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان هنا رجلا معه امرأة من احسن الناس فارسل اليه فسأله عنها من هذه قال اختي فاتى سارة فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فارسل اليها فاتى بها وقام ابرهيم يصلي فلما دخل عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ حتى ركض برجله فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق فدعى بعض حجبته فقال انكم لم تأتوني بانسان انما اتيتموني بشيطان فاخدمها هاجر قوله ثنتان في ذات الله يعني ثنتان من الكذبات الثلث مشتملتان على تنزيه الله تعالى اي فيما يختص بالله تعالى ولم يكن لابرهيم عليه السلام فيه ارب الاول انما سقيم وما قبله يدل على ان ابرهيم عليه السلام نزه ذات الله عما يقوله الكفرة من عبادة الاصنام وهو قوله اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم نسبب نظره في علم النجوم وقوله اني سقيم انهم طلبوا منه عليه السلام ان يخرج معهم الى معبدهم فاراد ان يتخلف عن الامر الذي هم فيه فنظر في علم النجوم وقال اني سقيم اي خارج مزاجي عن حد الاعتدال وقلما من يخلو منه وكان علم النجوم حقا ومن النبوة ثم نسخ والثاني بل فعله كبيرهم وما قبله وهو قوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن الى قوله بل فعله كبيرهم يدل على تنزيهه تعالى عما يقوله الضلال فكأنه قال عيب ان تقوله كبيرهم لو كان معبودا لما نعبد معه غيره قال الله ان سارة اختي وكانت زوجته اي هي اختي في الدين فعلى هذا عدل عن التوجيه الى النسبة لان دين الملك القاصد لها انه لا يحل له التزوج ولا التمتع بقرابات الانبياء وقيل ان من امره الذي يدين به في الاحكام السياسية انه لا يتعرض الا للزوات الازواج يرى انها اذا اختارت الزوج فليس لها ان تمنع من السلطان بل يكون مواخذة بها من زوجها واما اللاتي لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين وانما سماها الكذبات وان كانت من جملة المعاريض لعلو شانهم عن التورية عن الحق تعريضا ينفع ذلك موقع الكذب من غيرهم قوله دخلت عليه اي على الجبار قوله ذهب اي طفق وقوله اخذ اي اخذ بمجاري نفسه والضرب الركض بالرجل والحجبة جمع حاجب قوله شيطان اراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون امرهم قوله فاخدمها هاجر يعني اذا عرف الملك عظم الكرامة والقربة عند الله تعالى خلى عن سبيلها طاهرة عن دنس جواره وجعل هاجر خادمة لها وهاجر ام اسمعيل عليهما السلام قوله فاومى بيده مهيم جعل لفظ مهيم مفسرة للايماء وليست بترجمة لقوله فانه قيل او لم تكن الكلام في الصلوة مباحا في اول الاسلام فما تنكر ان تكون مكالمة ابرهيم ايضا مباحا قلنا لم يذهب الى هذا هنا انكار لا على تحريم الكلام فانه شيء لم يطلع على حقيقة الامر فيه وانما ذهبنا اليه لمكان الايماء باليد ثم انها لو كانت مفسرة لقوله لكان من حقه ان يقال فاومى بيده وقال مهيم فان قيل لم لا يجوز ان يكون في الكلام حذف قلنا لا ضرورة بنا الى هذا التقدير وليس بنا حاجة الى ان ندع ظاهر الكلام ونقدر ما ليس لنا به علم ومهيم كلمة يمانية يستعملونها في الاستفهام ومعناها ما لك وما شانك ٥

مشتقة من ذلك وقال ايضا سميت مطية لانه يركب مطاها اي ظهرها ويحتمل ان يقال ان قوله وامتطى الجهل وافتعد والمطية مشتقة من ذلك ... غارب الهوى عطف على قوله هو على الحق وقوله وقد صرحوا الى قوله مركبا كالجملة المعترضة وان في قوله غارب الهوى استعارة مخيلة فانه لما شبه الهوى بالقعود اثبت للهوى غاربا وهو مختص بالقعود فيكون الاستعارة مخيلة لان الاستعارة المخيلة ان تثبت للمشبه ما هو لازم مختص بالمشبه به واعلم ان هذا الموضع مما ذهل عن تحقيقه الفحول الرجال من العلماء النحارير حتى الامام فخر الدين الرازي لما وصل الى هذا الموضع من تفسيره اورده بعبارته وما غير عبارته الا في موضع الاول ان لفظ وضع لفظ بيان موضع قوله مثل والثاني ان زاد لفظ حيث قبل قوله سبهت فصارت عبارته هكذا معنى الاستعلاء في قوله على هدى من ربهم بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه حتى ان الناظر في كلام الامام يحمله على سوء الفهم حاشاه عن ذلك لكن هذا يدل على امر يتعذر ان الطاقة وهو انهم ... قال الامام تحقيق القول في كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدليل لان الواجب على المتمسك بالدليل ان يدوم على ذلك ويحرسه عن المطاعن والشبه فانه تعالى لما مدحهم بالايمان بما انزل عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك والمواظبة على حراسته عن الشبه ثانيا وذلك واجب على المكلف لانه اذا كان يشدد له الذنب خائفا وجلا فلابد من ان يحاسب نفسه في علمه وعمله وتأمل حاله فيها واذا حرس نفسه عن الاخلال كان ممدوحا بانه على هدى وبصيرة واعلم ان ما ذكره الامام مغاير لما ذكره صاحب الكشاف لان حاصل ما ذكره صاحب الكشاف انهم انما وصفوا بالهدى والفلاح لما مر من افعالهم المذكورة لتكون تعريضا بان من ليس له هذه الخصال لا يكون هاديا مفلحا الى غير ذلك من الفوائد وحاصل ما ذكره الامام انهم انما وصفوا بالهدى والفلاح لانهم يمشون على موجب الدليل ويتمسكون به والمغايرة بين المعنيين ظاهرة وانما ذكرنا هذا وامثاله لئلا يحمل الناظر كلام جار الله على غير محمله وليعرف الغرض القطعي والمعنى والله على ما نقول شهيد ٥

قال ابو علي في الحجة اختلفوا في الهمزة في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون يؤمنون وما اشبه ذلك مثل يأكلون ويأمرون ويؤتون ساكنة الهمزة كانت او متحركة مثل يؤخركم ويؤده الا ان حمزة كان يستحب ترك الهمزة في كل القرآن اذا اراد ان يقف والباقون يقفون بالهمز وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن في مثل يومنون وما اشبهه وكذلك المتحرك مثل يوده ويوخركم لا يواخذكم وما كان مثله واما ابو عمرو فكان اذا ادرج القراءة او قرأ في الصلوة لم يهمز كل همزة ساكنة مثل يومنون ويوفر وياخذون وما اشبه ذلك وروى اليزيدي عن ابي عمرو انه كان لم يهمز في الصلوة كل همزة ساكنة الا انه كان يهمز حروفا من السواكن باعيانها اذكرها اذا مررت بها ان شاء الله واذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل ننسأها ونبئهم وهيئ لنا ويهيئ لكم واقرأ كتابك ومن تشاء ويجعله وانبئهم وما اشبه ذلك وروى ان ابا زيد الاعمى تقرا على ابي بكر بهم يؤمنون وروى عن حمزة انه لم يكن يهمز في الصلوة ٥

كالحال والصفة وذلك كما اذا كنت في حديث ونفع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينهما بجهة وبين ما انت فيه بوجه او يكون بينهما جامع غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك الى ذكره داع فتذكره مفصولا مثال الاول كنت في حديث مثل كان معي فلان فقرأ ثم خطر ببالك ان صاحب حديثك جوهري ولك جوهرة لا تعرف قيمتها فتعقب كلامك انك تقول لي جوهرة لا اعرف قيمتها هل اريتكها فيفصل ومثال الثاني وجدت اهل مجلسك في ذكر خواتم لهم تقول واحد منهم خاتمي كذا نصفه بحسن صياغه ونفس صلاحه نقش ونفاسة فص وجودة تركيب وارتفاع قيمة ويقول آخر وان خاتمي هذا بلغ الشكل خفيف الوزن لطيف النقش لمن الفص الا انه واسع لا يكاد يمسكه اصبعي وانت كما قلت ان خاتمي ضيق تذكرت ضيق خفك وعنائك منه فلا تقول وخفي ضيق لينبو مقامك عن الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الخف فتختار القطع فما بالخفي ضيق قولوا ماذا علي او تكون في حديث قديم ومعك حديث آخر بعيد التعلق به تريد ان تذكره فتورده في الذكر مفصولا مثلما تقول كتاب سيبويه والله كتاب لا نظير له في فنه ولا غنى لامرء في انواع العلوم عنه الاسيما في الاسلامية

قوله هذا المحرف وهو الجلد لانهم ازالوه عن موضعه ووضعوه موضع
الرجم وحذفوا الرجم فالجلد هو المحرف المزال عن موضعه والرجم هو
الذى حرف من بعد مواضعه فان تحريفهم على نوعين كما مر فقال
المصنف ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه
اعلم ان هذه الحاشية فاسدة فانه لم يرد فى هذا الكتاب ان
التحريف على نوعين فلا يستقيم قوله كما مر ثم ان هذه الحاشيه
لا تناسب لفظ الكشاف ولا مراد صاحب الكشاف فانه جعل
المحرف عن مواضعه والمحرف من بعد مواضعه شيئا واحدا
لا يخفى على المتأمل فى كلامه فى هذا الموضع ويؤيد ذلك

شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اى قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين فى العداوة الذين
لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا
منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون منه رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر
يحرفون الكلم من بعد مواضعه يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع
بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به
وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى ان شريفا من خيبر
زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال
له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن
قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده
ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه
شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم اولئك الذين لم يرد الله
ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم سماعون للكذب اكالون
للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله
يحب المقسطين السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى
يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين
على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى

فانه جنيها اساس واى اساس ان الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما اساس العلوم فيفعلان الذين رضوا بالجهل
عما قبله لكون ما قبله حديثا من كتاب سيبويه وانه حقيق بان يخدم وكون ما عقبته به حديثا من الجهال وسوء ما الزمهم
جهلهم اذا عرفت هذا فعرف الآية التى نحن فيها وهو قوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون من هذا القبيل لكون ما قبله حديثا من القران وان من شانه كيت وكيت وكون ان الذين كفروا حديثا
من الكفار ومن تصميمهم فى كفرهم فالفصل لازم للانقطاع سواء جعلت الذين يؤمنون جاريا على المتقين او مبتدأ
لما عرفت ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وهو مدرج فى حكم المتقين وانما قلنا لم يجز العطف لانك لو
عطفت فى مثله لكنت كانك جمعت بين الضب والنون اللذين احدهما لا يعيش بدون الماء والآخر لا يشرب الماء
ولو عطش روى بالريح ولكان هذا العطف مثل العطف فى قولك زيد مسطلق ودرجات الحمل ثلثون وكم الخليفه فى
غاية الطول واهل الروم نصارى وخيم العرب فى البراح سنة ومن عطف فى هذه الصورة سيجل عليه بالسخافة وعد
مسخرة من المساخر وربما استودع كلامه هذا دفاتر المضاحك بخلاف ما اذا ترك العطف ورمى بالجملتين الحصى احوز
من غير طلب ائتلاف بينهما فانك حينئذ تكون متوسما واما اذا توسط الجملتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع
فيحسن فيه العطف كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم اعلم ان الذى ذكرناه هو وجه ترك العاطف واما وجه
الاتيان بان فهو انه لما ذكر ان القران هدى للمتقين الموصوفين بوجه لسائل ان يسأل فيقول هل الغير فيه هدى او
هو مخصوص بهم فاجيب بان الهدى مخصوص بهم وتكون قوله ان الذين كفروا جوابا لهذا السؤال فلذا اتى بان
وهذا الوجه صالح علة لترك العاطف روى ان الكندى المتفلسف قال للمبرد انى اجد فى كلام العرب حشوا يقول
عبد الله قائم ثم يقول ان عبد الله قائم ثم يقول ان عبد الله لقائم فقال المبرد بل المعانى مختلفة فقولهم عبد الله قائم
اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه
وقال عبد القاهر محتجا على صحة قول المبرد يدل عليه قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم
منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وقوله انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله واشباه ذلك مما يعلم
انه نزل على امر النبى صلعم بان يجيب به الكفار فى بعض ما جادلوا وناظروا فيه ثم قال عبد القاهر والتحقيق
انها للتاكيد فاذا كان الخبر بشئ ليس للمخاطب ظن فى خلافه لم يحتج هناك الى ان وانما احتاج اليها اذا كان
للسامع ظن فى الخلاف ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بامر يبعد مثله كقول ابى نواس
عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك فى اليأس وانما حسن موقعها لان الغالب ان الناس لا يحملون
انفسهم على اليأس واما جعلها مع اللام جوابا لمنكر فى قولك ان زيدا لقائم فجيد لانه اذا كان الكلام مع
المنكر كانت الحاجة الى التاكيد اشد وكما يحتمل ان يكون الانكار مع السامع احتمل ان يكون مع الحاضرين واعلم
انها قد تجئ اذا ظن المتكلم فى الذى وجد انه لا يوجد مثل قولك انه كان منى احسان فقابلنى بالسوء وكانك
ترد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ فى الذى توهمت وعليه قوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت
رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح عليه السلام قال رب ان قومى كذبون
قال الامام فخر الدين الجاربردى بعد تفسير الذين كفروا هذا هو البحث المتعلق بقوله الذين واما قوله تعالى كفروا فاقول
قال ابو على فى الحجة الكفر خلاف الشكر كما ان الذم خلاف الحمد والكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها
وفى التنزيل واشكروا لى ولا تكفرون وقال الشاعر فى ليلة كفر النجوم غمامها وقال الاعشى والابد من غزوة فى الربيع
حجون تكل الوقاح الشكورا الحجون البعيدة التى لا اعوجاج وغزوة حجون اى بعيدة ويقال كل السيف والربح والطرف و
اللسان تكل كلا وكلة والكلة عدم وحافر وقاح اى صلب قال احمد يعنى الشكور السريع القبول للسمن وقال
ابو على فكان سرعة لقبول ذلك اظهار للاحسان اليه والقيام عليه وقال الامام

على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكى ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له من عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله شرهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم **وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله** وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به **ثم يتولون من بعد ذلك** ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به **وما اولئك بالمؤمنين** بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم

فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب . اما ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره . لم انثت التورية . لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب . علام عطف ثم يتولون . على يحكمونك **انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون** فيها هدى يهدى للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام

التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله **الذين اسلموا للذين هادوا** مناد على ذلك **والربانيون والاحبار** والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود **بما استحفظوا من كتاب الله** بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين **وكانوا عليه شهداء** رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى عليهما السلام وكان بينهما الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم واباه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء **فلا تخشوا الناس واخشون** نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرناء والاصدقاء **ولا تشتروا** ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا **بآيات الله** واحكامه **ثمنا قليلا** وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا **ومن لم يحكم بما انزل الله** مستهينا به **فاولئك هم الكافرون** والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرون والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر به فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا **وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون** وفي مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان

معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص يعتبر فيه المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما يقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين قفيته مثل عقبته إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفي به على أثره فقد قفي به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل

الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب الأول تعريف العهد لأنه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عني به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ومهيمنا رقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا راجعين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبهة وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم جميعا استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وأن احكم بينهم معطوف على ماذا على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لنفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم

إليك فنقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تولوا عن الحكم
بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله و
إرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا
الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو
البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه وإنما قصد
تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير
وهو في معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر
أفحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل
الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى
بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعبيرا لليهود بأنهم أهل
كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع
إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم
الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض
فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم
على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث
الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال في مررت
بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به
أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك
الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام
لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه يا أيها الذين آمنوا لا
تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم
وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم أولياء بعض
أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم
ومن يتولهم منكم فإنه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة
المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما ومنه قول

ولهم معكم تعجبا من حال المنافقين ويتحيا بما من الله عليهم من الإخلاص أو يقولون لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم إلى آخره وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهدهم فيها ثم حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك

عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله
ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني
والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره إن
الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا
لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم
ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن يصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودوله
دولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله
ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع
فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في
أنفسهم نادمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على
ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن
أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى
الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه
للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل
ولا ركاب ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين
ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا
في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل
يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا
لمن يقولون هذا القول إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم
من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم
حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه
معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال
وتعجيبا من سوء حالهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم قرئ من يرتدد ومن يرتد

وهو في الإمام بدأ الياء وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها قيل كان أهل الردة إحدى
عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي
وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله وأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وأتى
خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من
محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت
خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة
بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم
وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم
قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول
أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري ❊ أمت سجاح ووالاها مسيلمة
كذابة في بني الدنيا وكذاب ❊ وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن
زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم
جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل
لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان
من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية
وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال
هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس يحبهم ويحبونه
محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله
لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده
أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم

عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به
من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة
في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى
الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات
دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن
فيه حقيقة أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط هو محذوف
معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن
ذلولا لا يجمع على أذلة هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين فيه وجهان
أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع
والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل
أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين
فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون
شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا
يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب
في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا
يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في
أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من
لوم أحد من اللوام ذلك فضل الله وذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة
والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا والله واسع كثير الفواضل
والألطاف عليم بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ومعنى إنما وجوب اختصاصهم
بالموالاة قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم أصل الكلام إنما وليكم الله
فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين

ولم يقل إنما أولياؤكم لئلا يجمع في اللفظ الواحد
ذكر الله ورسوله والمؤمنين ومنه قول
رسول الله صلعم لمن قال من أطاع الله
ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما
فقد غوى بئس خطيب القوم
أنت هلا قلت ومن
عصى الله ورسوله
فقد غوى

على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي
قراءة عبد الله انما مولاكم الله الذين يقيمون ما محله الرفع على البدل من الذين آمنوا او
على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم
السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو
الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها
في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه
كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون
لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب
الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من
الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه
الى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر
ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب
الله واعتضد بمن لا يغالب يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا
ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين
خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر و
يعضده قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا
لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم
قوم لا يعقلون اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت
منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص
الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل قرأ الحسن هل تنقمون
بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها
وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها
ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كأنه
قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز
ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما
تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي وما
تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل
وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن
بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه
عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم وعن
عن نعيم بن ميسرة وإن اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل
تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت
معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم
فتنصفوا قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف
قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك
هو من لعنه الله كقوله قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من بشر و
قرئ مثوبة ومثوبة ومثلهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان
فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم
اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون
للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم
ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي

وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ على المعنى وقرأ ابن مسعود وَمَنْ عَبَدُوا وقرئ وَعَابِدَ الطَّاغُوتِ عطفاً على القردة وعابدي وعباد وعَبُدَ ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذُر وفطُن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لُبينى إن أمكم أمةٌ وإن أباكم عَبُدُ

وعُبُد بضمتين جمع عبيد وعَبَدة بوزن كفرة وعَبَدَ واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخَدَم في جمع خادم وعُبَّد وعُبّاد وأعْبُد وعُبِدَ الطاغوتُ على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعُبِدَ الطاغوت فيهم او بينهم وعَبُدَ الطاغوتُ بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله كقولك أمُرَ اذا صار اميراً وعَبَدِ الطاغوتِ بالجر عطفاً على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم العجل مما زيّنه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احداً في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل جعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيّرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك الملعونون الممسوخون شر مكاناً جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقاً فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله وبالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريباً للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعاً لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله

وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالاً من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلاً لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يداً في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلى

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلاً الى بخلهم ونكداً الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه

مبسوطتان وهو مفردة في يد الله مغلولة؟ قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات
غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا
فبنى المجاز على ذلك. وقرئ: ولعنوا بسكون العين. وفي مصحف عبد الله: بل يداه بسطان، يقال يده
بسط بالمعروف، ونحوه مشية سجح، وناقة سرح. ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء، و
دلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة. روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود
حتى كانوا من أكثر الناس مالا، فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط
عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، ورضي بقوله الآخرون فأشركوا
فيه. وليزيدن يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله. وألقينا
بينهم العداوة فكلمهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد. كلما أوقدوا نارا
للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين. كلما أرادوا محاربة
أحد غلبوا وقهروا، ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس.
وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي، ثم
أفسدوا فسلط عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين. وقيل: كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم.
وعن قتادة: لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس. ويسعون ويجتهدون في الكيد
للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم. ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا آمنوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان. لكفرنا عنهم سيئاتهم تلك السيئات
ولم نؤاخذهم بها. ولأدخلناهم جنات النعيم مع المسلمين الجنة. وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود و
النصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن
عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا
بالتقوى، كما قال الحسن: هذا العمود فأين الأطناب. ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما
وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله. وما أنزل إليهم من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها
فكأنها أنزلت إليهم. وقيل: هو القرآن. لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا. وقوله لأكلوا
من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة، وفيه ثلاثة أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء و
بركات الأرض، وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة، وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون
ما تهدل منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم. منهم أمة مقتصدة

طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن
سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى. وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير
منهم ما أسوأ عملهم. وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم. يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل
إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه. وإن لم تفعل وإن لم
تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته. وقرئ: رسالاته. فلم تبلغ إذن ما كلفت من أداء الرسالات
ولم تؤد منها شيئا قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤد بعضها فكأنك
أغفلت أداءها جميعا، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه
غيرها، وكونها لذلك في حكم شيء واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به.
وعن ابن عباس: إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعثني الله
برسالاته فضقت بها ذرعا، فأوحى الله إلي: إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك، وضمن لي العصمة فقويت.
فإن قلت: وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما
أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لا
خفاء بشناعته، فقيل: إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع
الذي هو كتمانها كلها، كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا. والثاني أن يراد: وإن
لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب، فوضع السبب موضع المسبب. ويعضده
قوله عليه السلام: فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك. والله يعصمك من الناس عدة من
الله بالحفظ والكلاءة، والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن
قلت: أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته؟ قلت: المراد أنه يعصمه
من القتل، وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام.
وقيل: نزلت بعد يوم أحد. والناس الكفار، بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين، ومعناه أنه
لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك. وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس
حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال: انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس.
قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك
من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين. لستم على شيء أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده
وبطلانه، كما تقول: هذا ليس بشيء، تريد تحقيره وتصغير شأنه. وفي أمثالهم: أقل من لا شيء. فلا تأس

فلا تأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير وكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بأن لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فإن قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت ما محل من آمن قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون **لقد أخذنا** ميثاقهم بالتوحيد

وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم **كلما جاءهم رسول** جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم **بما لا تهوى أنفسهم** بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها **وحسبوا أن لا تكون فتنة** قرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة **فعموا** عن الدين **وصموا** حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم **ثم عموا وصموا** كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك **كثير منهم** بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم **والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله** في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله **فقد حرم الله عليه الجنة** التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه **ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله من في قوله **وما من إله إلا إله واحد** للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله

والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله «وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم» للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة «عذاب أليم» أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية «أفلا يتوبون إلى الله» ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم «ويستغفرونه والله غفور رحيم» يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى «وأمه صديقة» أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله «كانا يأكلان الطعام» لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام «انظر كيف نبين لهم الآيات» أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم «أنى يؤفكون» كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه «قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا» هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل

قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته «والله هو السميع العليم» متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر «قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق» صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع «قد ضلوا من قبل» هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم «وأضلوا كثيرا» ممن شايعهم على التثليث «وضلوا» لما بعث رسول الله «عن سواء السبيل» حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي «ذلك بما عصوا» أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله «كانوا لا يتناهون» لا ينهى بعضهم بعضا «عن منكر فعلوه» ثم قال «لبئس ما كانوا يفعلون» للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه

وتركه ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ ترى كثيرا
منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم
ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ﴿ولو كانوا يؤمنون﴾
ايمانا خالصا غير نفاق ﴿ما اتخذوا﴾ المشركين ﴿اولياء﴾ يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم
وان ايمانهم ليس بايمان ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون
بالله وبموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ﴿لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون﴾
وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم
وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم
قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن
الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم
الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم بان منهم قسيسين ورهبانا اي
علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين
على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة
والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب
وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب
حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم
عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم
وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا فقرأ عليهم سورة يس فبكوا فان قلت
بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت
المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب
المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة
مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى
قوله ﴿تفيض من الدمع﴾ قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره

حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة
المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها
اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن
في قوله ﴿مما عرفوا من الحق﴾ قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة و
قرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ﴿يقولون ربنا آمنا﴾ المراد به انشاء الايمان والدخول فيه ﴿فاكتبنا مع
الشاهدين﴾ مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس و
قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع
القوم الصالحين﴾ وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام
الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او ارادوا وما لنا لا نؤمن
بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذاك ليس بايمان بالله ولا نؤمن في محل النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين
كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية
قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين و
في الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن
كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون
مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث
وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر
ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين قرأ الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد
واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه ﴿فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا
تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾ طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من
الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم
في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة
لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون

وانفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبّوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن
سنتي فليس مني ونزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ
وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا
قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفّر عن يمينك وعن الحسن أنه
دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج
المسمّن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره
هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه
مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء
البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ
وعنه إن الله تعالى أدّب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله
قوما وسّع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا
تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم
الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده
على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا
حلالا حال مما رزقكم الله طيبا واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون
لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم
أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم و
اختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى
والله وهو مذهب الشافعي رحمه الله وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك
وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو
توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال

يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمّد عاقدات العزائم وقرئ
عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه
كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة
التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف
في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره
لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد
أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم
أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حالة النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت
معدي كرب تشبيها للياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه
قدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة
تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن
ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم
إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم **فإن قلت**
ما محل الكاف **قلت** الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط
أو تحرير رقبة شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة و
أصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل **فإن قلت** ما
معنى أو **قلت** التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد
أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة
أبي وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان
ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى
تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم
بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة
وأصحابه ويجوز عند الشافعي رحمه الله بالمال إذا لم يعص الحانث واحفظوا أيمانكم فبرّوا فيها
ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس
وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها

كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم
ويسهل عليكم المخرج منه يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلاة فهل أنتم منتهون أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها
أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا
كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا
الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا
كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض
بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله
فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع
فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر
أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت لم جمع الخمر والميسر
مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار
أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما
وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر
الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين واحذروا و
كونوا حذرين خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة
ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا و
أحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم
الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه
من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان

والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم
ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموا من المباحات
إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة
ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل
جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا
تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده
أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب
منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء
فالوعيد لاحق به فإن قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل
وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل
الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده
فكيف يثبتون عند ما هو أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كردح
في جمع رداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله
فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد
برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت فمحظورات
الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لأن مورد
الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر
فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل
فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن
سعيد بن جبير لا أرى في الخطاء شيئا أخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان

فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند
ابي حنيفة رحمه الله قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي
من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام
مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان
لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله
من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري
بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى
بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى
مثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم
انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلثة يختار فاما
اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير
بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل
ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى
فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا عمرو من ضرب زيد وقراءة
السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز
جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف
الحلق فسكنه. يحكم به مثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على
ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة، و
عن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره
بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه
ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به
ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد به
يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه

بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل من مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره
ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به وهو وصف هديا بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية
ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة رحمه الله
وعند الشافعي رحمه الله في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها
خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة
فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة
كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج
او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفي بالواحد الدال على الجنس و
قرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم و
الاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى
اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح والطحن ونحوهما
الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار
في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وعند محمد رحمه الله الى الحكمين
ليذوق وبال امره ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء
لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل
على المعدة فلا يستمرأ. عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا
متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما. ومن عاد فينتقم الله منه ومن عاد الى
قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني
ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم و
سعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة. احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما
لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم

أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليه السلام وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عني به جنس الأشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول

واتقوا الله الذي اليه تحشرون

قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبيث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديئهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة كما قيل كانوا بسعد إن سعد لكثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا وكما قيل لا يدهمنك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فإن قلت كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا

سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث. وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم. وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى. ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. الواو في قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون. والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة. يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون. كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به. وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو من بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه. وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره. وعنه ليس هذا بزمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن. وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله. وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت

عليكم أنفسكم. عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه. وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع. وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم. ويجوز أن يكون نهيا. ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره. يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله. ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان. وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها. وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل. منكم من أقاربكم ومن غيركم من الأجانب. إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح. وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة. وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر. وعن مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم. وروي أنه خرج بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف. من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. وفي حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم

فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرى لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولى **فان قلت** ما موقع تحبسونهما **قلت** هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما **فان قلت** كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة **قلت** لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرى الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرى الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقراءة الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى **فان قلت** فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس **قلت** معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم **فان قلت** ما معنى سؤالهم **قلت** توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد **فان قلت** فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا **قلت** يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خاصته نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون

عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكأنه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايثما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمين مخلصين من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله

اجار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى بن مريم اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى

فقوضاء وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك
تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة
على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية
آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم
طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالمشريطة وهي قوله
فمن يكفر بعد منكم قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم
القيمة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي
الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في
نفسك انك أنت علام الغيوب سبحانك من أن يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق
لي أن أقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة
وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين
معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم أحد أن في
ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما
فعل القول أو فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يوسط بينهما
حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله وأما فعل
الأمر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا
الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء
في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا أن
اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء
لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لأن معنى
ما قلت لهم الا ما أمرتني به ما أمرتهم الا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي و
ربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على

المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول
به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل وأنت على كل شيء شهيد
ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز
القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان
قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام
على ان فقال ان عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة
وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه
أحسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير قرئ هذا يوم ينفع
بالرفع والاضافة وبالنصب اما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا
الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لأنه مضاف الى متمكن
وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين
صدقهم ان أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان أريد صدقهم في الدنيا فليس
بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت
معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة
أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات
والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الأجناس كلها
تناولا عاما ألا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان
أولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا
كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير

وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان الى مكان ومن ذلك
وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم
أزواجا أجعل الآلهة إلها واحدا فان قلت لم أفرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على
أرجائها أو لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف
النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت
إما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم هو الذي
خلقكم من طين ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين أن يخلق
الى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت
المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده قلت لانه
تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر أن يقال
عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم قلت أوجبه أن المعنى وأي
أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم ثم أنتم تمترون وهو الله
في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء إله وفي
الارض إله أو هو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في
هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى
أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم
قلت إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده
وكذلك إذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو
خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من للاستغراق ومن آيات
ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار
إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب
فقد كذبوا بالحق مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم

آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف
يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤوا
وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو
عند ظهور الاسلام وعلو كلمته ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا
وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه
أرض له ومنه قوله إنا مكنا له في الارض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الارض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد
مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم
نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار
بأسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب أو المطر والمدرار المغزار
فان قلت أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك
قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو
نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا إنما سكرت
أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا أنزل عليه
ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر لقضي أمر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين إما لانهم إذا عاينوا الملك
قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون
كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لانه يزول الاختيار
الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لانهم إذا شاهدوا ملكا في صورته
زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الامر وعدم الانظار
جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو
جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا
بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل
عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية
الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فانهم يقولون إذا
رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن
المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون

الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات
الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث أهلكوا
من أجل الاستهزاء به فإن قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر
مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله
قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من
المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في
السموات والأرض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن
تضيفوا شيئا منه إلى غيره كتب على نفسه الرحمة أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب
الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض ثم أوعدهم على إغفالهم النظر و
إشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم إلى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وقوله الذين
خسروا أنفسهم نصب على الذم أو رفع أي أريد الذين خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم فإن
قلت كيف جعل عدم إيمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس قلت معناه الذين خسروا
أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى
وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض أولي
غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في
اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد آلله أذن لكم وقرئ فاطر السموات
بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت معنى فاطر
السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وهو يطعم
ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع
كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب
وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو
يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهري أطعمت

بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك
هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم لأن النبي سابق أمته
في الإسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك قل إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه العذاب فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك إن
أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت إليه تريد فقد أتممت الإحسان إليه أو فقد أدخله الجنة لأن من
لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه
في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف
لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي
من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبي من يصرف الله
عنه وذلك الفوز المبين وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه
إلا هو وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على إدامته وإزالته وهو القاهر
فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم
قاهرون قل أي شيء الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يقال فيه عز وجل شيء يعلم و
يخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال في الله عز وجل شيء
لا كالأشياء فأنت قلت معلوم لا كالمعلومات ولم يصح جسم لا كالأجسام وأراد أي شهيد أكبر شهادة فوضع
شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى
الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني
وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة
شهيد له وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لأنذركم به
وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيمة وعن
سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى
تقرير لهم مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون
الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتاب
معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد

لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالتاء والياء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن

وروي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقراءة طلحة وقر بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون عنه الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون الا انفسهم بذلك ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا

فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا

وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم

وقال الذين في سورة المجادلة الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم وهم المنافقون كانوا يتولون اليهود وهم القوم الذين غضب الله عليهم ومنافقون اليهود ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب ثم قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي يحلفون لله على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم في الدنيا وانما العجب من حلفهم لله مع علم النفع لهم في ذلك والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم وان ذلك بعد موتهم باق فيهم قال المصنف اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بيانه نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله انظر كيف كذبوا

التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا التمني قد تضمن
معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على
صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني
الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان
رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم
وشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو
في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا
يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر
والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا و
لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون
على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي
سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل
قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب
وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا
على ما بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما
يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة
وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة
بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر
كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها
معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت
في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف
الكسب بالايدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم وما الحيوة الدنيا

الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على
ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء والياء
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي
تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ
بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من
كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله
المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانه عن حزنك لنفسك و
انهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه
ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل
فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون
وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس
ابن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد
غيرنا فقال والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية و
الحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولقد
كذبت رسل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم واذاهم
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر
على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك الا تكون مؤمنين
من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض
حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان

او مصعدا تصعد الى
السما فينزل منها آية و
في الارض صفة لنفقا
وفي السما صفة لسلما

حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى
بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يودّ أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل
له إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم
يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلّم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت
النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي في السماء لفعلت لعلّ ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف
جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ بأن يأتيهم بآية ملجئة
ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه
﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب
من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي
يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ﴿ثم إليه يرجعون﴾ للجزاء فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن
يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه
يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء ﴿لولا نزل عليه آية﴾
نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث آية غير
حقيقي وحسّنه الفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما
أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ تضطرهم إلى
الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾
أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفاً من الحكمة يصرفه عن إنزالها ﴿وما من دابة في الأرض و
لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم
﴿ما فرطنا﴾ ما تركنا وما أغفلنا ﴿في الكتاب﴾ في اللوح المحفوظ ﴿من شيء﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
أن يثبت مما يختص به ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من
بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء فإن قلت كيف قيل الأمم مع إفراد الدابة والطائر
قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالاً على معنى الاستغراق ومغنياً عن أن يقال وما من
دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى فإن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم
أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة
كأنه قيل وما من دابة قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها

غير مهمل أمرها فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة
سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
ومهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من
سائر الحيوان وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة
ما فرطنا بالتخفيف فإن قلت كيف أتبعه قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على
عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم
غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذاناً بأنهم من أهل الطبع ﴿من يشإ الله يضلله﴾ أي يخذله
ويخلّه وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ أي يلطف به لأن
اللطف يجدي عليه ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بغتة﴾ أرأيتكم أخبروني والضمير الثاني لا محل
له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت للكاف محلاً لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك
زيداً ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو
أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة
فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها ﴿بل إياه تدعون﴾ بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فيكشف
ما تدعون إليه﴾ أي ما تدعونه إلى كشفه ﴿إن شاء﴾ إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة ﴿وتنسون ما تشركون﴾
وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر
على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم
أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن قلت إن علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله
فيكشف ما تدعون إليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت
قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيذاناً بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه
لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم
يتضرعون﴾ يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾
معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم
عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم ﴿فلما نسوا
ما ذكروا به﴾ من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾

من الصحة والسعة وصنوف النعمة لتراوح عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلباً لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصدٍّ لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم وقرئ فتّحنا بالتشديد إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بأن يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون يأتيكم به أي يأتيكم بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله لما كانت البغتة بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون جعل العذاب ماساً كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون إلا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة وأصلح ما يجب إصلاحه مما كلف والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماساً كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الإلهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية أو الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه فإن قلت أعلم الغيب ما محله من الإعراب قلت النصب عطفاً على محل قوله عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلي والذين يخافون أن يحشروا إما قوم داخلون في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه لعلهم يتقون أي يدخلون في زمرة أهل التقوى من المسلمين وإما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء وقوله ليس من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلاً محشور فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فاقعدهم معك إن شئت قال نعم طمعاً في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله إن حسابهم إلا على ربي وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى فإن قلت أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم إليه وما من حسابك

عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في
قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل لا تؤاخذ أنت
ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى
يهمك إيمانهم ويحركك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم و
قرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم
فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين
من الله عليهم من بيننا أي أنعم الله عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون
والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق وممنوناً عليهم من بينهم بالخير و
نحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم
فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون أليس
الله بأعلم بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن يصمم على كفره
فيخذله ويمنعه التوفيق وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم إما أن يكون أمراً بتبليغ
سلام الله إليهم وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذلك قوله
كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله
التوبة منهم أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وقرئ إنه فإنه بالكسر
على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة
بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما
يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة
والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا
والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم
حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوه ولم يعلم أنها مفسدة
وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر
وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته
والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو

مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن ترى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في
الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل
قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت
من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه
على غير بصيرة قل لا أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع
الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت إذاً أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن
يكون الهوى متبعاً نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي ومعنى قوله إني على بينة من ربي
إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به
غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتاً عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام
تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما
تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم إلا لله في تأخير عذابكم
يقص الحق أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين
وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره قل لو أن عندي أي في قدرتي
وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وامتعاضاً من
تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعاً والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي
على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن
فإن قلت بم انتصب الحق قلت بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق ويجوز أن يكون
مفعولاً به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فإن
قلت لم أسقطت الياء في الخط قلت اتباعاً للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض
ولا رطب ولا يابس جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق
منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات
وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن
والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن

ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد و
الكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اى انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد عن السوء توفته رسلنا اى استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون مما امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد و

انجانا وخفية بالضم والكسر قل هو القادر على ان يبعث عليكم هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اى لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبا لكل شيء ينبا به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى مع القوم الظالمين بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم

يأبى ذلك وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وَذَكِّرْ بِهِ أي بالقرآن أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أن تبسل نفس مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال وإبسالي بنيّ بغير جرم. ومنه هذا عليك بسل أي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ أولئك إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان فِي الْأَرْضِ في المهمه حَيْرَانَ تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع لَهُ أي لهذا المستهوى أَصْحَابٌ رفقة يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إلى أن يهدوه الطريق المستوي أو سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائْتِنَا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وهو الإسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الإسلام دينا فماذا بعد الحق إلا الضلال فإن قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين

من استهوته الشياطين فإن قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فإن قلت ما محل وَأُمِرْنَا قلت النصب عطفا على محل قوله إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم. فإن قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم. فإن قلت فإذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر رضي الله عنه فكيف قيل للرسول قل أندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضي الله عنه فإن قلت علام عطف قوله وَأَنْ أَقِيمُوا قلت على موقع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السماوات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيئا من السماوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب يَوْمَ يُنْفَخُ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عَالِمُ الْغَيْبِ هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ آزر اسم أبي إبراهيم وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين أدعى بأسماء نبزا في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم

ونبصره ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره
وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية و
كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء فى دينهم وان يرشدهم
الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام
دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها
ومسيرها وسائر احوالها فقال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه
انه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه
بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المنتقلين
من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال
لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم
انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين بازغا مبتديا فى
الطلوع لئن لم يهدنى ربى تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب فى الافول فهو ضال
وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه انى
برئ مما تشركون من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
اى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله
فى نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدنى ربى وقوله يا قوم انى برئ مما تشركون
فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج
بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير فى قوله هذا ربى و
الاشارة الى الشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شئ واحد كقولهم ما جاءت
حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة
الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا فى صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ
احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه
تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء
عنه منكرين لذلك وقد هدان يعنى الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم
تصيبه بسوء الا ان يشاء ربى شيئا الا وقت مشيئة ربى شيئا يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف

معبوداتكم قط فى وقت لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من
جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس او القمر
او يجعلها قادرة على مضرتى وسع ربى كل شئ علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون فى علمه انزال المخوف
بى من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم
اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم
لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اى حجة لان الاشراك لا
يصح ان يكون حجة عليه كانه قال وما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن
فى موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس اولئك لهم الامن
وهم مهتدون وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى
قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعنى فى العلم والحكمة
وقرئ بالتنوين ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن
وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن
آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا ل
حبط عنهم ما كانوا يعملون ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على نوحا اى وهدينا داود و
من آبائهم فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم
وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين
آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعنى اهل مكة فقد
وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل من
آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى
توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده و
يحافظ عليه والباء فى بها صلة كافرين وفى بكافرين تاكيد النفى فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء
ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده
واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى

قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين

يعنى فريقى المشركين والموحدين
ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله
الذين آمنوا ولم

بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها إن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد إلزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه إنما أنت لاعب يلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات

وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ لينذر بالياء وسميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن يلق في بعض القريات رحله فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون الذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على أخواتها ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء كمسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة إذ الظالمون يريد به الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم اليوم يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه

كقولك رجل سوء يريد الغرابة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا فتيلا لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوا لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فردا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا

به واستئناسا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف فمستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد والمسببات صنوف مفننة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب

منه لكن قنوان عنده لعطفها على خضر والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معترضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر ولا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لعلمه منه كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثمة جنات اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اي انظروا نظر اعتبار الى ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه

واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيآت وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر

من ربكم وهو وارد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور
القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه
على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن
عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر
والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت
وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا
اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة
بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات و
حملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات
درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى
مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن لما حصل
هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك
نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست الكتاب و دارسته فيرجع
الى الكتاب المقدر لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا و
ما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من
الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا
لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما صح
النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي
عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة
الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي

عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل
المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة
وليس بسبب الحضور للنساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما
خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد
الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى
اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة عملهم مثل ذلك التزيين زينا لكل
امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء اعمالهم او امهلنا
الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم
فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات
عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا
يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على
معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة و
قيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم
لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم
اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم
ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها و
نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم
عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم
انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق
كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم
في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي
على الغيبة

الله تعالى وقراءة الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار أن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا زخرف القول ما زينوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهونه غرورا خدعا وأخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والإلهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته وتمت كلمت ربك أي تم كل ما أخبر به ونهى وأمر ووعد وأوعد

صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن وهو السميع العليم وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وإن تطع أكثر الناس أضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم ثم قال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وإن هم إلا يخرصون يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وقرئ من يضل بضم الياء فكلوا مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ظاهر الإثم وباطنه ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وإنه لفسق الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وإن الأكل منه لفسق أو إلى الموصول على أن أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فإن قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد قلت قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله وإن أطعتموهم إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله و

جعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض فيفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زينه الشيطان او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا فيها ما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون لان مكرهم يحيق بهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا بمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتشديد والتخفيف وقرئ حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي

اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم او محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي اذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف منهم بما كان منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله اي تخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ الم ياتكم

رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم واهلها غافلون بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وفي قوله وجعلوا لله مما ذرأ دليل على ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل لهم زين قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان

قوله من الجن والانس متعلق بقوله رسل لا بقوله الرسل

كيف يقولون متعلق بمحذوف كأنه قيل ليعلم كيف يقولون

قوله ولكل من المكلفين درجات ودركات

لتعرضهم التعريض للامر النصب له

الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سمج ورُدّ زجّ القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبّهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسمعيل عليه السلام حتى زلّوا عنه إلى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فإن قلت ما معنى اللام قلت إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زيّن لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء أو اللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الإفك أو وافتراءهم وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حُجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عيّنوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبّون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناساً بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون افتراء أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث وأنّث خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة وذكّر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن يكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وأن يكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصةً بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالاً متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصُه على الإضافة وفي مصحف عبد الله خالص وإن يكن ميتة وإن تكن ما في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن بالتاء

على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتةٌ بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفهاً بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها وهو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الأرض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشياً في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكاً يعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفاً أكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه ومختلفاً حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثُمُره بضمتين فإن قلت ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ومن الأنعام حمولة وفرشاً عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية إنه لكم عدو مبين ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشاً من الضأن اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد

فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا فهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضاين وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرا ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما على طاعم يطعمه طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشي المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سايلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله

به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شي من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طاير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك جزيناهم ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبايهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شي من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبايح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان تكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين

جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على أنا منهم على الشرك والتحريم قال الحسن والواحدي إن الله رضي منا ما نحن عليه وأراده منا ولو لم يرض منا ما لم أحدنا ولم نحرم عليه ويعاجلنا بالعقوبة ولا يكون هذا حجة لهم على أن ما هم عليه من الشرك حق لأن الأشياء كلها تجري بمشيئة الله فلو كانوا على صواب لأن ذلك بالمشيئة لكان كل من خالفهم وجب أن يكون عندهم على صواب لأنهم أيضا على ما شاء الله فيؤدي إلى تصحيح الأديان المتناقضة وهذا ظاهر البطلان

فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه. هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم. فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به. وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحداً منهم. ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله. فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذاهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناساً يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم. قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم. وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول. وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي. فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب أن لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا. فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما

علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه. والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم. فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله. ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق. ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون. ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه. إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم. إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره. والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه. بالقسط بالسوية والعدل. لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه. ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. وقرئ وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث. وقرأ الأعمش وهذا صراطي. وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم. وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك. ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات. فتفرق بكم فيتفرق بكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام. وقرئ فتفرق بإدغام التاء. وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه. وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار. وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات

أراد كعب الكتب بالإضافة والدليل عليه قولهم كعب الحبر الكتب

ما اوتى شئ في التورية فان قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان
قلت كيف صح عطفه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل
توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فكانه قيل
ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب
المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذى
احسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون تماما على الذى احسن تماما للكرامة والنعمة على الذى احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس
المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اى تتمة للكرامة
على العبد الذى احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم والشرائع
من احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذى
احسن اى على الذى هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اى على الدين الذى
هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اى على الوجه
والطريق الذى هو احسن وهو معنى قول الكلبى اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين
من قبلنا يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها
وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم
اى لم نعرف مثل دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون
وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا
على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم
بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها
وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
ملائكة الموت او ملائكة العذاب او ياتى ربك او ياتى كل آيات ربك بدليل قوله او ياتى بعض آيات ربك يريد آيات
القيمة والهلاك الكلى وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن
عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا

نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا
عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف
عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا
في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت في وقتها
ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احداهما عن
الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تأتيهم
الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذى هو
بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي
الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين كلها في
الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اى تركوه و
كانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شئ انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون لست منهم
في شئ اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة بآية السيف من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ
عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة
ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم
دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما
والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف
به ملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم ان صلاتى ونسكى وعبادتى وتقربى كله و
قيل وذبحى وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتى وحجى من مناسك
الحج ومحياى ومماتى وما آتيه في حياتى واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة
لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته قل اغير الله

أبغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء
فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمروني أعبد ولا تكسب كل نفس
الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي ولا تكسب كل نفس
الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين خلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون
فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك
بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب
بالسرعة لان ما هو آت قريب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة
واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له
اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة.

سورة الاعراف

مكية غير ثمان آيات وسئلوا عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له
والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك
في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان
يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر
به قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن
انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على
عصمته فان قلت فما محل وذكرى للمؤمنين قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كأنه قيل
لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر
مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في
قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
~~ولا تتبعوا~~ من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين
الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم
وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما

نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ
غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل علي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا
ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا
نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا
او هم قائلون فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة
حسنة وقوله او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت
هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف
للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون
فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين
الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج
فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا
لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس
كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها
بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما
خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب
فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم اذ
جاءهم بأسنا الا ان قالوا ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم
انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم
دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء
فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له
ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن
المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم
على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما
كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت

معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن
الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسأل
الله الأمم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف
الأعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة
كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم ويشهد عليهم
الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن
القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم
بما كانوا جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن
به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يخف بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها ولقد مكناكم في الأرض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم
فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون جمع معيشة وهي ما يعاش
به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز
على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد
ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال
ما منعك الا تسجد اذ أمرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت
توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق
السجود وتلزمه نفسك اذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا واحتمه حتما لا بد لك منه
فان قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره
وافتخاره بأصله وازدرائه اصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان
سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك
وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم و
بعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر
واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان
يؤمر بما امر به قال فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض

التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار
ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن
تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد
عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق
في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها
عباده قال فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لأقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما
ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني
الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت
بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد
لأمرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لأقعدن اي
فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لأقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه
كان تكليفا والتكليف من احسن فعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به
ومن اكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى
بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال
ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم
على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما
للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لأقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على
ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد
لأقعدن لهم صراطك المستقيم لأعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على
السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن اى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم
بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة
فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل

فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ﴿ثم لآتينهم﴾ من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل
لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
فان قلت كيف قيل ﴿من بين ايديهم ومن خلفهم﴾ بحرف الابتداء ﴿وعن ايمانهم وعن شمائلهم﴾ بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه
عدى اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة
تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله و
على شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس
متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال
ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا
وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان
للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل
وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها و
اما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل
الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴿ولا تجد اكثرهم شاكرين﴾ قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم ﴿قال اخرج منها مذؤما مدحورا﴾ من ذأمه اذا ذمه وقرأ
الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في ﴿لمن تبعك﴾ موطئة للقسم و﴿لاملأن﴾ جوابه وهو
ساد مسد جواب الشرط ﴿منكم﴾ منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة
عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين
على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ﴿ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل
منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة
ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه
وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ﴿ليبدي لهما
ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾ ليبدي جعل ذلك غرضا ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران

﴿فوسوس لهما الشيطان﴾

ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع
مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية
مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب ﴿الا ان تكونا ملكين﴾ الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه
دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا
يبلى ﴿او تكونا من الخالدين﴾ من الذين لا يموتون ويخلدون في الجنة ساكنين وقرئ من سوءتهما بالتوحيد وسوتهما
بالواو المشددة ﴿وقاسمهما﴾ واقسم لهما ﴿اني لكما لمن الناصحين﴾ فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك
تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال
انا اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة
واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم ﴿فدلاهما﴾ فنزلهما
الى الاكل من الشجرة ﴿بغرور﴾ بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه
كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم
يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل
الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا
لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وعن
سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما من نور يحول بينهما وبين النظر ويقال
طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرا ابو السمال وطفقا بالفتح ﴿يخصفان﴾ عليهما ﴿ورقة﴾ فوق ورقة على عوراتهما
ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخاء
وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرا الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي
يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد ﴿من ورق الجنة﴾ قيل كان ورق التين ﴿وناداهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين﴾ الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة
ابليس وروي انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن
ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا
فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز و
سميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين

في استعظامهم الصغيرة من السيئات واستصغارهم العظيمة من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم في الارض مستقر استقرار ومتاع

او موضع استقرار

الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ومتاع انتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت
البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي
فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني آدم
قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا جعله في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثمة وكتب ومنه وانزل لكم من

لباسا

الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين
لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وفي
قراءة عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله
وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة
تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس
التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس
المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا
محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد
بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى
بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم
يذكرون فيعرفون عظم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف
الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة و
اشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة لا يمحننكم

يا بني آدم

بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان
كان سببا في ان نزع عنهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي
يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله
وقبيله من حيث لا ترونهم وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس
وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء

للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي
وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو
والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرا اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان
وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم
كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد
والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله
لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون
ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح
مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم
القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة
قل امر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا
وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد
في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء
الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب
قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم
به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين
دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون
عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد
وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل
تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب و

[illegible]

السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فأنا أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وتحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم هذه الأشياء وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت هلا قيل للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا الفواحش ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والإثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكل أمة أجل وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما

مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن أظلم ممن افترى فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار حتى إذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوه في العاقبة قال ادخلوا في أمم أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب في أمم في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا بما كنتم تكسبون لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس إن الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة

من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط

او قع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة ويقال للدليل الماهر خريت
لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال
جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة
حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود
انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف و
قرئ في سم بالحركات الثلث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما
يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل
الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه
مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله و
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم
من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لا نكلف نفسا
الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم
الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش
لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا
التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا
لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي
يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا
لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها
على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا
كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا ان
تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان
والحديث وتكون ان بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان

تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على
الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت
هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان
يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا
مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب
يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف
الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار
الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون
يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم
الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من
رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كانت الرؤساء
يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا
الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين
ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم و
التاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه
التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه
وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان
صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ
ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم

يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
يعنى حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء فيه دليل ان الجنة
فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما
رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون مع يأسهم من
الاجابة اليه حيرة فى امرهم كما يفعل المضطر الممتحن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة
وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عينيك ان تطعما الكرى الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير
لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم
ولم يهتموا به ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه
حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب
عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم
يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه
من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اى تبين وصح انهم جاؤوا بالحق نرد
جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد
ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف
عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابى اسحاق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا
او يكون او بمعنى حتى اى يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى
فنحن نعمل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا
وقرئ يغشّى بالتشديد اى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى
قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل
ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اى

خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن
مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اى هو الذى خلق الاشياء وهو الذى صرفها على حسب ارادته ادعوا
ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل
اى تذللا وتملقا وقرئ خيفة وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى ان كان الرجل
لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان
كان الرجل ليصلى الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض
من عمل يقدرون على ان يعملوه فى السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما
يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخيفة و
قد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا
انه لا يحب المعتدين اى المجاوزين ما امروا به فى كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت
بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى
الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله وانى لغفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف
اى شئ قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة
المصدر الذى هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقى وهو الذى يرسل الرياح نشرا وقرئ
نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما
على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرئ مسروق
نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير
وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اى باشرات وبشرى بين يدى
رحمته امام نعمته وهى الغيث الذى هو من اجل النعم واحسنها اثرا حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق
الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ان يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه
الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا

خفية

بلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك
فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم
التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب يخرج
نباته باذن ربه البلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت
ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة
نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث
صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم
المضاف اليه مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او
يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف
كقولك نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن
لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن
سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف
ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق
الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون
ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان
قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي
هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل
ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ
اسم ادريس النبي صلعم وقرئ غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا و
غير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه
من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه

لا يخرج الا نكدا

الذي هو الراجع الى البلد

انا لنراك في ضلال مبين الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق
الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت ~~كيف وقع قوله~~ لم قال قال يا قوم ليس بي ضلالة
ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال
ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول
من رب العالمين استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في
معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان
قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول
رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب
قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره
رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ و
الزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس و
هي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام
مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب
نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من
الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد
عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح
يوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها اوعجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من
ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة
نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم
وليتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة
بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه
كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي
انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي

فكذبوه فانجيناه

واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما

والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك وإلى عاد أخاهم
هودا أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف
بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا
عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت
هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون و
كذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم

فى سفاهة

نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه
فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير وإنا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها
غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام
الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم
أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف
يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و
اذكروا إذ جعلكم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم
إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في
الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة
قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما
سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحو إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت
إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت
استخلافكم قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ
الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما
معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث

فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا
به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما
يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة
الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم
للعذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم
جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك و
عن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير
كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه
والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون بها آلهة ومعنى
الإلهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما يدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها
من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في
البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم
هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر
ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد
إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي
أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون
من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا
قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم
عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم

وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين
هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء
وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **فان قلت** ما فائدة نفي
الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله **قلت** هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن
سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن
ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف
بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح اخو ادريس وقيل
سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة
من ربكم آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية فذروها وآية
نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن
هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة
كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل
وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا
وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة
فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج
معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة
منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء و
المخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق
لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم

ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان
يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت
رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا
وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد
تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام
غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها
وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان
يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا
ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما
راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في ارض الله اي الارض
ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من
انباتكم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ولا تمسوها بسوء لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا
تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه و
سلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى
الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو في موضع الحال
بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء
الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام
من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ
الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة
فان قلت علام انتصب بيوتا **قلت** على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة
قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال

الخياطة والبرى وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين
استضعفوهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير
في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين
اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن
استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم
يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا
مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون ان الله فوق العرش
فان قلت كيف صح قولهم انا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا
ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه
ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان
جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما
وأخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم و
قد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا
عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله
او شأن ربهم ودينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم بتركها
كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري فقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ارادوا
من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون
وهو كونه من المرسلين فأخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم
او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة
ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق
منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما
اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال
أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من
ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما

قال الذين استكبروا

ان كنت من المرسلين

وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم

280

جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم
ويقول لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين و
يجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة
من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي
انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت
قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك
وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف
لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة
المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله و
منه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى
الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم
اولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم
قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله
أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون
الرجال من أتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من
غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب
النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة من دون النساء بل انتم
قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع
الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب
قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا
ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها
ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم
وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول

اخرجوهم من قريتكم

بالشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد
فأنجيناه وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين إلا امرأته كانت من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم
أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت
فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة
فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم و
قيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه **فإن قلت** أي فرق بين مطر وأمطر **قلت** يقال مطرتهم
السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم
بالمطر كقوله غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال
المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين وإلى مدين
أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان كان يقال لشعيب
عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه
فأوفوا ولا تبخسوا **فإن قلت** ما كانت معجزته **قلت** قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم
بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبيا
لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه
ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده
أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه
كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب **فإن قلت** كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل
المكيال والميزان كما في سورة هود **قلت** أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل
كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد
بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء
وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا
يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه

ولا تبخسوا الناس

الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا ولا تفسدوا
في الأرض بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء
وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في
الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل و
الميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه خير لكم يعني في الإنسانية
وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة
والتسوية إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا
بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج
الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون و
ما عطف عليه النصب على الحال أي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا
فإن قلت صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله فكيف قيل بكل صراط **قلت** صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام
كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا واحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه **فإن قلت** إلام يرجع
الضمير في من آمن به **قلت** إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا
يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان
يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل
الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها
أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير
ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن
إبرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم
مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد و
العدد وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح
ولوط وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا
أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم

وتوعدون

وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا

الجزء التاسع

كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من
اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون
على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من
الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه اى ليكونن
احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود
في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون
لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر
قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم
بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم
التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم
التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا والله تعالى متعال ان
يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف
لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء
علما اى هو عالم بكل شيء مما كان ويكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب و
كيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود
لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو
واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا
وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا و
ينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل بالحق وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير
الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت
هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم
قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان
الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث

يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام
بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم
عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما
ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب
الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا
شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء و
هذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام
لما جرى عليهم الأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على
قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم
ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا
قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى
ابن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر و
الضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا و
يتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا
ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال
ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم
النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو
ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم
اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو ان اهل

فاخذتهم الرجفة

الذين كذبوا شعيبا

القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون
بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها
عليهم كما ييسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارى اذا تعذرت عليه القراءة
فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا
او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم
باسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا
وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء و
الضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افامن واوامن حرفا عطف
دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف و
المعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله قلت هو
تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة و
عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك
يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه
فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ
بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت
بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه
قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع
على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف

افامن اهل القرى

ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون

للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان

فهم لا يسمعون

على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم
من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء
لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان يكون
القرى صفة لتلك ونقص خبرا ويجوز ان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك
القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة
في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه
ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر
اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان
ماتوا مصرين لا يرعوون ولا يلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات
ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير
للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان
والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية
اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن
انجيتنا لنؤمنن فلما انجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان
المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من
بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من
رب العالمين من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى
الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم
وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما
فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر
الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فيه اربع قراآت المشهورة وحقيق

على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي
وفي المشهورة إشكال ولا يخلو من وجوه أحدها أن يكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع
والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أي لازما له والثالث
أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت
القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو
الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب
على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يذهبوا
معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي و
انقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام فإن قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله قال إن
كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين قلت معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك
بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر
أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون
من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات
منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أومن بك
وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا فإن قلت بم يتعلق ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين
قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها
بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى أنه
أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء
بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة قال الملأ من قوم فرعون
إن هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصا
حية والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملإ
وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه

الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم
به من يليه من الخاصة ثم يبلغونه العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في
المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت
هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل
فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم [من أرضكم] كأنه قيل قال
فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر
أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمز وأرجه من أرجاه وأرجأه فإن قلت هلا قيل وجاء
السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجرا
[ان كنا نحن الغالبين]
أي جعلا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا
من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة فإن قلت [قال نعم] وإنكم
لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال
إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن
لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به
إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا
برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون
أمرا من السماء فلا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين
واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال
فرعون لا نغالب موسى إلا بما منه يعني السحر قالوا يا موسى إما أن تلقي تخييرهم إياه أدب حسن
راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين
قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين [إلى] فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا
قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ
لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي
وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس أروها بالحيل أروها
بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى روي أنهم
ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا

واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في باب السحر وروى انهم لونوا
حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا
هي تلقف ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او
افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو
كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك صاغرين قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهرون فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من
قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا
فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه
ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم
لله قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا
وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم
هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك
لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس
لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروى ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر
لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون
وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم
من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا انا الى ربنا منقلبون
فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك
او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم و
فرعون ينقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا
الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا
وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله   ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم ربنا افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء

افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل
او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا
وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض ويذرك وآلهتك ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه
فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول
الحطيئة   الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء   والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك
موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى أتذره وأيذرك
اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن و
يذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس
رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك
والاهتك اي عبادتك وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف
نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا
الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون
سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة
والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا
ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم
ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية وعدة
النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم
فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها **قلت** هي جملة مبتداة
مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله
واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة   انما
المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يثبتا وله ثنا ولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة

بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين
بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون
قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به و
يمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسونه به من العذاب قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح
لما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته
رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم يوجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف
فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها
فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم
واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة لعلهم
يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة
اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها
في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم
الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية
واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا
بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه من عندك **فان قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة
بان وتنكير السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا
في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء طائرهم
عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما
يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان
يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله
ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ

الا ان

الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير وقالوا
مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما
تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه
قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى
ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به
وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية و
نحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة
في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب مهما بمعنى
متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب
الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه **فان قلت** كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها
قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء
والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق
حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر ان يخرج
احد من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت
القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم
يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء
والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع
فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله
فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى
الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى
ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام وخرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا

والجراد والقمل والضفادع والدم

فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل
الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما
ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما
فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن
جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم
واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر
الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا
طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه
وكانت تمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور و
هي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب
التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله
عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي
والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من
ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها
الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى
اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا
وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى
مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما راى اليد والعصا
ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له و
لقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من
النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف **فاستكبروا وكانوا قوما
مجرمين** نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله
التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن
فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **ولما وقع عليهم**

آيات مفصلات

الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما
ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك
من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا
بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك **الى اجل هم بالغوه** الى حد من
الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله
اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف
عنهم نكثوا **فانتقمنا منهم** فاردنا الانتقام منهم **فاغرقناهم في اليم** واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه **بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين** اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها **واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها** القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل
كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق
وتمت كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون و
الحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك
تم على الامر اذا مضى عليه **بما صبروا** بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل
البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت
ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة
اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى **ودمرنا ما
كان يصنع فرعون وقومه** ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور **وما كانوا يعرشون** من
الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح
هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض
الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبا
فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما
احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر
من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان

ولنرسلن معك بني اسرائيل

الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون

وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليبتلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء
بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر و
ذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم
وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه و
علاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف
عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي
الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها و
لما تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى
فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل
متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم انا متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب
التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا
وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان
كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع
هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم
المعرضون للتبار وانهم لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا و
يبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق
للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم
لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجيب من طلبتهم مع كونهم مغمورين
في نعمة الله عبادة غير الله واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان
قلت ما محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل
فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله

عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب
فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره
الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم
فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا فتم ميقات ربه وميقات ربه ما وقت له من
الوقت وضربه له و اربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وقال موسى لاخيه هارون وهارون
عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين و
اصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد
فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة
كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح و
روي ان موسى كان يسمع الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة
وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين قال رب ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف
اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت
معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف
قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من
الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما
يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول
غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة
الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ
من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت الذين هؤلاء
دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم

واعلمهم الخطأ وبكّتهم على الحق فلجّوا اى تمادوا فى لجاجهم وقالوا لابد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان
يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة
فلذلك قال رب ارنى انظر اليك … فهلا قال ارهم ينظروا اليك … لان الله سبحانه انما
كلّم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه
فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارنى انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب
وانكر عليه فى نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان
الرسول امام امته وكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة
التى هى محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجلّ صاحب الجمل ان يجعل
الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق فى معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد والنظام وابى الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين … ما معنى لن … تأكيد النفى
الذى تعطيه لا وذلك ان لا تنفى المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا و
المعنى ان فعله ينافى حالى كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفى للرؤية
فيما يستقبل ولن ترانى تأكيد وبيان لان المنفى مناف لصفاته … كيف اتصل الاستدراك
قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله … اتصل به على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك
بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به و
كيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا
حقق عند طلب الرؤية ما مثّله عند نسبة الولد اليه فى قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا فى جهاته فسوف ترانى تعليق لوجود الرؤية
بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه
فى بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك
ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية اعنى
قوله فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له
امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا
دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبى قال لى الربيع بن خثيم

قال لن ترانى

ابسط يدك دكاء اى مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اى قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى
صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقه فصعق واصله من الصاعقة
ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى
ان الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض
اطمعت فى رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية
وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس
فان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب … من اجرائه تلك المقالة
العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية
فى هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان
ذلك مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجيا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه
وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا
هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول
ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد
بقوله ارنى انظر اليك عرّفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة فى جلائها باية مثل آيات
القيامة التى تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كانى انظر
اليك كما جاء فى الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة
جلية هى فى الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن ترانى اى لن تطيق معرفتى
على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فانى اورد
عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف
تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله
دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت
وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال
يا موسى انى اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتى وهى اسفار
التوراة وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين

على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر
كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله وبنيا ولكنه
كان تابعا له وردا ووزيرا والكليم موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح

وكتبنا له في الالواح

وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد
جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها
من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت
من السماء فيها التورية وان طولها كانت عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول
كتبنا وموعظة وتفصيلا لكل شيء بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه
في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء
منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا
باسمي كاذبين فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح
او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي
العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن والاحسن كالاقتصاص والعفو
والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح و
يجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا
مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله بفسقهم
في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقراءة الحسن ساوريكم وهي لغة
فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واورنته ووجهه ان تكون من اوريت الزند كأن المعنى
بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب
المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم

وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها
هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن
ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق
وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم
وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم
فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق
لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية
من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد و
الرشد والرشاد كالسقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما
اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ذلك في محل الرفع او
النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه والذين كذبوا بآياتنا و
لقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى
المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما
وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قيل لم قيل واتخذ قوم موسى

واتخذ قوم موسى

عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم
باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد و
لانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه
وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي
ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من
حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة و
كونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم
الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها

له خوار

بني اسرائيل عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان
السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل

فكان عجلاً له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسداً على البدل من عجلاً الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً الم يروا حين اتخذوه الهاً انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالاً ان يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبيناً كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفاء من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة ومن سيرة الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به

فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضباً لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديداً شديد الغضب وكان هرون الين منه جانباً ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظناً باخيه انه فرط في الكف قال ابن ام قرئ بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني انه لم يال جهداً في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا يشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قريناً لهم وصاحباً او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية وكذلك نجزي المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي

وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين

غضب من ربهم

كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد
تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته
متخذوا العجل ومن عداهم عظم جناياتهم اولا ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت
فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لابد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع
فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان
يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك و
قطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه
من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او
اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم
وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن
مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من
اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا
فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا
العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا وان يتطهروا و
يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل
فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم
ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني
ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا
تمن منهم الاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة
لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم

فلما — اخذتهم

لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين
كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت
وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها
وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولينا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا
حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه
يهود اذا رجع وتاب والهودج هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد
وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين
ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامَلناها او حُركنا اليك وامِلنا على تقدير
فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة
فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده
يهيده قال عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مساغ لكونه مفسدة ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة واما رحمتي فمن
حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي
وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي الامي
صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل
لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في

فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلّوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وعزّروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوّ وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوّته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا موسى لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرّض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكوّن عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى واتبعوه لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي

الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون اواراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه السلام مني فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا مميزا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة سبطا من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست

هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين

قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف
عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله قد علم كل اناس مشربهم نظير
قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتا عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال و
ثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو
سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وجعلناه
ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون
انفسهم (يظلمون) ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف
اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا
تناقض بين قوله اسكنوا هذه (القرية) وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم
للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او
اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير
قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء
للمفعول واسألهم عن القرية وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع
بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي
فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير
في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة
قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم اذ يتجاوزون حد
الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في
الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت
وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها
بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا الامر وكذلك قوله يوم سبتهم شرعا معناه

حيث شئتم رغدا وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا

يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم
وقرئ لا يسبتون بضم الياء وقرأ علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون
على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما
محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن
اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة
واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب
الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش
البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل
كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون
وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في
موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم
ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط
ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان ينتفعوا بعض الانتفاع وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة
الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي
لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا
لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من
فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا
صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي
وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على
المآصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا
سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس
الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله
في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون
منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل

بما كانوا يفسقون

ما ذكروا به

هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم نهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر **بئيس بما كانوا يفسقون** شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل **فلما عتوا عما نهوا عنه** فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا و

والعذاب البئيس هو المسخ **واذ تاذن ربك** عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود **الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب** فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر والمعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد **وقطعناهم في الارض امما** وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم **منهم الصالحون** الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين **ومنهم دون ذلك** ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة ما محل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام **وبلوناهم بالحسنات والسيئات** بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون **فخلف من بعدهم خلف** وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وورثوا الكتاب** التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها **ياخذون عرض هذا الادنى** اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة **ويقولون سيغفر لنا** لا يؤاخذنا الله بما اخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له **الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب** يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة **ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه** في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية **والدار الاخرة خير** من ذلك العرض الخسيس **للذين يتقون** الرشى ومحارم الله وقرئ وورثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا **افلا يعقلون** بالياء والتاء ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب

يرجعون

المذكورين

وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقوّل عليه ما ليس بحق وإن
فُسّر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن يكون أن
مفسّرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق علام عطف قوله ودرسوا
ما فيه على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أُخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه و
الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر
المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا و
عملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون
قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسّكون بالتشديد وينصره قراءة أبيّ والذين مسكوا بالكتاب
التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلوة فكيف أفردت إظهارا
لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقراءة ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب
وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء
إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه
إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها
وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها
وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه
اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي
رُفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا
اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة
القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه
وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم
فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن
استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة
الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقراءة ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى
وتذكروا وإذ أخذ ربك بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم
من أصلابهم نسلا بعد نسل وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل

من بني آدم من ظهورهم ... وأشهدهم ... من أنفسهم

والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم
ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في
كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله إذ قالت الأنساع للبطن الحق
قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي
فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم
لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء
بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم بنو آدم وذرياتهم من هم
عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد
رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها
وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل
فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم
الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن
باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان
فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان من
الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى
وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه
ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال إلى السفالة كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع
المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة

للنزوبه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا
ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الأرض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا
في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله و
أذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض
له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب
يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض
فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب
في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل
عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان
تركته على حاله لهث والنصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين ما محل الجملة الشرطية
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤوا نعت
رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون
به فاقصص القصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته
وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما
لهم ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري
ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون اما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى
الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى و
ما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم
يتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون فهو المهتدي حمل على اللفظ
وفأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها و
لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون كثيرا من الجن
والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم
الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات
الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاعراقهم

في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم الا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات
وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا
لك دلوكا عجن بخمر واني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم أنه النبي الموعود
وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه
والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم
يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة
من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز
عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نحي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه
الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير
والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح
وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام
آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن
كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون
بالحق وعنه عليه السلام ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب
وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال
درجة بعد درجة قال الأعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب
بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله
نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في

واتبع هواه

يلحدون ما كانوا يعملون

يعدلون

والذين كذبوا بآياتنا

المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد
فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على نستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين
سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة إن هو إلا نذير مبين من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون و
عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم
ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما
يدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم
الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والاصل
وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى أن يكون قد اقترب
أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول
العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان
بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق
وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون قرئ
ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه
قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا
متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها
وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل
من أويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى ان يكون من اين لانه زمان
واين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها
وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر
الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله قل
إنما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل

عند ربي

لكي يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت
الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده
اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى
وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان
يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم إلا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في
السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة
ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله والحفي في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به
بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها اي
عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كأنك حفي اي عالم بها و
قيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى
بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله
في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كأنك حفي
بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم
يؤته احدا من خلقه لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولما جاء به من
زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرر العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم
محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب
اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي
وملكني من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن انا إلا نذير
وبشير ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع
واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا
وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما انا

يسألونك
قل انما علمها عند الله

شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعاً لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان
فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفاً أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من
أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن
الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى
ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكّر بعدما أنّث في قوله واحدة منها زوجها
ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها
فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان حملت حملاً
خفيفاً خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما
يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه علي كبدي حين حملته فمرت به فمضت به
إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملاً خفيفاً يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت
وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية
كقوله أفتمرونه وأفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل
حملها كقوله أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء
ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحاً ولداً
سوياً قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولداً ذكراً لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا
ولنكونن من الشاكرين لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ما طلباه
من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف
إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع
الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى
وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو
أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى
إلى قوله في قصة أم معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد
هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما
ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف

فلما تغشاها

وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك
وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه وقرئ شركاً أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكاً في الولد
أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى
أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء
لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصراً ولا أنفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم
وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما
تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون أم صمتم عن دعائهم في أنه لا
فلاح معهم هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية لأنهم كانوا إذا
حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الإنسان ضر وكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين
عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم
إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم
استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل
بينكم ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها
أم لهم آذان يسمعون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون
من دون الله عباداً أمثالكم بتخفيف إن ونصب عباداً أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون
الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون
جميعاً أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني لا أبالي بكم وإنما قال هذا لأنه واثق بعصمة الله وكانوا قد
خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون إن وليي الله إن ناصري عليكم
الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته أن ينصر
الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون
ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر
إليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال

ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون

فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين

وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم

الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم
حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما
نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض
عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت
الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك و
تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في
القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك
بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس
الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم
طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال
يطيف طيفا قال اني الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من
طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام
بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم
واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه و
يعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم
حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان
الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر
جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا لم جمع الضمير في اخوانهم
والشياطين مفرد المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه
لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها
ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى

واخوانهم

الضمير هو

واذا لم تاتهم باية قالوا

او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها
هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء
بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت
ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا
تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا
وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب
الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هاتين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات
الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله و
فضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره و
هو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله
النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله
الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل
قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم
الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف
بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن
الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها
خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان
ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا في

فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقالت الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هولاء ما شرطت
لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابى وقاص قتل اخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص
واخذت سيفه فاعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من
المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله
من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سالتنى السيف وليس لى وانه الآن قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة
ابن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله
من ايدينا فجعله لرسوله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح
ذات البين وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن
فى اللام وقرأ ابن مسعود يسلونك الانفال اى يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال
ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله قل الانفال لله والرسول معناه ان حكمها مختص
بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر فى قسمتها
مفوضا الى راى احد والمراد ان الذى اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسى المقاتلة المشروط
لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم
ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافى فاتقوا الله فى الاختلاف
والتخاصم وكونوا متحدين متآخين فى الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله وتآسوا وتساعدوا
فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض ما حقيقة قوله ذات بينكم
احوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات
الصدور وهى مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك
يريدون ما فى انائك من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم
الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم
كاملى الايمان واللام فى قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اى انما الكاملو الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن

ام الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان
الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته
ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت
بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق وفى قراءة عبد الله فرقت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ازدادوا
بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل
وعن ابى هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن
استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من
الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك هم المؤمنون حقا صفة للمصدر
المحذوف اى اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التى هى اولئك هم المؤمنون كقولك هو
عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان
كنت تسالنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا مؤمن وان كنت تسالنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم
انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه كما لا يقطع
بانه من اهل الثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان و
كان ابو حنيفة ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابرهيم
فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى فقال له هلا اقتديت به فى قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات عند ربهم
شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة
دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف
على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رايت من
تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل
المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها

لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اى اخراجا ملتبسا بالحكمة و
الصواب الذى لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص و
عمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم
اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت
لاخيها انى رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من
بيوت مكة الا اصابها حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل
له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير
وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل فقال
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه
وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا
بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير
قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام
عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو
يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس واراد الانصار
لانهم قالوا له حين بايعوه انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا

على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نشطه
قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى الآن
انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شىء فناداه العباس
وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين يجادلونك فى الحق والحق الذى جادلوا فيه رسول الله تلقى النفير
لايثارهم عليه تلقى العير بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون بعد اعلام رسول الله انهم منصورون و
جدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم فى
فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت
المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروى
انه ما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل
من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا
لشباها ومنها قولهم شاكى السلاح اى تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون
الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته ويقطع دابر الكافرين بآياته المنزلة فى محاربة
ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر والدابر
الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة
العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم فى ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالى الامور
وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك
اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا
تعارض ادناه العير وما فيها وقرى بكلمته على التوحيد ليحق الحق متعلق بقوله ليحق الحق
المحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره
وابطال الكفر ومحقه البر هذا تكريرا لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز
بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرهم عليها وانه

ما نصرهم وخذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا
حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع ثم بيحق اذ تستغيثون
بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من
القتال طفقوا يدعون الله يقولون اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اني ممدكم اصله باني
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة
القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول هل قاتلت الملائكة يوم بدر
اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها
علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم
فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود
من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا
انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه
فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر
فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون
المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه
مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من
قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا
اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى
متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين
بعضهم لبعض وبمعنى متبعين اياهم المؤمنين اى يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم
ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين

او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بفتح الدال فهو بمعنى متبعين او بمعنى متبعين
وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اى مترادفين او متبعين من ارتدفه
فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم
على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فبم يعتذر
لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم
بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم الام يرجع الضمير في وما
جعله الله الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فبمن قرأ بالكسر
الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي
يدل عليه ممدكم الا بشرى ولتطمئن قلوبكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم
لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا
من عند الله ان الله عزيز حكيم يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم النعاس بدل
ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله او باضمار اذكر
وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له
اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اى لامنكم ومنه
صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله فعلى غير هذه القراءة يجوز ان تكون الامنة بمعنى
الايمان اى ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا هل يجوز ان ينتصب على
ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اى يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس
اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في
مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم
على طريقة التمثيل والتخييل لا يبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم
به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم
ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم

من النوم فلما طامن الله قلوبهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان ويُنزّل قرى بالتخفيف والتثقيل

وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانه من تخييله وقرى رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال

إذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم وان ينتصب بيثبت انى معكم مفعول يوحي وقرى انى بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله انى ممدكم والمعنى انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله ... يجوز ان يكون تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرى الرعب بالتثقيل

فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب

إما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون

ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل في المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ... ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه ... عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر

زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ... امارة عليه ... هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها ... او متحيزا

الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت

على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن
دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا
اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك
ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه
اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل
بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم والفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن لانه هو الذى انزل الملائكة و
القى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع
انت يا محمد يعنى ان الرمية التى رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها
لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم
فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذى لا يطيقه البشر
فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرى
ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليعطيهم عطاء
جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذى يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل
وما فعله الا لذلك لدعائهم باحوالهم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع
اى الغرض ذلكم معطوف على ذلكم يعنى ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين
وقرى موهن بالتشديد وقرى على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين والاعمال
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره
وان كان على حق فانصرنا وروى انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه
وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعنى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم واسلم لمحاربته لنصرته عليكم وان الله قرى بالفتح على ولان
الله معين المؤمنين كان ذلك وقرى بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين

وقرى ولن يغنى عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا قرى بطرح احدى
التائين وادغامها والضمير فى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شىء واحد من يطع الرسول
فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع
فى فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه
او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم
المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض
الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم
قال ان شر الدواب عند الله اى ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين
هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فى هؤلاء الصم البكم خيرا
اى انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون يعنى ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا
لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا
رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه
ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان
استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة
الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
مر على ابى بن كعب فناداه وهو فى الصلوة فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال
كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعونى الا اجبتك و
فيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى ان دعاءه كان لامر
لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلى فله ان يقطع الصلوة لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع
لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم فى القصاص حيوة وقيل للشهادة

الصم البكم الذين لا يعقلون

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص
القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم
لطاعة الله ورسوله واعلموا انه اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل
معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف
امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز
وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين
المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا و
قيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين
قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم
نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل
افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد
امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب
واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم
فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على
ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن
الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه
سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن
على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة
قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن
السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يسامر النبي صلى
الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا
قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في
جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم
قلت التبعيض على الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا يصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من سائر الناس واعلموا ان الله شديد العقاب اذ انتم قليل مستضعفون نصبه على انه مفعول به مذكور لا
ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم
قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى
المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس و
اشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع
لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول معنى الخون النقص كما ان
معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت
الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب و
خان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم
تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن
تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم
بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر و
كان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على
حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني
قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر
مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى
يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان

واذكروا

وتخونوا اماناتكم

تصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من
فرائضه وحدوده **فان قلت** وتخونوا جزم ام نصب **قلت** يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي
وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او
محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه
وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم
من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا
لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله يوم الفرقان
او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا
حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة واذ يمكر بك الذين كفروا لما
فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه
عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما
اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في
امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت
باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي
ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان ناخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ
صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل
رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام

في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا
ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من
البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر
الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ
تاثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت
الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين
ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم
واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشية
ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل
قاله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث
القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار
فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت
باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا
فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قوله ان كان الباطل حقا
فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق و
قرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت
السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى
العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها **قلت** كانه اراد فامطر
علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول
صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني
ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال

ان يقال

لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين
دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم
في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم
وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم
الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم
اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي
ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين
وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون
لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين
ان يكونوا ولاة امره وارباببه وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ا
ولاة امره وارباببه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره
انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى
من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون المكاء فعال بوزن الثغاء و
الرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو
الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة
من الصدى ومن صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على
تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان
يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع
العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال

والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول
الله في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا
يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر
وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا
بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا
ليصدوا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم عن سبيل الله فسينفقونها اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع
محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة وكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم
وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا
والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق
الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه
فيجعله في جهنم
جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة
هم الخاسرون
الى الفريق الخبيث وقيل الخبيث المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب
الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به
كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول
بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان
واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم
وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا
به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق
بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف
لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام
يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها و

فيه وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد
فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده
فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون
بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم
اى ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء
حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه و
المشهور آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط
فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما
اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس
قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول
الله وسهم لذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ
بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله
فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا
يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم
على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من
الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر
مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام
ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم
فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول
لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف

نعم المولى ونعم النصير

واعلموا
الجزء العاشر

وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه اي من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير
ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول
مذهب الاماميين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف
الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة
فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب
مالك بن انس وعن ابن عباس انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر
الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم
الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم
فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنهما
كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله
عنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان
الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم
آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس
الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد
يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا
وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين
والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان
ينصر القليل على الكثير والذلة على العزة كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية
على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث
الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية
بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل
وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب

يوم التقى الجمعان

وأعيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا
يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو
مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ فما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير
كانت أسفل منهم الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته
وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم
في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته
وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا
لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب و
مشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف
حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم
ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم
ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن
لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه
تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته
حين وعد إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين
في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى
نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى
ووراءهم العير يحامون عنها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم لاختلفتم في
الميعاد ولكن ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف
بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول
الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي الله متعلق بمحذوف
أي ليقضي أمرا كان [مفعولا] واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه
واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق
الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة

من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه ومغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف
وإن الله لسميع عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه و
إيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصبه بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق
بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم
إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك
في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف و
ما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته ولو أراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الأمر في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين
الثبات والفرار ولكن الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف إنه
عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم
قليلا وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني وإذ يبصركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم
تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا
قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا
رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور
حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين
ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها
بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين
يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا والم
وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت
بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما
يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول
يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون
إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم

لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن
ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة
عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من
البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم
عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب
بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرأ ويذهب ريحكم واصبروا
إن الله مع الصابرين بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة
شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة و
نفذ أمره ومنه قوله أتنظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي وقيل
لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي
عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط كالذين خرجوا
من ديارهم هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن
ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف
علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها
فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين
طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين
أعمالهم لله وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم
لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى
الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن
رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك
بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني
أخاف الله والله شديد العقاب وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت

يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان
وفي الحديث ما رئي إبليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة لما يرى من نزول
الرحمة إلا ما رأى يوم بدر **فإن قلت** هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا **قلت**
لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا إياكم لكان الأمر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن
لكم إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد
الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون
أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي
إلى معنى المضارع إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وإذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء
والملائكة رفعها بالفعل يضربون وجوههم حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وإنما خصوهما
بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني من أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن
يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه
على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا معطوف
على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب
الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار أو يقال لهم يوم
القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت أيديكم يحتمل أن يكون من
كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وأن الله عطف عليه أي ذلك العذاب
بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة
المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داموا عليه وواظبوا والذين من قبلهم

كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب وكفروا تفسير لدأب آل فرعون ذلك بأن الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام
بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت
فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها
الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها
واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه
وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم
من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون زيادة دلالة
على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلعم
ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالئوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم
بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس
الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة
الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من
خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة
حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال
المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط
من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه اذا
شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين
فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم
يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ

ثم ينقضون عهدهم في كل مرة

في الحرب

العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء
العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل
على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه
قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها
حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون
انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من
المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح
وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا
بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين
كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه
بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في
محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا
فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل
كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت
من قتل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن
عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلعم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة
عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في
سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل و
فصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط
الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن
اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل
له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون
قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم
عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة

الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل
الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب
قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن
ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح
بضم النون وتوكل على الله انه هو السميع العليم ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان
الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله هو الذي ايدك بنصره فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء
والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع
رسول الله واتحدوا وانشاؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم
واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله و
البغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد
وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق
جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد
والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان يتجنب هذه ما آثرته اختها وتكره هذه ما
تنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا
اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما
بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع
قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا
او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر
قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله

وبالمؤمنين

عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب
ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون
لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر
والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل
عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم مقاومة الواحد الاثنين و
قيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين
وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ
الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن و
قيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على
ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين
المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قرئ للنبي
على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم
اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى يثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة
التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز
الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا
يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال
قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال
عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد

للنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض

قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة، وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم، ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا، ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق، و روي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية، وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير، و روي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه، و روي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي تريدون عرض الدنيا حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريدون الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل، وقرئ يريدون بالياء، وقرا بعضهم والله يريد الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا و يطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم، وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها، وقيل ان اهل بدر مغفور لهم، وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت، وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل

طيبا واتقوا الله

لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم، وقرئ من الاسرى خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة، وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا، وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك، و روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة و انا انتظر المغفرة من ربي، و روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة، وقرا الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم والله عليم حكيم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة، وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض، وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا

يغفر لكم والله غفور رحيم

فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق والله
بما تعملون بصير عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدءون بالقتال اذ الميثاق مانع من
ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم
اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم و
مصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا
ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام
على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة
في الارض وفساد كبير ومفسدة كبيرة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان
الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من
هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة
للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل لهم مغفرة ورزق كريم والذين
آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله
في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة
رحمه الله على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال
وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل
منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة
المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي
تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر
عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة
التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت

بآية التسمية كما في سائر السور **قلت** سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا
وتوفي رسول الله صلعم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما
وكانت تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي
براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة
قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد
كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه
يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى
واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس
ولا بأس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان
وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراءة
سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت
بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة من الله ورسوله الى
الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها و
الخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة و
قرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله
قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم **فان قلت** لم علقت البراءة
بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق
المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما
تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا
المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ
العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم
وهي الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع و

واصلة

فسيحوا في الارض اربعة اشهر

من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال
هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان
ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر
الى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي
بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن
مجاهد ثلث عشرة اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك
يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه الا طعن بالرماح
وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها
ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا
في نقض العهد فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه **فان قلت** الاشهر الحرم ما هي **قلت**
عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر
وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها
وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء
على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب
الصيانة وابيح قتال المشركين فيها واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين غير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان من
الله ورسوله الى الناس واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اي فرق بين

معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت
فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان
البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد
ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته
فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا
فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن
الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق
ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا
وقرئ إن الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في برئ او على محل ان
المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي برئ معه منهم وبالجر على
الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريا
من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه و
عقابه **فان قلت** مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم **قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله
فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في
الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي
كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في
ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا
كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم

الخزاعي على رسول الله فانشده لاهمّ اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الاتلدا ان قريشا
اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجّدا وقتلونا ركّعا وسجّدا فقال عليه
السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اى لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا
اليهم فادّوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم
اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم
التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم
من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف
في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه
على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او
فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان
المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والغدر وان احد مرتفع بفعل
الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من
عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد
بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له
فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه بعد ذلك داره التي
يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت
وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي
الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله
او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي
والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اى ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره
بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند
رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك
ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اى ولكن

الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا
تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من
اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما
كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات
اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق
لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الّا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد
لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل الّا الها وقرئ ايلا
بمعناه وقيل جبرئل وجبرائل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت
الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا
به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اى انين يرفع به صوته ودعت الليها
اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين
الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يرضونكم كلام مبتدأ في وصف
حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة
ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون
خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي
عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات
الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه
او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون
الّا ولا ذمة واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر و
نقض العهد واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا
آباءهم فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها
فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة
عليها لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا
وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا

وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر
وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا
ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج
من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة
والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم
قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان و
به استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم
يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا
ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون المقاتلة
سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت
كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة
مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان يكون
ومن صرح بها فهو لاحن محرف واما الا تقاتلون (قوما) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء
المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج
الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب
المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ
اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم
وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث
العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك مصادمته وان
يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا
اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي
من سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال
قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم

يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين

النصر والغلبة ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن
وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ (قلوبهم لما لقوا) قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد
كلها وكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام و
اخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم
وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى
والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى
يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة
من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما معناها التوقع
وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز
بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا وداخل في حيز الصلة كانه قيل
ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة
من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل
في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد
الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام
وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل
بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت
ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة
الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين
حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله
مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا
شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل
المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول

ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون

الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الصالحة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار الى قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المساجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه **فان قلت** هلا ذكر الايمان برسول الله **قلت** لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة **فان قلت** كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء

وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقراءة الحسن وعشائركم قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
منه

والله لا يهدي القوم الفاسقين

ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد. عن ابن عباس هو فتح مكة. وعن الحسن عقوبة
عاجلة او آجلة. وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد
الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب
في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر و
المال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته
فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع
على انفه ذباب فطيره. لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
قال: وكم موطن لولاي طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوي. وامتناعه من الصرف لانه
جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد. والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية
وخيبر وفتح مكة. **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن **قلت**
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين. ويجوز ان يراد بالمواطن
الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر. و
موجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح
لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا
خاصا به الا اذا نصبت اذ. وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من
الطلقاء. وهم هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم
الغفير. فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل

فلم تغن عنكم

قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت
المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ
فلهم مكة وبقي رسول الله صلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس
آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوة. وقال يا رب ائتني بما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض
على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس

ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا. قال العباس لكاني انظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته. وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية
والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك
دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر. والمعنى لا تجدون موضعا
تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل
الله سكينته على رسوله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل
هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف
وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء و
الذراري وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثم يتوب الله اي
يسلم بعد ذلك ناس منهم. وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا يا رسول
الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا. قيل سبي يومئذ
ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول
اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا. يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة
بعينها مبالغة في وصفهم. وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير. وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ. واهل المذاهب على خلاف هذين القولين. وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم
على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا
لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد. فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا
يفعلون في الجاهلية. بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر
رضي الله عنه على الموسم. وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين

نادى براءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم و
عند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمه الله يمنعون منه ومن غيره من
المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين
ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل
السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم
الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم
وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم
وكان مصلحة لكم في الدين ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم
باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب
والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين
الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه و
معتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اى يقضوه او لانهم يجزون بها
من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي
حتى يعطوها عن يد اى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف يد المطيع
المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال
خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد
ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اى تؤخذ
منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس
وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط

حتى يعطوا الـ

بالاسلام عند ابي حنيفة رحمه الله ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند
ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى
الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال
لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي
رحمه الله لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب
اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا
تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان
او غنيا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير
اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله
عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان
الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود
ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا
القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه
التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام
الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا
مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى
تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى
لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول
المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم
بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا
انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من
حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه

وقالت النصارى

فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة
بنات الله وقيل الضمير للنصارى اى يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم
منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا
تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال
لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم
اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان
وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال
اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتستحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم و
عن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين
جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد
له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا
ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان
يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاضاءة والاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر
دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا
قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله و
كيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ

الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله
يأكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشى
في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على
اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في
سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين
من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب
ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسختها الزكوة اية الكنز وقيل هي
ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادى
زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن
عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر
له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت
زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم يؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان
على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن ابي الجعد انها لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا
وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء
كوى بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي آخر فوجد في
مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة
فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه
فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون
الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء
حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في
الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى
دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان

طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا
ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإني وقيار بها لغريب وقيار كذلك **فإن قلت**
لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال **قلت** لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا
يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال
فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما **فإن قلت** ما معنى قوله يوم يحمى عليها وهلا قيل تحمى من
قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد **قلت** معناه أن النار تحمى عليها أي
توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فإن
قلت** فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله
يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها
كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه
قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء **فإن قلت** لم خصت هذه الأعضاء **قلت**
لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند
الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويبجلون ويحتشمون
ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا
الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل
معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول
وقوله لأنفسكم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ ويحصل لها الأغراض التي حامت حولها
وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ
تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في
اللوح أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة و

يوم خلق السموات والأرض منها

ذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت
عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة
وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة
هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون
الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم
ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها
حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما
نسخت وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه
لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
الآية وإن كان ذلك محرما في سائر الشهور وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل أو المفعول واعلموا
أن الله مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها إنما النسيء زيادة في الكفر يحلونه عاما
ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد
خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر
أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم
عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج
إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم
فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية
ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم
إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل
على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره
يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا
وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء **فإن قلت**
ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله **قلت** معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص

كما يقاتلونكم كافة

يضل به الذين كفروا

ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم
القبيحة حسنة والله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرى زين لهم سوء اعمالهم على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا
الاعمش اى تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى والمعنى ملتم الى الدنيا و
شهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى
الاقامة بارضكم ودياركم وقرى اثاقلتم على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ **فان قلت**
فما العامل فى اذا وحرف الاستفهام مانعة ان يعمل فيه **قلت** ما دل عليه او ما فى ما لكم من
معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله فى الحال اذا قلت ما لك قائما وكان
ذلك فى غزوة تبوك فى سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا فى وقت عسرة وقحط
وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله فى غزوة الا
ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الدنيا من الاخرة بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة فى الاخرة فى جنب الاخرة الا تنفروا يعذبكم
عذابا اليما الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول
عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غنى عنهم فى
نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه لان الله
وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما
غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص **فان قلت** كيف يكون قوله
فقد نصره الله جوابا للشرط **قلت** فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين
لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره فى
المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت والثانى انه اوجب له النصرة وجعله منصورا فى ذلك
الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم فى قوله من
قريتك التى اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله فى الخروج فكانهم اخرجوه ثانى اثنين
احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضى الله عنه
ويروى ان جبريل صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابو بكر وانتصابه
على الحال وقرى ثانى اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه

لا تحزن ان الله معنا والغار نقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا
اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب
اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة
ابى بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل
سكينته ما القى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا السفلى دعوتهم الى الكفر وكلمة الله هى العليا دعوته الى الاسلام وقرى
وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهى فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله فى العلو وانها
مختصة به دون سائر الكلم والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا خفافا فى النفور لنشاطكم
له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من
السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا
وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل قوله
ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان
بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته
يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخى استنفرنا
الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى
الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف و
الثقيل فان لم يمكننى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة لو كان
عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر
اى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم وسطا مقاربا
الشقة المسافة الشاقة الشاطة وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين
والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح
وسيحلفون بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين اى سيحلفون

بالله يقولون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار
بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون اما ان يكون بدلا من
سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون
عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا
والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم
الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن
ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان
العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه مالك
اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما
رسول الله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن رسول الله ابدا و
لنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين
رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن
المستبصر وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر
الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين
بغير اضافة وعده باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان
قوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن
كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن

الى زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا مع القاعدين
جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو
قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في
نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان
مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة
فان قلت فلم خطأ رسول الله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن
للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان
عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في
ترك رسول الله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة
وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة
ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد
عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت
هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في
البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا
خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور و
اذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال
بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا
بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته
انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي
وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال
والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا
اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي
اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة
الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف

والله عليم بالظالمين

بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم
او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اى العنت ونصب الغوائل والسعي في
تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن
ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل
غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ
وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون
ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني
ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي و
قيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني
نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اى
ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ
مجموع المعنى وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الآن لان
اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك
مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا
قد اخذنا امرنا اى امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل
ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل
تولوا اعرضوا عن رسول الله وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء
ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب و
مصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة
من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا
مفيد معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او
الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اى الذي يتولانا ونتولاه وذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتكلوا على غير الله فليفعلوا ما
هو حقهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى
العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأتين من العواقب اما ان يصيبكم الله

بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا
بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه ولا يتجاوزه قل انفقوا
يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اى طائعين او مكرهين فان قلت كيف
امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر
لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولا
نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه
كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان
كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملني بالاساءة و
والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا و
انظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار و
تركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل امن كون رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما بذلوا
منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله
طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم
منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان
رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم
وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق
التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل بالتاء والياء على
البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم
على ان الفعل لله عز وجل كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى بالضم والفتح جمع
كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا و
لا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات
في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية

منهم ان تقبل
منهم نفقاتهم

وأن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه **فإن قلت** الكراهية
خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعاً ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون
قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك
إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها
في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه
والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله إنما
أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم
الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه
واكتسابه وفي تربية أولادهم **فإن قلت** إن صح تعلق التعذيب بإرادة الله فما بال زهوق أنفسهم
وهم كافرون **قلت** المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً كأنه قيل ويريد أن
يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم
وما هم منكم ولكنهم قوم لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام
تقية لو يجدون ملجأ مكاناً يلجؤون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات
أو غيراناً وقرئ بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته
أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى
مهارب ومفار أو مدخلاً أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ
مدخلاً من دخل ومدخلاً من أدخل مكاناً يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب متدخلاً و
قرئ لوألوا إليه لالتجؤوا إليه وهم يجمحون يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء من الفرس الجموح
وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون و
يشتدون واحد ومنهم من يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم
وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال
ألم ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله
لا أبا لك أما كان موسى راعياً أما كان داود راعياً فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا و
أصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة

مبالغة في اللمز ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه فإن أعطوا منها
رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون وإذا للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجؤوا السخط جواب لو محذوف
تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم
وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول
الله أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله راغبون في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون إنما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها
لا يتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم
ولا يكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة
وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك
وعن سعيد بن جبير لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي
وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف
الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية
والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب
المكاتبون يعانون منها وقيل الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين
ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها
وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو
فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة من الله والله عليم حكيم في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما
الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة **فإن
قلت** لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة **قلت** للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق
التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله

الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله

وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **فان قلت** فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه الأوصاف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفاً عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فإذا نحن أتيناه فنعتذر إليه فيسمع عذرنا أيضاً فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال **فان قلت** لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى الله وإلى المؤمنين باللام **قلت** لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم **فان قلت** ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب **قلت** هي علة

معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيداً ويجوز أن يكون فأن له معطوفاً على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم وقرئ ألم تعلموا بالتاء يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة كانوا يستهزؤن بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون **فان قلت** الحذر واقع على إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون **قلت** معناه محصل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع

الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و
ثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم
قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم
التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير
تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزؤا فلم نعذبهم في العاجل نعذب
في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقراءة مجاهد ان تعف
عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير
بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك
وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث
وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم
لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر
بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار
والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ
عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به
المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول كسلت لان
المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه
وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم
مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين
ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز
ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق
والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب
ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب

على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا تفسير لتشبيههم بهم وهو تمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان
اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وخضتم والخوض الدخول
في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا وكالخوض الذي خاضوه **فان قلت** اي
فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى
قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا **قلت** فائدته ان يذم
الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية
عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر
الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله
فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله و
اما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين واهل مدين وهم
قوم شعيب والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود و
صالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم [ولكن] فما صح منه ان يظلمهم
وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به
فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم
من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد
الوعيد في قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن
ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو
يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين و
المؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه

فاستمتعوا بخلاقهم واستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم

[كا]نوا انفسهم يظلمون

ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته **ورضوان من الله اكبر** وشيء من
رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم
تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في
نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة و
ان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا
تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر
في زمرة المهديين المرضيين عنده **ذلك** اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو **الفوز العظيم** وحده
دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **يا ايها النبي جاهد الكفار**
بالسيف **والمنافقين** بالحجة **واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير** في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل
من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل فيه الغلظة
ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان
لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين
على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس
بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم
سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل
والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله
ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق
فنزلت **يحلفون بالله ما قالوا** فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله
لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم**
واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** وهو الفتك برسول الله وذلك عند

مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا
ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله **وما نقموا** وما انكروا وما عابوا **الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله** وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل
ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الفا
فاستغنى **فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير** هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار **ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون**
روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني
ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها و
هلك في زمان عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال
ابن عباس يريد الحج **فاعقبهم** عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل **نفاقا**
متمكنا **في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** لانه كان سببا فيه وداعيا
اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا
ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق وكونهم كاذبين ومنه

جعل خلف الوعد ثلث النفاق. وقرئ يكذّبون بالتشديد. ألم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه. أن الله
يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف
ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها
الذين يلمزون محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم
ونجواهم. وقرئ يلمزون بالضم. المطوعين من المؤمنين في الصدقات المتطوعين المتبرعين. روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية
من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت
أربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك له حتى صولحت
تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا. وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء
أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي
وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون و
قالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه
أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت. إلا جهدهم إلا طاقتهم قرئ بالفتح والضم. فيسخرون
منهم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم. سأل
عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت
فقال عليه السلام إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم
أم لم تستغفر لهم. وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون
جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصبحن العاص
وابن العاص سبعين ألفا عاقدي النواصي كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب كلام العرب وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد
كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين لم يخف
عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم
ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لجماعته لأمته

والذين لا يجدون

ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض. فرح المخلفون الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين فأذن
لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان. بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو. خلاف رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم و
يشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله. وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعد
ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له. وكرهوا أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم
وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا
يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان ودواعي الإيقان. وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد
حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد
كان أجهل من كل جاهل. ولبعضهم: مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه
الصاب فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب. فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر
للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره. يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم. وإنما قال فإن رجعك الله إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب
عن النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح. وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين
فأراد بالطائفة المنافقين منهم. فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم
رضيتم بالقعود يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك. وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم
عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم
من المتخلفين. فاقعدوا مع الخالفين قد مر تفسيره. وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين
مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو
دال على واحدة من المرات. أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن
قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة. وعن قتادة
ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه
فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني

لو كانوا يفقهون

وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته
فسأله عن اسمه فقال ان عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له
عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل كيف جازت
له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك أن
العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله
قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول
الله أسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك واجابة له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد
سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي
انه قال له أسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء وعلما
بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون الباسه اياه
لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن تغني عنه
من الله شيئا واني أؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم
ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه
واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الاسلام
وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه
فكيف جازت الصلوة عليه لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون
مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا
اني اعلم ان رسول الله لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى
على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده تزهق
وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى
فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه
في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز
ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب

على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الأمر بالايمان والجهاد أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله
استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين هي ان المفسرة أولوا الطول ذووا الفضل و
السعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم عذر وعذر في التخلف رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقا و
الهلاك لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد
الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم المعذرون من
عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل و
لا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في
العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم
الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون
بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا
ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن
قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر
بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء و
الصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر
المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا للعذر ولم يعتذروا وظهر بذلك
انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله الضعفاء الهرمى

والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وقيل بنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت حال من الكاف فى اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس لهم فى ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعرى واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار واعينهم تفيض من الدمع حزنا تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول الذى هو حزنا فان قلت رضوا بان يكونوا مع الخوالف ما موقعه قلت هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعنى ان السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعنى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم جزاء

ما احملكم عليه تولوا

سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم

بما كانوا يكسبون يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضى رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام الجفاء والقسوة فى الفدادين على رسوله والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعى عليه بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها قربة لهم شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم وما فى السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبى من بايع بالحديبية و

اى غرضهم فى الحلف طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر و
اهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير
فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان
قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني
بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر
الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأه بالواو فقال من اقرأك قال ابي
فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت
شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا
رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم
لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنياوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من
تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم من الاعراب منافقون يعني
حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهي جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل
المدينة عطف على خبر المبتداء الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا
قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله
انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتداء او صفة لمنافقون فصل بينها و
بينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب
به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون
عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم
قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات
قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك
انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل
وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين
فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن
الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون

اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما
فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
بن حزام وقيل كانوا عشرة فلما بلغهم ما نزل في المتخلفين ايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري
المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من
سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو
الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا
فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم
تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط
به كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك
خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن
لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا
بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة و
درهما بمعنى شاة بدرهم كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم
اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ
وتزكيهم بها الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في
التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم
وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب
ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك
فيما ابقيت وقرئ ان صلوتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله
قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم
لما فرط منهم قرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا
قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويقبل الصدقات
اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شأنه قبول توبة التائبين

وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها
فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على عباده
الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه
لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود
ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها ان الله
هو التواب الرحيم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر
الله قرئ مرجون ومرجؤون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني
وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب
عليهم ان تابوا وهم ثلاثة نفر كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول
الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد
انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى
الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم
واما للعباد اى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام الذين
اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي
احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى
رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا
ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم
الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال
لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا
مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر

وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت
عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال
لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة
تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد
قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد
قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله
ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة
او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار
وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال
لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله
ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه والذين
اتخذوا ما محله من الاعراب محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل
هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة

لمن حارب الله ورسوله

ثم يتصل قوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون باتخذوا
اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد
الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين
لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثا والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله وعن ابي سعيد
الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء
فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم احق ان تقوم فيه من ايام وجوده
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم
ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا

فقالوا نعم. قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء
فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل
هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء
اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة
لذنوبهم فحموا عن آخرهم ما معنى المحبتين محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه
ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن
اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه قرئ
اسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح
وبالكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا وأس بنيانه والمعنى أفمن اسس بنيانه
دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على
قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله
مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى
لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين
لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على
معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف
وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف
فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله
بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم
والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك
وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى
ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء
فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين
قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت

به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان
مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب
في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار
فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه
ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القران
شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة شكا في الدين و
نفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل
ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق و
مقتا للاسلام فمعنى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق
زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا و
تفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة
فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع
انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة
ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة
تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم
واموالهم في سبيله بالشرى وروى تاجرهم الله فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل
له الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار
حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت
قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام
من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة

على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا عليه حقا مصدر مؤكد واخبر بان هذا الوعد
الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن
ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه
عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه و
ابلغ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون
يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي التائبين بالياء الى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف
اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى
وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن
الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق العابدون الذين عبدوا الله
وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها السائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة
في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه
قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب
لك بها شفاعتي فأبى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح
مكة سأل اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام
مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبرامي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار
لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل
بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي
قرابتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله
وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك قرأ طلحة وما استغفر
ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها
اياه اى وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية

وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز
ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم
بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك
ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت
وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر
ابرهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة
الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم ان ابرهيم لأواه حليم اواه فعال من أوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر
التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته
عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه
وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا
اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم و
البيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا
بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة
ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في
حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر
ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن
الا وهو يحتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل
التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم
بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف
عنه كقوله عفا الله عنك الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في
معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل
عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة
تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر

ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

المهاجرين والانصار

المدود والتسويق المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه
بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب
فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم
تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلاثة الثلاثة كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة
واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من
الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلاثة
المخلفين حتى اذا ضاقت الارض بما رحبت برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون
فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم لا يسعها انس
ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا
الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على
توبتهم ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب
على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان
لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك
اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن
بك لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن
لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن
الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على
ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس

هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه
بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل
له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن
كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة
امرنا ان نعتزل النساء ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر
يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في
المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك
توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة
القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق
انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه
كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في
دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من
قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثل هؤلاء في صدقهم
وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار
وافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن
غزوة تبوك وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم
صبيه ثم لا ينجزه اقرءوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال
برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز

نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس
ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء
عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه
عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان
يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب
ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا
ولا يرزءونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح ان الله
لا يضيع اجر المحسنين واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة و
يجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر
وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ
الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل و
يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه
دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك
وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله ان المدد القادم بعد
انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم
النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله
عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد
ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير
ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا
في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو
في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض
يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي

ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل
الجزاء الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي ومعناه ان
نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة
لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر
فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة
كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه
انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه
من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في
ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم
اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب
دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات
الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه
في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد
بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة منهم ولينذروا
قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم
من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم و
بعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره قوله وانذر عشيرتك الاقربين وقد
حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل
هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من

وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم
وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة
ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف
في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين بنصره من
اتقاه فلم يترأف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول من المنافقين من يقول بعضهم
لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة
العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح
على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا
وهم يستبشرون فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان
زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم
لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم
قرئ اولا يرون انهم بالياء والتاء يفتنون ثم لا يتوبون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله
ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم
او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده
او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم
لا يزدجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية
به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك
فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا
يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين ثم
انصرفوا صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان
من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم
او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله
عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه و

الاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من
اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل
لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله و
فوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن
عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من
انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا
ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة
الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه
بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من
ذا قالها اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ
ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء
والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدل من عجب **فان قلت** فما معنى اللام في قوله اكان
للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا **قلت** معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة
يتعجبون منها وينصبونه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس من هذا
المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من
عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي
طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل
لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال
الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب
الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب
في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر

من الحكمة العظمى فكيف يكون عجيبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر
الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق قال الكافرون ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر
الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
لم سميت السابقة قدما لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة
الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها
فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة
وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا
وفي قراءة أبي ما هذا الا سحر ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض يدبر الامر يقضي و
يقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها
لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش
ما موقع هذه الجملة قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه
بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش و
اتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره
وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة
اى ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه
وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا
تذكرون فانه ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اى لا ترجعون
في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم و
حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل
لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء
المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي
نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد

بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا
اى حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب
وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم او بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا
حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم و
العصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو
ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في
عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر منازل والمعنى وقدر مسيره منازل
او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر و
الايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة
البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في
اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خص المتقين لانهم
يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن
التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء ولا يخافون سوء لقائنا الذي
يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله
ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا
واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي
الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول
اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا
خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار

هو الذي جعل الشمس

لتعلموا عدد السنين

فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق و
النور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقترن
بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا
فيها بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح
لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك
كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة
واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان
يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح ان يقولوا الحمد
لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيى بعضا بالسلام وقيل هى تحية الملائكة اياهم
اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هى المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد
لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد و
نصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير
اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل له والمراد اهل
مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعنى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم
الخير ونجيبهم اليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل وينصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به
قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل
كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم يعمهون اى فنمهلهم و
نفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه فى
موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما
فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء
حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها ان كان منبطحا عاجزا عن النهوض متخاذل النوء او كان
قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشى والمضطرب الى ان يخف كل الخفة

ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا
وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم
لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على
طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه
كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال
كان ثدياه حقان كذلك زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا لما
ظرف لاهلكنا والواو فى وجاءتهم للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهى المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا و
اللام لتاكيد النفى يعنى وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفى ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون
على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله
انه لا فائدة فى امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك
نجزى القوم المجرمين كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله
وقرئ يجزى بالياء ثم جعلناكم خلائف الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اى
استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على
حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم
عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو
مستعار للعلم المحقق الذى هو العلم بالشىء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين
فى تحققه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا غاظهم ما فى القرآن
من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من
ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم
عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان
آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير
مقدور عليه للانسان قل ما يكون لى ما ينبغى لى وما يحل كقوله ما يكون لى ان اقول ما ليس لى
بحق ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرنى بذلك

مثل ذلك التزيين

البات

من بعدهم

ربي إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا آتي ولا أذر شيئا من ذلك إلا متبعا لوحي الله وأوامره إن نسخت آية
تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم **فإن قلت** أما ظهر وتبين لهم العجز عن
الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا **قلت** بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز
وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه إلى الرسول و
يزعمون أنه كان قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا
عنه كان الواحد منهم أعجز **فإن قلت** لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من
جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني أن
أبدله **قلت** يرده قوله إني أخاف إن عصيت ربي **فإن قلت** فما كان غرضهم
وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح **قلت** الكيد والمكر أما اقتراح إبدال
قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل
والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه
أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات
وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ
في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور
ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقا
بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله
ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من
أقرب الناس منه وألصقهم به ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني وقرأ الحسن
ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته وأرضأته في معنى أعطيته وأرضيته و
يعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به بالهمز
وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت و
ذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الألف إذا مستها الحركة
انقلبت همزة والثاني أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئا

والمعنى ولأجعلنكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدريكم به
بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري
ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني
متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا
تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا
من إضافة الافتراء إليه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ممن افترى
على الله كذبا يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن
يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان
التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوه لم ينفعهم وإن تركوا عبادته لم
تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل
الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا يقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة شفعت في اللات و
العزى قل أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله
وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم
ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه **فإن قلت** كيف أنبأوا الله بذلك **قلت**
هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به
باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل
بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف في السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يشركون تأكيد
لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة
أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة واحدة
حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن
قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا و
لولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه
وتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف

تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل الله عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت قد دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم

من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج وظنوا أنهم أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدإ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صفته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي إن البغي مصرعه فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم إنما مثل الحيوة الدنيا كماء

أنزلناه من السماء هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف وزين
الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً نبات الأرض مما
يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أخذت
الأرض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا
أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت
تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت
أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون
لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم
واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيداً شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه
واستئصاله كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون كأن لم يغن زرعها
أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن
كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف وهو الزرع وعن مروان أنه قرأ على
المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى طويل الثواء طويل التغني والأمس مثل
في الوقت القريب كأنه قيل لم تغن آنفاً والله يدعو إلى دار السلام دار السلام الجنة أضافها
إلى اسمه تعظيماً لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو
السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلاً سلاماً سلاماً ويهدي ويوفق من يشاء إلى صراط
مستقيم وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو
العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون للذين أحسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من
فضله وعن علي رضي الله عنه غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة و
الزيادة عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول
ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن
الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع إذا دخل أهل الجنة الجنة فيكشف
نودوا يا أهل الجنة

الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر
غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً
بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة ما وجه
قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلائم لا يخلو إما أن يكون والذين
كسبوا معطوفاً على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإما
أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن يجازى سيئة
واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا وجه من الأول لأن في الأول عطفاً على عاملين وإن كان
الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل على بترك الزيادة على السيئة
على عدله ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ ويرهقهم ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم
أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مظلماً حال من
الليل ومن قرأ قطعاً بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب
كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل فما العامل فيه
لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعاً فكان إفضاؤه إلى
الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين
أشركوا مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده
مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في
مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في
الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله أين
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعرخده وصعره
وكالمته وكلمته وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن
تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين إن كنا هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من
دون الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على

استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فيعرف كيف
هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه
حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها
باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان
سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب
بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلوا أي تتبع ما أسلفت
لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو
شر وردوا إلى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون من ليس لربوبيته
حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على
تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل
الحمد قل من يرزقكم من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض
عليكم نعمته ويوسع رحمته أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما
من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه
ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله أفلا
تتقون أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال فذلكم
الله ربكم الحق ذلكم إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا
لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن
تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة
إلى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما
حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمردوا في كفرهم
وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله
منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة
بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون كيف قيل لهم قل هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة قد وضعت إعادة الخلق لظهور

وضل عنهم ما كانوا يفترون

برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه
دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون فأمر بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم
ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق يقال
هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى
اشترى ومنه قوله أمن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل
يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لإتباع
ما بعدها وقرئ إلا أن يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن
الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في
الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق
مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أمن الذي لا يهدي لا يهتدي
بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى
مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن
ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون
أنهم أنداد لله وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظنا لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم إن
الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام
إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع إن الله عليم وعيد على ما يفعلون
من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن أن يفترى افتراء من دون
الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو
عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين
يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما
استقام وكان محالا أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين
ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم ثم اتصل قوله لا
ريب فيه من رب العالمين هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا

ان يتبع

وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن تصديقاً من رب العالمين
وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه
اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريم. ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام
الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان. قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا
انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي
شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله و
ادعوا من استطعتم من دون الله من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده
هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل
من دونه ان كنتم صادقين انه افتريته. بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في
بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروا ويقفوا على تأويله ومعانيه
وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد
من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وان كانت اضوأ من الشمس في
ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها
بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه
من المذاهب. ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله. معناه انهم كذبوا
به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً و
عناداً فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد
علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وراززوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم
عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً. كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من
انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هم الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين
لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة
ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد
الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه. ومنهم من يؤمن به يصدق

به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه ولا يصدق به او يكون
للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن ومنهم من سيصر. وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين و
ان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وان تموا على تكذيبك ويئست من
اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة
بآية السيف. ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت
الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق و
اعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أفأنت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى
صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي
الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الامر او تحسب انك تقدر على
هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويتفطن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا
ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت دلالة على
انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم و
الاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده. ان الله لا يظلم الناس
شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون اي لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب
ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيداً للمكذبين يعني ان ما يلحقهم من
يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سبباً فيه. ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون
وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون. يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضاً كأنهم
لم يتفارقوا الا قليلاً وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة
الامر عليهم. كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما. اما الاولى فحال
منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما
ان يكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب
تناكراً. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او
هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر

وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقراء ابن ابي عبلة ثم بالفتح اى هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اى بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء فقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقراء ابن سيرين فاذا جاء آجالهم قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فهلا قيل ليلا او نهارا لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله او نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون ماذا يستعجل منه المجرمون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى ثم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال

وهم لا يظلمون

او تعرفوا الخطاء فيه فهلا قيل ماذا يستعجلون منه اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى اثم اذا ما وقع به آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقراء الاعمش الحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود قل اي وربي انه لحق واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت صفة لنفس ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اى ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم بالقسط

وبينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون
اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه
المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر
عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم
كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء اي دواء لما في صدوركم من
العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما و
يجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو
الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء
وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب
الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه قل ارايتم اخبروني ما انزل الله
ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبروني لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا اي
انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام و
حرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم
متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم
تفعلون ذلك باذنه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام
منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا
بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد
في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت
والا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة منصوب بالظن و

هو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء
بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ
الفعل الماضي لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم
بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون
في شان وما تتلو منه من قران ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله
الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة القرآن
شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل
من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا
من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه
الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب
على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ
مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب
مشكل لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر
شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك
ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا
وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن
جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن
عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء و
لا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا
من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس

ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية. الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هى محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابى ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى يتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرءون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدى وذلك هو الفوز العظيم اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به فى شأنك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لى لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اى ان الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلى انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض يعنى العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسى فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء اى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال ان يتبعون الا الظن ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع فى معنى الاستفهام يعنى واى شىء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على

احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وقرأ على بن ابى طالب رضى الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اى واى شىء يتبع الذين تدعونهم من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم من الملائكة والنبيين يعنى انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذى جعل لكم الليل ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التى يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون فى نهارهم من تعب التردد فى المعاش والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لنفى الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب فى كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما فى السموات وما فى الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون متاع فى الدنيا اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت مكانى يعنى نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامى ومكثى بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامى وتذكيرى لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر و

أزعجه إذا ناواه وعزّ عليه فإن هل أغدون يوما وأمري مجمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبيّ فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم فإن قلت كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فإن قلت ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا معه فيه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله تعالى أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إليّ قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أي أدوا إليّ ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم أفضوا إليّ بالفاء بمعنى ثم انتهوا إليّ بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إليّ وأبرزوه لي فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من أجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم إن أجري إلا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا وأمرت أن أكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به الدنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم لا يكن أمركم عليكم غمة

ونجيناه ومن معه في الفلك

وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر

عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملائه من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها وباطلا ثم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا فيه أوجه أن يكون معنى قوله قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى إن تريد

الآن تكون جبارا فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة
قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون اى مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون لكما الكبرياء
بالياء فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اى الذى جئتم به
هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى
هذه القراءة ما استفهامية اى اى شىء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر
وقرأ أبى ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به إن الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه
باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته فما آمن لموسى فى أول
أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد
قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف
وقيل الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة
خازنه وماشطته الامر يرجع الضمير فى قوله وملائهم الى فرعون بمعنى
آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ولأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع الى الذرية
اى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من
فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون وإن فرعون لعال
فى الأرض لغالب فيها قاهر وإنه لمن المسرفين فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه
الربوبية وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فإليه أسندوا أمركم
فى العصمة من فرعون ثم شرط فى التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله اى يجعلوها له سالمة خالصة
لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره فى الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت
بك قوة فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل
توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن
يصلح للتوكل على ربه والتفويض له فعليه برفض التخليط الى الإخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة
لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما
تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة

على خوف من فرعون

لقومكما ومرجعا ترجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة وأقيموا الصلاة و
بشر المؤمنين اى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة
وكانوا فى أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم و
يفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك فى أول الإسلام بمكة كيف نوع الخطاب
فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا خوطب موسى وهارون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما
بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ
المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى
الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا الزينة
ما يتزين به من لباس أو حلى أو فراش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط
مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ما
معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح
والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر
والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعلى
النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجىء منهم إلا الغى
والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحى من الله اشتد غضبه
عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله
إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة
وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال
ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على
منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة على
فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على
القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم جواب للدعاء
الذى هو اشدد او دعاء بلفظ النهى وقد حملت اللام فى ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا
نعمة الله سببا فى الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله

ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. وقرأ الفضل
الرقاشي: ءانك آتيت على الاستفهام. واطمس بضم الميم. وقرئ دعواتكما. قيل كان موسى يدعو وهارون
يؤمن. ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان. والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في
وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه
الف عام الا قليلا ولا تستعجلا. قال ابن جريج: فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اى لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا
فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف
التاء من تبع. وقرأ الحسن وجوّزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي
في بيت الأعشى ... واذا تجوّزها حبال قبيلة. لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوّزنا
بني اسرائيل في البحر كما قال: كما جوّز السكّي في الباب فيتق. فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فلحقهم يقال
تبعته حتى أتبعته. وقرأ الحسن وعدوّا. وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان و
انه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت. كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات
حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة
الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت اتؤمن الساعة
في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك. قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني
حين اوشك ان يغرق. وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه. والذي يحكى انه حين قال آمنت
اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه
واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه
جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى
ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر. من المفسدين
من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون. وروي ان جبريل أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ
في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس

وجاوزنا ببني اسرائيل

الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر. فلما ألجمه الغرق
ناوله جبريل خطه فعرفه. فاليوم ننجيك بالتشديد والتخفيف ننبذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
وقيل نلقيك بنجوة من الارض. وقرئ ننحّيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه
طرح بعد الغرق بجانب البحر. قال كعب: رماه الماء الى الساحل كانه ثور. ببدنك في موضع الحال
اى في الحال التي لا روح فيه وانما انت بدن. او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير. او
عريانا لست الا بدنا من غير لباس. او بدرعك. قال عمرو بن معديكرب: أعاذل شكتي بدني وسيفي
وكل مقلّص سلس القياد. وكانت له درع من ذهب يعرف بها. وقرأ ابو حنيفة: بابدانك. وهو
على وجهين: اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه. او يريد بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون. لمن خلفك آية لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق و
روي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا. وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه
فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن
خلفك. وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته
ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء
الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره. او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك
فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله. وقرئ لمن خلقك بالقاف
اى ولتكون لخالقك آية كسائر آياته. ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك و
تمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان
مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمّد
منه لاماطة الشبهة في امرك. ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام. فما اختلفوا حتى اذا جاءهم العلم ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرءوا التوراة
وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
تفرق عنه. وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب
اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه

كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف قال لرسوله
صلى الله عليه وسلم فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه فرق
عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله
فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلاً وخيل لك الشيطان
خيالاً منه تقديراً فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل
وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة
والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة
نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً وسبيل من
خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته
وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة
بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك
فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله
بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما
أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون
من الخاسرين أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز
أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن
آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند
نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين
ولا سأل أحداً منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في
شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه
الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت في شك فسل يعني لا
نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم بمعاينة إحياء الموتى
وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنون
حتى يروا العذاب الأليم حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة
أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك

فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت
الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه
فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها لوقوعها في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كانت
إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين استثناء من القرى لأن
المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلاً والجملة
في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء
وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى
من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح
وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك
آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط
حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم و
صبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض
وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء
يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل ليقتلع الحجر و
قد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل
بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى لا إله إلا أنت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم
منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والإلجاء
لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعاً مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون
فيه ألا ترى إلى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم
إلى الإيمان هو لا أنت وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه
وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس أن
تؤمن يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين

لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب
لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر
وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين
لا يعقلون وقرئ وما يغني وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها
ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين
مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا
حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله وصحة سداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين
الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق
بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله
امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما
انا عليه اأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني
اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلال على الهدى كقوله
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف
يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وأن وان يكون من الحذف
غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر عطف قوله وان اقم على ان اكون
فيه اشكال لان ان لا يخلو من ان يكون التي للعبارة او التي يكون مع الفعل في تاويل المصدر
فلا يصح ان يكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى
ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها
ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي
وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى
المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك للدين استقم اليه

ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تكونن من المشركين فان فعلت معناه
فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين
اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من
الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر
ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون
كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من
فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ
من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني كانه اراد ان يذكر الامرين
جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما
يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل
بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه
واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل
وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة
وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي
اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت
فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة
رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه
فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك

وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي
اثرة قالوا فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قالوا فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن
بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن
والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية
وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما
لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم
بضم الكاف اذا صار حكيما اى جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من
الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت عن الباطل ثم فصلت
كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة
سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد
اى بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اى احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم
فصلت اى فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في
الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل
ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده احكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور
ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او يكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى
القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم اى
امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي
صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير
وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير
في منه لله عز وجل اى انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير

انني لكم منه نذير وبشير

اى انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله
ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا الى الله بالطاعة او استغفروا والـ
الاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم متاعا حسنا يطول
نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان
يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له
فضل في العمل وزيادة جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات يتفاضلون
في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة
وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير
بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه و
قرئ فان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل
على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه
ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير
اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه
فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم
ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقوله نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا
ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يعني انه لا تفاوت في علمه بين
اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان
يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله مجالسته
ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم و
اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن
ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش و
ضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد
ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت
وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال وما من دابة في الارض

الحزب الثاني عشر

الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين بلفظ الوجوب وانما هو تفضل
هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم
او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها
مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض وكان عرشه على الماء اى ما كان تحته خلق قبل
خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين
قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله
ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم ايكم
احسن عملا متعلق بخلق اى خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم
فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن
كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون كيف جاز تعليق فعل البلوى لما في الاختبار من
معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طرق العلم كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى الحسن والقبيح
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده
فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا
للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري
بمعنى علك اى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول
بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت
ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به
او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب

ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
الى امة معدودة ليقولن الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب
والاستهزاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على
ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع
للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي
كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الانسان للجنس
رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من
ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه
ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه
الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم
مغفرة واجر كبير فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا
كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة
مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا
يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله
ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة
بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم
وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم
بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء
وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم و
استهزائهم لم عدل عن ضيق الى ضائق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح الناس صدراً ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوماً عاصين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي: بمنزلة أما اللئيم فسامن بها وكرام الناس بادٍ شحوبها

أم يقولون منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى إليك تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى أمثاله ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا إني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى معناه مثله في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا بعد قوله قل معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله

فإن شئت حرمت النساء سواكم

ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فإن لم يستجب لكم من يدعوه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم فهل أنتم مسلمون متابعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فلان جواد فقد قيل و

قل فأتوا

وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين

لمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلاً أو وصلوا رحماً عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضياً كقوله يقول لا غائب مالي أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا وباطل ما كانوا يعملون أي كان عملهم في نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلاً بالنصب وفيه وجهان أن يكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلاً أي باطل كانوا يعملون وأن يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيناً وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفاً ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة إماماً كتاباً مؤتماً به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم أولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ~~يعرضون على ربهم~~ و ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ويقال ألا لعنة الله على الظالمين فواخزياه ووافضيحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب

أنه القرآن أو الموعد

ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم

والاشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ويبغونها عوجا يصفونها
بالانعواج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد
عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا
يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون
السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس
يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله
وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليس بشيء فما كان
لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد اولئك الذين خسروا انفسهم
اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم
خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
لا جرم فيه في مكان آخرهم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى
عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهو الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت
قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من
الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب
وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في و
الاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني
الفريقين مثلا تشبيها افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير و
معناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح
في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول الا تعبدوا
بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا

انهم في الآخرة

مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع

او ينذر اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه
فاذا وصف به العذاب مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب و
نظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ الاشراف من قولهم فلان
ملي بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملأوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها
او لانهم متمالئون اي متظاهرون ومتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة
او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نريك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان
الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم
في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي
ان يكون ملكا لا بشرا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي والاراذل جمع الارذل كقوله
اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي بالهمز وغيره بمعنى اتبعوك اول الرأي او
ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم
فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من
غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا
جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال
كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل
عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان
يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب
الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم
من ان يتصافوا بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله وما نرى لكم علينا من فضل من
زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت
على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة
على ان البينة في نفسها رحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة
فقوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه الاول واما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا
الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت
خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فما حقيقته

حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره
فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد . فما معنى
قراءة أبيّ . المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية
منه والدليل عليه قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها و
أنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز
أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك إياهم و
حكي عن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر
والضمير في قوله يا قوم لا أسألكم عليه مالا راجع إلى قوله لهم إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله . إن أجري إلا
على الله . وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل . ما معنى قولهم إنهم ملاقو ربهم
معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان
صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم
على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم
إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم
موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة . ولكني أراكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم
أراذل من قوله ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم . يا قوم من
ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم أفلا تذكرون وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به
أنفة من أن يكونوا معهم سواء . ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب معطوف على عندي
خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن
الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي
علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم
ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم حتى تقولوا لي
ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم إن الله لن يؤتيهم خيرا في
الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين
إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال أزدرته

عينه واقتحمته عينه . قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا معناه فأردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته
كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب . فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين من العذاب المعجل . قال إنما يأتيكم
به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء وما أنتم بمعجزين يعني إن
اقتضت حكمته أن يعجله لكم . وقرأ ابن عباس فأكثرت جدلنا . ما وجه ترادف هذين الشرطين
قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل
عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني
فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم . إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه
وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أن يتوب ويرعوي فلطف به سمي
إرشادا وهداية . وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك ومعناه
أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه فكيف ينفعكم
نصحي . أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم إسرارهم و
أسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى إن صح و
ثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا
علي . وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء
إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم . وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي
لا تعلق به للتوقع . من قومك إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد
أصابت محزها . فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله أقبل غير
مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد
حان وقت الانتقام لك منهم . واصنع الفلك بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته
ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله
أحد من أعدائه . ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع . عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك
فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر . ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك و
استدفاع العذاب عنهم بشفاعتك . إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق قد وجب ذلك و
قضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء
أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه حكاية حال ماضية

سخروا منه قال ان تسخروا منا ومن عمله وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت
عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت
نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون فسوف تعلمون منا الساعة اى نسخر منكم سخرية مثل
سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة . وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع
فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا
او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر
وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروى ان نوحا عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء
ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة . وقيل ان الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى
الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا كعب بن حام فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب
عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة
للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب بتعلمون اى فسوف
تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق و
يحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط
والجزاء . . وقعت غاية لماذا لقوله ويصنع الفلك اى وكان يصنعها الى
ان جاء وقت الموعد فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بينهما من الكلام
هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه

فما جواب كلما . انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سؤال
سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن
آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار
وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك
قال الضحاك اراد ابنه وامرأته وما آمن معه الا قليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال و
خمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها يجوز ان
يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها
مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما
لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج
ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة
القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اى بسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله
فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اى بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او
مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله
ما معنى قولك جملة مقتضبة معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم
بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان يكون في
موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام
الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى
التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم
بم اتصل قوله وهي تجري بهم بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل
فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اى تجري وهم فيها في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في
معزل من الماء يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في

ترا كبها وارتفاعها . الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التق وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجرى فى جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قوله ابنه قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قيل كان اسمه كنعان وقيل يام وقرا على رضى الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن على وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابنى من اهلى وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون فى انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلى ولم يقل منى ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابى سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى اى قال يا ابناه المعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن دين ابيه يا بنى قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اى الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك واقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له

وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجئ اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى واقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية اهله فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابنى من اهلى اى بعض اهلى لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى ان تنجى اهلى فما بال ولدى وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين انه عمل غير صالح

تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في
دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك وخصيصك
ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحماً فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملاً غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فإنما هي إقبال وإدبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام أي إن نداءك
هذا عمل غير صالح وليس بذاك فهلا قيل إنه عمل فاسد لما نفاه عن أهله نفى
عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله
لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقرئ عَمِلَ غيرَ صالح أي عمل عملاً غير
صالح وقرئ فلا تسألنِ بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا
تلتمس مني ملتمساً أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل
على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه لم سمى نداءه سؤالاً ولا سؤال فيه
قد ضمن دعاءه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة
الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلاً وغباوة ووعظه أن لا يعود
إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه
ليس منهم ديناً فلما أشفى على الغرق تشابه الأمر عليه لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيماً
لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم
زجر وسمى سؤاله جهلاً أن الله عز وجل قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق
عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح و
أن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنى منهم
فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم أي أسألك
من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك وإلا تغفر لي
ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين أعمالاً وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء
بسلام منا مسلماً محفوظاً من جهتنا أو مسلماً عليك مكرماً وبركات عليك ومباركاً عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى أمم ممن معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد
الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن

يكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم
رفع بالابتداء سنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله
ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك و
ممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى
يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم
نسلاً منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك من أنباء
الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك تلك إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل
بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل
هذا من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت
فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح
ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم
كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
أخاهم واحداً منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحاً وهوداً عطف بيان وغيرُه بالرفع صفة
على محل الجار والمجرور وقرئ غيرِه بالجر على اللفظ إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب
باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة
والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع
يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها
أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل يا قوم استغفروا ربكم
آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم
قوة إلى قوتكم والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه
بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصاً عليها
أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش و
البأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال

وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد
لي علمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما
استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم
قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم و
قول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين
على اجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما
قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال
من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح
من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك اعتراك
مفعول تقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء
فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك
ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب
من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا و
انجدهم معه على غير ما كانوا عليه في ايام جاهليته من المودة وما ذاك الا لعرق من الالحاد
الى الآن ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت الاجوبة المتقدمة على ان
القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم
للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر
وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا
الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه و
انه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون
اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة
الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا
شهداء على اني لا افعله هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم لان اشهاد

الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم
فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما
وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما
به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه
اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان
تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع
وكيف ينتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته
وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق
الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا
معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط
الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط
في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول
ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين
يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار
والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه الا
انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم
او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم
ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف
ما معنى تكرير التنجية ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال و
نجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا
بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل
اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد

بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في
الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم
إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود
وحده واتبعوا أمر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع
أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على
وجوههم في عذاب الله وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود
وألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم
والحذر من مثل حالهم بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم معناه
الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا قوم
هود عطف بيان لعاد ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه
الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه
ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم وإلى ثمود أخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها
غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه وأمركم بالعمارة
والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر
الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من
أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية
بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في آخر أمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو
استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك
استهلكه في معنى أهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني
أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها
عمره ثم يتركها لغيره إن ربي قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله قالوا يا صالح قد
كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا
نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الأمور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع

رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن
تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه حكاية حال ماضية مريب من
أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة
على الإسناد المجازي قال إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته بحرف الشك
وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة
وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني إذن حينئذ غير تخسير
يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي
أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل
ثم يتعلق لكم بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع
عليكم فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد استمتعوا بالعيش في بلدكم وتسمى البلاد الديار
لأنه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن
من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا
يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم
مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفى به فقد صدق و
لم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى
الصدق ولما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا إن ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة
فأصبحوا في ديارهم جاثمين ومن خزي يومئذ قرئ بفتح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن
كقوله على حين عاتبت المشيب علام عطف على نجينا لأن تقديره ونجيناهم من
خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذلته ومهانته
وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ
يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا
بعدا لثمود وقرئ ألا إن ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب
الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى رسلنا يريد الملائكة

عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة
وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد قالوا سلاما
قال سلام سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام
وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء بعجل فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل و
الخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ
يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين يقال
نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر و
انكرك قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان
ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم
طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر
انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف
والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون
الا بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على
رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت
تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا
لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود
او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من
الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب
على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب يا ويلتا االد وهذا بعلي شيخا الالف في يا ويلتا
مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل
وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي

هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان و
تسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث
العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في
بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت
الملائكة عليهم السلام في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب
العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة
الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه
الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير
الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد
اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه
والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة
اين جواب لما هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا
كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم
ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال
وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه
اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معنا هم
وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون
فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء
اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة
على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب

ومثلها لتعلم بحيث تؤثر التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت له الملائكة
اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
وهو قضاؤه وحكمه الذى لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا كانت مساءة لوط وضيق
ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى ان الله
تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال
لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك
اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب
وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا
ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها و
مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه
وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك قال يا قوم هؤلاء بناتى اراد ان يقى اضيافه ببناته و
ذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران
وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب و
ضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان فى لحنه وعن ابى عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب
فقد تربع فى لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما فى هؤلاء من معنى الفعل كقوله
هذا بعلى شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتى بدل ويعمل هذا المضمر فى
الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئى الجملة ولا يقع بين الحال و
ذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى هن
جملة فى موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخى هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون و
لا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء فى ضيفى فى حق ضيوفى فانه اذا خزى
ضيف الرجل او جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد رجل
واحد يهتدى الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز
ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة فى تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا فى

فى ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم
ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه قالوا ما لنا فى بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا
وما هو الا عرض سابرى وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه
هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا فى بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج
من مذهبنا الذى نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفى الشهوة وانك لتعلم ما نريد
عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال بمعنى
قال لو ان لى بكم قوة او اوى الى ركن شديد لفعلت بكم وصنعت يقال ما لى به قوة وما لى به طاقة
ونحوه لا قبل لكم بها وما لى به يدان لانه فى معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم
بنفسى او اويت الى قوى استند اليه وامتنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل
فى شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبى صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او اوى بالنصب باضمار ان كانه قيل لو
ان لى بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عينى وقرئ الى ركن بضمتين وروى انه
اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة
ما لقى لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب
ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة
التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق
فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة
للتى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره قرئ فاسر بالقطع والوصل
الا امرأتك بالرفع والنصب وروى انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع
من ذلك فقالوا انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين
ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل
عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على
اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعنى قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفى
اخراجها مع اهله روايتان روى انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هى فلما سمعت

هدّة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروى انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين **فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها** جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم **وامطرنا عليهم حجارة من سجيل** قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان **منضود** نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا **مسومة** معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به

[margin: من الظالمين]

وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير** يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا **واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله **اوفوا**

[margin: يا قوم]
[margin: الكيل والميزان بالقسط]

نهوا اولا عن فعل القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد **ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين** البخس الهضم والنقصان ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض **بقية الله** ما يبقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم **خير لكم ان كنتم مؤمنين** بشرط ان تؤمنوا بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان لظهور فائدتها مع فقده لانها مع صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح **وما انا عليكم بحفيظ** وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت **ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء** كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم **اصلواتك تامرك** السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم وارادوا ان هذا الذي تامرنا به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك آمر هذيان ووسوسة الشيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى **تامرك ان نترك** تامرك بتكليف ان نترك **ما يعبد آباؤنا** فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة **او ان تفعل في اموالنا ما تشاء** بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم **انك لانت الحليم الرشيد** نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك

خاتم لتسجيك لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق
حالك وما شهرت به وقال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو
ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فاين
جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح وصالح جوابه محذوف وانما لم يثبت لان
اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين
من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء
لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه
وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد
ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان
اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم
بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي الاصلاح
وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز
ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله
ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله
وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتأييده والمعنى
انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه عليه توكلت واليه انيب جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى
مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم
الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد
كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين
جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان
المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة
الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم اذور وهو له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت
عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم

قوم نوح او قوم هود او قوم صالح

لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في
الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك ما ببعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه
او معناه اما ان يراد به ما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز
ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل
والنهيق ونحوها واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما
يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم
كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه
اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه
وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز
فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى
وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا
لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم
رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم و
اعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم ولولا رهطك لرجمناك لقتلناك شر
قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم
وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء
ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما
عززت علينا لم يصح هذا الجواب فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه
فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين
عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به
والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس
امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم

لا يخلو المكانة من ان يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او يكون مصدرا
من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارّين على جهتكم التى انتم عليها من الشرك والشنآن لى
او اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها انى عامل سوف تعلمون على حسب ما يؤتينى الله من النصرة و
التأييد ويمكننى من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل
سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف
تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب   اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها
فى سوف تعلمون   ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى
بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت
فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء
العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا
وانتظروا العاقبة وما اقول لكم انى معكم رقيب اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب
والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير و
الرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع   قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر
عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف
من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبى المبعوث اليهم   القياس ما ذكرت
ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعنى فى زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم   ما بال
ساقتى قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء   قد وقعتا الوسطيان
بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا بتلك المثابة وانما وقعتا
مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة ولما جاء امرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين الجاثم اللازم
لمكانه لا يريم كاللابد يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كأن
لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود كأن لم يقيموا فى ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد
بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقراءة السلمى بعدت بضم
العين والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة

الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمى
جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى فى معنى الموت
وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين فيه
وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين
العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين
لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا
فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذى فيه رشد اى وما فى امره رشد انما
هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم و
فيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين فى امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن
اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط يقدم قومه فاوردهم النار اى كما كان قدوة لهم فى الضلال
كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح
حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته
والرشد مستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه
بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش و
اقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين   هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جىء بلفظ الماضى
لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
والورد المورد والمورود الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه
اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد
الاكباد والنار ضده واتبعوا فى هذه فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اى يلعنون فى الدنيا و
يلعنون فى الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا
رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك
مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص
عليك منها قائم وحصيد الضمير للقرى اى بعضها باق وبعضها عافى الاثر كالزرع القائم على ساقه
والذى حصد   ما محل هذه الجملة   هو مستأنف لا محل لها   باهلاكنا اياهم

وما امر فرعون

ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله التى
يدعون من دون الله لما جاء يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه فى الخسران محل الكاف
الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ
اذ اخذ القرى وهى ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من
وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب
يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان
فى ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة لمن ينظر الى ما احل
الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم فى الآخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به
عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان فى ذلك
لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول
الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس لاى فائدة اوثر اسم المفعول على
فعله لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا
مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم
لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته
ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك و
معنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع فى الظرف
باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه الخلائق الموقف
لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود
وطعام محضور قال فى محفل من نواصى الناس مشهود ما منعك ان تجعل اليوم
مشهودا فى نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا
فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز
يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا فى نفسه لان سائر
ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر

منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى
فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم
كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها و
على منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر
مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا
لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم
لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل
فاعل يأتى ما هو الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتى ربك وجاء ربك و
يعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان
يأتيهم الساعة بم انتصب الظرف اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء
المحذوف فى قوله الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشىء بنفسه المراد اتيان هوله وشدائده
لا تكلم نفس الا باذنه لا يتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن كيف يوفق
بين قوله يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن انفسهم وفى بعضها يكفون
عن الكلام فلا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم
وتشهد ارجلهم فمنهم شقى وسعيد الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله
لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس والشقى الذى وجبت له النار
لاساءته والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا
بالضم كما قرئ سعدوا فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها الزفير اخراج النفس
والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهى دائمة مخلوقة
للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما
سماء يخلقها الله تعالى او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثانى ان يكون عبارة عن التأبيد

ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد
فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وقد ثبت خلود أهل الجنة
والنار في الأبد من غير استثناء هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة
وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب
سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك
لأهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو وحده فهو المراد
بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد
أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله
فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج
أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما
ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم
يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من
الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ
بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن نعقل عنه
ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو
جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي
الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله
لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمته وما أعد لهم من
عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم
ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من
غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل
النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون

واما الذين سعـ ففي الجنة خالـ ما دامت السمـ الارض

من الأوثان ومثلها يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم
كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو
كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم
كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى أو قومك وهذه
من جملة التسلية أيضا وإنهم لفي شك منه مريب وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن
جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى والله ليوفينهم
ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة
اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا
وقراءة عبد الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما
ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم أجمعون إنه بما تعملون خبير فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة
التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير معطوف على
المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم
أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون
بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله في جميع القرآن آية كانت
أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما وروي أن
أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك
منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما
أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو
بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه
قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه
إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم و
زيارتهم ومداهنتهم والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي الذين

وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين
ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر
من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد
اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء
قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت
انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا
حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما
يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما
ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من
دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في
الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب
على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في
برية هل يسقى شربة ماء قال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال
من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله
من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا
ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترككم لا تبقاء عليكم   فما معنى ثم
معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته
له اقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة
من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغداة الفجر وصلاة العشية
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي

النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار
واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ
وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف
بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى
بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها
على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم
صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما
ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت
الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن عزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته
فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه فقبلها فقالت له اتق
الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي
فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره
فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه و
سلم فنزلت فقال عمر هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن
السيئات ذلك ذكرى اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر
الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خاصية خصوصية
ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما امرتك مما ذكرت به واحق بالتوصية
وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله
لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان
والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن
الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير
الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا اولوا فضل وخير وسمي

الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه و
قرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله و
البقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون
ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون
نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا منهم حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة
انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر
الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين
منهم كما تقول هلا قرا قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين
على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون
اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان
كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات
اى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم
بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش
الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرا ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين
ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء
اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر
علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو
عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل
وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فقوله وكانوا مجرمين على اترفوا اى اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على

وما كان ربك ليهلك القرى

اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان
بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان
يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين
من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه ان الله لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون
الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى
ان يكونوا اهل امة واحدة اى ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة
وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من
الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك
خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان
عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره و
تمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار
الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك ومن انباء الرسل
بيان لكل ما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك
على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت
للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اى في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة ما هو
حق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي
انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة
باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلابد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اى انت وهم على تغليب المخاطب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة
من السعداء ان شاء الله

ذكر سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى
عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة
اى تلك الآيات التى انزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها فى اعجاز العرب و
تبكيتهم او التى تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التى لا تشتبه على
العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه قرآنا عربيا
وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه
وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص
عليك احسن القصص القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث
يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض و
الحسب ونحوه النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر
كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا
القرآن اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه
ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب
هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد
باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص
فى كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن
وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص
فى بابه كما يقال فى الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد فى فنه   واشتقاق القصص
من قص اثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما
يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت من قبله لمن الغافلين
ان مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية والضمير فى قبله راجع الى قوله بما اوحينا
والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اى من الجاهلين به ما
كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل

الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر و
يوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى
التعريف   فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال
هو عربى لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل والمفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن
الفعل   لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا يكون عربية تارة و
اعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لانه فى اللغتين
منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم لابيه يا ابت قرئ بالحركات
الثلاث   ما هذه التاء   تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها
تاء تانيث قلبها هاء فى الوقف   كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر   كما جاز نحو
قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة   فلم ساغ تعويض تاء
التانيث من ياء الاضافة   لان التانيث والاضافة يتناسبان فى ان كل واحد منهما زيادة
مضمومة الى الاسم فى آخره   فما هذه الكسرة   هى الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك
يا ابى قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا   فما بال
الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة   امتنع ذلك فيها لانها
اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا
لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها   يشبه الجمع بين
التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام   فكما
لا يجوز يا ابتى فلا يجوز يا ابت   الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد
الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين
التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها
وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك
فقد دلت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك
فى يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها   بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا
قلت يا ابى   فما وجه قراءة من قرأ بفتح التاء وضمها   اما من فتح فقد حذف الالف

من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال حرّكها بحركة الياء
المعوّض منها يا أبي وأما من ضمّ فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء
فقال يا أبةُ كما يقول يا ثبةُ من غير اعتبار لكونها عوضاً من ياء الإضافة وقرئ إني رأيت بتحريك الياء
أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم
واحد وكذا إلى تسعة عشر إلا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكره
معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية
عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس   وما أسماء تلك الكواكب   روى
جابر أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت
رسول الله فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال النبي لليهودي إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب و
ذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال إي والله إنها لأسماؤها
وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن
سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب
عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي
عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون   لم أخّر الشمس والقمر
أخّرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على
غيرهما من الطوالع كما أخّر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى
مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر   ما معنى تكرار رأيت   ليس بتكرار إنما هو كلام
مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر
كوكباً كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين   فلم أجريت مجرى العقلاء
في رأيتهم ساجدين   لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم
كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكماً من
أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك عرف يعقوب عليه السلام
دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين

كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون
اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واواً وسمع الكسائي رياك
ورياك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو
الإدغام في قولهم اتّزر من الإزار واتّجر من الأجر فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان منصوب بإضمار أن
والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك   فهلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني   ضمّن معنى فعل
يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك
نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء ولقوله
لأقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على
مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على
على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك لأمور عظام وقوله ويعلمك من تأويل الأحاديث كلام مبتدأ
غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت
الشيء إذا حصّلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والأحاديث الرؤى لأن الرؤيا إما حديث
نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة
لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس
من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لأنه
يحدَّث بها عن الله ورسله فيقال قال الله تعالى وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى إلى قوله فبأي
حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة ومعنى
إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً ونقلهم
عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد
وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وقيل علم
يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له
أبواه وقيل كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل و
كان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا
يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك

بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله ونسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحايك ولا آل الحجام ولكن اهلهما و
اراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين
فلان عدة ﴿ابراهيم واسحق﴾ عطف بيان لابويك ﴿ان ربك عليم﴾ يعلم من يحق له الاجتباء ﴿حكيم﴾ لا يتم نعمته الا على
من يستحقها ﴿لقد كان في يوسف واخوته﴾ اى في حديثهم ﴿آيات﴾ علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته
في كل شيء ﴿للسائلين﴾ لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين
سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي
بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى
من بغي قومه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر
ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة
الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين و
يوسف ﴿اذ قالوا ليوسف﴾ اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته
لهما امر ثابت لا شبهة فيه ﴿واخوه﴾ هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة
﴿احب الى ابينا منا﴾ وحد الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في
﴿ونحن عصبة﴾ واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة
ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما ﴿ان ابانا لفي ضلال مبين﴾ اى في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون
النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن
نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اى يتعهد عمته ﴿اقتلوا يوسف
او اطرحوه﴾ من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف
وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ﴿ارضا﴾ ارضا منكورة
مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه
نصبت نصب الظروف المبهمة ﴿يخل لكم وجه ابيكم﴾ يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم

في قصته

الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك ﴿و
تكونوا﴾ جزم بالعطف على يخل لكم ﴿من بعده﴾ من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل والتغريب او
يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا ﴿قوما صالحين﴾ تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم
بعذر تمهدونه او يصلح دنياكم وينتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل
لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق ﴿قال قائل منهم﴾ هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا و
هو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم ﴿لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب﴾ وهي غوره وما غاب منه عن
عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيرى في العشيرة والاهل
اراد بغيابته حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة و
الجب البير لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير ﴿يلتقطه﴾ ياخذه ﴿بعض السيارة﴾ بعض الاقوام الذين يسيرون
في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض اصابعه ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي
﴿قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون﴾ ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النون وبالادغام باشمام
وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق
عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف
استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه
﴿ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون﴾ نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهو الخصب
والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقراءة
العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء كيف استجاز لهم يعقوب
عليه السلام اللعب كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه
لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ﴿قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون﴾ ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم
ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر عليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به و
مفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا
غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدقوا بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان

ان الذئب قد تشدّد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل
بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت
من كل جهة قالوا لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء
الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم
وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اى هالكون ضعفا و
خورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم
نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها قد اعتذر اليهم بعذرين فلم
اجابوا عن احدهما دون الآخر هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا
امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين
وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد
روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث
بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما
يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب
تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه
ردوا على قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر
ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركته فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات
الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل
فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل
كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنس
في الظلمة والوحشة وبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك

القسم محذوف تقديره والله صح

بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول
العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له
يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه
بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة
وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد
لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا و
عشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء
وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء
اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية
وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين
يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب اى نتسابق والافتعال و
التفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او
في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل
الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على
قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال
بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير
المعجمة اى كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج
على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل
عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم
من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا
ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من
دبر على قميصه ما محله محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه

وا اباهم عشا
بكون

بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال هل يجوز ان تكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه **قال بل سولت** سهلت من السول وهو الاسترخاء اى سهلت **لكم انفسكم امرا** عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته فى اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى اليه بانهم قصدوه **فصبر جميل** خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل امثل وفى قراءة ابى فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع انه الذى لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقيل لا اعاشركم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكونى فقال يا رب خطيئة فاغفرها لى **والله المستعان** اى استعينه **على** احتمال **ما تصفون** من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه **وجاءت سيارة** رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف فى الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القى فيه يوسف **فارسلوا واردهم فادلى دلوه** رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم **قال يا بشرى** نادى البشرى كانه يقول تعالى فانه من آونتك وقرئ يا بشراى على اضافتها الى نفسه وفى قراءة الحسن وغيره يا بشرى بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهى لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون فى دعائهم يا سيدى وموليى وعن نافع يا بشراى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اى ارسلها فى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراى **هذا غلام** وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به **واسروه** الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اى قطع **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه** وباعوه **بثمن بخس** مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار **دراهم** لا دنانير

معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهى الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين **وكانوا فيه من الزاهدين** ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالى بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل فى اى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه **وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته** الذى اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى و اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ **اكرمى مثواه** اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى احسن مثواى والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به و اللام لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه **عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا** لعله اذا تدرب الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التى اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى انه سأله عن نفسه

من المال

وباعوه

وراض

فأخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض
مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين
لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع
ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا
ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة و
عشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون ولما بلغ اشده آتيناه علما وحكما حكمة و
هو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان
محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من
احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها المراودة مفاعلة من
راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء
الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها
وغلقت الابواب وقالت هيت لك قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء
اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ
وهئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول
هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن
مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح
الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى
لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اى ولا اكاد ان افعله كيدا
ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد
همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله
لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته كيف جاز على نبي الله ان يكون
منه هم بالمعصية وقصد اليها المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب

وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما يقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول و
العزائم وهو يكسره به ويرده بالنظر الى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو
لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام
الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده
المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله و
يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في
قوله ولقد همت به ام هو خارج منه الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من
حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا
جعلته هو الجواب مقدما لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط
صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما
حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز لم جعلت كلمة لولا متعلقة بهم بها وحده ولم
تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من
تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع
مانع احدهما نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال
لقد همت به وهم بها فكان اغفالها الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم
بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله
الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة
فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان و
جلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على
قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع
ثالثا اعرض عن هذا فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل كل ولد
ليعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته
حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل
بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين

فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل
وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز و
قيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي منه ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن
لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل
الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته و
استغفاره كما نعيت على آدم عليه السلام زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون و
ذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام
الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى
استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق
لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في
الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار
والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة
التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية
وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع
القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير
انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان
اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا
لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك
الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين
اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر
بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ
منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا

الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا
نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج كيف وحد الباب
وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد
روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه
من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وصادفا بعلها وهو قطفير تقول
المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل
الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة
وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها
من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست
من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد كيف
لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا
فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم
الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني
عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل
هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان
يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام
بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى لم سمي قوله شهادة وما
هو بلفظ الشهادة لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها
سمي شهادة الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة لانها
قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ان دل
قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين

دل قدّه من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي
دافعته عن نفسها قدّت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم
قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره و
اما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل
ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين
كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قدّ
ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن
عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد
باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن ان كيدكن عظيم الخطاب لها ولامتها
وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن
في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات
من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف
من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم
يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله
اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم
المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور
على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة
صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة
في مصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي
وفتاتي اي غلامي وجاريتي قد شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف
حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين
من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وحبا نصب على التمييز انا لنراها في ضلال مبين في خطا وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء
قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية
وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه ارسلت اليهن دعتهن
وقيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن لما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في
ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر بهن وبين وضع الخناجر
في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة وبين تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة
مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمهن انهن يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل متكئا وآتتهن السكاكين
ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان
من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا
وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان
القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال
وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ
متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت
اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين
وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت
لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكأ
اذا اتكا فلما راينه اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف
على الناس في الحسن كفضل البدر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت
بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف
رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على
الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل
كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن و

الهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر
الى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت
حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها
قلن حاش لله كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال
حاشا أبي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه
والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة
البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل
على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف
الألف الآخرة وقراءة الأعمش حش لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن
الفتحة أتبعت الألف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ
حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة الله قلت مراعاة
لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى
في قوله غدت من عليه منقلبا الألف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب
من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق
عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور و
أثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما
ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز فيها ذلك الا لأن
الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما
عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم
للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد
القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة
ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى
أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف
ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
أن يحب ويفتتن به وربأ بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن

حاشا م

عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني
أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق و
استجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
أنور منه على أنه بريء مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان الضمير في آمره
راجع الى الموصول أم الى يوسف بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله أمرتك
الخير ويجوز أن يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري اياه أي موجب أمري
ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفا على
حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر قال رب السجن أحب الي مما يدعونني
اليه وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك
والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب الي
من ركوب المعصية نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة
فكيف كانت المشقة أحب اليه من اللذة كانت أحب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر
على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس و
مكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين
فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه
أصب اليهن أمل اليهن والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تصبو اليها لطيب
نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة وأكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب
له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله والا تصرف عني
فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه
والضمير في لهم للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا
باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه

في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك
لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين إلى زمان
كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي
لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود
فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش
ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول
خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان
للملك خبازه وشرابيه رقي إليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل
يوسف قال أحدهما إني أراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني
أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول إليه وقيل
الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون
عبارة الرؤيا أي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك
أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن
إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي أنه إذا
مرض رجل منهم قام عليه وإذا ضاق أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن
ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا اصبروا تؤجروا إن لهذا لأجرا
فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا
فتى قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له
عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت
وروي أن الفتيين قالا إنا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله
ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء
ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء
فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي إني أراني
في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك

وسقيته وقال الخباز إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير
تنهش منها إلا أم يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله إليهما قضا عليه والضمير
يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما
بتأويله قبل أن يأتيكما لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو
فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما
ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا
إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه
طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية
والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه
بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن
يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه
تفسير المشكل والإعراب عن معناه ذلكما إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار
بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجم إني تركت يجوز أن يكون
كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت ملة أولئك
واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر
ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم
قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من
الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به
من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك مما لا يقدم
عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما
أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله
ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي
فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم
لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة

ملة ابرهيم

ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب

التي تنظر فيها وتستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر
الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد
يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة
فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك
لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول
رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار
اصحاب الجنة أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول
أأن يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله
وحده وعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني
انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا انتم واباؤكم ما انزل الله بها
اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي
فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي
انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة
فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال
ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه قطع وتم
ما تستفتيان فيه من امركما وشأنكما ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما
وجه التوحيد المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله فظنا ان ما رأياه
في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة ام هلاك فقال
لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر
وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما ام
كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد
وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند

الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي
ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين
كيف يقدر الشيطان على الانساء يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب
النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل
ما ننسخ من آية او ننسها ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي
باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره
لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه
الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار لم انكر على يوسف عليه
السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد
في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من
يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة
والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم
والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى
لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء
الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو
كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته
رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى
سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع
سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات

دون المميز ومنه سبع وان يقال سبع بقرات سمانا اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت
الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت
الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن
هلا قيل سبع عجاف على الاضافة التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان
به وحده فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب الفارس والصاحب و
الراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك
لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه
الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات ترك الاصل
لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما
تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا
لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير
على النظير والنقيض على النقيض هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت
سبعا كالخضر الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف
والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى و
سبعا اخر هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور
المحل يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان يدخل في حكمها فيكون
معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الآخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول
عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام
والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود
تدافع وفسد كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا اما ان يكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان يدخل لان
العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد
بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا
وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا

عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو
عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده
الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث الاحلام تخاليطها
واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط
النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام و
المعنى هي اضغاث احلام ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا هو
كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في
الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد
قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات
الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة
واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر
قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من
القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه
واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه
ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد
امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله
انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله
ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ايها
البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من
الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك
ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك قال سبع سنين تزرعون خبر في معنى الامر كقوله

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل
كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله ~~الا قليلا مما تاكلون~~ دابا بسكون
الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدابون دابا واما
على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخباون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما
شئنا وفيه يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني
للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت
فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد
الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من
جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان
انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي ذلك معلوم
علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا
بالوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما
تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا
يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد
في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي عليه السلام
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال

وياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهله مسندا اليهن

ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت
العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن
شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال
ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق
من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما
صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي
ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن
كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن ما
شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص
البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه
به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت
المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من
كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته
ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني
خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة
المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها
امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون
تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا
يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال
وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه
الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم و

وإما أن يريد عموم الأحوال أراد الجنس أي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه
بما فيه من الشهوات إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون ما رحم في
معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة ويجوز
أن يكون استثناء منقطعا أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة كقوله ولا هم ينقذون إلا رحمة و
قيل معناه ذلك ليعلم الله أني لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك
الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما
سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من
أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء
إلا ما رحم ربي إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف استغفرت ربها واسترحمته
مما ارتكبت كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى
أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم
من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا
من تقديم القرآن وتأخيره ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال أني لم أخنه بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف
وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه
إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به وشاهد منه ما لم يحتسب أيها الصديق
ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شيء روي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك
فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم
الناس بالأخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة
الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا
له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه
بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت
بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة

التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي
ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك ولي خزائن
أرضك أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالأمانة و
الكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة
الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله يبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم
مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة
كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته روى
مجاهد أنه قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر
وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل
إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك
يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع ومثل ذلك
التمكين الظاهر في أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين
قرئ بالنون والياء أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على
جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي أنه قال أما السرير فأشد به ملكك
وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا لك
وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم
مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء
فولدت له ولدين إفرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه
الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة
الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم
برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك
كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك
أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من

حمل بعير تقسيطاً بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ولا نضيع أجر المحسنين أن نأجرهم في الدنيا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا
وكانوا يتقون لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر
يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم
له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه
عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم لشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي
فارقوه عليها طريحاً في البئر مشرياً بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم
ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل
رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم
أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج
وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم
فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم وهي
عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بجهازهم
بكسر الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين لا بد من مقدمة سبقت له
ثم
معهم حتى اجتر القول هذه المسألة وروي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما
شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم
عيوناً تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء
اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم هنا قالوا عشرة قال فأين
الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي
تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة
شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم
تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً عطفاً
على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي قالوا سنراود

عنه أباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وإنا لفاعلون وإنا لقادرون على ذلك
لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أي لغلمانه
الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا
ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل
تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً
وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم
يرجعون لعلهم يردونها فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون منع منا
الكيل يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل
نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا
أو يكن سبباً للاكتيال فإن امتناعه بسببه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً هل
آمنكم يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك
ثم قال فالله خير حافظاً فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظاً تمييز كقولك هو خيرهم رجلاً ولله
دره فارساً ويجوز أن يكون حالاً وقرئ حفظاً وقرأ الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة
خير الحافظين وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي فأرجو أن
إلينا
ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء
كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد ما نبغي للنفي
أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا
على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبغي شيئاً
وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود
ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على
صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة
موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها
ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا

ونشق بعيرنا على أوساق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع
ذات أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط هذا
إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا
ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي أعطفها على قوله نبغي
ما
على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير
أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغي لي أن لا
أقصر ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه
بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو
وجه حسن واضح ذلك كيل يسير أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن
يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا
إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن
حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن أرسله معكم حتى مناف الحالي و
قد رأيت منكم ما رأيت إرساله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله
أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود و
تشدد وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه لتأتنني به جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني
به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا أخبرني عن
حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي
هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون
به لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له
والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده فلابد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات
المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا الفعل قال
الله على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه رقيب مطلع قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من أبواب متفرقة وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة
وقد أشهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة

لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما
أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف
لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك
لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس وهل للإصابة بالعين
وجه تصح عليه يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه و
خللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو
فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين
كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله
التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما أغني عنكم من الله من شيء يعني إن أراد الله بكم سوءا
لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة إن الحكم إلا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ثم قال ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شيء
رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم
وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم إلا حاجة استثناء
منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وإظهارها بما قاله لهم ووصاهم به
وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر
ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين وروي أنهم قالوا له أخونا قد جئناك به فقال
هذا
لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم
على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي
أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله
عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك
بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام
إليه وعانقه وقال له إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى
فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه وعن
وهب إنما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد

أهيتهم وروى أنه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه
ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فإني أدس صاعي في
رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل أخيه السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك
وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا
عليهم ماذا تفقدون ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك
منه روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك و
العير الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل
قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب
العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم
بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن وقرأ أبو عبد الرحمن
السلمي تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها
والعين معجمة وغير معجمة ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير زعيم كفيل
أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى
التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم
من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم
وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع
أي فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي
جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك
استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين تقرير للحكم أي فأخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أو فهو حقه لتقرر ما
ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على

إقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول
لصاحبك من أخو زيد فتقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ
ثم يقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه
جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم
ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء
بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله
فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن
جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة فإن قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه قلت قالوا
رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية و
عبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك
الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد
وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد
إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة
يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه أرفع درجة منه في
علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فإن قلت ما أذن فيه يجب أن
يكون حسنا فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن
لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس
ببهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل
كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله إن كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض
التكذيب لا يكون تكذيبا على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا
كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل
الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا
ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع
كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف

مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا **قالوا
ان يسرق فقد سرق اخ له** ارادوا يوسف روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم
حياء واقبلوا عليه وقالوا ماذا الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء
متى اخذت هذا الصاع فقال بنيامين بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع
هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان
اخذ فى صباه صنما لجده ابى امه فكسره والقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا
صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل عناق او دجاج فاعطاها السائل وقيل
كانت لابرهيم علم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده
فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها
فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها
فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت
فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اضمار على شريطة التفسير تفسيره **قال انتم شر مكانا** وانما انث لان
قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التى هى
قوله انتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها
وفى قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة
فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم **والله اعلم بما تصفون** يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى
سرقة وليس الامر كما تصفون **قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا** استعطفوه بذكر ابيهم
يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له
قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه **فخذ احدنا مكانه** فخذه بدله على وجه الاسترهان او
الاستعباد **انا نراك من المحسنين** الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك
ولا تغيرها **قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون** معاذ الله هو كلام موجه
ظاهره انه وجب على قضيتكم فتوى اخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا
غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرنى واوحى الى
باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه
كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ

فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مر فى استعصم والنجى
على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى
المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة
الاوصاف ويجوز ان يقال هم قوم نجى كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال انى اذا ما القوم
كانوا انجيه ومعنى خلصوا انفردوا واعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوى نجوى او فوجا
نجيا اى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد
واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير امرهم على اى صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم فى شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور **قال كبيرهم الم
تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل** كبيرهم فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل
كبيرهم فى العقل والراى وهو يهوذا **ما فرطتم فى يوسف** فيه وجوه ان تكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصرتم
فى شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء و
خبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا
وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان يكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب
على الوجهين **فلن ابرح الارض** فلن افارق ارض مصر **حتى ياذن لى ابى** فى الانصراف اليه **او يحكم الله لى**
بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب **وهو خير الحاكمين** لانه لا
يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقد سرق اى نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه بالسرقة **الا بما علمنا** من سرقته
وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ ابين من هذا **وما كنا للغيب حافظين** وما علمنا انه سيسرق
حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا
الا بقدر ما علمنا من التسرق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع فى
رحله ولم يشعر **واسأل القرية التى كنا فيها** هى مصر اى ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة **والعير التى
اقبلنا فيها وانا لصادقون** واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء
معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال **بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتينى**
اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم **بهم جميعا** بيوسف واخيه

...وا الى ابيكم ... يا ابانا ان ابنك سرق

وذو بثل وعبرة انه هو العليم بحالى فى الحزن والاسف الحكيم الذى لم يبتلنى بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم و
اعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة
والتجانس بين لفظتى الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون
عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى
كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا
هو دليل على تمادى اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان
غضا عنده طريا ولم ينسه اوفى المصيبات بعده ولان الرزء فى يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتبت عليها
الرزايا فى ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد
العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن
كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف
الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما
ساء ظنه بالله ساعة قط كيف جاز لنبى الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ الانسان
مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا تخرج الى
ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من
الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه بكى على
ولد لبعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء
وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد او
غيره فقيل له فى ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده
ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون
من الهالكين تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان للاثبات لم يكن
بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد

لا تفتر من حبه كانه جعل الفتؤ والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعى
ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوى فيه الواحد و
الجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوه دنف ودنف وجاءت القراءة
بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب قال انما اشكو بثى وحزنى
الى الله البث اصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اى ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه
ومعنى انما اشكو اى لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربى داعيا وملتجئا اليه فخلونى و
شكايتى وهذا معنى توليه عنهم اى فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال
يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمنى وافنانى ما ابتلانى الله به
من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكونى الى خلقى قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرلى
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله وروى انه اوحى الى يعقوب
انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقى الى الانبياء ثم
المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت
واعلم من الله ما لا تعلمون اى اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به انه يأتينى بالفرج من حيث لا احتسب
وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وقرأ
الحسن وحزنى بفتحتين وحزنى بضمتين قال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا
خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما فى الحجرات وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم
الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس ولا تيأسوا من روح الله انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح
الله بالضم اى من رحمته التى يحيى بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا
ببضاعة مزجاة الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من متاع
الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم
زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذى هو حقنا وتصدق علينا بالمسامحة والاغماض عن
رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمهم صدقة لان الصدقات
محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال

الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا له ان يتصدق
عليهم ومن ثم رقت لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن
لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم
اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن
معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى
الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة
وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور و
يتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها و
اسجحها ولله حصى عقولهم ما ازرنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم
لما لم يعملوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان
في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر
وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا و
سلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت
عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه
سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك
دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم
ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا تظفروا كما ظفروا ما فعلتم
باخيه تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا
يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم بانواع الاذى قالوا ائنك لانت يوسف قال
انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة أبي أئنك

أو انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام
متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات كيف عرفوه رأوا في روائه وشمائله
حين كلمهم بذلك لما شعروا به انه مومى عليهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم
لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل عرفوه حين
رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء
قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه
عنه انه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اي فضلك
علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم
نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم
ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما
ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي
ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه بم تعلق
اليوم بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم
اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي و
المضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل
غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما تروني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان
لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الك بكرة وعشيا ونحن نستحيي
منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون
حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا

قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه
ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار
ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اجمعين اي يأتني ابي ويأتني آله
جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فلما فصلت العير خرجت من
عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير
قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان
لولا ان تفندون قالوا انك تالله والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم
اياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القاه على وجهه القاه طرح البشير القميص
على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه قال
الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ
لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وروي انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قيل اخر الاستغفار
الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة
واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي
جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحي اليه ان الله قد غفر لك
ولهم اجمعين وروي انهم قالوا وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا
فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه و

خرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي
يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال
يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابه بكيت علي
حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني و
بينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها
مع موسى والمقاتلة منهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت
الذرية الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه تحيى
وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها
مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت
ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش ولما دخل مصر و
جلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة
الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال
فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد
ذلك ادخلوا مصر بم تعلقت المشيئة بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى
اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي
ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة و
الغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء
لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان
شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب
وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله كانت
السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت
عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه
وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال
احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم

كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي** أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه **لطيف لما يشاء** لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله فلما سأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له أفرايم وميشا وولد لأفرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض** من في من الملك ومن تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل **أنت وليي في الدنيا والآخرة** أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي **توفني مسلما** طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل **وألحقني بالصالحين** من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين علام انتصب فاطر السموات على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء **ذلك** إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله **من أنباء الغيب نوحيه إليك** خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهموا لقاءه أخاهم في البئر

[margin:] وما كنت لديهم إذ أجمعوا

لقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش ومن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر **وهم يمكرون** بيوسف ويبغون له الغوائل **وما أكثر الناس** يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أراد أهل مكة أي وما هم **بمؤمنين ولو حرصت** وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم **وما تسألهم عليه من أجر** على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار **إن هو إلا ذكر** عظة من الله **للعالمين** عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله **وكأين من آية في السموات والأرض** من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده **يمرون عليها** ويشاهدونها **وهم عنها معرضون** لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطأون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر **وما يؤمن أكثرهم** في إقرارهم **بالله** وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون** غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق **قل هذه سبيلي** هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله **أدعو إلى الله على بصيرة** أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء **أنا** تأكيد للمستتر في أدعو **ومن اتبعني** عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن تكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني **وسبحان الله وما أنا من المشركين** وأنزهه من الشركاء **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا** لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تزل أنبياء الله ذكرانا وقرئ **نوحي إليهم** بالنون **من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين** المكذبين لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة **ولدار الآخرة** ولدار الساعة أو الحال الآخرة

خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا
عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اى كذبتهم انفسهم حين
حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب و
العداوة من الكفار وانتظار النصر وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط و
توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب
من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الآخر
فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد
منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا او وظن المرسل اليهم
انهم كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم وقرئ كذبوا
بالتشديد اى وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقراء
مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل اى وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة
اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون
كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن
الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم قرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه ونجي على
لفظ الماضي المبني للمفعول وقراء ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون
ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب
الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف
واخوته فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قراء بالكسر الى القرآن
اى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اى قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع
والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع
على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف

فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا
يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة
اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا
الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبره
بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد
خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة
ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون
يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه وقراء
الحسن ندبر بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد
بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة
يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا
وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قطع متجاورات بقاع مختلفة مع
كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع
لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله
على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع
وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها
وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر
على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة
التي لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس
يسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف و

وشكوا بها وان تعجب فعجب قولهم يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من
من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان
انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ءاذا كنا ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول
واذا نصب بما دل عليه قوله ءانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم الكاملون المتمادون في كفرهم
واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال
وانقياد او هو من جملة الوعيد واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا
والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة
مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقتصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين
لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء
تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع
ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه انه يريد السيئات المكفرة
لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وان ربك
لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول
الله صلعم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة
الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه
بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية و
باية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم
يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر
لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء
وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء

كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ ومقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم
الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه
هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض
الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون
المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض و
ما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من
ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه
الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا
تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته وزاد بنفسه وازداد
ومما ينقصه الرحم ويزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى
ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها
تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي رحمه
الله والى خمس عند مالك رحمه الله وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين
ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى و
يعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في
الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول
الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض
الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بقدر بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا
كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او
الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل و
سارب بالنهار سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء
عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره
كل احد كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى
يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب فيه
وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من

في معنى الاثنين كقوله: فكن مثل من يا ذئب يصطحبان. كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل و
سارب بالنهار. وله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. والضمير في له مردود على من كأنه قيل
لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والأصل
معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين
ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأن بعضهم يعقب بعضا او لأنهم يعقبون
ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات
من أمر الله او يحفظونه من أجل أمر الله اي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس
وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله عنهم بأمر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم
له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن و
قيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله اي من قضاياه
ونوازله او على التهكم به. وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى
القافين في التكسير. إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي
وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم. هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال. خوفا وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل
الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز
ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين
اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث
قال ابو الطيب: فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ... يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق. وقيل
يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما
لا ينتفع اهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به. والسحاب اسم الجنس والواحدة سحابة
والثقال جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة و
نساء كرام وهي الثقال بالماء. ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر
حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من
يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت

النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق
زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم. والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويسبح الملائكة من
هيبته واجلاله. ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة
ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله ~~ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة~~
وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق
بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل
الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال
لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله. أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد. وهو شديد المحال
المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل
بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتز في غصن المجد ... غزير الندى شديد المحال. والمعنى انه شديد المكر والكيد لأعدائه
يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال
ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لأن الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة و
الاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه. له
دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة
اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة
للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي
دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع
فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق   ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبله   اما على قصة اربد فظاهر لأن اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من

حيث لا يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه يقول اللهم اكفنيهما بما شئت فأجيب
فيهما فكانت الدعوة دعوة الحق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة
دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء
من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة
الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته
اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم
ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء
كباسط كفيه بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم
وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اى
ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاءوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له
ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو و
الايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد
له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا
قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت
وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اى ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه
قل افاتخذتم من دونه اولياء أبعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم
ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل
هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم لا
يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم ام جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار
وخلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء
ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على

المتوحد بالربوبية

ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم
ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع
زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه
كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به
اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني
والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق
بقاء ظاهرا يثبت الماء في منابعه ويبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما
يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله
وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب
لم نكرت الاودية لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض
دون بعض فما معنى قوله بقدرها بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم
غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع
خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فما فائدة قوله ابتغاء حلية
او متاع الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما
ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب
وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع
الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر فاوقد
لي يا هامان على الطين من لابتداء الغاية اى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى و
بعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفأه السيل اى يرمي به وجفأت
القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا
يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اى يوقد الناس للذين استجابوا
اللام متعلقة بيضرب اى كذلك يضرب الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا
اى هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم
كلام مبتدأ ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال

وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ومع ما في حيزه أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لإنكار أن يقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز إنما يتذكر أولوا الألباب أي الذين عقلوا على قضيات عقولهم فنظروا فاستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما أصبره وما أحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما إن جزعت ولا هلعت ... ولا يرد بكاي زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل وأنفقوا مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا

وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن يكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرأ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح اعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا فقد استرحتم الساعة كقوله بما قد أرى فيها أوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق ونحو ذلك كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم من أناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين

جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة تسكن
القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف
المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا
وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب
بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن
ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض
ومعيشة كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر
الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة
فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك وهم
يكفرون وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من
نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك لهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو
ربي لا إله إلا هو الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم
ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا
أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف
كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت
به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله من القرآن وقيل معناه
ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه
كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود
إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع
في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة
ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير وتجاوزها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما
اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله

الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن
علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر
التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى
الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم
لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى
الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم
ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل
إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في
أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون
الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء
بآمنوا على ولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم
في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله موتهم أو القيامة
وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم
أو تحل أنت يا محمد من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد وهو فتح مكة
وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب الإملاء الإمهال
وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم
الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له أفمن هو قائم احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله
الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة
لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده لله شركاء قل سموهم أي جعلتم له
شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض على أم المنقطعة كقولك

للرجل قل لي من زيد ام سوا قل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء
ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل انسمونهم شركاء بظاهر من
القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا
الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف
وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف بل زين للذين كفروا مكرهم
كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابي اسحاق وصد بالتنوين ومن يضلل الله و
من يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اشق وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا
وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها
التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل
الجنة وقال غيره الخبر التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال
الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد
وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة و
ظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب
يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب في اصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة وثمانية من الشام مولاء يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب
ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون
الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام
ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع كيف اتصل قوله قل انما
امرت ان اعبد الله بما قبله هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك
به اليه فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله
وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان

يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه مآب
لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا
فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدما
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله
الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين
ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك
ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين
والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شدة الشكيمة بمكان ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب
كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه
الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بآيات
برأيهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم
يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة و
لا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة
ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات
والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك
قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك
اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من
بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ
الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره
فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر

وقرئ تنقصها بالتشديد والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكرّ على الشيء فيبطله
وحقيقته الذي يعقبه اي يقفّيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقّب لانه يقفي غريمه
بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال
وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا
ما محل قوله لا معقب لحكمه هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه
كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم
جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون
وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس
(ويقول الذين كفروا لست مرسلا)
وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر قل كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي
ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الّف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل
ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب
اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما
في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه
علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعُلم على البناء
للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب   بم ارتفع علم الكتاب   في القراءة التي وقع فيها
عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل
لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي
استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى
يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كتاب هو كتاب يعني السورة
وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين
عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب
النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل
انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك
ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل   ما وجه اتصال قوله
من عذاب شديد بالويل   لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله
دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله مبتدأ خبره اولئك في ضلال
بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين
يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من
نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي
الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده و
وقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان
يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في
ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل   فما معنى وصف الضلال بالبعد
هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول
جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا
لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته   لم يبعث رسول الله
الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين
وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية
لم يكن للعرب حجة ايضا   لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع
الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم
الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه

كما نرى الحال ونشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة
والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه
وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ
بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او
ساكنة كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب
كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم الضمير للقوم وهم العرب فيؤدي
الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن و
المراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان و
هو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال
فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل
بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية
والدليل على جواز ان يكون ان الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر و
كذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وهو الظاهر و
عن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم
البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل
الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل
اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ
انجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذ انجيكم
ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت

هل يجوز ان ينتصب بعليكم

لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل
فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا
قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون
اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي
الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو
جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة
كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا
ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظير تاذن
وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن
ربكم فقال لئن شكرتم لازيدنكم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال
ربك لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان
الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما
انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم الله محاويج
فان الله لغني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدإ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين
من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا
الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه
الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلب عليه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب اي هذا جوابنا لكم

ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به وهذا قول قوى او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا
او ردوها فى افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم
يتكلمون وقيل الايدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الايادى اى ردوا نعم الانبياء التى هى اجل النعم
من مواعظهم ونصائحهم وما اوحى اليهم من الشرائع والآيات فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها
فكانهم ردوها فى افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان
بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة من ارابه واراب الرجل وهى
قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افى الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس
فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه فاطر السموات والارض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرنى ودعوته
لياكل معى قال دعوت لما نابنى مسورا فلبى فلبى يدى مسور فان قلت ما معنى التبعيض فى قوله
من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل ادلكم
على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة
بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله
بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره
يبلغكموه ان آمنتم به والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا
ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة فاتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد
جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم فى البشرية وحدها
فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل
لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية
التى قد اقترحتموها ليس الينا ولا فى استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل

المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا
ومن حقنا ان نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان
لا نتوكل على الله ومعناه واى عذر لنا فى ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين
فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على
ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة
وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا
يكلمنى ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين حكاية تقتضى اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه
وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم
زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من
آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال يظلمه عظيم القرية التى انا فيها
ويؤذينى فيه فمات ذلك العظيم وملكنى الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالى يترددون فيها و
يدخلون فى دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم
به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم
اى ذلك الامر حق لمن خاف مقامى وخاف وعيد موقفى وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذى
يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقامته المقام وقيل خاف قيامى عليه وحفظى لاعماله والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن
اى اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا
وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق

والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه **من ورائه جهنم** من بين يديه قال

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها

بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف **فان قلت** علام عطف ويسقى **قلت**

على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى **ويسقى من ماء صديد** كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت **فان قلت** ما وجه قوله من ماء صديد **قلت** صديد عطف بيان لماء

قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار **يتجرعه** يتكلف

جرعه **ولا يكاد يسيغه** دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها

اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها **ويأتيه الموت من كل مكان** كأن اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت

عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام

رجله وقيل من اصل كل شعرة **ومن ورائه** ومن بين يديه **عذاب غليظ** اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا

اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة

قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر

سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل

النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم **وما هو بميت ومن ورائه**

عذاب غليظ هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقص عليكم **مثل الذين كفروا بربهم** والمثل مستعار

للصفة التي فيها غرابة وقوله **اعمالهم كرماد اشتدت به الريح** جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف

مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر

للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم

بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح **في يوم عاصف** جعل العصف

لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في

يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء

الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها

في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد

طيرته الريح العاصف **لا يقدرون** يوم القيامة **مما كسبوا** من اعمالهم **على شيء** اي لا يرون له اثرا من

ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء **ذلك هو الضلال البعيد** اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق

الحق او الثواب **ألم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق** بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا

ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض **ان يشأ يذهبكم** اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم

خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر

على الشيء وجنس ضده **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص

له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكوّن من غير توقف كتحريك

اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم

خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة والحكمة البالغة وانه هو الحقيق

بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء **وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا**

انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه

كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم

لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش

ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى

عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه **فان قلت** لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة

قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء

الاتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن

الاستماع الى الانبياء واتباعهم **تبعا** تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب

او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا **فان قلت** اي فرق بين من في **من عذاب الله** وبينه في **من**

شيء **قلت** الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي

هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب

الله اي بعض بعض عذاب الله **فان قلت** فما معنى قوله **لو هدانا الله لهديناكم** **قلت** الذي قاله

الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب

التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان

الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله

كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء

يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله

جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف
بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اى
لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون
تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء
علينا **فان قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله **قلت** اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان
جزعًا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب
الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في
الصبر والامر من ذلك اطم اولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه
الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اى منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء
والمستكبرين جميعًا كانه قيل قالوا جميعًا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص يكون مصدرًا كالمغيب
والمشيب ومكانًا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضى الامر لما قطع
الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار روى ان الشيطان
يقوم عند ذلك خطيبًا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء
على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط و
قهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي و
تزييني والدعاء ليس من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم
بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة
او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم
المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه **فان قلت** قول
الشيطان باطل لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على
انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما
اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم لا ينجي بعضنا بعضًا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ

بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي
وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان
ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء الاولى مجرى
الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل **قلت**
هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتموني
مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا
كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبروه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت
السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدًا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركتنيه
فلان اي جعلني له شريكًا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم
له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا
ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين
في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول
فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة
الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقراء الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا وعملوا
[هامش: الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها]
على فعل المتكلم على معنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق
بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره **فان قلت** فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك
وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم **قلت** الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما
بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ
من يتق وفيه ضعف الم تر كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدًا كساه حلة وحمله على فرس و
يجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها و
فرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقراءة
انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اي فرق بين القراءتين **قلت** قراءة الجماعة

أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله ألا إنها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي أكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الأرض في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله

ودينى الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأزل ويفعل الله ما يشاء أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله أي شكر نعمة الله كفرا لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه وأحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان ويئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها **فإن قلت** الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام **قلت** لما كان الضلال أو الإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وإن لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب قل تمتعوا إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو آمر الشهوة والمعنى إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة فإن مصيركم إلى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا ويجوز أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر

الذى هو قل عوضا منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز **فان قلت** علام انتصب
سرا وعلانية **قلت** على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر
وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات
والاعلان بالواجب والخلال المخالة **فان قلت** كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه
من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال **قلت** من قبل ان الناس يخرجون اموالهم فى عقود المعاوضات
فيعطون بدلا لياخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او
خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه لياخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع
فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدا الذى خلق خبره السموات والارض وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من
المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه فى معنى رزق بامره بقوله كن دائبين يدابان فى
سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اى اتاكم
بعض جميع ما سالتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سالتموه نفى ومحله النصب على
الحال اى اتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم
اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والانسان
للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا
يعنى البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا
ذا امن **فان قلت** اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا **قلت**
قد سال فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يامن اهلها ولا يخافون وفى الثانى ان يخرجه

من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبنى وقرئ
واجنبنى وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد واهل
نجد جنبنى شره واجنبنى والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبنى اراد بنيه من صلبه وسئل
ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله و
اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا
فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال
دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمنى وبنى من ذلك وانما جعلن مضلات
لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا
بسببها فمن تبعنى على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصا صح
صه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا اى ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم
ومن عصانى فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لى
وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك ربنا انى اسكنت من ذريتى بعض اولادى وهم اسمعيل ومن ولد
منه بواد هو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه شىء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج
بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم وقيل للبيت المحرم لان
الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه
كل جبار كالشىء المحرم الذى حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه
حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ربنا ليقيموا الصلوة اللام
متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا
الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك
متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف
عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التى آثرت بها سكان حرمك
فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد
لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم
والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكانه قيل
افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض

الافئدة. وقرئ آفدة بوزن عاقدة. وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني
ان يكون اسم فاعلة من أفدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ
افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افِد
تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي بخارمها مهوى الاجدل وقرئ تهوى اليهم
على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى
تعديته **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد **لعلهم يشكرون**
النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله
عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اى بلد من بلاد الشرق والغرب
ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر
نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم
ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله **انك تعلم ما نخفي وما نعلن** تعلم السر كما تعلم العلن علما
لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا
وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية
لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك
وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن
بعضهم انه رفع حاجة الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا
ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل
ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة
الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى
الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف **وما يخفى على الله من
شيء في الارض ولا في السماء** من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او
من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق
كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما **على** في قوله **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق** على في قوله على

من م

الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه
وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو
ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن
جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها
اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم
واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم **ان ربي لسميع
الدعاء** كان قد دعا ربه وسأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته
فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه **قلت** هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به
وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن **فان
قلت** ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء **قلت** اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع
الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب
زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى
فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله **رب اجعلني مقيم الصلوة ومن
ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين** ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في
اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين
وتقبل دعاء اى عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله الى قوله اعتزلهم وما يعبدون وقراءة سعيد بن
جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقراءة الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ
لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي
بعض المصاحف ولذريتي **فان قلت** كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين **قلت** هو
من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل
بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام
لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه
بابرهيم **يوم يقوم الحساب** اى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم
قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على
رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن

مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا و
رزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس
انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا انى اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث
وضعها رزقا للحرم **فان قلت** يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس
به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم **قلت** ان كان خطابا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا
تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني
ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد
ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير
وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء
تشخص فيه الابصار اى ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي و
قيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئى تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم
طرفهم وافئدتهم هواء لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة
من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم الهواء الخلاء الذى لم يشغله
الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق
ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق
وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو
يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب
نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب
العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ
ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق نجب دعوتك ونتبع الرسل
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك

فيقول الذين ظلموا ربنا

بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه او يقول لهم بلسان الحال حيث بنوا شديدا
واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا
من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار
اخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها
ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل
تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل
سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا
طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من ايام الله و
كيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف فعلنا بهم كيف اهلكناهم و
انتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى في
الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وعند الله
مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى وهو مكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو
عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال و
ان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم مسوى
لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة
الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء
على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ عمر وعلى رضى
الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن
انا ورسلى **فان قلت** هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول **قلت**
قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الميعاد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله
ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين
هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذا في الضعف
كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل

الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى
يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين
وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه
قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أوصافها
فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض
وإنما تغير وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء
بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقيل تخلق بدلها أرض
وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي
رضي الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف
وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون **فإن قلت** كيف قال الواحد القهار **قلت** هو كقوله لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا
مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين
أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله في الأصفاد إما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد
وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد
لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفاداً يعض بساعد وبعظم ساق سرابيلهم من قطران
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب
من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ
حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن
الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم لذع القطران
وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه
ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه
ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب
والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار ليجزي الله ما كسبت إن الله سريع الحساب

كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في
ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى
تتغشى أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة
لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير و
الموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على
محذوف أي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه و
استعد له وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة
إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم
والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة
في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف **فإن قلت** لم دخلت
على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي **قلت** لأن المترقب في أخبار الله عز وجل بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود **فإن قلت** متى تكون ودادتهم **قلت** عند
الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار و
هذا أيضاً باب من الودادة **فإن قلت** ما معنى التقليل **قلت** هو وارد على مذهب العرب
في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه ولا
يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل
لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من
الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه
في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسناً سديداً وقيل تدهشهم
أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا

فلذلك ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة
والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون بدنياهم وتنفيذ شهواتهم وتشغلهم آمالهم
وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم و
الغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا ما
ينذرون من معاينته به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا
ندما في العاقبة وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ
والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ
في الدنيا من أخلاق الهالكين وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن
لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق
الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم
وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين ألا ترى إلى قوله ما تسبق من أمة أجلها في موضع كتابها وأنث الأمة
ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون محذوف عنه لأنه معلوم وقالوا يا أيها الذي نزل
عليه الذكر إنك لمجنون قرأ الأعمش يا أيها الذي ألقي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء
كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى
الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها
فبشرهم بعذاب إنك لأنت الحليم الرشيد وقد وجد كثيرا في كلام العجم والمعنى إنك لتقول قول المجانين
حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين لو ركبت مع لا و ما
لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض
قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة
يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا
بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسلها ما ننزل الملائكة قرئ
تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة إلا بالحق وما
كانوا إذا منظرين إلا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن يأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون
لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السماء

والأرض وما بينهما إلا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب وإذن جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء
الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم إنا نحن نزلنا الذكر رد
لإنكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل
على القطع والثبات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ
محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب
المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان
التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه **فإن قلت** فحين كان قوله إنا نحن نزلنا الذكر ردا لإنكارهم و
استهزائهم فكيف اتصل به قوله وإنا له لحافظون **قلت** قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده و
النقصان لأنه لو كان من قول البشر أو غيره لتطرق عليه الزيادة آية كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل
الضمير في قوله لرسول الله كقوله والله يعصمك ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة
الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى أرسلنا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا
كانوا به يستهزئون حكاية حال ماضية لأن ما لا يدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا و
هو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير
للذكر أي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا
مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت كذلك أنزلها باللئام يعني بمثل
هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال أي غير مؤمن به
أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون سنة
الأولين طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد
لأهل مكة على تكذيبهم يعرجون قرئ يعرجون بالضم والكسر لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وسكرت
حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أي حبست كما يحبس النهر من الجري
وقرئ سكرت من السكر أي حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح
لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله
لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في
السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل
على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض

مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن
ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها
شهاب مبين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او وله وزن
وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها **و
جعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين** معايش بياء صريحة بخلاف الشمايل والخبايث ونحوها فان
تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة واخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم
له برازقين او وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون
انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه
لا يعطف على الضمير المجرور **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** ذكر الخزائن تمثيل والمعنى
وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار
معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور **وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين** لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من
انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط
مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه
لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه
قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه
بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم **وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون** اي الباقون بعد هلاك
الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله عليه السلام
في دعائه واجعله الوارث منا **ولقد علمنا المستقدمين ولقد علمنا المستاخرين** من استقدم ولادة و
موتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في
الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين و
روي ان امراة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها
وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت **وان ربك هو يحشرهم** اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم

مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم **انه حكيم عليم** باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى
الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء **ولقد خلقنا الانسان من صلصال** الصلصال الطين اليابس الذي
يصلصل وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا
فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه
وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل
المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا **من حمإ** صفة لصلصال
اي خلقه من صلصال كاين من حما وحق **مسنون** بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ
الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر **والجان خلقناه
من قبل** للجن كادم للناس وقيل هو ابليس وهو رأي الحسن وعمرو بن عبيد والجان بالهمز **من نار السموم** من
نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق
الله منها الجان **واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال
رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** واذكر قوله سويته عدلت خلقته واكملتها
وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم ماموا معهم بالسجود
فغلب اسم الملائكة ثم استثنى ابليس بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا وابى استيناف على
تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى ان
حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في
ابايك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي
حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله
لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير
في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه
ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان

يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم بمعنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسببه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن تعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله قال رب بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس لهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح من عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوقف مجرى الوصل ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين المتقي على الاطلاق

تتقيها

من يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون وعثمان والزبير وطلحة منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده واذ قد جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحابب اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما تم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وانك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر

او لا توجل

وقرئ تبشرون بفتح النون وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم

اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا كذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي وقضينا اليه ذلك الامر وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين

واخدعا

بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسئ الى ضيفه او جاره فقد اسئ اليه كما ان من اكرم من
يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزى وهو الهوان او ولا تشوروا لى
من الخزاية وهى الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم
فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له
فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه
ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتى اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم
بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله
كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله
دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفى سكرتهم اى فى
غوايتهم التى اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك
البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم
خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا
الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم فاخذتهم
الصيحة صيحة جبريل مشرقين داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة
عند ربك اى معلمة بكتاب ان فى ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين
النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت فى فلان كذا اى عرفت
وسمه فيه والضمير فى عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعنى آثارها لبسبيل مقيم
ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب وانهما يعنى قرى قوم لوط والايكة وقيل
الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين
فجاء بضميرهما فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق و
مطمر البناء واللوح الذى يكتب فيه لانها مما يؤتم بها ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين اصحاب الحجر ثمود
والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم

جميعا واراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
حذرا ان يصيبكم ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها
ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا وبسبب العدل والانصاف يوم الجزاء
على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم
فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم
او ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح
وفى مصحف ابى وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم سبعا سبع آيات وهى الفاتحة او
سبع سور وهى الطول واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل
بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هى آل حم او سبع صحائف وهى الاسباع والمثانى من
التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها فى الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء
على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير
القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثنى على الله بافعاله العظمى
وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا
اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله تعالى كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة
ويكون القرآن بعضها **فان قلت** كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ
على نفسه **قلت** اذا عنى بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع
على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت
الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو

الشأن او المتنعمة والعظمة لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار **فان قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت** يقول لرسوله
قد اوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك
ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابى بكر
رضى الله عنه من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب و
الجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله
فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم واخفض جناحك
للمؤمنين يعنى ولا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون
وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل انى انا
النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم **فان قلت** بم تعلق قوله كما انزلنا
على المقتسمين **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا
على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق
موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن
به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت
ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن
وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير الاولين بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو
فعلهم والثانى ان يتعلق بقوله وقل انى انا النذير اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب
على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من
الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
اى انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم
الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس
عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر
شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب و

وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم
فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما **قلت**
لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية
من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضى وقيل هى عضهة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش
يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى
الثانى هاء فوربك لنسألنهم اجمعين لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن
ابى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعملون يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من
الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل وبما تؤمر
والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية
اى بامرك مصدر من المبنى للمفعول انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عن
عروة بن الزبير فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل و
الاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر
قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار
الى عينى الاسود بن المطلب فعمى واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن
عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود
يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت اى ما دمت حيا
فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين

والانصار والمستهزءين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر
استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه
فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد
قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت
اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ تستعجلوه بالياء
والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم
على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء
وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتشديد والتخفيف وقرئ تنزل الملائكة
اى تتنزل بالروح من امره على من يشاء من عباده بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام
الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان الشان
اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا
اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا
فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا
يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله
وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان
يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان
احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى
جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيى العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران
النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم والانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل
وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان

والانعام ثم قال خلقها لكم فيها دفء ومنافع اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ
به كما ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من اللباس المعمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة
والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقدم الظرف في قوله ومنها
تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس
في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى
التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء
الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون من الله تعالى بالتجمل
بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت
اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة
يواري سواتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا
اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم آوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا
تسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو
ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق
فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه
كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة

وتحمل

فان قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت
طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد و
مشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق
الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه
الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب
والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره
في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها

فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما
الزينة فبفعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اى وخلقها زينة لتركبوها ويجعل زينة
حالا من ها اى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما
لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان
يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة
له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وعلى الله قصد السبيل
المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو
القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه و
معنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا
للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام فى قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من
السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه
الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برى منه ولو شاء لهديكم
اجمعين قسرا الجاء هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له و
الشراب ما يشرب شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعنى الكلاء تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة
لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية
لقوم قرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا
فى الجنة وانما انبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته
وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقراءة ابى بن كعب ينبت لكم به الزرع
والزيتون والاعناب بالرفع وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرئ كلها بالنصب على و
جعل النجوم مسخرات او على معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من
فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم
بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر
بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره
وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات

بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية
اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية
لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتاكلوا معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر
وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع
الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث والله تعالى سماه لحما قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكروا اللحم على الاطلاق
ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار
ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا
يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله و
لعلكم تشكرون الحلية هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها
من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح وابتغاء
الفضل التجارة والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب
البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل
الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات وبالنجم هم يهتدون هى معالم الطرق وكل
ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى ايدى الناس و
عن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون
وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت
قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم و
كان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جىء بمن الذى هو لاولى العلم قلت
فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولى العلم الا ترى الى قوله على اثره و
الذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث
ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله تعالى الهم ارجل

يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات
فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام الذين
عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم
افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه
وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر
اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز
عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون
وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى
اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير
جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون
متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم
على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى
ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها
غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي
تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون
اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث هؤلاء الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا
يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس
منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت
بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يعني انه قد ثبت
بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها وكان من نتيجة
ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون
عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه

لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل
هؤلاء تحت عمومه واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل
ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله
اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع
فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم اساطير قلت هو على السخرية كقوله ان
رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو كلام المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم
قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم
وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر
ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم الا ساء ما يزرون
حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضله
وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله
بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون القواعد اساطين البناء
التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بالله ورسله فجعل الله هلاكهم
في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان
حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ومعنى اتى الله اتى امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة ويقول اين شركائي الذين كنتم
شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم
تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون لان مشاقة المؤمنين
كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين هم الانبياء والعلماء من
اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم

الملائكة ظالمي انفسهم قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء بلى وجحد
واما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا
من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع قلت فصلاً بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان لما
سالوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا و
اولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء
العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون و
امروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع
امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين
احسنوا في هذه الدنيا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه
تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتداء عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدونه عليهم
حسنة ولدار الآخرة خير مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها وكقوله فاتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات
عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين خبر مبتدا محذوف و
يجوز ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملئكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل اذا اشرف العبد المؤمن
جاءه ملك فقال السلام عليكم يا ولي الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
قرئ بالتاء والياء يعني ان يأتيهم لقبض الارواح وامر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك
اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم
فعلوا ما استوجبوا به فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء سيئات اعمالهم
او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله
وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم
واستكبارهم عن قبول الحق وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا
حرمنا من دونه من شيء يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا

الاول

او يأتي

التدمير

فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا
وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين فهل على الرسل
الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك و
قبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على
جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت ولقد امد ابطال قولهم ان الله يشاء السوء ومشيه الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي
هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من
اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي
منه خير فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى
لهم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي
من يضل ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه
لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه من قبيل القبائح التي تجوز عليه وقرئ لا يُهدى اي لا يقدر
انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي
هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان
الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يُهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله لا
يهدّي على ادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح
الراء وهي لغية واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا معطوف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدوّنا توريك ذنوبهم على مشيئة
الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعد الله مصدر مؤكد
لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في
الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على
الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه متعلق بما دل عليه بلى
اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي
قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا

اى بعثناه ليبين اليهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قوله مبتداء وان نقول خبره وكن ويكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شىء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم و اصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف فى الله اى فى حقه ولوجهه حسنة ولاجر الآخرة اكبر صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة حسنة وفى قراءة على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم فى الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذه بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ذخر لك فى الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون على هم الذين صبروا او اعنى الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم يتعلق قوله بالبينات والزبر وانزلنا

اليك الذكر لتبين للناس قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات واما بما لا تعلمون على ان الشرط فى معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعنى ما نزل الله اليهم فى الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فينتبهوا ويتاملوا افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم مكروا السيئات المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله فى تقلبهم فما هم بمعجزين متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم او ياخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

اى ياخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل قرئ اولم يروا وتتفيؤا بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شىء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الايمان سجدا لله حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شىء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبى الشىء اى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة يجوز ان

يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في
الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا
لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم
اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة وهم لا يستكبرون ملائكة الارض
من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر
عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة
الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما
بعبارة واحدة فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو
جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم
ارادة العموم يخافون ربهم يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون
بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ان
علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم
عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء
الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد
الخاص فاما رجل ورجال وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل
واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي
يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت
انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل
للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب
من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض وله الدين الطاعة
واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل
منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء

دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم
ثم اذا كشف الضر عنكم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة
يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب
في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون للمشركين ومنكم للبيان لا
للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف
تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا
من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لما
لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله
وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة
اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا
اليهم لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من
قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا
على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ظل
بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يكون ظل لان اكثر الوضع
يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء غيظا
حنقا على المرأة يتوارى من القوم من سوء يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث
نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده ايمسكه على هون
ام يدسه في التراب وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية

الإطلاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم الغنى عن العالمين والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض
من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قط ولاهلكها
بشؤم ظلم الظالمين وعن ابى هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان
الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضى الله عنه من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك
الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن
الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم
الكذب مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن بعضهم انه
قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم
فيؤتى بالدواب والثياب الفاخرة وانواع الاموال واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر
والخزف وما لا يؤبه به قال له اما تستحيى من ذلك الموقف وقرا عليه الآية وعن مجاهد ان لهم
الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب
جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها
من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى
اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم حكاية للحال الماضية التى كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها او فهو وليهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم و
بئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار اى
فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى
مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف
المضاف فهو ولى امثالهم اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون هدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا
الذى انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له

ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذى اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب
واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك
لآية لقوم يسمعون اى لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه
الانعام فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء المفردة الواردة على افعال وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه
ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال فى
الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال فى جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم
فاذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله فى كل عام نعم يحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه
تكسير نعم وانه فى معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل
نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصا اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه و
بينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت
البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث
فى الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص
فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين سهل المرور فى الحلق و
قيل لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان
قلت اى فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها
كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء
الذى منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما
عليه فيتعلق بمحذوف اى كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم
كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقدم وقد احتج بعض من يرى ان المنى
طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول
وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم
قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من
تكرير الظرف للتاكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله

كقولهم ثوب اكياش

بكفى كان من ازمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر **فان قلت** فالام يرجع الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا **قلت** الى المضاف المحذوف الذى هو العصير كما رجع فى قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم سكرا علينا فاجلى اليوم والسكران صاح وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى والثانى ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة رحمه الله الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو على الجبائى غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج فى المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمرها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل الى الوقوف عليه والا فتنيقتها فى صنعتها ولطفها فى تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على الله وادعها علما بذلك وفطنها كما اولى العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى ان اتخذى من الجبال هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون قرئ بيوتا بكسر الباء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس **فان قلت** ما معنى من فى قوله ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر **قلت** اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها ثم كلى من كل الثمرات احاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى افهمك والهمك فى عمل العسل او فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا

تضلين فيها فقد بلغنى انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك ذللا يخرج من بطونها جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها ووطأها وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلك منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة والنافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى هو فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع التأويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه تسعون سنة عن قتادة رضى الله عنه لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء اى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى ان

الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم
شيئاً من الرزق وإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالياء والتاء من أنفسكم من
جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم
بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة و
منه قول القانت وإليك نسعى ونحفد قال حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال و
اختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل
المعنى وجعل لكم حفدة أي خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم
كقوله سكراً ورزقاً حسناً كأنه قيل وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين
الأمرين من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها ﴿أفبالباطل
يؤمنون﴾ وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام ~~ونعمة الله يكفرون~~ وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل
لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾
المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي
لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعم الله
ما أحل لهم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً﴾ الرزق يكون بمعنى المصدر
وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئاً كقوله أو إطعام يتيماً ومسكيناً على لا يملك أن
يرزق شيئاً وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه بمعنى قليلاً ويجوز أن يكون توكيداً للا يملك أي
لا يملك شيئاً من الملك ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدراً بمعنى لا يرزق من السموات
مطراً ولا من الأرض نباتاً أو صفة إن كان اسماً لما يرزق والضمير في ﴿ولا يستطيعون﴾ لما لأنه في معنى
الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء
متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به **فإن قلت** ما معنى قوله ولا
يستطيعون بعد قوله ولا يملك وهل هما إلا شيء واحد **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما
المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم لأنهم موات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين
نفي الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم
ولا يستقيم ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه
حالاً بحال وقصة بقصة ﴿إن الله يعلم﴾ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم
لأن العقاب على مقدار الإثم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم إليه وجرأكم عليه فهو تعليل
للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم
علمهم كيف يضرب فقال مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء **فإن قلت** لم قال ﴿مملوكاً لا يقدر على شيء﴾
وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف **قلت** أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً
لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف
واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له **فإن قلت** من في قوله ﴿ومن رزقناه﴾
﴿منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ما هي **قلت** الظاهر أنها موصوفة
كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع أن تكون موصولة **فإن قلت** لم قيل يستوون على
الجمع **قلت** معناه هل يستوي الأحرار والعبيد ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾
الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿وهو كل على مولاه﴾ أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله ﴿أينما يوجهه﴾
حيثما يصرفه ويرسله في مطلب حاجة وكفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على
صراط مستقيم﴾ ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر بالعدل والخير وهو في نفسه
على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم
من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية والأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع وقرئ
أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعداً وقرأ ابن مسعود أينما توجه على
البناء للمفعول ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو
أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم
﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح
البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن
يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة
الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه
﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل
على قدرته بما بعده ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ قرئ إمهاتكم بضم الهمزة وبكسرها والهاء مزيدة
في أمات كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال أمهتي خندف

[Marginal notes, left page: الآيات بخير — وما أمر الساعة]

واليأس انهى لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذى خلقكم في البطون
وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ومعناه
وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من
شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب
وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع
في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير قرئ الم يروا بالياء والتاء مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء والجو الهواء المتباعد من الارض
في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون في
قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته والله جعل لكم من بيوتكم التى تسكنونها من الحجر والمدر
والاخبية وغيرها سكنا والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل
في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم
تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها وهى خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا
على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين وشيئا ينتفع به
الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل مما خلق من جميع الشجر وسائر
المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل
هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من
الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقى من الحر يقى من البرد فدل ذكر الحر
على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره
كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ
تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما
وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التى عددناها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة

الحمل بدل

آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما
لم يجز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون
اى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من
كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في
الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا
هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت
فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم
يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم
نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنا شركاؤنا آلهتنا التى دعوناها شركاء وان
ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغى وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم
قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم
لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان اريد
بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون كما يقول الشيطان
انى كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم يعنى الذين ظلموا والقاء السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من
ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عذابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة
فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده
الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين للناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا

واذا راى الذين ظلموا

عليهم من انفسهم يعني بنبيهم لانهم كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في
غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين قلت
المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع
رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة و
الاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق
امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره
العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين اقيمت
هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله على من سنها غضبا ونكالا
وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان
ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو
والهمزة بدل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع
لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على
غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم
وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي و
ايمانكم
جواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ
يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني
جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المسلمين انما يبلوكم الله به

الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم
وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون انذار وتحذير من
مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة حنيفية مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على
ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء
وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان
والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق عليه شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم
تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل
اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم في الدنيا
بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا
نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان
لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد
ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله عليه ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله
ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله هو خير لكم
ان كنتم تعلمون من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون على
اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان
من عمل صالحا
تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول
في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر
كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا وهو مؤمن
فلنحيينه حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعده الله
ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المؤمن مع
العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا
فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان

معسرًا فلا إشكال فيه وان كان موسرًا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق

لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رض قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الضمير

واذا بدلنا آية مكان آية

راجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس **قلت** فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير

والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى للمسلمين مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن

ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر

عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان **فان قلت** الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها **قلت** لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا

اشارة الى

يؤمن لانه لا يترقب عقابا واولئك قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن

من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ويجوز ان يكون بدلا
من المبتداء الذى هو اولئك على ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذى هو الكاذبون
على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر
بالله شرطا مبتداء ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا
من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن
الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم
عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين
ووجى فى قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام
واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله عمار كفر فقال كلا ان عمارا ملى
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى
فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى اكرهه
سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل
افعل عمار ام فعل ابويه قلت فعل ابويه لان فى ترك التقيه والصبر على القتل اعزازا للاسلام
وقد روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول
فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم
فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى
القوم الكافرين اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة
واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة الذين لا احد اغفل منهم
لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم و
ابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا ومعنى ان ربك
لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون
محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى وامثاله ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم من
بعدها من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى

حبر مه

الدنيا

كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس
قلت يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة
والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسى
نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا
قرية اى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل
الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين كانت آمنة هذه
حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن
والانزعاج والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
وفى الحديث نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت
الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما
وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا و
الشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس
ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما
وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان
لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما
نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء
للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف و
النوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثانى ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله
ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما
نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافى الرداء اذا تبسم ضاحكا ولقد جاءهم رسول
منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى
انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس

اوعلى تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع
لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
التي كانوا عليها بان أمرهم باكل ما رزقهم الله من حلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه
تعبدون يعني تطيعون اوان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم
عنده انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
ثم عدد محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله
على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم الكذب من البهائم
بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك
ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم بدل من الكذب ويجوز ان تعلق بتصف على ارادة
القول اي لا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب
بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم
لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة **فان قلت** ما معنى وصف السنتهم الكذب
قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم
فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد
بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الشتم وبمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني واللام لتفتروا
من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من
افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين

عليهم هو

لما تصفه هو

بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة ان ابرهيم كان امة قانتا
لله حنيفا ولم يك من المشركين كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جمع صفات الخير
كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني
ان تكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه
ذلك مما جاء على فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة
بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو
ابرهيم صلى الله عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك
وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان
معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم
شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو
الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا
لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم ابيهم عليه السلام شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم
يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا
له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه
واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي تنويه الله
بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت
على آل ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من
المشركين في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان
بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول
الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله
عليه بها انما جعل السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اختلفوا فيه واختلافهم فيه
انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت

او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع
لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال **ان كنتم اياه
تعبدون** يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم
عنده **انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم**
ثم عدد محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله
على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على **ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم الكذب** من البهائم
بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك
ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله **هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم** بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة
القول اي لا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب
بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم
لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة **فان قلت** ما معنى وصف السنتهم الكذب
قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم
فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد
بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني واللام لتفتروا
من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من
افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون** ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم** بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين

عليهم ص

لما تصفه

بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومن بعدها من بعد التوبة **ان ابرهيم كان امة قانتا
لله حنيفا ولم يك من المشركين** كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير
كقوله: وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد، وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني
ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه
ذلك مما جاء على فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة
بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو
ابرهيم صلى الله عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك
وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان
معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم
شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو
الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى الملة الاسلامية غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا
لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم ابيهم عليه السلام **شاكرا لانعمه** روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم
يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا
له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم **اجتباه** اختصه
واصطفاه للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم** الى ملة الاسلام **وآتيناه في الدنيا حسنة** عن قتادة هي تنويه الله
بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت
على آل ابرهيم **وانه في الآخرة لمن الصالحين** لمن اهل الجنة **ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من
المشركين** في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان
بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول
الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله
عليه بها **انما جعل السبت** مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ **على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** اختلفوا فيه واختلافهم فيه
انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت

بانعم الله مثلا وغير ذلك وهو الانذار من سخط الله على العصاة لربهم والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة
طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء
اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا
في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق
السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم
اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امره
الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك
الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل
ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الواضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم
بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من
الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك لمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بهم فمن كان فيه خير
كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة و
المعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا وان
تعقبتم بالانتصار فتعقبوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا
مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة
وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها
حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي
ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم
ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره
على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا

هو اعلم

اي

الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق مما يمكرون اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف
الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي ولي
الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر
اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من
الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحانه ثم نزل سبحان منزلة
الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى
لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ
التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك
ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل
كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو
المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت
ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم
كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع في ليلته
وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت
ام هانئ بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج
فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب
ابن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان
آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك فلقد صدق قالوا اتصدقه على
ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر اليها فاستنعتوه المسجد
فجلى له الله بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن

عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذا والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذا والله العير
قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى
السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب
وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسرا فقيل كان قبل الهجرة
بسنة وعن انس والحسن رضي الله عنهما انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام
فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن الحسن كان في
المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى
عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقراء الحسن ليريه بالياء ولقد
تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم آياتنا ثم انه هو
وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها
وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا قرئ
بالياء على ان لا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقوله كتبت اليه ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قراء لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لا تتخذوا
من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا وذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم
اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهما
السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي
عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا
شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي
سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال
الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذى في عافية
ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به
فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا
ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم

نوح

كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح
فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا
الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي
يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان تجري القضاء المبتوت
مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول و
لتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم اولاهما قتل زكريا
وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهما السلام
عبادا لنا اولي باس شديد وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده و
قيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين
الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم
وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو
التردد فجاسوا خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم و
قرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت
معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا
لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم و
رجعتم عن الفساد والعلو قيل قتل بخت نصر واستنقذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم
وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد و
المعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا
يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء
وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوؤوا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او
للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون
الخفيفة وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا اللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف
وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا

عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي
وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة
عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله عليهم محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر
ذلك ان بعث عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم فى عذاب الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا
يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرموم ان هذا القران يهدى للتى هى
اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا للتى هى اقوم للحالة التى هى اقوم الحالات واشدها
او للملة او للطريقة وايتما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى ابهام
الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر
المومنين الابرار والكافرين ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مومن تقى واما مشرك وانما
حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا
لهم عذابا اليما قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المومنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وعقاب
اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يومنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اى ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضى اليهم اجلهم وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه
تانى المتبصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل
فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبى
صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع
الاجابة وان تقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى سالت الله ان يجعل لعنتى و
دعائى على من لا يستحق من اهلى رحمة لانى بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز
ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجله كما يستعجل بالخير اذا مسته الشدة
وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنه
هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا فاجيب له فضربت عنقه صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل
والنهار آيتان فى انفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
اى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة والثانى ان يراد وجعلنا نيرى الليل

والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان
فيه شئ كما لا يستبان ما فى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اى تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية
الليل التى هى القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى فيه الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس
ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم
والتصرف فى معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا
ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شئ مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم فصلناه
تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج
له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا طائره عمله وقد حققنا القول فيه فى سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك
طار له سهم اذا خرج يعنى الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه
ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت فى الرقاب وهذا ربقة فى عنقه وعن الحسن
يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها فى عنقك وقرئ فى عنقه بسكون النون وقرئ ونخرج
بالنون ويخرج بالياء والضمير لله ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اى يخرج الطائر
كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا على ارادة القول وعن قتادة
يقرا ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب
القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز
ان يكون بمعنى الكافى ووضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما اهمه فان قلت
لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان
الحسن اذا قراها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدى
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا
وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما
الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم
ادلة العقل التى بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التى لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا

بعد الايمان. قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا
كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا القليل امرناهم ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي
ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم
مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان
والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق
فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم. فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة
ففسقوا. قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان
المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه
الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا
قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به
فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه و
لا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما
ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول. فان قلت هلا كان ثبوت العلم
بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا. قلت
لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر
الى المجاز هو الوجه. ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء
لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت
وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق
به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد. وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر
من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج
وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام
انه سيامر اي سيكثر ويكبر. وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة وامره
الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم. كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني

عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب
الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها. من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء من كانت العاجلة همه ولم يرد
غيرها كالكفرة والفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد
المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون
الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن
التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فيها والا فربما
كان الفقر خيرا له واعون على مراده. وقوله لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا بدل من له وهو بدل
البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة. وقرئ يشاء. وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن
بين القراءتين في المعنى. ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد
به الله ذلك. وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة و
الذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها
او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه. مدحورا مطرودا من رحمة الله. ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا. سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة. اشترط ثلاثة
شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت. وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم
ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب. وتلا هذه الآية. وشكر الله الثواب على الطاعة.
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه. نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك نمدهم نزيدهم
من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل
وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه. انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا
بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا. جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت
اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة. وروي ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا
بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما
اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف
التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر. وقرئ واكثر تفضيلا
بالثاء. وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس

الآخرة وهي اكبر وافضل ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا فتقعد من قولهم شحذ الشفرة
حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من
والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة
ولا تعبدوه نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر واحسنوا بالوالدين احسانا او
بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل و
قضاء ربك ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي
ان الشرطية زيدت عليه ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف واحدهما فاعل يبلغن وهو
فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت
لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون
توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون
المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما
قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ
اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم و
الضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل
لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان
منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما حتى افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما
في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر ومقتضياته
ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا
يعجبك والنهر والنهي والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب و
النزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما
باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي
الله عنها نحلني ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر
فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض جناحك

الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة
زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم
من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا
تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في
صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان
يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكافرين جائزا
ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع من الاستغفار و
لو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن
يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت
موتة السوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي قد بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني
في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله
فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو
قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين
حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال
لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي
قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية
لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها
يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها مسيرة
من الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين
وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه
اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير توقد وعن حنظلة رضي الله عنه انه
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل

الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا يقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان يترحم عليهما ما عاشا ويدعو لهما اذا
ماتا ويقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود
ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير **ان تكونوا صالحين
انه كان للاوابين غفورا** قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه
البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين اي
للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب
الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره **وآت ذا القربى حقه** وهي بغير الوالدين من الاقارب بعد
التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان
الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي رحمهما الله لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين
فحسب وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة و
المؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك **والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا** يعني وآت هؤلاء حقهم
من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى
اقربا رسول الله صلى الله عليه وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت
الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة
في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا
في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في
الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف
يا سعد فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** امثالهم
في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم
فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفورا** فما ينبغي
ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها** وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل من الرد **فقل لهم قولا ميسورا** ولا تتركهم
غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل و

سكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا
لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق
رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء
والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم
ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى
ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا
الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امرا بالاقتصاد
الذي هو بين الاسراف والتقتير **فتقعد ملوما** فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس
يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت
فندمت على ما فعلت **محسورا** منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة
وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة
الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج الى الصلوة وقيل اعطى الاقرع
ابن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل
فنزلت **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا** ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط
الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان القبض والبسط انما هما من امر الله
الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض
فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا
بسنته **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا** قتلهم اولادهم هو وأدهم
بناتهم كانوا يئدون بنات خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء

وقرئ خطأ وهو الإثم يقال خطئ خطأ كأثم إثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو و
الخطأ مثل الحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن
خطاء بالفتح وفتح الهمزة كالحذر وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيره امرأته او اخته او بنته
من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل الا بالحق الا باحدى ثلث الا بان يكفروا وتقتل مؤمنا عمدا او
تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة
بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها
عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل كعادة الجاهلية كان اذا قتل
منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال
كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل
الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة
ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرفوا على خطاب الولي او قاتل
المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله
قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين
على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله تعالى ناصره حيث اوجب القصاص
بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب
القصاص على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد بالتي هي احسن
بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من
العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث
كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم
وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان
صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع و
هو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه
ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله

الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي
عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن
الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل ولم تر ولم تسمع وقيل القفو
شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج
وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعرن التقاذفا اي التقاذف وقال الكميت
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان
ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به كل اولئك كان عنه مسئولا اشارة
الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل
واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال
للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك
العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب
القلب مع الفتح ولا تمش في الارض مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق
بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها قرئ
سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا وفي بعض المصاحف سيئاته وفي قراءة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء
بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ
سيئا الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث
فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة
فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك
مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم مدحورا اشارة الى ما تقدم من قوله لا
تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه و
عن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى اولها لا تجعل مع الله الها
آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل
الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه

لم تنفعه حكمه وعلومه وان يذيفها الحكماء وحلّ بها فوق جهة السماء وما اغنت عنه الفلاسفة اسفار
الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم **افاصفاكم** خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
يعني اخصكم **ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا** على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم
يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم
فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات **انكم
لتقولون قولا عظيما** باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث
تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث **و
لقد صرفنا في هذا القران ليذكروا** يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما
صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا القران اي اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفنا يعني هذا المعنى في مواضع من
التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا
اي كررنا ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم **وما يزيدهم الا نفورا** عن الحق وقلة طمانينة وعن
سفيان رضي الله عنه كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا **قل لو كان معه آلهة** قرئ
كما تقولون بالتاء والياء **واذن** دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء
للو ومعنى **لابتغوا الى ذي العرش سبيلا** لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** في معنى تعاليا والمراد البراءة من
ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه به **تسبح له
السموات السبع والارض** المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته
فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها **فان قلت** فما تصنع
بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب للمشركين
وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة
مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا
عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فان قلت** **من فيهن** يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه **قلت** التسبيح

المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز **وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا** حين لا يعاجلكم بالعقوبة على
غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم **واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا** ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز
ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب وهذه
حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا على زعمهم **وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا** ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد
وحدا وحدة نحو وعد يعد عدة ووعدا ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك
في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية
او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معها آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا
نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من
عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في
موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء او هازئين **واذ يستمعون اليك** نصب باعلم اي اعلم وقت
استماعهم بما به يستمعون **واذ هم نجوى** وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى **اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا
رجلا** بدل من اذ هم **مسحورا** سحر فجن وقيل هو من السحر وهي الرئة اي هو بشر مثلكم **انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك
ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع **وقالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا** لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم **قل كونوا حجارة او حديدا**
فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على
احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة
الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي
عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو
كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة

او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في
صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة
ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون
اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله
بحمده حال منهم اى حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى و
يمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن
سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا و
ترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة
تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي يقولوا وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي
هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم اصحاب النار
وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا وربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري
بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اى ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المحاكة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره
الله بالعفو عنه وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وقيل افرط ايذاء المشركين
للمسلمين فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله
مورد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع
اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم وبمقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله و
موانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته **فان قلت**

هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور **قلت** يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا قل ادعوا الذين زعمتم من
دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة وقيل عيسى ومريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس
من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب
ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل
وايهم بدل من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير
الاقرب او ضمن يبتغون معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد
الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم ان من قرية الا نحن مهلكوها يوم القيمة
نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك بالقتل وانواع العذاب وقيل
الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة
فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب مسطورا في اللوح المحفوظ وما منعنا ان
نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان
الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات
التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من
اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن
ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد و
ثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها و
استوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة وآتينا
ثمود الناقة ثم ذكر من الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي
ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة
بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة

فالمعنى ما نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم
وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب
الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأنه قد كان ووجد
فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه وكان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك
ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما ارى في منامه من
مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجر من جنس لا تأكله النار فهذا
وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ
وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار
فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا
تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم
فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم
التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا
هي الاسرا وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا
منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز
الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما
يتداول الصبيان الكرة **فان قلت** اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن **قلت** لعنت حيث لعن
طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها

على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان
من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون
المحرق وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب و
قيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل و
الشجرة الملعونة في القرآن كذلك واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا حال
اما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين ومن الراجع اليه من الصلة على أأسجد
لمن كان في وقت خلقه طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني الى يوم
القيامة واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته الا قليلا لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما **فان قلت**
من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** اما ان يسمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه
من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك
لما علمت وسوسته في آدم عليه السلام والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس
من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه
بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا كما قال موسى عليه السلام
للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس **فان قلت** اما كان من حق الضمير في
الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم و
جزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات
وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى الفعل او باضمار تجازون او على الحال لان
الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فزه استفزز من استطعت منهم
بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد استخفه والفز الخفيف واجلب من
الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب
ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما
يقال رجل رجل وقرئ ورجالك **فان قلت** ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله

للخطاب وهذا م

ورجله **قلت** هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم منه اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوتك بدعائك الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب والتسويف بالتوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر يزجي يجري ويسير الضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم اولم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت** بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف بكم جانب البر اي يقلبه وانتم عليه **فان قلت** فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان

الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك يخسف ويرسل ويعيدكم قرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم قيل في تكرمة بني آدم كرمهم الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة القامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسلطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا تفضيلا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم فضلناهم

على جميع ممن خلقنا على البعض قولهم على جميع ممن خلقنا اسجى لحلومهم واقذى لعيونهم لا يشعرون فانظر
الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملاء الاعلى كان جبرئيل غاضهم حين اهلك مداين قوم لوط
فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو كل اناس قرى يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول
وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر
ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت
بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير
ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون
يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن
اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت
لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن اذا
اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام
التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة
حروف الكلام والذهاب عن سوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك
لا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر
هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا
يخاف ظلما ولا هضما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى مثله ومن كان في الدنيا اعمى فهو
في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته
لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء
اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان
افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول
فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى
الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس

الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله
امرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا
يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قال للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا
معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان
قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت
وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان
قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا
وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام
قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات و
هو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى
فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة
اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات
ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر
وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد
الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين
دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم
مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على
ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى

المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها وبتدبرها في جدير بالتدبر وبان يستشعر الناظر
فيها الخشية وازديادا للتصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم
لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض لتخرجوك منها من ارض مكة واذا لا يلبثون خلفك لا يبقون بعد اخراجك
الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب
وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا
قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة
وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج
الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة
وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على
دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو
مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها
التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من
رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم
ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبرئيل لدلوك الشمس
حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر
اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت
منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت
قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم
في زعمهما ان القراءة ليست بركن ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل
هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين

في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة
في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات
قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج و
يقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا
لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات
المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف
اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا
بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه
وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله
وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى
وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا يتكلم فيه نفس فاول مدعو
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر
ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على
طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من
السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة و
اخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه
ويلابسه من امر ومكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا سلطانا حجة تنصرني على من خالفني
او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك
من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده
لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد

وقيل رب
مخرج صدق

على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال
والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال
أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم
اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا
شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان
النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب
يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
فأوحى الله الى البيت اني سأحدث لك توبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف
النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم
الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت
بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي
صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد
فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد وشكاية البيت و
الوحي اليه تمثيل وتخييل وقل جاء الحق وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت
والحق الاسلام والباطل الشرك ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل
قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين للتبيين كقوله من الاوثان
او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم
فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا
شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم به كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم واذا أنعمنا على الانسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد
بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لأن الاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب
أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه
الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى
ويجوز أن يكون ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في

الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن هو
أهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان
سألوه عن حقيقته فأخبر انه من أمر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم
وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومن أمر ربي
اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما أوتيتم الخطاب عام وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل
نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة
تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة
التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب
لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك
لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم و
المعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت
لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته
محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته
يتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل
ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم و
رسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من
دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن
تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه
في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه

فقرآءة ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله تعالى قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت عليها يعنون قول الله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله

رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني

وانى وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب او ترقى في السماء ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر

او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط

او تسقط السماء

الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الى المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤن ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما

قل كفى بالله

مأواهم جهنم

زدناهم سعيرا

اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم

ورفاتا الى قوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله أولم
يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من
الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أأنتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون
الا كفورا وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم
خشية الانفاق وكان الانسان قتورا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها
فى لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير
المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه
دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى
وقول المتلمس ولو غير اخوالى ارادوا نقيصتى وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر
برز الكلام فى صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف
بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع
والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل
يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس
هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه
على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن
عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه
الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز
مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله
شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم
يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت فسئل بنى اسرائيل فقلنا له سل بنى اسرائيل اى سلهم من فرعون
وقل له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون
قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى اسرائيل على لفظ الماضى

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات

بغير همز وهى لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بنى اسرائيل وهم عبد الله بن سلام و
اصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى و
اثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبى فان قلت بم تعلق اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك
يا موسى مسحورا قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اى فقلنا له سلهم حين جاءهم او
بسال فى القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء
آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الى الله عز وجل بصائر
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقرئ علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل انا عالم بصحة الامر وان هذه
الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتنى مسحورا فانا اظنك
مثبورا هالكا وظنى اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امرى انى لاظنك
مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك
عن هذا اى ما منعك وصرفك وقرا ابى بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة و
اللام الفارقة فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا فرعون ان يستخف موسى
وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره
بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد فرعون ان
يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعنى قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم
ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا
محفوظا بهم من تخليط الشياطين فان قلت الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء
ذلك شئ من الاكراه على الدين ونحو ذلك قلت منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابى فرقناه
بالتشديد اى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل فى
يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعنى ان فرق بالتخفيف يدل على فصل
متقارب فان قلت بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت قلت على حسب الحوادث

امرٌ بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث

بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة

عين **فان قلت** ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا **قلت** يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به اولا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم **فان قلت** ما معنى الخرور للاذقان **قلت** السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى الارض من وجهه الذقن **فان قلت** حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم **قلت** معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص **فان قلت** لم كرر يخرون للاذقان **قلت** لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين يقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في

عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير و

الصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك المخافتة والجهر سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته **فان قلت** كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد **قلت** لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب لقن الله عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه **فان قلت** بم انتصب قيما **قلت** الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة **فان قلت** ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر **قلت** فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما

ووفقهم

جعله

أنذر متعدٍ الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين
كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة
من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدْنِه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف
والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض
المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرار الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم
ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم ولا لآبائهم اى بالولد او باتخاذه يعني ان قوله هذا لم يصدر
عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت
اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس
مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال
لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمةً وكلمةٌ بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب
اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا صفة
للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه
الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به
السنتهم بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبْرت بسكون الباء مع
اشمام الضمة الام رجع الضمير في كبرت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما
يسمون القصيدة بها شبههم واياه حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف
على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا
على فراقهم وقرئ باخعٌ نفسك على الاصل وعلى الاضافة اى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن
قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أنْ لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له
اى لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف و
اسيف انا جعلنا ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما
يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهّد في الميل
اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان
كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان

الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا

وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس
التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف
وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية ابن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هُمّد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه
اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي
الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا
من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات
عجب من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من
امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا
رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني
انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا
يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا
ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى
ان يعد اى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه ثم بعثناهم لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليُعلم
وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة
كما انه مفعول نعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم المختلفين
منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان
لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اى ايهم ضبط امدا لاوقات
لبثهم فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل ليس بالوجه السديد وذلك
ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس
على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل
واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه
احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت

المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره
كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك
وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم
وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر
الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر
بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم
فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط
في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشتط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف
بيان واتخذوا من دونه آلهة خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو
دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون
نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من امركم يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كاهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن
الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا
ذلك ثقة بفضل الله وقوة رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم
واما ان يكون بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار
بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى
القطيعة والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في
طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم و
قيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات

الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في
ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات
نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو
المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم
واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة
المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد
من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال بكسر
السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم
نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وقرئ وتقلبهم على المصدر
منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ
جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل
لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت
حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد
بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء
ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة
وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع
الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم
علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم
اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا
به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول

بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ. **قالوا ربكم اعلم بما لبثتم** انكار عليهم من بعضهم و
ان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها
مبهم لا يعلمه الا الله وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم
في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك كيف وصلوا قولهم **فابعثوا**
احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر بتذاكر الحديث المدة كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا
طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه
الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة
وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو و
اسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا
وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر
هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من
النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك
نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله
وتعلم منه ذلك وكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا
به والحوا عليه فيعتذر لهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر
الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن **ايها** اي اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله و
اسأل القرية **ازكى طعاما** احل واطيب او اكثر وارخص **وليتلطف** وليتكلف اللطف والنيقة فيما
يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف **ولا يشعرن بكم احدا** يعني
ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه
انهم ان يظهروا عليكم الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها **يرجموكم** يقتلوكم اخبث القتلة
وهي الرجم وكانت عادتهم **او يعيدوكم** او يدخلوكم **في ملتهم** بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها
والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم **وكذلك اعثرنا عليهم** وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من
الحكمة اطلعنا عليهم **ليعلم** الذين اطلعناهم على حالهم **ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها**

وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث **اذ يتنازعون** متعلق باعثرنا اي
اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية
حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت **فقالوا** حين توفى الله اصحاب الكهف **ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم**
بهم اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحظيرة **قال الذين غلبوا على امرهم** من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم **لنتخذن**
على باب الكهف **مسجدا** يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي
يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم
تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وروي
ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد
في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني
اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف
وكانوا يتعبدون فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن
وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا
وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به
فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق
وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق
الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله
انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا **ربهم اعلم بهم** من كلام المتنازعين كانهم
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة
ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك
المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب

باب

سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقول سبعة وثامنهم كلبهم قل اعلم بعدتهم الا قليل
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله
عنهم فأخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان
المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس انا من اولئك القليل وروي ان السيد و
العاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله
عن لسان جبرئيل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير
هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم
افسوس واسم كلبهم قطمير لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين
فيه وجهان ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين
جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي و
اتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا
بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام
الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم
كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم
فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين هي الواو
التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك
جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم
قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه
اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت

الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول
اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا
تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى
الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا
تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف
ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما
يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال
اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه
للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن
لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا
بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد
كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم
في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله
اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا كلمة الاستثناء
ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير
ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه
وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام
ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل
فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان
يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها

وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حُمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه بان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا او منفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء

لغيب السموات والارض

وابصر به واسمع

يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم

في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة والغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به

اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار مطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت مرتفقا متكأ من المرفق وهذا

لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله

اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر
من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين
فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين
معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فان قلت اين الضمير
منه الراجع الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام
من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء
والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين
الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في
بني اسرائيل احدهما كافر اسمه فطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة
الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى
الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا بالف فتصدق
به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة
بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت
منك الولدان المخلدين فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن
عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد
جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطين بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين
حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما
زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة
متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء
الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به
وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا

ولم ينقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ
وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر فقال لصاحبه
وهو يحاوره انا اكثر منك مالا ودخل جنته اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب
والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر
اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل
اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما حار
كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك
من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة
غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد
الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة وهو معجب
بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه
بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه
النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة
احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي لاجدن اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض
والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء
لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق
اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا
وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق
اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله
كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير و
قراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف

الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه بالوقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون
النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي
هو استدراك لماذا لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد
كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ
محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله
كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر الى ما رزقك الله هذا الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله
وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في
ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا
دخله ردد هذه الآية حتى يخرج ومن قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ
واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا
والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني
لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك فعسى ربي ان يؤتيني
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب
ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا او يصبح ماؤها
غورا فلن تستطيع له طلبا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر
واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى
فاصبح يقلب
عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى
عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب
كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي
تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني
ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله
عليها نارا فاكلتها يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من

جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم يكن له فئة بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون
اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ما معنى قوله ينصرونه من دون الله
معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا
انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام
وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة
ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا
الحق
مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه
المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده
قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية
لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب
على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد
من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى
خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق
اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد
منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما تذروه الرياح والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ
تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن
وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه
كل ما يطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا

الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اى ما يتعلق بها من الثواب
وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة قرئ تسير من
سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اى تسير في الجو وتذهب بها بان تجعل هباء منبثا و
قرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
وقرئ فلم تغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير
ما غادره السيل شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين
ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا
المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم
اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى
لم جئ بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز
ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا
بها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا
يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء
اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر
فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن
جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل
الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا
ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من
ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له
لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه
يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز

ويوم نسير الجبال

عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من
الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده
فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن
امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا
بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل أعقيب ما وجد
منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس
لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في
العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله
ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق
بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اى اعوانا فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي
في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك
ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا باسكان
العين ونقل ضمها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين
جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول نادوا شركائي الذين
زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار يقول بالياء والنون واضاف الشركاء
اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا
اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من
اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن
موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وقال الفراء البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان
يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك
فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وكان الانسان مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شئ جدلا اكثر الاشياء التي

يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز
يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف
محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي
الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل و
قبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن
موطئها وما انذروا هزوا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه
من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزءا بالسكون اتخذوها موضع استهزاء و
جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر
حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا
وان تدعهم الى الهدى من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء
ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن
يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها و
اذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب
وجوب الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا
على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير
امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا
ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود و
قوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف
باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير
والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك

ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد
وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي
وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم
لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان
بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان
عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر
وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم
المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف
ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى
ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو
ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان
البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه
لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه
النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا
فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي
عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء
وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه

فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرّفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علّمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علّمكه الله لا أعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما نسيا تفقّد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدّمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضّأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقّد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلّفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى الحوت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرني ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت واذ أوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان أذكره بدل من الهاء في أنسانيه اي وما أنساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان أذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو

كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد أرشد به في ديني اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه منه العلم بريء ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون انا الفاتح عليك وهذا

من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وأمروهما
بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما
لججوا أخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد
الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق
واهلها مرفوع جئت شيئا امرا أتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال
داهية دهياء إدّا إمرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته
ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي
ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول
ابرهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم واراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني
ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين غلاما
فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل
ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين لم قيل حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء جعل خرقها جزاء للشرط
وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فلم خولف بينهما
لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية و
زكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة
لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر
قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل
معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل
الى تداركه ما معنى زيادة لك زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية

قال الم اقل

والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها
بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك و
قرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تُصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك
قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدُني بتخفيف النون ولدْني بسكون الدال وكسر النون
كقولهم في عضُد عضْد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك
وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها اهل قرية هي انطاكية وقيل الأيلة وهي ابعد ارض الله
من السماء فأبوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه
من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيّفه انزله وجعله ضيفه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها
ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول
عزم السراج ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت و
التمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة
قال اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
وشكى الي جملي طول السرى ان يكذبني صادقا ومتوصادق ولما سكت عن موسى
الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يأبى على اجفانه اغفاءه
هم اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان
تمس الظهورا قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم
كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة
ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز
كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع
قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص

الأيلة ع

من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص و منكثب بالصاد غير معجمة
فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه
بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار
وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار
لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا
حتى ننتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل
منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
هذا اشارة الى ماذا قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال
موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه
كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث
اي هذا الاعتراض سبب للفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف
المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وكان وراءهم
امامهم ملك كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف
الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدمه عليه النية به التأخير
وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة
قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة قرأ الجحدري فكان ابواه
مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين
طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء ويقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله
فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا
اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي
قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان
يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد

ملك يأخذ

غصبا اما الغلام

فاردت ان يبدلهما خيرا منه زكوة واقرب رحما والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة و
العطف روي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من
الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم
وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب و
فضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم
علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الاية وكان ابوهما صالحا
اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما
بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم
قوم خصمون فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر
منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي
وانما فعلته بامر الله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا
انا مكنا له في الارض وآتيناه ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل
كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر
له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وكان وقيل
نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال
اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه
سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه و
سأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله
فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي

واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما

صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفيحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له قرئ حمئة من حمئت البير اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابي عمرو والحسن وقراءة ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى اي يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء

ثم اتبع سببا

وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله

كان مجر الرامسات ذيولها

يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وجد من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع

الصرف وقرأ بهمزتين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الأرض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ بالادغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين الجبلين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا ان يظهروه فما استطاعوا له نقبا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود ~~وهبوط~~ لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي جعله دكا يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا

من ربي

مستوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقراءة ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي أفكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء الذين ضل سعيهم في اي محل هو الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها

لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم. الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واما نيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه و يجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود. المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال للسماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة. ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب له وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا** فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى و قبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم عليه وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ٥